المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة الدكتوراه

تعقُّبات شهاب الدين الألوسي على ناصر الدين البيضاوي من خلال كتابه روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني جمعاً ودراسة.

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:
حسن بن محمد علي آل أيوب عسيري
الرقم الجامعي (٤٣٣٧٠١٢٣)

إشراف فضيلة الشيخ:
أ.د. أمين محمد عطيه محمد باشا

١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

العنوان: " **تعقُّبات شهاب الدين الألوسي على ناصر الدين البيضاوي من خلال كتابه (روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني) جمعاً ودراسة** ".

تتكون الرسالة من مقدمة، وقسمين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، وحدود البحث ومجاله، وخطة البحث، والمنهج المتبع في البحث.

القسم الأول: الدراسة النظرية وتتكون من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: يشتمل على التعريف بالإمام الألوسي: من حيث اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته، وطلبه للعلم، ورحلاته، وشيوخه، وتلاميذه، وآثاره العلمية، وأقوال العلماء فيه، ووفاته، والتعريف بكتابه من حيث مكانته، وأهميته، منهجه بإيجاز، ومصادره، أهم مميزاته والمآخذ عليه.

الفصل الثاني: يشتمل على تعريف التعقبت لغة واصطلاحا، وصيغها عند الألوسي، ومنهجه فيها، مع بيان ذلك بالأمثلة التوضيحية، وذلك من خلال إيراد نماذج من المواضع التي تعقب فيها الإمام الألوسي على البيضاوي.

الفصل الثالث: يشتمل على التعريف بالإمام البيضاوي من حيث اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته وطلبه للعلم، ورحلاته العلمية، وشيوخه، وتلاميذه، وآثاره العلمية، وأقوال العلماء فيه وثناؤهم عليه، ووفاته، والتعريف بكتابه: مكانته، وأهميته، ومصادره، وأهم مميزاته، وعناية العلماء به

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية: يشتمل على دراسة تعقبات الإمام الألوسي على البيضاوي في تفسير كامل القرآن، وهي مرتبة حسب ترتيب سور القرآن الكريم.

الخاتمة: احتوت على أهم النتائج والتوصيات منها:

١-إن تعقبات العلامة الألوسي جاءت متنوعة في شتى العلوم.

٢-الاعتناء باختيارات الألوسي التفسيرية.

ثم ختمت الرسالة بفهارس فنية.

والحمد لله على توفيقه وامتنانه....

Dissertation Abstract

Title: ' trackers Imam Shihab al-Din al-aloosi Imam DIN oval by writing the spirit of meanings in the Qur'an and the seven study groups ' disproportionately. The message consists of an introduction and two sections, epilogue, and indexes. Introduction: include the importance of the subject, the reasons for his choice, and its objectives, and previous studies, and research and its limits, and the research plan, and research methodology. Section I: theoretical study and consists of three chapters: chapter I: a profile of Imam Al-Alusi, in terms of its name, ratio, birth, early life, and his science, his travels, and the ageing, and his disciples, and to raise the scientific and scholarly view, and death, and the definition of its status, the book and its significance, approach briefly, confiscation, the most important features. Chapter II: contains the definition of the pursuits and language terms and formulas when Al-aloosi, and systematize them, indicating that the illustrative examples, and through revenue models from the positions that track where the Imam Al-aloosi, the oval. Chapter III contains the definition of the oval of the Imam as its name, ratio, birth, and childhood and students of science, scientific trips, and the ageing, and his disciples, and to raise the scientific and

المقدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحدَه لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد؛ فلا يخفى على كلّ ذي لبّ حصيف مقام العلم من دين الله تعالى، فهو مقدم على القول والعمل؛ قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [سورة محمد:١٩].

واقتضت رحمة الله بعباده وحكمته ألا يترك العباد هملا دون منهج يقوّم حياتهم، ويهتدون به في سائر شؤونهم؛ فأنزل القرآن الكريم على نبيه صلى الله عليه وسلم فيه تفصيل ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾[سورة يوسف:١١١].

ولما كان القران الكريم حمّال أوجه، ويتباين الناس في فهمهم له؛ أمست الحاجة ماسة إلى علم يبين معاني كلام الله تعالى، وذلكم هو علم (تفسير القرآن).

ومن العلوم ما هو منوط بالاجتهاد، ولما لم يكن أحد معصوما من الزلل في اجتهاده، استدرك العلماء على بعضهم حماية للعلم وبيانا للحق، فالاستدراكات والتعقبات لها أهمية في تطوير العلم وتحريره، فهي من قبيل النقد العلمي الذي يستوي بنيان العلم به.

والنقد لا يكون إلا للعلماء ومحققيهم، من هؤلاء: الإمام أبو الثناء الألوسي – رحمه الله – ؛ فقد التزم في تفسيره (**روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**) إيراد الأقوال وتعقبها وبيان وجهة نظره فيها، ومن هؤلاء الذين تعقبهم: الإمام البيضاوي – رحمه الله – في تفسيره (**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**)، وهو من التفاسير المحرَّرَة التي تعاقب العلماء على خدمتها

شرحا وتحشية وتقريرا واستدراكا.

وبمطالعة تفسير روح المعاني لوحظ فيه كثرة تعقباته على القاضي البيضاوي، فرأيت جمع هذه التعقبات ودراستها وتقديمها بحثا لاستكمال متطلبات الحصول على الدرجة، وكان بعنوان: **"تعقُّبات شهاب الدين الألوسي على ناصر الدين البيضاوي من خلال كتابه روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني جمعاً ودراسة"**.

واقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى: مقدمة وقسمين وخاتمة، ففي المقدمة بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه، والدراسات السابقة في بحثه والتطرق إليه، وخطة في تناول الموضوع وتقسيمه إلى فصول ومباحث ومطالب، وبيان منهج البحث فيه.

- **أهمية الموضوع وأسباب اختياره:**

تكمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره للدراسة في عدة جوانب:

١- اتصال موضوع البحث بالقرآن الكريم وخدمته، ولهذا الأمر من الأهمية ما لا يخفى.

٢- القامة العلمية للإمامين الألوسي والبيضاوي في العلم الشرعي عموما وعلم التفسير على وجه الخصوص، وما أضافاه إلى علم التفسير من إضافات قيمة.

٣- جانب نفاسة كتابيهما، والمكانة العلمية لتفسيري (البيضاوي والألوسي) إذ يعدان من أشهر التفاسير المتأخرة.

٤- جانب التعقبات وما لها من أثر في البحث العلمي.

٥- دراسة التعقبات العلمية لها أهمية بالغة في الإثراء المعرفي، ومعرفة طرق الترجيح بين أقوال الأئمة، وكيفية إعمال أصول التفسير وقواعده.

- **أهداف البحث:**

١- جمع تعقبات الألوسي في تفسيره روح المعاني على البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل).

٢- معرفة منهج الألوسي في التعقب والاستدلال.

٣- الوصول إلى أصوب الأقوال في المسألة بعد عرضها ومنا قشتها بعمق وموضوعية.

٤- الاستفادة من الاطلاع على تفسير الألوسي والبيضاوي، اللذين يعتبران من الكتب المهمة؛ لاسيما تفسير الألوسي، إذ لم يقتصر فيه مؤلفه على جانب التفسير، بل جمع فيه الحديث والفقه، مع الكثير من الفوائد، والاستنباطات، والترجيحات، والتعقبات، التي قلَّما تجتمع في تفسير واحد.

٥- بيان أنَّ مؤلفات التفسير، ليست جامدة، تنقل الأقوال فحسب؛ بل ناقشتْ وزادتْ ووافقتْ وخالفتْ، وكذلك خرجتْ بجديد يتفق مع أصول السلف في الجملة. ولا شك أن هذا له قيمته العلمية، التي تبدو واضحة جلية.

- **الدراسات السابقة:**

هناك دراسات وعدد من الأبحاث عن تعقبات واستدراكات الإمام الألوسي على من سبقه من المفسرين، منها:

١- "استدراكات العلامة الألوسي على القاضي ابن عطية في التفسير من أول القرآن إلى خاتمته: دراسة نقدية مقارنة"، إعداد: فهد محمد صالح السعيد[(١)].

٢- "استدراكات العلامة الألوسي على أبي حيان في تفسير القرآن الكريم: دراسة نقدية موازنة"، إعداد: سعيد محمد الغامدي[(٢)].

وهاتان الدراستان لا تعلق لهما بصلب الموضوع المراد بحثه في هذه الرسالة، وإن اشتركتا معها في جوانب عامة في الدراسة النظرية.

- **حدود البحث ومجاله:**

يقتصر مجال البحث في هذا الموضوع على تفسير (روح المعاني) للألوسي، ومقارنته بأقوال البيضاوي في (أنوار التنزيل) فيما تعقبه فيه الألوسي، ودراستها.

(١) رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، عام (٢٠٠٧م).

(٢) رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، عام (٢٠٠٧م).

- **خطة البحث:**

يتكون البحث من: مقدمة، وقسمين، وخاتمة، وفهارس. وهي كما يأتي:

المقدمة: وتشمل ما يلي:

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- أهداف البحث.
- الدراسات السابقة.
- حدود البحث ومجاله.
- خطة البحث.
- المنهج المتبع في البحث.

القسم الأول: الدراسة النظرية. وتشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التعريف بالإمام الألوسي وبكتابه (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني). وفيه تمهيد ومبحثان:

التمهيد وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية.

المطلب الثالث: الحالة العلمية والدينية.

المبحث الأول: التعريف بالإمام الألوسي. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته.

المطلب الثاني: طلبه للعلم، ورحلاته العلمية.

المطلب الثالث: شيوخه، وتلاميذه.

المطلب الرابع: آثاره العلمية، وأقوال العلماء فيه وثناؤهم عليه.

المطلب الخامس: وفاته.

المبحث الثاني: نبذة عن كتاب (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع

المثاني). وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مكانته، وأهميته.

المطلب الثاني: منهجه بإيجاز.

المطلب الثالث: مصادره.

المطلب الرابع: أهم مميزاته والمآخذ عليه.

الفصل الثاني: معنى التعقبات، وصِيَغُها عند الألوسي، ومنهجه فيها. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى التعقبات. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى التعقبات في اللغة.

المطلب الثاني: معنى التعقبات في الاصطلاح.

المبحث الثاني: صيغ التعقبات عند الإمام الألوسي، ومنهجه فيها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صيغ التعقبات عند الألوسي.

المطلب الثاني: منهج الإمام الألوسي في التعقبات.

الفصل الثالث: التعريف بالإمام البيضاوي وبكتابه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل). وفيه تمهيد ومبحثان:

التمهيد وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية.

المطلب الثالث: الحالة العلمية والدينية.

المبحث الأول: التعريف بالإمام البيضاوي. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته.

المطلب الثاني: طلبه للعلم، ورحلاته العلمية.

المطلب الثالث: شيوخه، وتلاميذه.

المطلب الرابع: آثاره العلمية، وأقوال العلماء فيه وثناؤهم عليه.

المطلب الخامس: وفاته.

المبحث الثاني: نبذة عن كتاب (أنوار التنزيل وأسرار التأويل). وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مكانته، وأهميته.

المطلب الثاني: منهجه بإيجاز.

المطلب الثالث: مصادره.

المطلب الرابع: أهم مميزاته والمآخذ عليه.

المطلب الخامس: عناية العلماء به.

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية:

وتشمل تعقبات الإمام الألوسي التفسيرية على البيضاوي، في كامل تفسيره القرآن، وهي مرتبة على ترتيب السور.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتشمل الآتي:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥- فهرس الأماكن والبلدان.

٦- فهرس الأبيات الشعرية.

٧- فهرس المصادر والمراجع.

٨- فهرس الموضوعات.

- **المنهج المتبع في البحث:**

١- ذكر اسم السورة ورقم الآية في كل تعقب في تفسير السورة.

٢- وضع عنوان للتعقب، مع ترقيم العناوين في كل سورة.

٣- ثم ذكر الآية كاملة في فقرة خاصة.

٤- ثم وضع عنوان كالتالي: (القول المعقب عليه)، ويذكر تحته كلام البيضاوي الذي تعقبه الألوسي، مع عزوه إلى تفسير البيضاوي.

٥- ثم وضع عنوان كالتالي: (التعقُّب)، ويذكر تحته كلام الألوسي في تعقبه على كلام البيضاوي، مع عزوه إلى تفسير الألوسي.

٦- ثم وضع عنوان كالتالي: (الدراسة)، وفيه يتم دراسة المسألة، وذكر الأقوال فيها، مع أدلة كل قول، والترجيح بينها، مع عزو كل قول إلى مصادره الأصيلة.

٧- في فقرة الأدلة: يذكر (وجه الاستشهاد) بعد كل آية، و(وجه الاستدلال) بعد كل حديث، مع عزوها إلى مصادرها أيضا.

٨- تخرج الأحاديث على الطريقة الأكاديمية، وهي على الاختصار: أخرجه: البخاري في كتاب:...، باب:...، (الجزء/ الصفحة)، رقم (...). وإذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فإني أكتفي بالعزو إليهما، وأما إذا لم يكن الحديث في الصحيحين فإني أخرجه من السنن الأربعة، ثم من بقية كتب السنة المعروفة، وأنقل أقوال أهل العلم في الحكم عليها.

٩- ترجمة الأعلام بالرجوع إلى الكتب المخصصة في التراجم، مثل الرجوع إلى كتب تراجم الصحابة إذا كان العلم صحابيًّا، وكتب تراجم القرَّاء إذا كان من أئمة القراء، أو كتب تراجم الفقهاء إذا كان معدودًا ضمنهم، وهكذا، وأترجم للعلم في أول موضع ورد فيه ذكر اسمه، وكذلك يحال في فهرسة الأعلام إلى الموضع الذي ترجم فيه للعلم، دون بقية المواضع التي ورد فيها ذكر اسم المؤلف.

١٠- شرح الكلمات الغريبة، والمصطلحات، والتعريف بالأماكن، والقبائل.

والله أسأل التوفيق والسداد في القول والعمل.

كلمة شكر وتقدير

أشكر الله –سبحانه– شكر يليق بجلاله على أن وفقني لخدمة كتابه، وأعانني على إتمام هذا العمل، فله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى.

ثم أتقدم بوافر شكري وعظيم تقديري لوالديّ الكريمين؛ لما حظيت به من العناية الكريمة منهما. وأخص بالشكر من قرن الله برها وطاعتها بعبوديته وتوحيده.. إلى الدواء الشافي والبلسم الوافي.. إلى الكنز الذي أعول إليه، والذخر الذي أرجع إليه.. إلى السيدة النبيلة وصاحبة الدرجة الجليلة.. إلى نبع الحنان وشاطئ الإطمئنان.. أمي... متعها الله متاعا حسنا، وبارك في عمرها، وشفاها، وعافاها، وزادها من فضله..

وشكري وتقديري لشيخي الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ أمين محمد عطيه محمد باشا، على تحشُّمِه متابعة هذا العمل، وكان لحسن إشرافه وتوجيهاته وآرائه عظيم الفائدة. فأسأل الله أن يرفع ذكره، ويعليَ قدره، وييسر أمره، وأن يجزيه عني خير الجزاء.

وأشكر هذه الجامعة العريقة جامعة أم القرى، التي تعلمت في رحابها، جعلها الله منارة للعلم والعلماء، والشكر لكلية الدعوة وأصول الدين، ممثلة في قسم الكتاب والسنة، شعبة التفسير وعلوم القرآن.

والشكر لكل من أسهم في معاونتي في إعداد هذه الرسالة، وأسأله أن يوفق الجميع لخدمة كتابه الكريم، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين.

الفصل الأول

التعريف بالإمام الألوسي وبكتابه (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)

وفيه تمهيد ومبحثان

التمهيد: وفيه نبذة عن عصر الإمام الألوسي.

المبحث الأول: التعريف بالإمام الألوسي.

المبحث الثاني: نبذة عن كتاب (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني).

تمهيد

نبذة عن عصر الإمام الألوسي وتأثره بتلك الأحوال

كان عهد الخلافة العثمانية مسرحًا لأحوال هامة في تاريخ العالم الإسلامي، حدثت فيه تقلبات سياسية وفتن وانقلابات، تغيرت فيه نظم الحضارة، وتبدلت فيه الحياة العلمية والثقافية وغير ذلك، ولما كان للظروف السياسية والاجتماعية والثقافية دور في تكوين شخصية الإنسان وعلمه وثقافته ودوره في الحياة كان لابد أن نلقي الضوء على الأحوال التي مرت في عصر الألوسي بشيء من الإيجاز:

المطلب الأول

الحالة السياسية

لقد عاش الإمام الألوسي في العراق في عهد الخلافة العثمانية، حيث إن الدولة العثمانية كانت دولة إسلامية[1].

وكان عصرا فيه كثير من التقلبات السياسية والفتن المذهبية، والانقلابات داخل المنطقة العراقية، فتارة يزحف عليها الجيش البريطاني، وتارة يغزو حدودها الجيران من إيران، ومرة يحكمها الأتراك، وأخرى يستولي عليها المماليك، فكثرت الاضطرابات، وعدم الاستقرار في بغداد. وقد كان في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) كما هو معروف يسيطر الأتراك العثمانيون، والذين حكموا بغداد وما حولها حتى جاءها المماليك، وكانت هذه الحقبة عصيبة، إذ ظهرت الفتن المذهبية، والعصبية العرقية، وعدم الاستقرار السياسي والحروب بين العشائر ونفوذ زعماء القبائل، مع وجود التمرد على السلطة والثورات السياسية[2].

لقد أخفقت محاولات ضرب الدولة العثمانية الإسلامية من الخلف في إشعال الفتن والحروب بالاعتماد على التعصب النصراني، والاستفادة من النصارى الذين يقيمون في أرض

---

(١) ينظر: تاريخ العراق بين احتلالين لعباس العزاوي (١٢٧/٨)، والألوسي مفسرا لمحسن عبد الحميد (٣١/٣٠)، تاريخ الدولة العلية العثمانية (ص٣٦٣-٣٩٣).

(٢) تاريخ العرب الحديث، عبد العزيز سليمان نور، (ص: ٨٧).

الدولة العثمانية لكن البلاد لم يستقر حالها، فلقد أصاب الدولة حينها قلاقل واضطرابات متكررة.

فجثم الضعف وفشا التفرق والتمزق في صف الأمة وذلك نتيجة لضعف الحالة السياسية، وكان من مظاهر ذلك، أن بدأ التركيز على التعصب القومي الذي يحاربه الإسلام، وكذلك التركيز على تجزئة الدولة.

لقد كان وقود هذه الحملة -بالدرجة الأولى- مجموعة من النصارى الذين ينتسبون إلى بعض القبائل العربية التي كانت تؤلف جزءا من الدولة العثمانية، ثم تطور الأمر شيئا فشيئا فبدأت تظهر ادعاءات ببطلان شرعية السلاطين العثمانيين كخلفاء للمسلمين، وأن الخلافة من حق العرب وحدهم.

ثم قام المبشرون البروتستانت بترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية، وسعوا في تنشئة رجال الدين النصارى من العرب، فصارت الصلوات والتراتيل تتلى باللغة العربية وحدها، وقد استمر ذلك حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري[1].

وقد عاصر الإمام ثلاثة من ولاة العراق وهم:

[١] داود باشا والي بغداد الذي تولى في الفترة من (١٢٣٢هـ – ١٢٤٧هـ) (١٨١٧م – ١٨٣١م) وهو آخر باشا من قبل المماليك يحكم بغداد.

[٢] علي رضا باشا، والي بغداد من قبل السلطان العثماني، بعد سقوط دولة المماليك، وهو الذي تعاون معه الإمام، وكان مصدر ثقته، وتقديره واحترامه، وسعى معه لتوحيد المسلمين وتولى منصب الإفتاء في زمنه، وإمامة الحنفية، وكان ذلك منذ أن تولاها (١٢٤٧هـ) وحتى (١٢٥٨هـ).

[٣] نجيب باشا الذي تولى بغداد في الفترة (١٢٥٨هـ . ١٢٦٥م) وقد جاء والإمام يبذل جهده، ويفني عمره لتقوية شوكة الإسلام وكان ذلك بعد عزل رضا باشا، فعزل الإمام وحرمه من الأوقاف في سنة (١٢٦٣هـ) فتفرغ لاتمام تفسيره، وللفتوى والعلم[2].

---

(١) ينظر انهيار الدولة العثمانية (١/٦٨-٧٨)، والدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط (١/١٤-٢٠).

(٢) تاريخ العرب الحديث، (ص: ١٢٢)، العراق في التاريخ منسوب لنخبة من علماء التاريخ بالعراق، (ص: ٦٣١).

ولم يكن الإمام الألوسي – رحمه الله – في معزل عن تلك الأحوال بل كان يمارس نشاطه العلمي والتعليمي في خضم تلك الأحوال السياسية العصيبة كما تبين ذلك من تقلده منصب الإفتاء ثم عزله منه وتغيير أحواله مما استدعاه إلى الخروج إلى عاصمة الخلافة استانبول.

المطلب الثاني

الحالة الاجتماعية

كما هو ظاهر من حال البلاد العراقية، أنها حتى الآن تسيطر عليها القبائل ويوجد تقدير لزعماء العشائر: الكردية والعربية، وهذا من أبرز ما يميز العراق في عصر الإمام الألوسي.

فالقبائل في العراق كانت هي التي تحكم، وزعماؤها هم من يأمر في المجتمع، مع وجود تقدير للعلماء وأهل اللغة والأدب، وهنالك بعض الأقليات المسيحية التي ترك لها العثمانيون حرية العبادة والعمل والعلم، والمسلمون الذين ينقسمون بين السنة والشيعة، مع وجود تعاون تام بينهما واحترام متبادل وذلك لقوة علماء الجانبين من السنة والشيعة.

أما من ناحية العمل، فالمجتمع فيه طبقات التجار العراقيين وغيرهم، وطبقة الزراع، وأصحاب الحرف. والمزارعون هم الغالبية العظمى، ولكل طبقة ترتيب خاص بها وزعماء يقودونها.

والمزارعون ينقسمون إلى[1]:

{أ} إقطاعيين، وهم من يملكون الأرض والمال، من القادة العسكريين والزعماء السياسيين، وشيوخ القبائل وهم مجموعة واسعة النفوذ.

{ب} فلاحين، وهم من يزرع الأرض ويعمل فيها حتى يحصد الزرع، وهؤلاء غالبهم أجراء أو فقراء يعملون بالأجر خلال العام أو اليوم[2].

أما التجار فهم جماعات، أهل كل نوع من أنواع البضائع تربط بينهم صلة، ولهم رئيس، ويوجد نظام دقيق يدير شئون السوق مع التجار والزرّاع.

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي، أحمد شلبي (٥٩٤/٧).

(٢) تاريخ العرب الحديث (١٤٠/١).

وهنالك طبقة الرجال المدافعين عن الدولة، وهم الجند، والقادة، وقد ظهرت الانكشارية في هذه الفترة، وكانت لهم رواتب ولكل حاكم أو والٍ جنود وشرطة لضبط الأمن، والإشراف على السوق والسجون، مع وجود إقطاعيين وحكام يسيطرون على هؤلاء[1].

ومع ذالك كله لم يكن الإمام الألوسي – رحمه الله – في معزل عن مجتمعه بل كان له المشاركة الفاعلة في خدمة مجتمعه وتثقيفهم ويظهر ذالك من خلال إسهاماته العلمية التي نفع بها مجتمعه الكائن فيه.

(١) الاتجاهات الفكرية عند العرب (ص: ٤٩).

المطلب الثالث

الحالة العلمية والدينية

كانت بغداد حاضرة العالم الإسلامي، حتى غشاها التتار ودمروها، وأحرقوا مكتبتها وقتلوا علماءها، فجاء الأتراك العثمانيون فأعادوها سيرتها الأولى، وقد كانت بغداد تتمتع بنهضة علمية لا بأس بها خصوصاً في ولاية داود باشا الذي طالت ولايته أكثر من غيره وكان يقدر العلم وأهله، فقد كثرت في عهده المدارس بتشجيع منه ورعاية لها وللعلماء والمتعلمين، فكان عصره بداية للنهضة العلمية الحديثة في العراق، كما يرى بعض الكتاب[1].

وأما الحالة الدينية فقد بدأت بالانحدار قبل عصر الألوسي، وأدرك ذلك العام والخاص، وقد أقر بذلك بعض الحكام، وفي هذا يقول السلطان عبد المجيد الأول في خطاب له موجه إلى عامة الناس، عقب توليه منصب الخلافة عام ١٢٥٥هـ[2]، قال: "لا يخفى على عموم الناس أن دولتنا العلية من مبدأ ظهورها وهي جارية على رعاية الأحكام القرآنية الجليلة، والقوانين الشرعية المنيفة بتمامها، ولذا كانت قوة ومكانة سلطتنا السنية، ورفاهية وعمارية أهلها وصلت حد الغاية، وقد انعكس الأمر منذ مائة وخمسين سنة بسبب عدم الانقياد والامتثال للشرع الشريف ولا للقوانين المنيفة، بناء على طروء الكوارث المتعاقبة والأسباب المتنوعة، فتبدلت قوتها بالضعف وثروتها بالفقر..."إلخ[3].

وهكذا فإن الاعتراف بالتقصير فضيلة، وربما نتج عنه إصلاح ما فسد، ولكن العاطفة الدينية لا تكفي في الإصلاح إذا لم يصحبها العلم الصحيح، فقد كثر في ذلك الوقت انشار الطرق الصوفية ولا سيما النقشبندية[4].

ومع هذه الأحوال فلم يتأثر الألوسي – رحمه الله – سلبا بل أسهم في خدمة العلم والعلماء ولا أدل من ذالك على كتابه العظيم الذي بين أيدينا كما أنه تقلد منصب الإفتاء في بغداد فترة من الزمن.

---

(١) الألوسي مفسرا لمحسن عبد الحميد (٣٣).

(٢) تاريخ الدولة العلية العثمانية (ص٤٨١).

(٣) تاريخ الدولة العلية العثمانية (ص٤٨١).

(٤) تاريخ العراق بين احتلالين (٢٩٨/٦).

المبحث الأول

التعريف بالإمام الألوسي

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته.

المطلب الثاني: طلبه للعلم، ورحلاته العلمية.

المطلب الثالث: شيوخه، وتلاميذه.

المطلب الرابع: آثاره العلمية، وأقوال العلماء فيه وثناؤهم عليه.

المطلب الخامس: وفاته.

المطلب الأول

اسمه، ونسبه، ونسبته، ومولده، ونشأته

- **اسمه:**

هو السيد محمود أفندي بن السيد عبد الله أفندي بن محمود بن درويش بن عاشور الحسيني الألوسي، كنيته: أبو الثناء، وقيل: أبو عبد الله، ولقبه: شهاب الدين[(١)].

- **نسبه:**

ينتهي نسبه من جهة الأب إلى الحسين بن علي، ومن جهة الأم إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما[(٢)].

- **نسبته:**

اختلفوا في نسبته فقيل: نسبة إلى (ألوس) بالقصر[(٣)]، وهي قرية على الفرات. وقيل: نسبة إلى (أُلُوس) بضم الألف واللام[(٤)]، وقيل: نسبة إلى (آلوسة) بالمد وضم اللام وسكون الواو بعده سين مهملة مفتوحة، وقيل: غير ذلك[(٥)].

- **مولده:**

ولد العلامة الألوسي رحمه الله بكرخ بغداد[(٦)]، قبيل ظهر الجمعة، رابع عشر يوم الجمعة،

---

(١) ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (١٤٥٣/١)، هدية العارفين (٤١٨/٢)، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (٥٧/١)، الأعلام للزركلي (١٧٦/٧)، معجم المطبوعات العربية والمعربة (٣/١)، التفسير والمفسرون (٢٥٠/١)، معجم المؤلفين (١٧٥/١٢).

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (١٤٥٠/١).

(٣) ينظر: تاج العروس (٤٠٥/١٥) مادة ألَس، ومعجم البلدان (٢٤٦/١).

(٤) ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب (٨٢/١-٨٣).

(٥) ينظر: تاج العروس (٤٠٥/١٥)، ومعجم البلدان (٢٤٦/١).

(٦) الكرخ: بالفتح ثم السكون، وخاء معجمة، قال ياقوت الحموي: "وما أظنها عربيّة إنما هي نبطية، وهم يقولون: كرخت الماء وغيره من البقر والغنم إلى موضع كذا جمعته فيه"، وكانت الكرخ أولا في وسط بغداد والمحالّ حولها، وهي الآن على الجانب الغربي لنهر دجلة. ينظر: معجم البلدان (٤٤٧/٤).

وذلك سنة ١٢١٧هـ[١].

- **نشأته:**

نشأ العلامة الألوسي ببغداد – وقد عرفت الأمن والاستقرار – في بيت علم وفضل، في بيئة علمية سنية عريقة صالحة متدينة، عاشت جنبا إلى جنب البيئة العلمية الشيعية المهيمنة آنذاك بالعراق، في ظل الحكم التركي العثماني الصوفي، فامتزج فيها المذهب الحنفي مع العقيدة الأشعرية والطريقة الصوفية.

الطريقة الصوفية التي هي أقوى العناصر نفوذا في إشاعة حرمة البيئة السنية بين الجمهور، ورفع منزلتها في النظر العام، تكونت بذلك لعلماء السنة منزلة نفوذ روحي، يضاهي ما لعلماء الشيعة عند عامتهم من اعتبارات روحانية، لم يكن علماء السنة من قبل يعرفونها.

نشأ الألوسي في أسرة علمية عريقة صالحة متدينة، من أب كان رئيسا للمدرسين في بغداد، ومن أم من سلالة علمية، يتصل نسبها من جهة الأم بالأشراف القادريين الحسنيين، وهي ابنة الشيخ حسين العشاري[٢].

وكان منزلهم ببغداد قبلة القاصدين من طلبة العلم، حيث تعقد جلسات العلم، وتطرح مسائله وقضاياه المختلفة، في الفقه والحديث والتفسير والنحو والبلاغة والبيان وغيرها من العلوم.

وفي هذا الجو العلمي نشأ الألوسي، وقد لاقى اهتماما كبيرا من والده، وتعلقت عيناه بأبيه وهو يراه يتصدر تلك الحلقات مناقشا ومحاورا ومعلما، ويلقى من الحاضرين أسمى آيات التقدير والإعجاب، فسار في طريقه، وقد لاقى اهتماما كبيرا من والده، فكان ذلك سببا مباشرا في

---

(١) ينظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (٥٧/١)، التفسير والمفسرون (٢٥٠/١)، معجم المؤلفين (١٧٥/١٢)، هدية العارفين (٤١٨/٢).

(٢) حسين بن علي بن حسن، العشاري، البغدادي، فقيه أصولي، شاعر، كان يُسمَّى الشافعي الصغير، يعود أصله إلى العشارة وهي بلدة تقع على ضفة نهر الخابور وكانت تابعة في العهد العثماني إلى لواء دير الزور، ولد وتعلم ببغداد، من شيوخه الشيخ جمال الدين عبد الله ابن حسين السويدي وولده الشيخ عبد الرحمن السويدي، له حاشية على شرح الحضرمية لابن حجر الهيتمي وحاشية على جمع الجوامع في أصول الفقه، توفي بالبصرة سنة (١١٩٥هـ). ينظر: سلك الدرر (٦٩/٢-٧٠)، المسك الأذفر (٨٦)، معجم الشعراء العرب (ص: ٧٤١)، والأعلام (٢٤٨/٢).

نبوغه العلمي[١].

يقول – رحمه الله تعالى – عن بدايته المبكرة للعلم: "وإثر ما فطمت من ارتضاع الألبان، شرعت أتحسى در قراءة القرآن، وبعيد ما حل عني بند قماط[٢] الطفولية، عقد على لواء حفظ المقدمة الآجرومية، وقبل أن أبلغ من تسدية ما بين الدفتين الأمنية، طويت على نول قلبي رداء حفظ الآجرومية، وفي أثناء ذلك حفظت ألفية ابن مالك، وقرأت غاية الاختصار في فقه الشافعية، وحفظت في علم الفرائض المنظومة الرحبية..."[٣].

فجمع العلوم في سن مبكر، واشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة[٤].

وكان ذا حافظة عجيبة، فكثيرًا ما كان يقول: "ما استودعتُ ذهني شيئًا فخانني، ولا دعوتُ فكري لمعضلة إلا وأجابني"[٥].

وكان – رحمه الله – يواسي طلبته في ملبسه ومأكله، ويُسكِنهم البيوت الرفيعة من منزله، حتى صار في العراق العلم المفرد، وانتهت إليه الرياسة لمزيد فضله الذي لا يجحد، وكان نسيجًا وحده في النثر وقوة التحرير، وغزارة الإملاء، وجزالة التعبير.

● **عقيدته:** عاش الألوسي في بغداد – وقد عرف فيها الأمن والاستقرار – ، في بيئة سنية علمية، جنبا إلى جنب البيئة الشيعية الإيرانية، تحت قوة الحكم العثماني، التي تأثر كل من تحتها بطرقها الصوفية؛ فظهر الألوسي متغذيا من جميع عناصر هذه البيئة، العقيدة السنية الأشعرية التي تحارب وتواجه الشيعة، والطريقة الصوفية.

ومن خلال تتبع كتب الألوسي يتبين أنه يميل إلى التصوف، وأحيانا يميل إلى مذهب السلف ويقرره وينسب إليه وهذا هو الغالب عليه، وأحيانا يذكر المذهب الأشعري، وينتصر له

---

(١) ينظر: النهضة الإسلامية (٣٣/٢)، منهج الألوسي في تفسيره لعبد الله ربيع جنيد (ص١٦)، منهج الألوسي في القراءات في كتابه روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لبلال علي العسلي (ص٤١).

(٢) القماط: هو الخرقة التي يلف بها الصغير. ينظر: تهذيب اللغة (٩/ ٣٦)، مادة (قمط)، الصحاح (٣/ ١١٥٤)، مادة (قمط).

(٣) ينظر: النهضة الإسلامية (٣٣/٢)، منهج الألوسي في تفسيره (١٦)، منهج الألوسي في القراءات في كتابه روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٤١).

(٤) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للبيومي (٥٧٠/١-٥٨٧).

(٥) التفسير والمفسرون (٢٥١/١).

انتصارا يجعله يلمز أئمة السلف[1].

فعقيدته تتجاذبها أربعة مذاهب: مذهب السلف، والتفويض، والأشعرية، والتصوف.

ومن أمثلة ما يدل على موافقته لمنهج السلف:

١- أوصى أبناءه بالتزام عقيدة السلف، فقد جاء في وصيته لأبنائه التي كتبها قبل وفاته بشهر ونصف، الدعوة إلى عقيدة السلف قال: "يا بَني عليكم في باب العقائد بعقيدة السلف، فإنها أسلم بل أنصف..."[2].

٢- وقال أيضا: "يا بَني... من رأيتموه يطير في الهواء أو يمشي على وجه الماء، وقد خالف شيئا من الشريعة الغراء فهو من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمان فإياكم منه، واشتغلوا عنه بتقوى الله"[3].

٣- مدحه لطائفة من الصوفية السلفية الذين وافقوا الكتاب والسنة وسلف الأمة، ولم يختلفوا مع السلف إلا في الاصطلاح (الصوفية). كقوله: ساداتنا الصوفية، أو قدست أسرارهم ونحو ذلك من ألفاظ التبجيل.

وذمه للطائفة الأخرى التي خالفت الكتاب والسنة والعقل والفطرة، وإنكاره عليها أشد الإنكار، ويقبح قولهم وفعلهم، ويستخدم في حقهم ألفاظا لاذعة وجارحة، مثل قوله: "أكره سماع نهيق حمر جهلة الصوفية"[4]. وكقوله: "من يعتقد ذلك أنجس من الكلب والخنزير"[5]، وغير ذلك.

٤- قوله في الصفات: "ثم اعلم أن كثيرا من الناس جعل الصفات النقلية من الاستواء واليد والقدم والنزول إلى السماء الدنيا والضحك والتعجب وأمثالها من المتشابه ومذهب السلف -والأشعري من أعيانهم- كما أبانت عن حالة الإبانة أنها صفات ثابتة وراء العقل، ما

---

(١) المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، (ص: ١٢٩١).

(٢) إنباء الأبناء بأطيب الأنباء، (ص: ١٨). نقلًا من: جهود أبي الثناء الألوسي في الرد على الرافضة، (ص٩٤).

(٣) إنباء الأبناء بأطيب الأنباء، (ص: ١٨). نقلًا من: جهود أبي الثناء الألوسي في الرد على الرافضة، (ص:٩٤).

(٤) غرائب الاغتراب (ص: ٣٧).

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٠٣/٥).

كلفنا إلا اعتقاد ثبوتها مع اعتقاد عدم التجسيم والتشبيه لئلا يضاد النقل العقل"[1].

٥- دعوته إلى قبول ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، وردّ ما لم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم. يقول: "والحاصل أن كل ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسند مقبول فعلى العين والرأس، وما كان على خلاف ذلك نبذناه وراء ظهورنا وإن تلقته بأيدي القبول جهلة الناس"[2].

٦- استعاذته من اتباع الهوى، وأنه إذا صح الحديث فهو مذهبه. يقول: "وأنا أقول إذا صح الحديث فهو مذهبي، ونعوذ بالله من اتباع الهوى"[3].

ومن أمثلة ميله إلى التصوف:

١- تبجيله لبعض غلاتهم، مثل ابن عربي الحاتمي[4]، وابن الفارض[5]، مع أنه لا يوافقهم يوافقهم في ضلالهم[6].

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٨٥/٢).

(٢) غرائب الاغتراب (ص: ٣٨).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣٨/٥).

(٤) محمد بن علي بن محمد بن عربي أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحيي الدين فيلسوف من أئمة المتكلمين، ولد بمرسية بالأندلس سنة (٥٦٠هـ)، درس بالأندلس أولا ثم بالعراق والحجاز والشام حيث استوطن دمشق، من تصانيفه الفتوحات المكية، فصوص الحكم، اصطلاحات الصوفية، وهو قدوة القائلين بوحدة الوجود، توفي سنة (٦٣٨هـ) ودفن بقاسيون. ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٨/٢٣-٤٩)، معجم أعلام شعراء المدح النبوي (ص: ٣٧٧)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية (ص: ١٥٦).

(٥) عمر بن أبي الحسن على بن المرشد بن علي، أبو القاسم ابن الفارض، ولد بمصر سنة (٥٧٦هـ) وأصله من حماه، من من شوخه ابن عساكر وغيره، ومن تلامذته الحافظ المنذري وغيره، له ديوان شعر، من القائلين بوحدة الوجود، وكان يسلك طريق التصوف، وينتحل مذهب الشافعي توفي سنة (٦٣٢هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٨/٢٢)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/ ٥١٨)، لسان الميزان (٣٦٤/٤)، الأعلام للزركلي (٥٦/٥).

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧٩/١٢)، (١٠٢/١٥)، (١٠١/٢٢).

٢- تبرئته للصوفية عما ينسب إليهم، والتأكيد على حسن الظن بهم، والتكلف في التماس الأعذار لهم[(١)].

ومن الأمثلة قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:٢٢]: "ومن باب الإشارة أنه تعالى مثل البدن بالأرض، والنفس بالسماء، والعقل بالماء، وما أفاض على القوابل من الفضائل العلمية والعملية المحصلة بواسطة استعمال العقل والحس، وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والأرضية المنفعلة بإذن الفاعل المختار"[(٢)].

ويظهر – والله أعلم – أن الألوسي يحاول أن يدفع عن نفسه شبهة الإنكار عليهم، بسبب الضغوط الهائلة من قبل المجتمع والدولة لحماية التصوف، وبما أنه كان يعيش في وقت تعتبر فيه السلفية أكبر خطر يهدد كيان الدولة التركية، وكانوا ينعتون السلفية بـ(الوهابية)[(٣)] للتنفير منهم.

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/٨).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/١٩٤). وينظر أمثلة أخرى في روح المعاني: (١/٤٠٩)، (٨/٤٥١)، (١٣/٥٩٣).

(٣) نسبة إلى الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي المتوفى سنة ست ومائتين وألف من الهجرة، كانت وفاته رحمه الله سنة (١٢٠٦هـ) في الدرعية، قبره معروف هناك، وقد قام بالدعوة إلى الله في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، في نجد في الدرعية وما حولها دعا إلى توحيد الله، وأنكر على الناس التعلق بالقبور والأموات والأصنام وتصديق الكهان والمنجمين وعبادة الأشجار والأحجار على طريقة السلف الصالح، على الطريقة التي بعث الله بها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى الطريقة التي درج عليها أصحابه فدعا إلى الله ودعا معه العلماء الذين وفقهم الله لمعرفة الحق من أقاربه وأولاده وغيرهم وأظهر الله به الدين وأزال به الشر من نجد وما حولها، ثم انتشر منهجه في اليمن والشام والعراق ومصر والهند وغير ذلك، ولكن كان له خصوم وأعداء بسبب الحروب التي صارت بينه وبين الأتراك والمصريين في أول القرن الثالث عشر، فكذب عليه الكذابون حتى يستبيحوا دماء أتباعه، فقالوا إنه مذهب خامس وأنهم يسبون الرسول يسبون الصحابة وكل ذلك كذب وباطل، وقد عرف المحققون صحة دعوته واستقامتها وأنه على الهدى والطريق القويم وشهدوا له بالحق كالشيخ محمد رشيد رضا، وغيرهم ممن عرف دعوتهم رحمة الله عليهم. ينظر: تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، د/محمد سعد الشّويعر، (ص: ٩).

ومن يدعو إلى العقيدة الصحيحة ولا يجد فيها شيئا اسمه التصوف أو بعض مصطلحاتهم فالاصطدام حاصل لا محالة، وما على المرء إلا أن يفكر في سبيل يسلكه لينشر دعوته ويبقي على نفسه. وهذا ما سلكه الألوسي[1].

يقول – رحمه الله –: " وإلى الله المشتكى من زمان عصفت فيه ريح الجهالة، وتلاطمت أمواج الضلالة، وخرقت سفينة الشريعة، واتخذت الاستغاثة بغير الله تعالى للنجاة ذريعة، وتعذر على العارفين الأمر بالمعروف، وحالت دون النهي عن المنكر صنوف الحتوف "[2].

فسلوك العلماء السنيين إلى طرق الصوفية وانتسابهم إليها كان تقية، بسبب الظروف السياسية، وذلك أن أي عالم لم يكن له طريقة يكون محل تهمة، ومعرضًا للقتل، وهذا ما أصاب الألوسي، ولم يجد أحدا يشفع له عند الوزير إلا بعض مشايخ النقشبندية[3]. فاختار هذه الطريقة لأن شيخها كان من العلماء الأفاضل، مشتغلا بتدريس العلم، وينهى عن النظر في كتب الصوفية، وكان متمسكا بالدليل[4].

(١) جهود أبي الثناء الألوسي في الرد على الرافضة، (ص: ١١٧ – ١١٩).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٦/٩٣).

(٣) النقشبندية: طريقة صوفية تنسب إلى الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشبند ٦١٨-٦٩١هـ، انتشرت في فارس وبلاد الهند وآسيا الغربية، وهي تشبه الطريقة الشاذلية، لكن الذكر الخاص عند الشاذلية: لا إله إلا الله، وعند النقشبندية يكون بلفظ الله مفردًا: الله، الله. وفي ذلك يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٠/٢٣٣): (وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهرًا أو مضمرًا فلا أصل له، فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات، وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد). ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٢٦٧)

(٤) جهود أبي الثناء الألوسي في الرد على الرافضة، (ص ١٢٦).

أما ميله لعقيدة الأشاعرة:

فقد ضمَّ في تفسيره معظم بحوث الرازي[1]، وهو يقرر مذهب الأشاعرة وينتصر لهم، وأحيانا يرد عليهم. مثال ذلك رده على من فسر الفوقية لله تعالى بمعنى أفضلية الذات والخيرية بقوله: "وأنت تعلم أن هذا مما تنفر منه العقول السليمة وتشمئز منه القلوب الصحيحة، فإن قول القائل ابتداء: الله تعالى خير من عباده أو خير من عرشه من جنس قوله: الثلج بارد، والنار حارة، والشمس أضوأ من السراج، والسماء أعلى من سقف الدار، ونحو ذلك، وليس في ذلك تمجيد ولا تعظيم لله تعالى، بل هو من أرذل الكلام، فكيف يليق حمل الكلام المجيد عليه..." ثم قال: "والفوقية بمعنى الفوقية في الفضل مما يثبتها السلف لله تعالى أيضًا، وهي متحققة في ضمن الفوقية المطلقة، وكذا يثبتون فوقية القهر والغلبة كما يثبتون فوقية الذات، ويؤمنون بجميع ذلك على الوجه اللائق بجلال ذاته وكمال صفاته سبحانه وتعالى..."[2]، ثم تكلم عن الجهة بكلام جيد.

ومن ذلك اضطرابه في توحيد الأسماء والصفات: لقد صرح الألوسي بأنه على عقيدة السلف ودعوته إليها، إلا أن القارئ لكتبه يجد شيئا من الاضطراب، فمثلا الكلام في الصفات مرة يثبت الصفة ويؤولها ويفوض معناها في مكان آخر، ولكنه لا يدعو إلى مذهب من هذه المذاهب صراحة، كما صرح دعوته إلى مذهب السلف، بل وينسب نفسه إليه ويفتخر به[3].

ونجد أن الذين بحثوا في تفسير الألوسي وفي كتبه، كالشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي في كتابه (المفسرون بين التأويل والإثبات)، والشيخ أحمد بن عبد الرحمن القاضي في كتابه (مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات)، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز الخضير في كتابه (منهج أبي الثناء الألوسي في أصول الإيمان)، اتفقوا على الاضطراب، إلا أنهم اختلفوا في

---

(١) محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل كان والده ضياء الدين خطيب الري، ولهذا لقب بابن الخطيب، ولد سنة (٥٤٤هـ) وله مصنفات كثيرة في شتى العلوم منها تفسيره مفاتيح الغيب والمحصول والمنتخب ونهاية العقول وغيرها. وهو متكلم أشعري مشهور وشافعي المذهب توفي سنة (٦٠٦ هـ). ينظر: المغني في الضعفاء (٢/ ٥٠٨)، تاريخ الإسلام (١٣/ ١٣٧)، سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠٠)، وفيات الأعيان (٢٤٨/٤).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١١٠/٤).

(٣) من المواطن التي صرح فيها بانتصاره لمذهب السلف: روح المعاني (٢/ ٩، ٢/ ١٧، ٢/ ٣٩، ٣/ ٥٢، ٤/ ١٠٨، ٥/ ٤٤).

تصنيفه، فمنهم من صنفه مع الخلف وهو المغراوي، ومنهم من تورع ولم يستطع تصنيفه لا مع السلف ولا مع غيرهم، وهما القاضي والخضير[1]، والله أعلم.

(١) جهود أبي الثناء الألوسي في الرد على الرافضة، (ص ١٣١).

● **مذهبه:**

كان الألوسي –رحمه الله – عالما باختلاف المذاهب، شافعي المذهب، كما كان أسلافه من آل الألوسي، فتفقه في مذهب أسلافه، إلا أنه في كثير من المسائل يُقلِّد الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان[1] – رحمه الله –، ورسخت قدماه فيه، حتى أصبح من فقهائه، وكان في آخر أمره يميل إلى الاجتهاد[2].

ولقد صرح الألوسي في بعض كتبه بأنه كان في أول الأمر شافعيا، ثم تحول بعد ذلك إلى المذهب الحنفي... يقول –رحمه الله –: "وعلى المرء نصرة مذهبه والذب عنه وذلك بإقامة الحجج على إثباته وتوهين أدلة نفاته، وكنت من قبل أعد السادة الشافعية لي غزية ولا أعد نفسي إلا منها، وقد ملكت فؤادي غرة أقوالهم كما ملكت فؤاد قيس ليلى العامرية فحيث لاحت لا متقدم ولا متأخر لي عنها:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادفَ قلبًا خاليًا فتمكَّنا[3]

إلى أن كان ما كان فصرت مشغولا بأقوال السادة الحنفية، وأقمت منها برياض شقائق النعمان، واستولى عليّ من حبّها ما جعلني أترنم بقول القائل:

محا حبّها حبّ الأولى كنّ قبلها وحلّت مكانا لم يكن حلّ من قبل[4]"[5]

---

(١) النعمان بن ثابت بن زوطا أبو حنيفة التيمي مولاهم الكوفي، الإمام الأعظم صاحب المذهب وفقيه العراق، ولد سنة (٨٠هـ)، حدّث عن عطاء ونافع، وخلق كثير. تفقه به داود الطائي والقاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن، وعدة آخرون. كان إمامًا ورعًا عالماً عاملاً متعبدًا، كبير الشأن لا يقبل جوائز السلطان، بل يتّجر ويتكسّب قال في حقه الإمام الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة، توفي سنة (١٥٠هـ). ينظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٣٦٨)، تهذيب الكمال للمزي (٣/ ١٤١٥)، تاريخ بغداد البغدادي (٣/ ٤٢٣).

(٢) التفسير والمفسرون (١/٢٥١)، وينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، للبيطار (١٤٥/٣).

(٣) ديوان ديك الجن (ص: ١٧٩).

(٤) ديوان مجنون ليلى (ص: ١٧٠).

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٤١/١)، منهج أبي الثناء الألوسي في أصول الإيمان، (ص: ٥٣).

ويقول حفيده أبو المعالي[1] عن ذلك فقال: "وكان في صباه شافعي المذهب، لا يميل لسواه ولا يذهب إلى غيره، وقلّد مدة إفتائه الإمام أبا حنيفة في معاملاته وبقي على ما كان عليه في عباداته، وكان بعد عزله يقول: أنا شافعي ما لم يظهر لي الدليل، وإلا فليس عن العمل به من محيل، حيث إن العالم إذا علم الدليل لا يعذر بالتقليد، وليس عن العمل باجتهاده من محيد"[2].

(١) محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الآلوسي الحسيني أبو المعالي ولد في رصافة بغداد، وأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما، له المسك الأذفر في تراجم علماء القرن الثالث عشر، وتصدر للتدريس في داره وفي بعض المساجد وحمل على أهل البدع في الإسلام، مؤرخ وعالم بالأدب والدين من الدعاة إلى الإصلاح. توفي في بغداد سنة (١٣٩١هـ). ينظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص: ٢٨٦)، الأعلام للزركلي (٧/ ١٧٢)، معجم المؤلفين (١٢/ ١٦٩).

(٢) المسك الأذفر (ص: ٧٨).

المطلب الثاني

طلبه للعلم، ورحلاته العلمية

- **طلبه للعلم:**

تلقى الألوسي العلوم عن مشايخ عصره الذين كان في مقدمتهم أبوه العلامة السيد عبد الله بن محمود الألوسي، وسمت نفسه إلى الطلب وتحصيله، وكان في نفسه استعداد عظيم للعلم، وحافظة قوية تلتهم ما تقرأه، وهمة عالية في المثابرة على المذاكرة. فأتم حفظ المتون في الفقه والنحو والعقيدة والفرائض وهو ابن الرابعة عشرة سنة. لما تجاوز الألوسي العاشرة من عمره أذن له والده في الأخذ عن علماء عصره ومصره، فأخذ عن جماعة منهم وخاصة الكبراء، ولازم بعضهم أكثر من عشر سنين. ثم تولى التدريس والوعظ وهو ابن ثلاث عشرة، ولما بلغ الخامسة والعشرين من عمره أجازه أكبر مشايخه، وهو الشيخ علاء الدين علي أفندي الموصلي.

فدرس في عدَّة مدارس، وقُلِّد إفتاء الحنفية سنة ١٢٤٨هـ، فشرع يدرِّس سائر العلوم في داره الملاصقة لجامع الشيخ عبد الله العاقولي في الرُّصافة، وقد تتلمذ له وأخذ عنه خلقٌ كثير من قاصي البلاد ودانيها[١].

- **رحلاته العلمية:**

أما رحلات الألوسي العلمية فقد قيدها -رحمه الله - في كتبه التالية:

١- نشوة الشمول في السفر إلى استامبول.

٢- كتاب نزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب، تعرض فيها لذكر أشياخه وما قرأه عليهم وأخذ منهم.

٣- غرائب الاغتراب ونزهة الألباب.

٤- نشوة المدام في العود إلى دار السلام. في هذه الكتب الأربعة تفصيل رحلته العلمية، ومن لقي في ذهابه وإيابه من طلبة العلم والأدب ورجاله[٢].

---

(١) تاريخ الآداب العربية، لويس شيخو (٤٨/١).

(٢) ينظر: معجم المؤلفين (١٧٥/١٢)، الأعلام (١٧٦/١)، النهضة الإسلامية (٣٣/٢).

المطلب الثالث

شيوخه، وتلاميذه

● **شيوخه:**

كان الألوسي ممن برعوا في شتى العلوم، فهو لم يترك علما من العلوم إلا تعلمه، ولا شيخا برع في علم إلا وصله؛ فأخذ عن خلق كثير منهم:

١- والده عبد الله بن محمود الألوسي، وهو عبد الله بن محمود بن درويش الألوسي، قال عنه أبو الثناء: (ما رأته عيون الأسحار إلا قائما، وما أبصرته مواسم الأبرار إلا صائما)، مات بالطاعون سنة (١٢٤٦هـ)، وقد حفظ عليه الألوسي عددا من متون النحو والفقه الشافعي وعلم الفرائض[١].

٢- الملا حسين الجبوري، كان رجلا تقيا صالحا وكان مقيما في مسجد قرب سوق حمادة، تلقى عنه الألوسي القرآن العظيم[٢].

٣- علاء الدين علي بن يوسف بن رمضان الموصلي، الحنفي: لازمه الألوسي أربع عشرة سنة حتى تخرج به وأجازه[٣].

٤- عبد الله العمري، هو عبد الله بن محمد بن عبد الله العمري الموصلي من ذرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولد في الموصل (١٢٠٨هـ)، أحد مشايخه في القرآن فقد أخذ عنه الألوسي بعض القراءات[٤].

٥- عبد العزيز أفندي شواف زاده، كان متضلعا في علم العربية، قرأ عليه الألوسي في علم الوضع والبحث والمناظرة[٥].

٦- علي بن أحمد ابن عم أبي الثناء[٦].

---

(١) ينظر: غرائب الاغتراب (ص: ٣)، المسك الأذفر (٦١-٦٤)، أعلام العراق (١١-١٢).

(٢) ينظر: غرائب الاغتراب (ص: ٣) والألوسي مفسرا لمحسن عبد الحميد (٥٥).

(٣) ينظر: غرائب الاغتراب (ص:٤)، والمسك الأذفر (١٩٧- ٢٠٠)، ومعجم المؤلفين (٢٦٧/٧).

(٤) ينظر: غرائب الاغتراب (ص:٢٥)، والمسك الأذفر (٣٥٥)، نشوة الشمول (٧)، الألوسي مفسرا (٥٩).

(٥) ينظر: غرائب الاغتراب (ص:٣)، والمسك الأذفر (٢٤٠)، الألوسي مفسرا (٥٦).

(٦) غرائب الاغتراب (ص:٣).

٧- الملا درويش بن عرب حضر[١].

٨- محمد أمين بن علي الحليكان مفتي الحلة[٢].

٩- ضياء الدين خالد بن أحمد بن حسين النقشبندي المجددي، ضياء الدين، أبو البهاء، ولد سنة (١١٩٠هـ) درس في العراق على مشايخ كثيرين وتولى التدريس ثم سافر الهند وبها صار نقشبنديا ثم رجع إلى العراق ونشر طريقته، وله بعض المؤلفات، توفي بدمشق سنة (١٢٤٢هـ)، قرأ عليه الألوسي مسألة الصفات، وأخذ عنه التصوف[٣].

١٠- علي بن محمد سعيد بن عبد الله السويدي أبو المعالي، قال فيه أبو الثناء: "وبالجملة كان ذلك الشيخ من كبار المتبعين، وحاشاه ثم حاشاه أن يكون من المبتدعين، وكان لأهل السنة برهانا، وللعلماء المحدثين سلطانا، ما رأيت أكثر منه حفظا، ولا أعذب منه لفظا" توفي (١٢٣٧هـ)[٤].

١١- يحيى بن خالد المروزي العمادي الشافعي البغدادي توفي سنة(١٢٥٥هـ)[٥].

١٢- أبو المحاسن وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكزبري، محدث دمشق ولد فيها سنة(١١٨٤هـ)، أخذ عن العطار وأخذ عنه البيطار، توفي بمكة المكرمة سنة (١٢٦٢هـ)[٦].

١٣- عبد اللطيف بن المفتي الشيخ علي فتح الله البيروتي الحنفي تولى الإفتاء ببيروت مدة تزيد على عشر سنين ثم رحل إلى دمشق وبها مات سنة بضع وخمسين ومائتين وألف[٧].

---

(١) ينظر: غرائب الاغتراب (ص:٣)، ذكرى أبي الثناء الألوسي (ص: ١٣).

(٢) ينظر: غرائب الاغتراب (ص:٤)، والمسك الأذفر (٢٩١)، ذكرى أبي الثناء (ص: ١٣)، الألوسي مفسرا (٥٦).

(٣) ينظر: غرائب الاغتراب (ص:٨)، حلية البشر (١/٥٧٠-٥٨٧)، الأعلام (٢/٢٩٤)، معجم المؤلفين (٢/٩٥).

(٤) ينظر: غرائب الاغتراب (ص:٨)، والمسك الأذفر (ص ١٤٠)، حلية البشر (٢/١٠٩٥)، فهرس الفهارس (٢/١٠٠٨)، الأعلام (٥/١٧).

(٥) ينظر: غرائب الاغتراب (ص:٩)، والمسك الأذفر (٢٠٠)، حلية البشر (٣/١٥٨٧-١٥٩١).

(٦) ينظر: غرائب الاغتراب (ص:٩)، حلية البشر (١/١٦٥، ٢/٨٣٣-٨٣٦)، فهرس الفهارس (١/٤٨٥-٤٨٨)، الأعلام (٣/٣٣٣)، معجم المؤلفين (٥/١٧٧).

(٧) ينظر: غرائب الاغتراب (ص:٩)، فهرس الفهارس (٢/٧٥٣-٧٥٤)، كشف الطرة عن الغرة(٢٤٠).

١٤- حسين أفندي الداغستاني[١].

١٥- أحمد عارف حكمت بن إبراهيم بن عصمت بن إسماعيل، شهاب الدين، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما تولى القضاء في القدس ثم مصر ثم المدينة المنورة وأخيرا تقلد منصب شيخ الإسلام في الآستانة أي مفتي عام الدولة التركية ثم أقيل منه بعد ثمان سنوات فانقطع للعبادة والقراءة، توفي بالآستانة سنة(١٢٧٥هـ)[٢]. وغيرهم.

- **تلاميذه:**

كان الألوسي – رحمه الله- يواسي طلبته في ملبسه ومأكله، ويُسكِنهم البيوت الرفيعة من منزله، حتى صار في العراق العلم المفرد، وانتهت إليه الرياسة لمزيد فضله الذي لا يجحد، وقد تتلمذ على يديه خلق كثير نذكر منهم:

١- أخوه عبد الرحمن بن عبد الله بن محمود البغدادي، الشافعي، المشهور بالألوسي، واعظ بغداد الكبير، وفيصلها العدل، صرف غالب عمره في التعليم والإرشاد، كان محمود السيرة، طيب السريرة، يحب الفقراء ولا يميل إلى الأمراء، توفي سنة ١٢٨٣هـ[٣].

٢- أخوه الثاني عبد الحميد، ولد سنة (١٢٣٢هـ)، وأصيب بالعمى في عامه الأول بسبب الجدري وحفظ القرآن لست، وأخذ عن والده وأخيه، وكان شاعرا حسن الأسلوب، توفي سنة(١٣٢٤هـ)[٤].

٣- ابنه عبد الله بن محمود بن عبد الله بهاء الدين الألوسي، ولد سنة (١٢٤٨هـ) اشتغل بالتدريس، فتخرج عليه جماعة من الطلبة، وكان صوفيا نقشبنديا[٥].

٤- ابنه عبد الباقي بن محمود بن عبد الله سعد الدين الألوسي، ولد سنة (١٢٥٠هـ) أخذ عن والده ثم البندنيجي، وتولى القضاء توفي سنة (١٢٩٢ هـ)، وقيل: غير ذلك[٦].

---

(١) ينظر: غرائب الاغتراب (ص:٨٧).

(٢) ينظر: غرائب الاغتراب (ص:٢٣، ٥٩، ١٣٥، ١٤٢) حلية البشر (١/١٤١-١٤٦)، فهرس الفهارس (٢/٧٢٢-٧٢٤)، الأعلام (١/١٤١)، معجم المؤلفين (١/٢٥٧).

(٣) ينظر: أعلام العراق (١٥-١٧)، ومعجم المؤلفين (٢/٩٧).

(٤) ينظر: هدية العارفين (١/٥٠٧)، المسك الأذفر(٩١)، أعلام العراق (١٤)، والأعلام (٣/٢٨٨).

(٥) ينظر: المسك الأذفر (٨٩)، أعلام العراق (٤٤)، والأعلام (٤/١٣٦).

(٦) ينظر: المسك الأذفر (١٠٥)، أعلام العراق (٥٣)، والأعلام (٣/٢٧٢)، معجم المؤلفين (٥/٧٥).

٥- ابنه أبو البركات نعمان خير الدين ولد يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من المحرم سنة (١٢٥٢هـ)، كان عالما، وقبل أن يبلغ سن العشرين صار من الأساتذة المعتبرين، أخذ العلم عن والده المبرور، وغيره من العلماء الأعلام الذين أجازوه بجميع العلوم، تولى في شبابه القضاء في بلاد متعددة ثم ترك المناصب من أجل العلم، توفي - رحمه الله - صبيحة يوم الأربعاء السابع من محرم سنة (١٣١٧هـ)، وقد ترك مؤلفات عديدة أشهرها جلاء العينين في محاكمة الأحمدين[١].

٦- عبد السلام شواف هو عبد السلام بن سعيد الكبيسي البغدادي شواف زاده، ولد سنة (١٢٣٦هـ) وتوفي (١٣١٨هـ)[٢].

٧- عبد الفتاح بن سعيد البغدادي، الشهير بالشواف، أديب، ناثر، ناظم، مؤرخ، من آثاره: حديقة الورد في مدائح شيخه أبي الثناء شهاب الدين الألوسي في جزأين. توفي سنة ١٢٦٢هـ ولم يبلغ من العمر الثلاثين عاما[٣].

٨- عبد الغفار بن عبد الواحد بن وهب المعروف بالأخرس شاعر من فحول المتأخرين، قيل له أخرس لتلعثم بلسانه ولد سنة (١٢٢٥هـ) بالموصل ونشأ ببغداد توفي بالبصرة سنة (١٢٩١هـ)[٤].

٩- محمد سعيد الأفندي هو محمد سعيد أفندي البغدادي الشهير الأخفش، أديب وشاعر، شرح ألفية السيوطي في النحو، توفي سنة (١٢٨٠هـ)[٥].

---

(١) ينظر: أعلام العراق (٥٧)، فهرس الفهارس (٦٧٢/٢)، الأعلام (٤٢/٨)، المسك الأذفر (٥١-٥٦).

(٢) ينظر: المسك الأذفر (٢٠٤)، الدر المنتثر (١٠٦)، هدية العارفين (٥٧٣/١)، الأعلام (٥/٤).

(٣) ينظر: المسك الأذفر (١٣٤)، الأعلام (٣٦/٤).

(٤) ينظر: الأعلام (٣١/٤)، ومعجم المؤلفين (١٧٤/٢).

(٥) ينظر: الأعلام (١٤١/٦)، ومعجم المؤلفين (٢٨/١٠)، المسك الأذفر (٢٠٩).

١٠- محمد أمين بن محمد الأدهمي، البغدادي، الشهير بالواعظ، الفقيه الأصولي الأديب الناظم، توفي سنة (١٢٧٣هـ)[١].

١١- محمد بن حسين آل عبد اللطيف البغدادي[٢].

(١) ينظر: الأعلام (٤٢/٦)، ومعجم المؤلفين (٧٠/٩)، المسك الأذفر (١٧٦).

(٢) ينظر: المسك الأذفر (١٦٧).

المطلب الرابع

آثاره العلمية، وأقوال العلماء فيه وثناؤهم عليه

- **آثاره العلمية:**

كان الألوسي نادرة من نوادر زمانه، جمع كثيرا من العلوم، حتى أصبح علاَّمة في المنقول والمعقول، فهامة في الفروع والأصول، محدثًا لا يجارى، ومفسرًا لكتاب الله لا يبارى، حريصًا على تزايد علمه، وتوفير نصيبه منه، وكان كثيرا ما ينشد:

سَـــهَرِي لِتَنْقِـــيحِ العُلُـــومِ أَلَـــذُّ لِي ... مِـــنْ وَصْـــلِ غَانِيـــةٍ وَطيـــبِ عِنَـــاقِ

وتمـــايلي طربـــاً لحـــلِّ عويصـــةٍ ... أشـهى وأحسـن مـن مـدام السـاقي[1]

وَأَلَـــذُّ مِـــنْ نَقْـــرِ الفتـــاة لِـــدُفِّهَا ... نقـري لـدفع الرَّمـلِ[2] عـن أوراقـي[3]

وكثيرًا ما كان يقول: ما استودعت ذهني شيئًا فخانني، ولا دعوت فكري لمعضلة إلا وأجابني.

وقد اشتغل بالتدريس في سن مبكر، ودرس في عدة مدارس، وعندما قلِّد إفتاء الحنفية سنة ١٢٤٨هـ، شرع يدرس سائر العلوم في داره الملاصقة لجامع الشيخ عبد الله العاقولي في الرصافة[4].

وفي شوال سنة ١٢٦٣هـ انفصل من منصب الإفتاء، وبقى مشتغلا بتفسير القرآن الكريم حتى أتمه.

ولقد خلَّف للناس ثروة علمية كبيرة ونافعة، كيف لا وقد بدأ التأليف وهو في الثالثة عشرة، ثم تتابعت مؤلفاته تترى في حياته المديدة. وبلغت خمسة وعشرين كتابا، وهي[5]:

---

(١) في ديوان الإمام الشافعي (ص: ٧٤): في الدَّرْسِ أَشْهَى مِنْ مُدَامَةِ سَاقِ.

(٢) في ديوان الإمام الشافعي (ص: ٧٤): لألقي الرَّملَ.

(٣) ديوان الإمام الشافعي (ص: ٧٤).

(٤) التفسير والمفسرون (١/٢٥٠-٢٥١).

(٥) ينظر: الأعلام للزركلي (٧/١٧٦). جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص: ٥٨)، أعلام العراق، (ص:٣٢)، الدر المنتشر، (ص:٢٩).

١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، وسأتكلم عن هذا الكتاب باستفاضة في فصل مستقل -إن شاء الله -.

٢- الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية: يحتوي هذا المؤلف على ثلاثين مسألة مهمة في التفسير واللغة والعقائد والمنطق والكلام والهيئة وغير ذلك، وقد وردت هذه الأسئلة من إيران ولم يجب عليها أحد سواه، وقد طبع الكتاب سنة ١٣١٧ هـ.

٣- الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية: وهو جواب عن سؤال ورد من علماء لاهور، إلى علماء بغداد، حول من يسب الصحابة -رضوان الله عليهم-، وقد طبع ببغداد سنة ١٣٠١ هـ.

٤- حاشية شرح القطر: وهي في النحو كتبها في صباه ولم يتمها، وأتمها بعده ابنه السيد النعمان، وطبعت في القدس سنة ١٣٢٠هـ.

٥- النفحات القدسية في الرد على الإمامية، وهو مخطوط ولم ينشر.

٦- البيان شرح البرهان في إطاعة السلطان. وهو كتاب مخطوط، في البحث والمناظرة.

٧- الطراز المذهب في شرح قصيدة الباز الأشهب -عبد القادر الجيلاني -، والقصيدة لعبد الباقي العمري العراقي، وهو مطبوع في سنة (١٣١٣هـ)، بمطبعة جريدة الفلاح بمصر.

٨- الخريدة شرح القصيدة العينية في مدح الإمام علي رضي الله عنه، لناظمها عبد الباقي العمري، وهو مطبوع طبعة حجرية في القاهرة سنة (١٢٧٠هـ).

٩- نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول. تكلم فيه على سفره إلى إسلامبول، وهو كتاب أدبي ممتع، وقد طبع في مطبعة ولاية بغداد، سنة (١٢٩٣هـ).

١٠- نشوة المدام في العودة إلى مدينة السلام، ذكر فيه أخبار رجوعه من إسلامبول إلى بغداد، وقد طبع في مطبعة ولاية بغداد، سنة (١٢٩٣هـ).

١١- غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب[1]: ترجم فيه لنفسه وبعض مشايخه والعلماء الذين لقيهم في طريقه أو إسلامبول، والأبحاث العلمية والأدبية التي

(١) ذكره صاحب جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص: ٥٨) باسم: نزهة الألباب وغرائب الاغتراب، وينظر: هدية العارفين (٢/٤١٩).

جرت بينه وبين شيخ الإسلام عارف حكمت، وقد استوفى ما كان له في إقامته في القسطنطينية، وأعرض عن أشياء "لم يمكنه ذكرها إلى يوم القيامة" ولعل ذلك لأسباب سياسية، وبالجملة هذا الكتاب جمع بين الكتابين السابقين، واستدرك ما فاته مع تفصيل لما جرى له في رحلاته. وقد طبع الكتاب ببغداد ١٣١٧ هـ.

١٢- الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد، وهو شرح لقصيدة للسيد محمد الجواد السياه بوش، في رثاء خالد النقشبندي، وقد طبع طبعة حجرية في المطبعة الكستلية بمصر، سنة (١٢٧٨هـ).

١٣- كشف الطرة عن الغرة: في اللغة، وهو مختصر وشرح لدرة الغواص في أوهام الخواص لأبي محمد القاسم الحريري، وقد طبع طبعة حجرية.

١٤- شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم، وهو في سيرة أحمد عارف حكمت، وهو مخطوط ولم يطبع.

١٥- الفوائد السنية من الحواشي الكلنبوية، وهو في آداب البحث والمناظرة، وهو مخطوط ولم يطبع.

١٦- شجرة الأزهار ونوار الأزهار. جمع فيها ما شاء الله أن يجمع من ذرية الزهراء رضي الله عنها، وهو مخطوط ولم يطبع.

١٧- سفرة الزاد لسفرة الجهاد، وقد كتبه عام ١٢٧٠هـ، عندما حشدت الدولة المسقوفية الروسية قواتها للهجوم على الدولة العثمانية، وقد طبع في مطبعة دار السلام بغداد السلام سنة (١٣٣٣هـ).

١٨- بلوغ المرام من حل كلام ابن عصام، في علم الاستعارة، وهو مخطوط ولم يطبع.

١٩- شرح سلم العروج، وهو في المنطق، كتبه وهو ابن تسع عشرة سنة، وهو مخطوط ولم يطبع.

٢٠- مقامات الألوسي. وهو عبارة عن عدة مقامات حقيقية وخيالية، وهو مخطوط ولم يطبع.

٢١- حواش على حواشي عبد الحكيم، وهو مخطوط ولم يطبع.

٢٢- حواشي مير في الآداب، وهو مخطوط ولم يطبع.

٢٣- كتاب الاستعارة، وهو مخطوط ولم يطبع.

٢٤- نهج السلامة إلى مباحث الإمامة: وقد رد فيه على الشيعة ردا بليغا، وهي آخر مؤلفاته، كتب منه وهو مريض عشرين كراسة فعاجلته المنية قبل أن يتمه، وقد حقق في رسالة علمية بالجامعة الإسلامية، من الباحث عبد الله بن بوشعيب المختار البخاري -المرحلة الدكتوراه- السنة (١٤١٩هـ).

٢٥- وقد نسب إليه كتاب (دقائق التفسير) وهو خطأ، كما قال محسن عبد الحميد في كتابه (الألوسي مفسرا)[١].

كما برعَ الألوسي في المقامات الأدبية، ومِن مقاماته:

١- إنباء الأبناء بأطيب الأنباء.

٢- الأهوال من الأخوال.

٣- قَطْف الزَّهر من روض الصَّبْر.

٤- زَجْر المغرور عن رجز الغُرور.

٥- سَجْع القمريَّة في ربع العمرية[٢].

- **أقوال العلماء فيه وثناؤهم عليه:**

قيمة كل إنسان ومكانته تعلو وتكبر بقدر تأثيره في مجتمعه، وما خلفه من آثار نافعة، وسنذكر بعض مقولات العلماء في مكانة الألوسي العلمية:

١- قال عنه ابنه نعمان الألوسي: "وقد انتهت إليه الرياسة في بغداد وأخذت عنه علماؤها الأمجاد وصار أستاذ الكل في الكل والمعول عليه في العقد والحل"[٣].

٢- قال حفيده السلفي أبو المعالي: "وكان -رحمه الله - في الفطنة والذكاء، لا يجاريه

(١) الألوسي مفسرا (١٤٢).

(٢) إيضاح المكنون (٣/ ١٢٨).

(٣) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص: ٥٩).

ذكاء، ذا ذهن أشد من البرق لمعا، وفكر أحد من السيف قطعا، شهابا ثاقبا، وسهما لغرض الدقائق صائبا... وكان في قوة الاستحضار لا يجارى، وفي البداهة وسرعة الانتقال لا يبارى"[(١)].

٣- وقال حفيده علي علاء الدين[(٢)]: "هو المفسر الكبير، والعالم النحرير، الذي طارت شهرته في الآفاق، ورئيس علماء العراق"[(٣)].

٤- وقال حفيده السيد أحمد[(٤)]: "كان عالما باختلاف المذاهب، مطلعا على الملل والنحل والغرائب، سلفي الاعتقاد، شافعي المذهب"[(٥)].

٥- وقال صاحب "حديقة الورود": هو أستاذنا ومقتدانا، إنسان عين الزمان بل عين إنسان، نوع الإنسان وسر الليالي المضمر في خاطر الدهر بل نذرها الذي وقت به لهذا العصر، كشاف رموز الحقائق وغواص بحر الدقائق، شيخ علماء العراق بل بدر الآفاق، علامة الفضلاء وسند النبلاء وحيد الدهر بالاتفاق، كريم الذات بديع الأخلاق، خاتمة المفسرين وسعد المحققين وفخر علماء المسلمين، والواصل إلى رتبة الاجتهاد، الذي شرق وغرب ذكره في البلاد، أخذ العلوم عن علماء محققين وأجلاء مدققين، وقد ألف ودرس وهو دون العشرين، وكان حسن المنظر والمحاضرة والمفاكهة، فصيح اللسان ورعًا تقيًا عفيفًا، فريدًا في وعظه وجودة خطه وقوة حافظته...[(٦)].

---

(١) المسك الأذفر (ص: ٦٩).

(٢) علي علاء الدين بن نعمان خير الدين الآلوسي، ولد في بغداد سنة ١٢٧٧هـ، تلقى تعليمه المبكر على يد والده، ثم ابن عمه محمود شكري الآلوسي وإسماعيل الموصلي، فتشكلت ذائقته الأدبية مبكرًا، له الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، تولى منصب القضاء في فلسطين وبعلبك والعمارة والديوانية وبغداد، توفي سنة (١٣٤٠هـ). ينظر: الأعلام للزركلي (٢٩/٥)، معجم المؤلفين (١١٨/٧)، معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين (ص ٤٦٥٥).

(٣) الدر المنتثر (ص ١٥).

(٤) أحمد بن نعمان الآلوسي. عالم مشارك في أنواع من العلوم، من تصانيفه: نظم الآجرومية في النحو. توفي سنة (١٣٤٠هـ) ينظر: معجم المؤلفين (٢/ ١٩٦).

(٥) التاج المكلل (ص ٥١٨).

(٦) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص: ٥٧).

٦- وقال العلامة صديق حسن خان[١]: "كان -رحمه الله - خاتمة المفسرين، ونخبة المحدثين"[٢].

٧- وقال الأستاذ الكبير العلامة محمد بهجة الأثري[٣]: "هو طود العلم، وعضد الدين، وفحل البلاغة وأمير البيان، وعين الأعيان، وإنسان عين الزمان، انفسحت في العلم خطاه فأذعن له المحب والمغتاظ، وأرزم سحاب أدبه فروى الغياض والرياض، فهو ابن العلم وأبوه، وعم الأدب وأخوه، وله من المكانة الرفيعة والمقام المحمود، ما يغني عن الإشادة بذكره والإطالة في إطرائه"[٤].

٨- وقال فيه الزركلي[٥]: "مفسر محدث أديب من المجددين... سلفي الاعتقاد، مجتهد"[٦].

---

(١) محمد صديق خان بن حسن بن علي، البخاري القنوجي أبو الطيب، ولد ونشأ بقنوج بالهند سنة (١٢٤٨هـ)، له أبجد العلوم وتفسير فتح البيان في مقاصد القرآن، وغيرها، العلامة والمصْلِح المشهور، ارتحل إلى مدينة دهلي، ثم إلى بهوبال، طالبا للعلم وآخذا من أهله تُوفي سنة (١٣٠٧هـ). ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص: ٧٣٨)، الأعلام (١٦٧/٦)، معجم المؤلفين (١٠/ ٩٠).

(٢) التاج المكلل، (ص ٥١٧).

(٣) محمد بهجة بن محمود بن عبد القادر العراقي المعروف بالأثري، ولد سنة (١٣٢٢هـ)، من أشهر مشايخه محمود شكري الآلوسي وعلي علاء الدين الآلوسي، له أعلام العراق، وتاريخ مساجد بغداد، والمجمل في تاريخ الأدب العربي، والمدخل في تاريخ الأدب العربي، ودعوة التوحيد والسنة، ومحمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث، كان عضوًا في المجلس الأعلى الاستشاري بالجامعة الإسلامية في المدينة النبوية بانتخاب من الملك سعود سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة. نال عدة أوسمة، وكان كبير مفتشي اللغة العربية بوزارة المعارف العراقية، عين عضوا بالمجمع العلمي العراقي والمصري والسوري. توفي رحمه الله سنة (١٤١٦هـ). ينظر: إتمام الأعلام لنزار أباظة ومحمد رياض المالح (ص: ٢٢٤-٢٢٥)، تاريخ بغداد في القرن الرابع عشر (ص:١١٣-١١٨)، أعلام الأدب والفن (٢٢١/٢-٢٢٧).

(٤) أعلام العراق، (ص: ٢١).

(٥) خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزِّرِكْلي (بكسر الزاي والراء) الدمشقيّ، ولد في بيروت لأبوين دمشقيين (١٣١٠هـ). عاش في لبنان وسورية ومصر والحجاز والأردن والمغرب والعراق، وزار إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة واليونان وتركيا وتونس وإيطاليا. له مؤلفات عدة أشهرها الأعلام. سياسي مؤرخ توفي في ذي الحجة ١٣٩٦هـ. ينظر: الأعلام للزركلي (٨/ ٢٦٧-٢٧٠)، معجم أعلام المورد لمنير البعلبكي (ص:٢٢٠)، تكملة معجم المؤلفين (ص: ١٧٧).

(٦) الأعلام (١٧٦/٧).

وقال محمد حسين الذهبي[1]: "شيخ العلماء في العراق، وآية من آيات الله العظام، ونادرة من نوادر الأيام"[2].

(١) محمد حسين الذهبي ولد في مدينة مطوبس في محافظة كفر الشيخ بمصر سنة (١٩١٥م). له التفسير والمفسرون والوحي والقرآن الكريم والاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها وتفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره، عالم أزهري كبير عُرف ببحوثه القيمة في مناهج التفسير. اغتيل في شهر رجب (١٣٩٧هـ -١٩٧٧م). ينظر: تكملة معجم المؤلفين (ص: ٤٧٤)، إتمام الأعلام لنزار أباظة ومحمد رياض المالح (ص:٢٣١)، مجلة الفيصل، عدد (٢٠٢)، (ص:١٣٤).

(٢) التفسير والمفسرون (٣٥٢/١).

المطلب الخامس

وفاته

عاش الألوسي في بغداد مدة من الزمن معززا مكرما، حتى بلغ به الحال أن تقلد منصب الإفتاء، ثم فُصل، فانقلبت الأمور، وتغيرت الأحوال، فاضطر إلى الانتقال إلى عاصمة الخلافة – استانبول–، ولاقى في طريقه ما لاقى من الصعاب.

وبعد قرابة سنة أراد العودة إلى موطنه، وصادف في طريق عودته من استانبول بردا شديدا، ومطرا غزيرا، فأثر على صحته، وما أن وصل بغداد حتى تدهورت حالته وأصبحت الحمى تعاوده من حين لآخر.

فحضرته الوفاة يوم الجمعة في الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٢٧٠هـ، وكان عمره ٥٣ سنة، وتولى غسله وتكفينه أجل تلامذته، محمد أمين أفندي المعروف بالواعظ، ومشى خلف جنازته خلق كبير.

ودُفِن مع أهله بالقرب من مقبرة الشيخ معروف الكرخي[1] في الكرخ، رحمه الله تعالى[2].

---

(١) معروف الكرخي أبو محفوظ البغدادي، كان أحد المشتهرين بالزهد والعزوف عن الدنيا، يغشاه الصالحون، ويتبرك بلقائه العارفون، وكان يوصف بأنه مجاب الدعوة، ويحكى عنه كرامات. ينظر: تاريخ بغداد (١٥/ ٢٦٣)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٣٩)، ديوان الإسلام (٤/ ١٢٠).

(٢) ينظر: غرائب الاغتراب، المسك الأذفر (ص: ٧٩-٨٠)، حلية البشر (١٤٥٥/٣)، أعلاق العراق (ص:٢٦)، الأعلام (١٧٦/٧)، معجم المؤلفين (١٧٥/١٢)، الأعلام للزركلي (١٧٦/٧)، معجم المؤلفين (١٧٥/١٢)، تاريخ الآداب العربية، للويس شيخو (٤٨/١)، التفسير والمفسرون (٢٥١/١).

المبحث الثاني

نبذة عن كتاب (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: مكانته، وأهميته.

المطلب الثاني: منهجه بإيجاز.

المطلب الثالث: مصادره.

المطلب الرابع: أهم مميزاته والمآخذ عليه.

المطلب الأول

مكانته، وأهميته

يعتبر تفسير (**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**) من أعظم مؤلفات الإمام الألوسي شأنا، وأجلها قدرا. ولهذا التفسير قصة عجيبة، ذكرها -رحمه الله - في مقدمة تفسيره، وهي أنه كثيرا ما خطر له أن يُحرر كتابًا يجمع فيه ما عنده من ذلك، وأنه كان يتردد في ذلك ما كان كتبه وجمعه من تفسير لكتاب الله، إلى أن رأى في بعض ليالي الجمعة من شهر رجب سنة ١٢٥٢ هـ أن الله جل شأنه أمره بطي السماوات والأرض، ورتق فتقها على الطول والعرض، فرفع يدًا إلى السماء وخفض الأخرى إلى مستقر الماء ثم انتبه من نومه وهو مستعظم لرؤيته، فجعل يفتش لها عن تعبير، فرأى في بعض الكتب أنها إشارة إلى تأليف تفسير.

فشرع فيه في الليلة السادسة عشرة من شهر شعبان من السنة المذكورة، وكان عمره إذ ذاك أربعة وثلاثين سنة، في عهد محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان[1]. وانتهى منه ليلة الثلاثاء لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٦٧ هـ. وبهذا يكون قد مكث في كتابته ما يقرب من سبع عشرة سنة.

ولما انتهى منه جعل يفكر ما اسمه؟ وبماذا يدعوه؟ فلم يظهر له اسم تهتش له الضمائر، وتبتش من سماعه الخواطر، فعرض الأمر على وزير الوزراء علي رضا باشا[2] فسماه على الفور "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني".

---

(١) محمود خان الثاني بن السلطان عبد الحميد الأول، ولد في الثالث عشر من شهر رمضان في سنة (١١٩٩هـ)، أدخل على الجيش إصلاحات وترتيبات كثيرة، وكانت مدة خلافته إحدى وثلاثين سنة، وعشرة شهور، ومات عن أربع وخمسين سنة تقريبا. ينظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية (ص: ٣٩٨).

(٢) علي رضا باشا ابن محمود بن أحد بن سليمان الركابي، من رؤساء الوزارات. مولده ووفاته في دمشق. تعلم بها. وتخرج بالمدرسة الحربية في الآستانة. وتولى وظائف عسكرية، في القدس، ثم المدينة سنة ١٩١٢م، ثم بغداد والبصرة. وأنشئت حكومة شرقيّ الأردن في عمّان فقصدها سنة ١٩٢٢م، وتولى رياسة الوزارة فيها مرتين، ثم عاد إلى دمشق، فانقطع عن أكثر الناس إلى أن توفي فيها ١٣٠١ هـ. ينظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٢٨٨)، عامان في عمّان (١/١٧٢-١٨٢)، عبقريات شامية لإبراهيم الكيلاني (ص:٣٩-٤٧).

ويعتبر تفسير الألوسي موسوعة تفسيرية قيمة، حيث أودع فيه صاحبه جهد من سبقه من المفسرين، فكان بحق جامعا لمدارس من سبقه.

كما امتاز بمحاربة الإسرائيليات، والتوسع في النحو، ولم يغفل فيه الجانب البلاغي، كما استفاض في الجانب الفقهي، ويظهر جليا انتساب مؤلفه لعقيدة السلف، ورده على الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة.

يقول الذهبي: "ثم إن هذا التفسير –والحق يقال – قد أفرغ فيه مؤلفه وسعه، وبذل مجهوده حتى أخرجه للناس كتابًا جامعًا لآراء السَّلَف رواية ودراية، مشتملًا على أقوال الخَلَف بكل أمانة وعناية، فهو جامع لخلاصة كل ما سبقه من التفاسير"[1].

(١) التفسير والمفسرون (٢٥٢/١).

المطلب الثاني

منهجه بإيجاز

افتتح الإمام الألوسي تفسيره بخطبة تناول فيها أمورًا عدة، منها ما يتعلق ببداية عهده في علم التفسير، وسبب تأليفه لهذا الكتاب، ووقت شروعه فيه، وتسميته، وما يتعلق بعلم التفسير، وما يحتاجه المفسر.

فبدأ خطبته بأهمية علم التفسير، وشرف هذا العلم، ثم كشف عن بداية عهده في علم التفسير فقال: "وإني ولله المنة، مذ ميطت عني التمائم ونيطت على رأسي العمائم، لم أزل متطلبًا لاستكشاف سره المكتوم، مترقبًا لارتشاف رحيقه المختوم، حتى وقفت على كثير من حقائقه، ووفقت لحل وفير من دقائقه"[1].

ثم شرع في ذكر مجموعة من الفوائد وهي على النحو التالي:

الفائدة الأولى: في معنى التفسير والتأويل، وبيان الحاجة إلى هذا العلم وشرفه.

الفائدة الثانية: فيما يحتاج التفسير، ومعنى التفسير بالرأي.

الفائدة الثالثة: يسوق أقوال أهل العلم في أسماء كتاب الله عز وجل.

الفائدة الرابعة: في تحقيق معنى أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى غير مخلوق.

الفائدة الخامسة: في بيان المراد بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم.

الفائدة السادسة: في جمع القرآن وترتيبه.

الفائدة السابعة: في بيان وجه إعجاز القرآن الكريم[2].

ويمكن تلخيص منهج الإمام الألوسي في تفسيره من خلال النقاط التالية:

أولا: أسباب النزول:

لقد كان الإمام الألوسي يولي أسباب النزول عناية كبيرة، والمتتبع لصنيعه في تفسيره يجد أنه لا يألوا جهدا في تتبع الروايات التفسيرية في أسباب النزول، ومن شواهد ذلك قوله في مفتتح سورة الروم: "من وقف على أخبار سبب النزول ظهر له أن ما افتتحت به هذه السورة متضمنا نصرة المؤمنين بدفع شماتة أعدائهم المشركين وهم لم يزالوا مجاهدين في الله تعالى ولأجله ولوجهه

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/١)، بتصرف.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٥٨٩/١).

عزّ وجلّ ولا يضر عدم جهادهم بالسيف عند النزول"[1].

وقال أيضا في معرض تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾[سورة البقرة: ١٤]: "هذا ولم يصح عندي في سبب نزول هذه الآية شيء"[2].

ومن الشواهد التي تدل أيضا على تتبعه الشديد في البحث عن أسباب النزول قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[آل عمران: ٣١]: "واختلف في سبب نزولها"[3].

بل كان رحمه الله يستعين بأسباب النزل في الترجيح بين الأقوال التفسيرية، ومن ذلك قوله: "ذهب بعض العلماء أن سبب النهي أن لفظ المفاعلة يقتضي الاشتراك في الغالب، فيكون المعنى عليه: ليقع منك رعي لنا، ومنا رعي لك، وهو مخل بتعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم، ولا يخفى بعده عن سبب النزول"[4].

وقال أيضا: "سورة الفلق: مكية في قول الحسن[5]، وعطاء[6]، وعكرمة[7]،

---

(١) تفسير الألوسي (١١/ ١٨).

(٢) تفسير الألوسي (١/ ١٥٩).

(٣) تفسير الألوسي (٢/ ١٢٥).

(٤) تفسير الألوسي (١/ ٥٣٦).

(٥) الحسن بن أبي الحسن البصري، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه، هو الإمام المشهور المجمع على جلالته في كل فن، وكان فصيحا بليغا زاهدا عابدا عالما عاملا واعظا صادقا قائلا فاعلا، وتوفي بالبصرة (١١٠هـ)، وهو ابن ثمانين سنة. ينظر: طبقات الفقهاء (٨٧)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٦/ ٩٥)، معجم الأدباء (٣/ ١٠٢٣)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٦١).

(٦) عطاء بن أبي رباح واسمه أسلم القرشي الفهري، أبو محمد المكي، ولد في أثناء خلافة عمر، روى عن عائشة وأم سلمة وأبي هريرة وابن عباس. روى عنه: أبان ابن صالح ومجاهد بن جبر وأبو إسحاق السبيعي وغيرهم. كان إماما فقيها، توفي سنة (١١٥هـ). ينظر: الطبقات الكبرى (٥/ ٤٦٧)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٣١٠)، غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٥١٣).

(٧) عكرمة البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس، تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعيا. وكانت وفاته بالمدينة هو و كثير عزة في يوم واحد، فقيل: مات أعلم الناس وأشعر الناس. ينظر: الطبقات الكبرى (٥/ ٢٨٧)، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٢)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ٤٣).

وجابر[١]، ورواية كريب[٢] عن ابن عباس[٣]، مدنية في قول ابن عباس في رواية أبي صالح[٤] وقتادة[٥]، وجماعة وهو الصحيح لأن سبب نزولها سحر اليهود كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وهم إنما سحروه عليه الصلاة والسلام بالمدينة كما جاء في الصحاح فلا يلتفت لمن صحح كونها مكية"[٦].

ويرى رحمه الله أن لا مانع من تعدد أسباب النزول، ويقول في ذلك: "وأنت تعلم أنه لا مانع من تعدد سبب النزول"[٧].

ويذهب رحمه الله تعالى إلى أن العبرة في سبب النزول عموم اللفظ، فيقول: "العبرة على سائر الروايات في سبب النزول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"[٨].

وقال أيضا: "سبب النزول لا يصلح مخصصا فإن العبرة- كما تقرر- بعموم اللفظ لا

---

(١) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن الأنصاري، الخزرجي السلمي، أبو عبد الله، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن صاحبه، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صغير، ولم يشهد الأولى، شهد تسع عشرة غزوة وكان من المكثرين الحفاظ للسنن، وكف بصره في آخر عمره، وتوفي سنة (٧٤هـ). ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٢١٩)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٤/ ٤٤٣)، أسد الغابة (١/ ٤٩٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٤٦).

(٢) كريب بن أبي مسلم القرشي الهاشمي أبو رشدين، مولى ابن عباس، روى عن: ابن عباس، وعائشة، وأم سلمة، وروى عنه ابناه محمد، ورشدين، وعمرو بن دينار، والزهري، وموسى بن عقبة، واتفقوا على توثيقه. مات بالمدينة سنة (٩٨هـ). ينظر: تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٦٦)، تاريخ الإسلام (٢/ ١١٦١)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٧٩).

(٣) عبد الله بن عباس بن هاشم بن عبد مناف أبو العباس الهاشميّ المكي، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، وسمع النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عن جماعة من الصحابة. روى عنه سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيّب، وعبيد الله بن عتبة، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، توفي بالطائف سنة (٦٨هـ). ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/ ١٦٩٩)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (ص: ٢٢)، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٣٩).

(٤) أبو صالح ذكوان السمان الزيات التابعي، وكان يجلب الزيت والسمن إلى الكوفة، شهد الدار وحصار عثمان رضي الله عنه، من كبار علماء أهل المدينة، ومن أجلّ الناس وأوثقهم وتوفي بالمدينة سنة (١٠١هـ). ينظر: تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٤٤)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٨/ ٥١٣)، تاريخ الإسلام (٣/ ١٨٩).

(٥) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري التابعي، ولد أعمى، وأجمعوا على جلالته، وتوثيقه، وحفظه، وإتقانه، وفضله، وكان أحد من يضرب المثل بحفظه، وتوفي سنة (١١٧هـ). ينظر: تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٥٧)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٣/ ٤٩٨)، تاريخ الإسلام (٣/ ٣٠٢)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٩).

(٦) تفسير الألوسي (١٥/ ٥١٧).

(٧) تفسير الألوسي (٢/ ٢٧٤). وينظر أيضا: (١/ ٣٥٤، ٢/ ١٩٦، ١٤/ ٢٧٠).

(٨) تفسير الألوسي (٨/ ٤٥٨).

بخصوص السبب"[1].

ثانيا: الناسخ والمنسوخ:

يعتبر علم الناسخ والمنسوخ من الأمور المهمة التي اعتنى بها الإمام الألوسي.

ويقول رحمه الله تعالى في بيان حكم وقوع النسخ: "اتفقت أهل الشرائع على جواز النسخ ووقوعه، وخالفت اليهود غير العيسوية في جوازه، وقالوا: يمتنع عقلا"[2].

وقد تكفل رحمه الله بتعريفه لغة واصطلاحا، فقال: "والنسخ في اللغة: إزالة الصورة، أو ما في حكمها عن الشيء، وإثبات مثل ذلك في غيره سواء كان في الإعراض أو في الأعيان، ونسخ الآية -على ما ارتضاه بعض الأصوليين-: بيان انتهاء التعبد بقراءتها كآية: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما نكالا من الله والله عزيز حكيم). أو الحكم المستفاد منها كآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[سورة البقرة: ٢٤٠]. أو بهما جميعا كآية: (عشر رضعات معلومات يحرمن)"[3].

فقد أشار رحمه الله تعالى في هذا النص الموجز إلى تعريف النسخ لغة واصطلاحا، وإلى ذكر أقسام النسخ من حيث التلاوة والحكم، وهي على النحو التالي:

١-ما نسخ تلاوة، وبقي حكمه، وقد استشهد بذلك بآية: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما نكالا من الله والله عزيز حكيم).

٢-ما نسخ حكمه، وبقي تلاوته، وهو ما أشار إليه من نسخ وجوب عدة المرأة المتوفى عنها زوجها حولا كاملا في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[سورة البقرة: ٢٤٠].

٣-ما نسخ تلاوة، وحكما، وهو ما استشهد له بآية: (عشر رضعات معلومات يحرمن).

ولقد احتفل تفسيره ببعض آرائه واختياراته في بعض مسائل النسخ، ومن ذلك:

١-قال رحمه الله تعالى في بيان الحكمة من النسخ: "الأحكام إنما شرعت والآيات إنما نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا منه تعالى ورحمة وذلك يختلف باختلاف الأعصار

(١) تفسير الألوسي (٣/ ٢٩١). وينظر أيضا: (٧/ ٤٥٧).

(٢) تفسير الألوسي (١/ ٣٥١).

(٣) تفسير الألوسي (١/ ٣٥٠).

والأشخاص كالدواء الذي تعالج به الأدواء فإن النافع في عصر قد يضر في غيره"[١].

٢-جواز النسخ بلا بدل، وجواز نسخ الكتاب بالسنة[٢].

٣-الأصح جواز النسخ قبل العمل[٣].

٤-النسخ إنما يصح إذا ثبت عموم الحكم السابق[٤].

٥-أنه يجوز نسخ القرآن بخبر الواحد، ولا يجوز النسخ بالقياس[٥].

٦-لا نسخ في الأخبار، ولا في الأفعال[٦].

٧-الأصل عدم وقوع النسخ[٧].

٨-لا يجوز النسخ بالإجماع[٨].

٩-جواز النسخ قبل الفعل[٩].

١٠-النسخ خلاف الظاهر فلا يصار إليه إلّا عند الضرورة[١٠].

ثالثا: الإسرائيليات والموضوعات:

لقد كان الإمام الألوسي رحمه الله تعالى شديد الحيطة والحذر من الأخذ بالإسرائيليات والموضوعات في التفسير.

قال الشيخ محمد حسين الذهبي: "مما نلاحظ على الألوسي أنه شديد النقد للإسرائيليات والأخبار المكذوبة التي حشا بها كثير من المفسِّرين تفاسيرهم وظنوها صحيحة، مع سخرية منه أحياناً"[١١].

ومن أمثلة ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

---

(١) تفسير الألوسي (١/ ٣٥٢).

(٢) تفسير الألوسي (١/ ٣٥٢).

(٣) تفسير الألوسي (١/ ٤٥٤).

(٤) تفسير الألوسي (١/ ٥٢٥).

(٥) تفسير الألوسي (٣/ ٢٥١).

(٦) تفسير الألوسي (٣/ ٣٣٧، ١١/ ٢٦٦).

(٧) تفسير الألوسي (٤/ ٢٨٩).

(٨) تفسير الألوسي (٩/ ٢٨٥).

(٩) تفسير الألوسي (١٢/ ١٣٠).

(١٠) تفسير الألوسي (١٥/ ٤٩٠).

(١١) التفسير والمفسرون (١/ ٢٥٥).

﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [سورة المائدة:١٢]، بعد أن ذكر قصة عجيبة عن (عوج بن عنق): "وأقول: قد شاع أمر عوج عند العامة، ونقلوا فيه حكايات شنيعة، وفي فتاوى ابن حجر[١]، قال الحافظ العماد ابن كثير[٢]: قصة عوج وجميع ما يحكون عنه، هذيان لا أصل له، له، وهو مختلقات أهل الكتاب، ولم يكن قط على عهد نوح عليه السلام، ولم يسلم من الكفار أحد، وقال ابن القيم[٣]: من الأمور التي يعرف بها كون الحديث موضوعاً أن يكون مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه، كحديث عوج بن عنق. وليس العجب من جرأة من وضع هذا الحديث وكذب على الله تعالى؟ إنما العجب ممن يدخل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير وغيره، ولا يبين أمره"[٤].

ومن أمثلة ذلك أيضا قوله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة هود:٣٨]، بعد أن ذكر أخباراً كثيرة من نوع الخشب الذي صنعت منه السفينة، وفي مقدار طولها وعرضها

---

(١) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي أبو العباس الأنصاري شهاب الدين ، فقيه باحث مصري مولده في محلة أبي الهيتم (من إقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته، والسعدي نسبة إلى بني سعد من عرب الشرقية (بمصر) تلقى العلم في الأزهر، له تصانيف كثيرة منها: تحفة المحتاج لشرح المنهاج للنووي في فروع الفقه الشافعي.توفي بمكة سنة (٩٧٤ هـ). ينظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص٢٥٨-٢٦٠)، الأعلام للزركلي (١/٢٣٤)، معجم المؤلفين (٢/١٥٢).

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء القرشي، ولد سنة (٧٠١هـ)، له تفسير القرآن العظيم والبداية والنهاية ومسند الفاروق وجامع المسانيد والسنن، إمام فقيه محدث مؤخرخ له تصانيف مفيدة يدري الفقه ويفهم العربية والأصول، ويحفظ جملة صالحة، من المتون والتفسير والرجال وأحوالهم توفي سنة (٧٧٤هـ). ينظر: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (١/ ٤٧١)، المعجم المختص بالمحدثين (ص: ٧٤)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ٤٤٥)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (٢/ ٤١٤).

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب، الفقيه الإمام المفتي المتفنن النحوي شمس الدين أبو عبد الله الدمشقي ابن قيم الجوزية، ولد سنة (٦٩١هـ)، من شيوخه والده قيم الجوزية و ابن تيمية وابن عبد الدائم وبدر الدين ابن جماعة، ومن تلامذته ابنه برهان الدين إبراهيم و الإمام الحافظ ابن كثير و الإمام ابن رجب الحنبلي والحافظ ابن عبد الهادي، له إعلام الموقعين وزاد المعاد وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، والروح والكافية الشافية في النحو، والكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية وغيرها. إمام عالم بالفنون مشهور توفي سنة (٧٥١هـ). ينظر: المعجم المختص بالمحدثين (ص: ٢٦٩)، أعيان العصر وأعوان النصر (٤/ ٣٦٦)، الوافي بالوفيات (٢/ ١٩٥)، ذيل طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٠).

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣/ ٢٥٩).

وارتفاعها، وفي المكان الذي صنعت فيه: "وسفينة الأخبار في تحقيق الحال فيما أرى لا تصلح للركوب فيها، إذ هي غير سليمة من عيب، فحري بحال من لا يميل إلى الفضول، أن يؤمن أنه عليه السلام صنع الفلك حسبما قص الله في كتابه، ولا يخوض في مقدار طولها وعرضها وارتفاعها ومن أي خشب صنعها وبكم مدة أتم عملها، إلى غير ذلك مما لم يشرحه الكتاب ولم تبينه السنة الصحيحة"(١).

رابعا: التفسير المأثور:

لقد كان العلامة الألوسي رحمه الله تعالى يسلك في تفسير كل آية بما يناسبها، وبما تسعفه المادة التفسيرية، وقد استخدم رحمه الله تعالى شتى الأساليب في طريقة التفسير المأثور.

ويمكن أن نوجز الكلام في منهجه بالتفسير المأثور من خلال الأمور التالية:

١- تفسير القرآن بالقرآن: وقد أكثر في ذلك، وهو يأخذ أشكالا مختلفة ومتعددة(٢)، وقد اهتم بالقراءات في التفسير وطريقة الاستفادة منها في معرفة المراد، فهو ينقل القراءة أو القراءات التي وردت في الآية، ثم ينبه على نوعها من حيث تواترها وشذوذها(٣).

ومن أمثلة ذلك: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾[سورة النبأ:١٩]. فقد قال رحمه الله تعالى: "قرأ الجمهور - أي مَن عدا الكوفيين – (وفُتِّحَت) بالتشديد، قيل وهو الأنسب بقوله تعالى: ﴿فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾، وفسر الفتح بالشقّ؛ لقوله تعالى ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [سورة الانشقاق:١]، وقوله سبحانه ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾[سورة الانفطار:١]، إلى غير ذلك والقرآن يفسر بعضه بعضا"(٤).

٢- التفسير بالسنة: فإذا صح الحديث لم يعدل عنه، وبنى عليه تفسيره.

ومن أمثلة ذلك: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾[سورة الأنفال:٦٠]؛ فقال في معنى القوة: أي من كل ما يتقوى به في الحرب، ويورد رواية عن عقبة بن

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٦/ ٢٤٩). وينظر أيضا: (١٢/ ١٢٧-١٢٨).
(٢) منهج الألوسي في تفسيره (ص: ٥٩).
(٣) ينظر الأمثلة: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢/٢٣)، و(٧/٣٦١).
(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٥/٢١٢).

عامر الجهني[1] قال: سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول وهو على المنبر: "﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[سورة الأنفال:٦٠]، ((**ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**))[2]، والظاهر العموم إلا أنه عليه الصلاة والسلام خص الرمي بالذكر لأنه أقوى ما يتقوى به[3].

٣- التفسير بأقوال الصحابة والتابعين: وقد ورد في تفسير الألوسي الكثير من تفسير الصحابة والتابعين للقرآن.

ومن أمثلة ذلك: في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [سورة الأنبياء:٣٠]، أنه جاء عن ابن عباس في رواية عكرمة والحسن وقتادة وابن جبير[4]: "أن السموات والأرض كانتا شيئا واحدا ملتزقتين، ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض"[5].

٤- التفسير باللغة: يهتم الألوسي بالتحقيقات اللغوية كثيرًا في تفسيره، ويقول رحمه الله تعالى في بيان أهميته: "إن من أول ما يحتاجه المفسر علم اللغة؛ ذلك أن به يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع وأنه لا يكفي اليسير من هذا العلم "[6].

ومن الأمثلة قوله: "المدّ من مد الجيش وأمده بمعنى أي ألحق به ما يقويه ويكثره، وقيل: مد زاد من الجنس وأمد زاد من غير الجنس، وقيل: مد في الشراء وأمد في الخير عكس وعد وأوعد،

---

(١) عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة الجهني: روى عن: النبي، وعن عمر، وولي إمرة مصر من قبل معاوية سنة (٤٤هـ)، توفي في آخر خلافة معاوية، ودفن بالمقطم. ينظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٠٢)، تقريب التهذيب (٢/ ٢٧)، الكاشف (٢/ ٢٧٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه، (٣/ ١٥٢٢)، رقم (١٩١٧)

(٣) تفسير الألوسي (٥/٢٢٠)

(٤) سعيد بن جبير الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله، من شيوخه: عبد الله بن عباس وابن عمر، وكان أحد العلام، من أعيان التابعين وعلمائهم المبرزين، قتله الحجاج سنة (٩٥هـ). ينظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٢٥٦)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٢٧٢)، تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٦٠).

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/٣٤)

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/٦)

وإذا استعمل أمد في الشر فلعله من باب فبشرهم بعذاب أليم، وقد ورد استعمال هذه المادة بمعنيين، أحدهما ما ذكرنا، وثانيهما الإمهال، ومنه مد العمر، والواقع هنا من الأول دون الثاني لوجهين، الأول أنه روي عن ابن كثير[1] من غير السبعة ﴿يُمِدُّهُمْ﴾ بالضم من المزيد وهو لم يسمع في الثاني، والثاني أنه متعد بنفسه والآخر متعد باللام والحذف والإيصال خلاف الأصل فلا يرتكب بغير داع فمعنى ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ يزيدهم ويقويهم فيه، وإلى ذلك ذهب البيضاوي وغيره، والحق أن الإمهال هنا محتمل وإليه ذهب الزجاج[2] وابن كيسان[3] والوجهان مخدوشان، فقد ورد- عند من يعول عليه من أهل اللغة- كل منهما ثلاثيا ومزيدا ومعدى بنفسه وباللام وكلاهما من أصل واحد ومعناهما يرجع إلى الزيادة كما أو كيفا"[4].

خامسا: النحو والبلاغة:

تعتبر علوم اللغة من أهم العلوم التي يحتاجها المفسر[5]، ولقد كان الإمام الألوسي رحمه الله الله تعالى من كبار علماء النحو والبلاغة، وكان يكثر من الكلام على مسائله.

قال الشيخ محمد حسين الذهبي: "يستطرد الألوسي إلى الكلام في الصناعة النحوية، ويتوسع في ذلك أحيانًا إلى حد يكاد يخرج به عن وصف كونه مفسِّرًا، ولا أحيلك على نقطة

---

(١) عبد الله بن كثير بن عمرو بن زاذان أبو معبد الداري المكي، أصله فارسي، ولد سنة (٤٥هـ)، قرأ عنه أبو عمرو بن العلاء، وهو أحد القراء السبعة، وإمام المكيين في القراءة، وكان فصيحًا بليغًا، توفي سنة (١٢٠هـ). ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ٨٨)، غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٤٤٣)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (٢/ ٧٢)، الأعلام (٤/ ١١٥).

(٢) إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج أبو إسحاق النحوي، ولد سنة (٢٤١ هـ) له معاني القرآن والأمالي والاشتقاق والعروض، كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين، قال عنه الخطيب البغدادي: كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، وله مصنفات حسان في الأدب، توفي ببغداد سنة (٣١٠هـ). ينظر: تاريخ بغداد (٦/ ٦١٣)، وفيات الأعيان (١/ ٤٩)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٠)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص: ٥٩)، بغية الوعاة (١/ ٤١١).

(٣) محمد بن أحمد بن كيسان أبو الحسن النحوي، من تصانيفه: المهذب في النحو، وشرح الطوال، كان أحد المشهورين بالعلم، والمعروفين بالفهم، وكان قيما بمعرفة البصريين والكوفيين، وتوفي سنة (٢٩٩هـ). ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص: ١٧٨)، معجم الأدباء (٥/ ٢٣٠٦)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (٣/ ٥٧).

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/ ١٦١- ١٦٢). وينظر أمثلة أخرى في روح المعاني: (١/ ٥٩، ٥٩، ٧٢، ٨٠، ٩٤، ١٥٠).

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٦/١).

بعينها، فإنه لا يكاد يخلو موضع من الكتاب من ذلك"[1].

ومن أمثلة ذلك قوله: "الضمير المنصوب في ﴿فَعَلُوهُ﴾ للمكتوب الشامل للقتل والخروج لدلالة الفعل عليه، أو هو عائد على القتل والخروج وللعطف (بأو) لزم توحيد الضمير لأنه عائد لأحد الأمرين[2].

سادسا: آيات الأحكام:

يستوفي أقوال أهل العلم في المسألة موضوع البحث، ومن ثَمَّ يختار منها ما يؤيده الدليل، من غير تعصب لمذهب معين، ومن أمثلة ذلك قوله: "ومعنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [سورة البقرة:١٩٧] معروفات عند الناس وهي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة عندنا، وهو المروي عن ابن عباس وابن مسعود[3] وابن الزبير[4] وابن عمر[5] والحسن رضي الله تعالى عنهم، وأيد بأن يوم النحر وقت لركن من أركان الحج- وهو طواف الزيارة- وبأنه فسر يوم الحج الأكبر بيوم النحر.

---

(١) التفسير والمفسرون (١/٢٥٤).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣/ ٧١)، وينظر أمثلة أخرى في روح المعاني: (٣/ ٣٠٥، ٣٩٦)، (٧/ ٦١٣)، (١١/ ٣٧٥).

(٣) عبد الله بن مسعود بن غافل، أبو عبد الرحمن الهذلي، كان إسلامه قديما، وكان يعرف بصاحب السواد، والسواك، والنعل، توفي سنة (٣٢هـ). ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٨٧)، تاريخ بغداد (١/ ٤٨١)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٨٨).

(٤) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد الأسدي، أبو بكر، هاجرت به أمه إلى المدينة وهى حامل، فولد بعد الهجرة بعشرين شهرا، وقيل: في السنة الأولى، وكان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة من قريش، روى عن: النبي وعن أبيه، وحضر وقعة اليرموك، وكانت ولايته تسع سنين، وقتله الحجاج بن يوسف في أيام عبد الملك بن مروان سنة (٧٣هـ). ينظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٥٠٨)، وتقريب التهذيب (١/ ٤١٥)، وغاية النهاية (١/ ٤١٩).

(٥) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن المكي ثم المدني، أسلم قديما مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه، وقدمه في ثقله، واستصغر يوم أحد، وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، توفي سنة (٧٣هـ). ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٥٠)، أسد الغابة (٣/ ٢٣٦)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٧٦).

وعند مالك[1] الشهران الأولان وذو الحجة كله عملا بظاهر لفظ الأشهر، ولأنّ أيام النحر يفعل فيها بعض أعمال الحج من طواف الزيارة، والحلق، ورمي الجمار، والمرأة إذا حاضت تؤخر الطواف الذي لا بد منه إلى انقضاء أيامه بعد العشرة، ولأنه يجوز -كما قيل- تأخير طواف الزيارة إلى آخر الشهر، على ما روي عن عروة بن الزبير[2]- ولأن ظواهر الأخبار ناطقة بذلك، فقد أخرج الطبراني[3]، والخطيب[4]، وغيرهما بطرق مختلفة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ((**عد الثلاثة أشهر الحج**))[5].

---

(١) مالك بن أنس بن أبي عامر أبو عبد الله الأصبحي المدني، من شيوخه: الثوري والأوزاعي وابن عيينة، وكان نافع من أثبت أصحابه، إمام أهل المدينة في عصره بلا منازع، وكان أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة، توفي سنة (١٧٩هـ) بالمدينة عن تسعين سنة. ينظر: الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء (ص:٩-٦٣)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد للبغدادي (ص: ٤٢٥). الوفيات لابن قنفذ (ص: ١٤١).

(٢) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، ولد سنة (٢٦هـ)، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان ثبتا حافظا فقيها عالما بالسيرة، وهو أول من صنف المغازي. قال سفيان بن عيينة: كان أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة: القاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وعمرة بنت عبد الرحمن. توفي سنة (٩٤هـ). ينظر: طبقات الفقهاء (ص: ٥٨)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٥٥)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٠/ ١١)، تاريخ الإسلام (٢/ ١١٣٩).

(٣) سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، ولد سنة (٢٦٠هـ)، من تصانيفه المعجم الكبير والأوسط والصغير، كان حافظ عصره، رحل في طلب الحديث من الشام إلى العراق والحجاز واليمن ومصر وبلاد الجزيرة الفراتية، وأقام في الرحلة ثلاثاً وثلاثين سنة، وسمع الكثير، توفي سنة (٣٦٠هـ). ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٢/ ١٦٣)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد (ص: ٢٨٣)، وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٧)، تاريخ الإسلام (٨/ ١٤٣).

(٤) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر المعروف بالخطيب، ولد سنة (٣٩٢هـ) له تصانيف عدة من أفضلها تاريخ بغداد، احد الحفاظ المؤرخين المقدمين توفي سنة (٤٦٣هـ). ينظر: معجم الأدباء (١/ ٢٤٨)، وطبقات الشافعية (٣/ ١٢)، والنجوم الزاهرة (٥/ ٨٧)، الأعلام للزركلي (١/ ١٧٢).

(٥) أخرج الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ١٦٣)، المعجم الصغير (١/ ١٢٢)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/ ١٥٥) ١٥٥) عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل: ﴿**أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ**﴾ [البقرة: ١٩٧] : «شوال، وذو القعدة، وذو الحجة». وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن يونس إلا حصين بن مخارق الكوفي، تفرد به: محمد بن ثواب. وحصين بن مخارق قال فيه الدارقطني: يضع الحديث. ينظر: لسان الميزان (٣/ ٢٢٠). وقال الهيثمي: وفيه حصين بن مخارق قال الطبراني: كوفي ثقة. وضعفه الدارقطني، وبقية رجاله موثقون. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣/ ٢١٨). وأخرج الخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ٢٢١) عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شوال وذو القعدة وذو الحجة»

وأخرج سعيد بن منصور[1]، وابن المنذر[2]، عن عمر[3] رضي الله تعالى عنه مثل ذلك. وعند الشافعي[4] رضي الله تعالى عنه الشهران الأولان وتسع ذي الحجة بليلة النحر لأن الحج يفوت بطلوع الفجر من يوم النحر، والعبادة لا تكون فائتة مع بقاء وقتها، قاله الرازي. وفيه أن فوته بفوت ركنه الأعظم -وهو الوقوف- لا بفوت وقته مطلقا.

ومدار الخلاف أنّ المراد بوقته وقت مناسكه وأعماله من غير كراهة وما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا، أو وقت إحرامه: والشافعي رضي الله تعالى عنه على الأخير، والإحرام لا يصح بعد طلوع فجر يوم النحر لعدم إمكان الأداء، وإن جاز أداء بعض أعمال الحج في أيام النحر. ومالك على الثاني فإنه -على ما قيل- كره الاعتمار في بقية ذي الحجة، لما روي أنّ عمر رضي الله تعالى عنه كان يخوّف الناس بالدرّة وينهاهم عن ذلك فيهن، وإنّ ابنه رضي الله تعالى عنه قال لرجل: إن أطعتني انتظرت حتى إذا هلّ المحرم خرجت إلى ذات عرق فأهللت منها بعمرة. والإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه على الأول؛ لكون العاشر وقتا لأداء الرمي،

---

(١) سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الحافظ من شيوخه مالك والليث وفليح وأبي عوانة وابن عيينة وحماد بن زيد وخلق، ومن تلامذته أحمد ومسلم وأبو داود وأبو ثور وأبو بكر الأثرم والكديمي وأبو زرعة وأبو حاتم وخلق، له كتاب السنن والزهد وغيره، أحد الأعلام من أهل الفضل والصدق، ومن كبار المحدثين توفي بمكة سنة (٢٢٧هـ). ينظر: التاريخ الكبير (٥١٦/٣)، تذكرة الحفاظ (٢ / ٤١٦)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ١٨٢)

(٢) محمد بن إبراهيم بن المنذر أبو بكر النيسابوري، له المبسوط في الفقه والإجماع وغيرها، كان غاية في معرفة الاختلاف والدليل، وكان مجتهدًا لا يقلد أحدًا، وله من التحقيق في كتبه ما لا يُقاربه فيه أحد وهو في غاية النهاية من التمكّن من معرفة الحديث. توفي سنة (٣١٩هـ). ينظر: وفيات الأعيان (٢٠٧/٤)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٩١/٤).

(٣) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح ابن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي، أبو حفص، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، واستشهد مصدرا من الحج في آخر سنة ثلاث وعشرين للهجرة، وكان من أشراف قريش وإليه كانت السفارة في الجاهلية. ينظر: أسد الغابة (٣/ ٦٤٢)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢١/ ٣١٦)، تاريخ الإسلام (٢/ ١٣٨)، الوافي بالوفيات (٢٢/ ٢٨٥).

(٤) الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، القرشي المطلبي الشافعي، ولد سنة (١٥٠هـ)، وكان كثير المناقب جم المفاخر منقطع القرين، اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة رضي الله عنهم وآثارهم، واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة والعربية والشعر ما لم يجتمع في غيره، وتوفي أول شعبان سنة (٢٠٤هـ). ينظر: تاريخ بغداد (٢/ ٣٩٥)، وفيات الأعيان (٤/ ١٦٣)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥).

والحلق وغيرهما، وغيرها من بقية أيام النحر- وإن كان وقتا لذلك أيضا- إلا أنه خصص بالعشر اقتضاء لما روي في الآثار من ذكر العشر، ولعل وجهه أنّ المراد الوقت الذي يتمكن فيه المكلف من الفراغ عن مناسكه بحيث يحل له كل شيء وهو اليوم العاشر وما سواه من بقية أيام النحر، فللتيسير في أداء الطواف، ولتكميل الرمي"[1].

وكذلك نجده إذا تكلم عن آيات الأحكام فإنه لا يمر عليها إلا إذا استوفى مذاهب الفقهاء وأدلتهم، مع عدم تعصب منه لمذهب بعينه.

فمثلاً: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٣٦]، يقول ما نصه: "قال الإمام مالك: المحسنون المتطوعون، وبذلك استدل على استحباب المتعة وجعله قرينة صارفة للأمر إلى الندب. وعندنا هي واجبة للمطلقات في الآية، مستحبة لسائر المطلقات. وعند الشافعي رضي الله عنه في أحد قوليه: هي واجبة لكل زوجة مطلقة إذا كان الفراق من قبل الزوج إلا التي سمى لها وطلقت قبل الدخول، ولما لم يساعده مفهوم الآية ولم يعتبر بالعموم في قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٤١]، لأنه يحمل المطلق على المقيد، قال بالقياس وجعله مقوماً على المفهوم؛ لأنه من الحجج القطعية دونه، وأجيب عما قاله مالك، بمنع قصر المحسن على المتطوع، بل هو أعم منه ومن القائم بالواجبات، فلا ينافي الوجوب، فلا يكون صارفاً للأمر عنه مع ما انضم إليه من لفظ حقًّا"[2].

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/ ٤٨١). وينظر أمثلة أخرى في روح المعاني: (١/ ٣٧٨)، (٣/ ٣٢٨)، (٥/ ٥٥٠)، (٨/ ٥١)، (١٠/ ٧٢)، (٢٠/ ٢١٩)، (٢٦/ ٢٦٠).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/ ٥٤٧).

المطلب الثالث

مصادره

مع كون العلامة الألوسي متأخرا في العصر عمن سبقه من كبار المفسرين، إلا أن تفسيره العظيم يشهد له بسعة العلم وشمولية معرفته، وقدرته على جمع الأقوال وتلخيصها.

وقد حاول رحمه الله تعالى أن يستوعب جميع الأقوال التي قيلت في تفسير الآية، حتى قال الشيخ محمد حسين الذهبي، وهو يعرف بهذا التفسير: "إن هذا التفسير جامع لخلاصة كل ما سبقه من التفاسير، فتراه ينقل لك عن تفسير ابن عطية[1]، وتفسير أبي حيان[2]، وتفسير الكشاف، وتفسير أبي السعود[3]، وتفسير البيضاوي، وتفسير الفخر الرازي، وغيرها من كتب التفسير المعتبرة، وهو عند نقله عنهم غالبا ما يعبر عن أبي السعود بشيخ الإسلام، وعن البيضاوي بالقاضي، وعن الفخر الرازي بالإمام، وهو ينصب نفسه حكما عدلا بينهم ويجعل من نفسه نقادا مدققا، ثم يبدي رأيه حرا فيما ينقل، لذا تراه كثيرا ما يعترض على ما ينقله عنهم، ويرد على وجه الخصوص على الرازي فيما يتعلق ببعض المسائل الفقهية انتصارا منه لمذهب أبي حنيفة، وهو مع ذلك إذا استصوب رأيا لمن ينقل عنهم، انتصر له ورجحه على ما

---

(١) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، أبو محمد الغرناطي، ولد (٤٨١هـ) له المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز وغيره، ولي قضاء المرية مفسر فقيه عارف بالأحكام والحديث توفي بالورقة سنة (٥٤٢هـ). ينظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص: ٣٨٩)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢/ ٥٧)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص: ١٧٧)، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٦٥).

(٢) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي أبو حيان الأندلسي الجياني النفزي، ولد بمطخشارش، مدينة من حضرة غرناطة في آخر شوال سنة (٦٥٤هـ) له مصنفات كثيرة من أشهرها تفسير القرآن الكريم المسمى بالبحر المحيط، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفى فيها بعد أن كف بصره في صفر سنة (٧٤٥هـ) ودفن بمقابر الصوفية. ينظر: حسن المحاضرة للسيوطي (٥٣٤/١)، البدر الطالع للشوكاني (٢٨٨/٢)، طبقات المفسرين للداوودي (٢٨٧/٢).

(٣) محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود العمادي الحنفي، ولد سنة (٨٩٨ هـ)، له إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم وبضاعة القاضي في الصكوك وتهافت الأمجاد في الفقه والفتاوى، وتحفة الطلاب في المناظرة، وهو مفسر شاعر، من علماء الترك، تقلد القضاء في بروسة، ثم القسطنطينية، ثم الروم، وكان حاضر الذهن سريع البديهة، توفي في سنة (٩٨٢هـ). ينظر: شذرات الذهب (٨/ ٣٩٨)، التتمة الجلية لطبقات الحنفية (ص: ٨)، معجم المؤلفين (١١/ ٣٠١).

سواه"[1].

وهو في نقله من تلك المصادر تارة ينقل رأي المفسر دون التعرّض له، وتارة يعترض عليه، وتارة يرجّح بينه وبين غيره من المفسرين، وتارة ينتصر لمذهبه فيما يتعلق ببعض المسائل الفقهية على وجه الخصوص[2].

وهذه أهمّ موارد الألوسي رحمه الله التي قمت بتتبعها من خلال البحث في تفسيره:

(١) إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج: وقد استشهد به (٦٠٠) مرة[3].

(٢) أحمد بن علي الجصّاص: وقد استشهد به (٢٥) مرة[4].

(٣) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: وقد استشهد به (٤٧) مرة[5].

(٤) إسماعيل بن عمر بن كثير: وقد استشهد به في مواطن كثيرة[6].

(٥) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: وقد استشهد به (٢٠٠) مرة[7].

(٦) الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: وقد استشهد به (٦٠٠) مرّة[8].

(٧) الحسين بن مسعود بن محمد البغوي: وربما يذكره الآلوسي بـ(محي السنة)، وقد استشهد به (٤٨) مرة[9].

(٨) سهل بن عبد الله التستري: وقد استشهد به ثلاثة مواضع[10].

(٩) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي: وقد استشهد به (٦٠٠) مرّة[11].

(١٠) عبد الله بن عباس: وقد استشهد به (٣٥٦٣) مرة[12].

---

(١) التفسير والمفسرون (٢٥٣/١)

(٢) ينظر: التفسير والمفسرون (٢٥٣/١). وينظر: روح المعاني (٣٧٨/١، ٤٦٨، ١٢/ ٦،).

(٣) ومن المواضع: (١/ ٦٢، ٢/ ١٠، ٣/ ٦، ٤/ ١٣).

(٤) ومن المواضع: (١/ ١٢٠، ٢/ ١٩٠، ٣/ ٣٨).

(٥) ومن المواضع: (١/ ٤٢، ٢/ ٣٦٠، ٣/ ٦٢).

(٦) ومن المواضع: (٤/ ٤١٢، ٨/ ٣٤٧، ١٢/ ١٣٠، ١٥/ ٤١٢).

(٧) ومن المواضع: (١/ ٣٦، ٢/ ٩، ٣/ ٢٠، ٤/ ٧٣، ٥/ ١١).

(٨) ومن المواضع: (١/ ٦٤، ٢/ ٩، ٣/ ٢٢).

(٩) ومن المواضع: (٣/ ١٨، ٤/ ٤٠١، ٥/ ٣٦).

(١٠) ومن المواضع: (١٣/ ١٥٠، ١٤/ ٥٤، ١٥/ ٣٧).

(١١) ومن المواضع: (١/ ٨٥، ٢/ ٣٤، ٣/ ٩٠، ٤/ ٢١، ٥/ ٥).

(١٢) ومن المواضع: (١/ ٤١، ١٠٢، ٢/ ١٠، ٣/ ٦، ٤/ ٤، ٥/ ٧).

(١١) علي بن أحمد بن محمد الواحدي: وقد استشهد به (١٤٠) مرة[١].

(١٢) علي بن عيسى الرماني: وقد استشهد به (٢٤) مرة[٢].

(١٣) علي بن محمد بن إبراهيم الخازن: وقد استشهد به (٤٠) مرة[٣].

(١٤) محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: وقد استشهد به (٨٠) مرة[٤].

(١٥) محمد بن الحسين بن موسى الشريف الرضي: وقد استشهد به (١٦٠) مرة[٥].

(١٦) محمد بن جرير الطبري: وقد استشهد به (١١٣٠) مرّة[٦].

(١٧) محمد بن عبد الله بن العربي: وقد استشهد به (١٦) مرّة[٧].

(١٨) محمد بن عمر بن الحسن الرازي: وقد استشهد به (٨٣٦) مرّة[٨].

(١٩) محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود: وقد كان الآلوسي يسميه في بعض المرات بـ(شيخ الإسلام)، وأحيانا بـ(مفتي الديار الروميّة)، ويصفه بقوله: (مولانا)، وقد استشهد به (٥٥٩) مرّة[٩].

(٢٠) محمد بن يوسف بن علي أبو حيان الأندلسي: وقد استشهد به (٢٨٠) مرة[١٠].

(٢١) محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: وقد استشهد به (١٤٤٨) مرّة[١١].

---

(١) ومن المواضع: (١/ ١٠٠، ٢/ ٣٣، ٣/ ١٨، ٤/ ٢٣).

(٢) ومن المواضع: (١/ ٤١٨، ٢/ ٥٦، ٤/ ١٣٠).

(٣) ومن المواضع: (٣/ ١٠٥، ٤/ ٣٧٨، ٥/ ٢٧).

(٤) ومن المواضع: (١/ ٣٤١، ٢/ ١٤١، ٣/ ١٩٢).

(٥) ومن المواضع: (١/ ٥٧، ٢/ ٧٨، ٣/ ١١٧، ٤/ ٨٨).

(٦) ومن المواضع: (١/ ٣٥٧، ٢/ ١٣٦، ٣/ ٩٢، ٤/ ٣٧٢، ٥/ ١٦).

(٧) ومن المواضع: (١/ ٢٨٣، ٥/ ١١٥، ٨/ ٥٨٣).

(٨) ومن المواضع: (١/ ٣٩، ٢/ ٢٢٦، ٣/ ٧١، ٤/ ٩٦، ٥/ ١٣).

(٩) ومن المواضع: (١/ ٣٦، ٢/ ٥، ٣/ ٢٧١، ٦/ ٢٠٥).

(١٠) ومن المواضع: (١/ ٨٠، ٢/ ١٧، ٣/ ٦، ٤/ ٤، ٥/ ١١).

(١١) ومن المواضع: (١/ ٥٠، ٢/ ٢٧، ٣/ ٦، ٤/ ٦، ٥/ ٥).

المطلب الرابع

أهم مميزاته والمآخذ عليه[1]

يعد تفسير الألوسي (**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**) من أجود كتب التفسير المتأخرة، فقد أفرغ فيه الإمام الألوسي وسعه، وبذل مجهوده حتى أخرجه للناس كتاباً جامعاً لآراء السلف رواية ودراية، مشتملاً على أقوال الخلف بكل أمانة وعناية، فهو جامع لخلاصة ما سبقه من التفاسير، فتراه ينقل لك عن تفسير ابن عطية، وتفسير أبي حيان، وتفسير الكشاف، وتفسير أبي السعود، وتفسير البيضاوي، وتفسير الفخر الرازي، وغيرها من كتب التفاسير المعتبرة.

وقد تميّز بأمور لم تجتمع في تفسير غيره، حيث صنفه مؤلفه وهو في الثلاثين من عمره تقريباً، وقد حرر الكلام فيه على كثير من المسائل لسعة علمه ومعرفته، مع أسلوبه الفريد الذي ليس له نظير، ويمكن تلخيص مميزاته فيما يلي:

١- أنه موسوعة تفسيرية قيّمة جمعت جلّ ما قاله علماء التفسير الذين تقدّموه، مع النقد والترجيح، فهو ليس مجرد ناقل، بل له شخصيته العلمية البارزة، وأفكاره المميزة.

٢- قدرة المصنف على تكثيف العبارة وتلخيص المقالات، وحشد الأقوال والردود والتخريجات والتعقبات باختصار دون إخلال، ووضوح لا غموض فيه.

٣- يتكلم في الآية وما تحويه من المسائل الدقيقة بعناية، لا يترك صغيرة ولا كبيرة، واقرأ مثلا له في تفسير سورة الكهف في قصة موسى والخضر تجده يمكث العشر صفحات في خمس آيات أو أقل أو أكثر، ويطرح المسائل المهمة.

٤- عمل دراسة مقارنة بين الأقوال، حيث يذكر الرأي والرأي المخالف ويرجّح بينهما، وكثيرًا ما يذكر القول، ثم ما اعترض به عليه، ثم يذكر الجواب على الاعتراض، ثم يذكر الردّ على الجواب، ثم يذكر الترجيح، فيجعل القارئ وكأنه أمام مساجلة علمية حوارية.

---

(١) ينظر: القول المختصر المبين في مناهج المفسرين، لمحمد الحمود النجدي (ص: ٥٧-٥٨)، المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات لمحمد المغراوي (١٢٩٢/٣-١٣٣٦)، مقدمة تفسير روح المعاني للألوسي، تحقيق ماهر حبوش، (١٩/١-٢٦).

٥- رجوعه لمصادر كثيرة، كما يفعل عند ذكر أقوال المخالفين أو ردّه عليها، حيث يرجع إلى كتبهم المعتمدة عندهم، فينقل عنها مباشرة دون واسطة.

٦- جمعه في تفسيره بين مدرستين من أهم مدارس علم التفسير، وهما مدرسة الزمخشري[١] التي تقوم على إبراز خصائص التعبير القرآني المعجز، والمواءمة بين الإعراب والنظم البلاغي. ومدرسة أبي حيان التي تهتم بالمسائل النحوية، وذكر القراءات القرآنية وتوجيهها، والاحتجاج لها والدفاع عنها.

٧- اهتمامه بعلم البلاغة، وما أبدعه علماء هذا الفن كالجرجاني[٢] والسكاكي[٣] وغيرهما، مع تأثّره الواضح بالكشاف وحواشيه.

٨- إتيانه في تفسيره بعبارات غاية في الطرافة مع حسن صياغة، وذلك يعبر عما يمتلكه من علم واسع باللغة والأدب يمكنه من ذلك.

---

(١) محمود بن عمر بن أحمد أبو القاسم الخوارزمي، جار الله الزمخشري، ولد بزمخشر من قرى خوارزم في رجب سنة (٤٦٧هـ) له الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في التفسير، وأساس البلاغة، كان حنفي المذهب إماما في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل متفننا في علوم شتى، معتزليّ المذهب متجاهرا بذلك، توفي بجرجانية خوارزم ليلة عرفة بعد رجوعه من مكة سنة (٥٣٨هـ). ينظر: معجم الأدباء (٢٦٨٧/٦)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١٦٠/٢)، شذرات الذهب (٢٨١/٤)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (٣/ ٢٦٥)، معجم المؤلفين، (٨٢٢/٣)، وفيات الأعيان (٥/ ١٦٨).

(٢) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، أبو بكر النحوي المشهور، أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن الحسن الفارسي ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي، وعنه أخذ علي بن أبي زيد الفصيحي، ومن تصانيفه: المغني في شرح الإيضاح، والعوامل المائة، وكان من كبار أئمة العربية، وكان شافعي المذهب، متكلما على طريقة الأشعري، توفي سنة (٤٧١هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (١٠/ ٣٣٢)، فوات الوفيات (٢/ ٣٦٩)، الوافي بالوفيات (١٩/ ٣٤).

(٣) يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، أبو يعقوب السكاكي، سراج الدين الخوارزمي، من تصانيفه: كتاب مفتاح العلوم في علم البلاغة، وهو إمام في النحو والتصريف وعلمي المعاني والبيان، وله النصيب الوافر في سائر فنون العلوم، توفي سنة (٦٢٦هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (١٣/ ٨٢٨)، ديوان الإسلام (٣/ ٨٩)، الأعلام للزركلي (٨/ ٢٢٢).

المآخذ عليه:

يمكن إجمال المآخذ على تفسير الألوسي من خلال النقاط التالية:

أولا: ثناؤه على غلاة الصوفية كابن عربي وابن فارض: وأنه يرى التسليم للسادة الصوفية، وأن يتهم المخالف لهم ذهنه[1].

وكان مع ذلك يخالفهم في مسألة القبور والاستغاثة بغير الله، فتراه يحمل عليهم، ويسفههم، قال الألوسي: "واستدل بالآية[2] على جواز البناء على قبور الصلحاء واتخاذ مسجد عليها وجواز الصلاة في ذلك وممن ذكر ذلك الشهاب الخفاجي[3] في حواشيه على البيضاوي وهو قول باطل عاطل فاسد كاسد"[4].

ثم بيَّن الألوسي الأدلة على بطلان هذا القول، إلى أن قال: "وبالجملة لا ينبغي لمن له أدنى رشد أن يذهب إلى خلاف ما نطقت به الأخبار الصحيحة والآثار الصريحة معولاً على الاستدلال بهذه الآية، فإن ذلك في الغواية غاية، وقد رأيت من يبيح ما يفعله الجهلة في قبور الصالحين من إشرافها، وتعليق القناديل عليها، والصلاة إليها، والطواف بها، واستلامها، والاجتماع عندها في أوقات مخصوصة، إلى غير ذلك محتجاً بهذه الآية الكريمة وبما جاء في بعض روايات القصة من جعل الملك لهم في كل سنة عيداً، وكل ذلك محادة لله تعالى ورسوله وإبداع دين لم يأذن به الله، ويكفيك في معرفة الحق تتبع ما صنع أصحاب رسول الله في قبره

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/ ٥٣، ٢/ ٤١٩، ٤/ ٢٤١).

(٢) يقصد قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[الكهف: ٢١].

(٣) أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري، ولد سنة (٩٧٧هـ) ونشأ بمصر له شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل، وشرح درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، ونسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، وعناية القاضي وكفاية الراضي حاشية على تفسير البيضاوي، قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة، رحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر، ثم عزل عنها فرحل إلى الشام وحلب وعاد إلى بلاد الروم، فنفي إلى مصر وولي قضاء يعيش منه فاستقر إلى أن توفي سنة (١٠٦٩هـ). ينظر: خلاصة الأثر (١/ ٣٣١)، الأعلام للزركلي (١/٢٣٨)، معجم المؤلفين (٢/ ١٣٨)، معجم الشعراء العرب (ص: ١٤٧٠).

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٨/ ٢٢٥).

عليه الصلاة و السلام وهو أفضل قبر على وجه الأرض"[1].

ثانيا: استطراده للمسائل النحوية:

كذلك يستطرد الآلوسي إلى الكلام في الصناعة النحوية، ويتوسع في ذلك أحيانًا إلى حدٍ يكاد يخرج به عن وصف كونه مُفسراً ولا أُحيلك على نقطة بعينها، فإنه لا يكاد يخلو موضع من الكتاب من ذلك.

قال الشيخ محمد حسين الذهبي: "يستطرد الألوسي إلى الكلام في الصناعة النحوية، ويتوسع في ذلك أحيانًا إلى حد يكاد يخرج به عن وصف كونه مفسِّرًا، ولا أحيلك على نقطة بعينها، فإنه لا يكاد يخلو موضع من الكتاب من ذلك"[2].

ثالثا: استطراده في الوقائع التاريخية: يتطرق الألوسي إلى المسائل التأريخية التي تتصل بالآية التي يفسرها. ومن أمثلته قوله: "قيل: إن ما ذكر من أنها على الترتيب الأول من شهور عام وعلى الثاني من شهور عامين مما يتمشى على أن أول السنة المحرم وهو إنما حدث في زمن عمر رضي الله تعالى عنه وكان يؤرخ قبله بعام الفيل وكذا بموت هشام بن المغيرة ثم أرخ بصدر الإسلام بربيع الأول وعلى هذا التاريخ يكون الأمر على عكس ما ذكر ولم يبين هذا القائل ما أول شهور السنة عند العرب قبل الفيل، والذي يفهم من كلام بعضهم أن أول الشهور المحرم عندهم من قبل أيضا إلا أن عندهم في اليمن والحجاز تواريخ كثيرة يتعارفونها خلفا عن سلف ولعلها كانت باعتبار حوادث وقعت في الأيام الخالية، وأنه لما هاجر النبي صلّى الله عليه وسلّم اتخذ المسلمون هجرته مبدأ التاريخ وتناسوا ما قبله وسموا كل سنة أتت عليهم باسم حادثة وقعت فيها كسنة الأذان، وسنة الأمر، وسنة الابتلاء، وعلى هذا المنوال إلى خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، فسأله بعض الصحابة في ذلك وقال: هذا يطول وربما يقع في بعض السنين اختلاف وغلط فاختار رضي الله تعالى عنه عام الهجرة مبدأ من غير تسمية السنين بما وقع فيها فاستحسنت الصحابة رأيه في ذلك"[3].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٨/ ٢٢٧-٢٢٨).

(٢) التفسير والمفسرون (١/٢٥٤).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٥/ ٢٨٢). وينظر أمثلة أخرى في روح المعاني: (٥/ ٣٤٣)، (٦/ ٢١)، (٦/ ١٧٥، ٣٦٤)، (٨/ ٢١).

رابعا: استطراده في المسائل الكونية:

ومما نلاحظه على الإمام الآلوسي في تفسيره، أنه يستطرد إلى الكلام في الأمور الكونية، ويذكر كلام أهل الهيئة وأهل الحكمة، ويقر منه ما يرتضيه، ويفند ما لا يرتضيه، ومن أمثلة ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾: "أي في ظلمات الليل في البر والبحر، وإضافتها إليهما للملابسة أو في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة، وهذا افراد لبعض منافعها بالذكر حسبما يقتضيه المقام وإلا فهي أجدى من تفاريق العصا، وهي في جميع ما يترتب عليها كسائر الأسباب العادية لا تأثير لها بأنفسها ولا بأس في تعلم علم النجوم ومعرفة البروج والمنازل والأوضاع ونحو ذلك مما يتوصل به إلى مصلحة دينية"[1].

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٤/ ٢٢١). وينظر أمثلة أخرى في روح المعاني: (٨/ ١٤٦)، (١٨/ ٢٠)، (٢٢/ ٧٣٥)، (٢٥/ ٦٠١)، (٢٧/ ٤٢٨).

الفصل الثاني

معنى التعقبات، وصِيَغُها عند الألوسي، ومنهجه فيها

وفيه مبحثان

المبحث الأول: معنى التعقُّبات.

المبحث الثاني: صِيَغ التعقبات عند الإمام الألوسي، ومنهجه فيها.

المبحث الأول

معنى التعقبات

وفيه مطلبان

المطلب الأول: معنى التعقبات في اللغة.

المطلب الثاني: معنى التعقبات في الاصطلاح.

المطلب الأول

معنى التعقبات في اللغة

التعقبات في اللغة جمع (تعقب)، وهي مشتقة من الفعل الثلاثي (عقب)، وهي تدل في اللغة على عدة معانٍ: وجود الشيء بعد الشيء، ومجيئه من بعده مباشرة، والذي يخلف من سبقه[١].

وبضم العين وسكون القاف (عُقْب) يدل على آخر كل شيء وخاتمته، ومنه قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [سورة الكهف:٤٤].

ومنه: (العقبى) أي الآخرة أو المرجع إلى الله، وآخر كل شيء أو خاتمته، وجزاء الأمر، والبدل[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [سورة الرعد:٤٢]؛ أي: لمن تكون الدائرة والعاقبة[٣].

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي[٤]: وعقب الأمر أي آخره، ويجمع: أعقاب الأمور، وعاقبة كل شيء آخره، وتعقبت ما صنع فلان: أي تتبعت أثره[٥].

وبفتح العين وكسر القاف (عَقِب) وهو عظم مؤخر القدم وهو أكبر عظامها[٦].

والعَقِب: آخر كل شيء، ومنه: الولد، والعَقِب: الوَلدُ بعد أبيه[٧]، أي يعقب أباه ويأتي بعده.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١٧٩/١)، مادة (عقب)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١٨٤/١)، مادة (عقب)، مقاييس اللغة (٧٧/٤)، مادة (عقب)، المحكم والمحيط الأعظم (٢٣٧/١)، مادة (عقب)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٦٧/٣)، مادة (عقب)، لسان العرب (٦١١/١)، مادة (عقب).

(٢) ينظر: المعجم الوسيط (٦١٣/٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤٧٣/٤).

(٤) الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي أبو عبد الرحمن البصري، ولد سنة (١٠٠هـ)، الإمام اللغوي المشهور صاحب العَروض، وصاحب كتاب "العين"، أستاذ سيبويه، كان رأسًا في لسان العرب، عاش فقيرا صابرا، تُوفي بالبصرة سنة (١٧٠هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (٤/ ٣٥٥)، وفيات الأعيان (٢/ ٢٤٤)، بغية الوعاة (١/ ٥٥٧).

(٥) ينظر: كتاب العين: (ص١٩٧).

(٦) المعجم الوسيط (٢/ ٦١٣)

(٧) المنجد في اللغة (ص: ٥٧).

وقال ابن فارس[١]: "العين والقاف والباء أصلان صحيحان: **أحدهما**: يدل على تأخير شيء وإتيانه بعد غيره. **والأصل الآخر**: يدل على ارتفاع وشدة وصعوبة"[٢].

ومنه أيضًا: العاقب: الذي يجيء في أثر صاحبه وخص بمن يخلف غيره في الخير، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: ((**لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، والماحي يمحو الله بي الكفر، والحاشر أحشر الناس على قدمي، والعاقب**))[٣].

وسمي بالعاقب؛ لأنه ختم الأنبياء[٤].

قال أبو عبيد[٥]: "وكذلك كل شيء خلف بعد شيء فهو عاقب له، وقد عقب يعقب عقبا وعقوبا، ولهذا قيل لولد الرجل بعده: هم عقبه، وكذلك آخر كل شيء عقبه"[٦].

وبفتح العين وتشديد القاف (عَقَّبَ) أي تتبع حقه ليستردّه[٧]، ومنه قول الشاعر يصف حمارا وأتانا:

حتى تهجر في الرواح وهاجه ... طلب المعقب حقه المظلوم[٨]

وتأتي بمعنى اتباع العمل عملًا، كقولهم لمن يجيء مرة بعد أخرى، ومنه عَقَّبَ فلانٌ في الصلاة، أي: إذا قام بعد ما يفرغ الناس من الصلاة في مجلسه يصلي[٩].

---

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، له المجمل في اللغة وهو على اختصاره جمع شيئًا كثيرًا، وحلية الفقهاء ورسائل أنيقة ومسائل في اللغة كان إمامًا في علوم شتى وخصوصًا اللغة فإنه أتقنها توفي بالري سنة (٣٩٠هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (٨/ ٧٤٦)، وفيات الأعيان: (١١٨/١) معجم الأدباء: (٨٠/٤).

(٢) مقاييس اللغة، مادة: عقب (٧٧/٤).

(٣) أخرجه: البخاري في كتاب: المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (٣٥٣٢)، من حديث: جبير بن مطعم رضي الله عنه به.

(٤) غريب الحديث للقاسم بن سلام (٢٤٣/١).

(٥) القاسم بن سلاَّم أبو عُبيد الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي، له غريب الحديث والغريب المصنف والأموال، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، توفي بمكة سنة (٢٢٤هـ). ينظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٣٩٢)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ٤١٧)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص: ١٠٩)، معجم الأدباء (٥/ ٢١٩٨)، وفيات الأعيان (٤/ ٦٠).

(٦) غريب الحديث للقاسم بن سلام (٢٤٣/١).

(٧) ينظر: المعجم الوسيط (٦١٣/٢).

(٨) ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص: ١٠٢).

(٩) ينظر: مقاييس اللغة (٨٢/٤).

قال الزمخشري: "عقب من عقب في صلاته فهو في صلاة. هو أن يقيم في مجلسه عقيب الصلاة يقال: صلى القوم وعقب فلان بعدهم"(١).

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ [سورة الرعد:٤١]، أي لا أحد يتبع حكمه ردا.

والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يقفيه بالرد والإبطال.

قال الفرَّاء(٢): "معناه لا رادّ لحكمه"(٣).

وقال صديق خان في تفسيره: "والمعقب الذي يتبع الشيء فيستدركه ولا يستدرك أحد عليه، ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يتعقب غريمه بالطلب"(٤).

وقال ﷻ: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡ﴾ [سورة النمل:١٠]، أي لم يتبع إدباره إقبالا والتفاتا وقالوا: تعقيبة خير من غزاة"(٥).

قال الجوهري(٦) في مادة عقب: "[عقب] عاقبة كل شيء: آخره. وقولهم: ليست لفلان عاقبة، أي ولد. وفي الحديث: "السيد والعاقب"، فالعاقب: من يخلف السيد بعده. وقول النبي ﷺ: "أنا العاقب"، يعني آخر الأنبياء، وكل من خلف بعد شيء فهو عاقبه. والعقب، بكسر القاف: مؤخر القدم، وهي مؤنثة. وعقب الرجل أيضا: ولدَه وولدِ ولدِه. وفيها لغتان عقب

---

(١) الفائق في غريب الحديث للزمخشري (٣/ ١٢).

(٢) يحيى بن زياد بن عبد الله، الديلمي المعروف بالفرَّاء، له معاني القرآن والمقصور والممدود وغيرها، كان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلما، عالما بأيام العرب وأخبارها إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. وكان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، توفي في طريق مكة سنة (٢٠٧هـ). ينظر: نزهة الألباء، ص (٨١)، بغية الوعاة (٣٣٣/٢)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص: ٣١٣).

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٦٦).

(٤) ينظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن (٧٤/٧).

(٥) الفائق في غريب الحديث (١٢/٣).

(٦) إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر الفارابي، من شيوخه أبو علي الفارسي وأبو سعيد السيرافي، ومن تلامذته أبو إسحاق إبراهيم بن صالح الوراق، له الصحاح وفيه أشياء نقلها من صحف فصحف فيها، فانتدب لها علماء مصر، وأصلحوا أوهاما وكان من أعاجيب الزمان ذكاءًا وفطنةً وعلمًا، توفي سنة (٤٠٠ هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٨٠)، معجم الأدباء (٦٥٦/٢)، الوافي بالوفيات (٦٩/٩).

وعقب بالتسكين"[1].

تقول: استعقبت الرجل وتعقبته: إذا طلبت عورته وعثرته، وكل من عمل عملا ثم عاد إليه فقد عقب، وكل راجع معقب وتعقبت الرجل: إذا أخذته بذنب كان منه، ويقال: لم أجد عن قولك متعقبا: أي رجوعا أنظر فيه: أي لم أرخص لنفسي التعقب فيه لأنظر آتيه أم أدعه، وعقبت الأمر إذا تدبرته، والتعقب: التدبر والنظر ثانية، والتعقب: التدبر والنظر ثانية، ويقال: تعقبت الخبر: إذا شككت وسألت غير من كنت سألته أول مرة، وتعقب فلان رأيه: إذا وجد عاقبته إلى خير، والمعقبات: ملائكة الليل والنهار[2].

ويتضح مما سبق أن (التعقب) هو الرجوع، والنظر، والتدبر، والعاقبة، وأخذ الإنسان بذنبه، وتتبع الأمر، وتعقب العورة أو العثرة عند فلان، فالتعقب لا يأتي إلا لاحقًا، ولا يكون إلا عن شك وسؤالٍ وجواب، ومراجعةٍ ومناقشةٍ واستدراك، وتدبر وإعادة نظر في النص مرة بعد أخرى، والتعقب كثيرا ما تكون في تتبع الهفوات والأخطاء على الآخرين.

(١) الصحاح، مادة: عقب (١/١٨٤).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة: (١/٢٧٢-٢٧٧، ٢٨٠-٢٨١)، والقاموس المحيط: (ص١٤٨-١٤٩)، ولسان العرب: (١/١٧٠-١٧١)، وتاج العروس: (٣/٤١٠)، والمعجم الوسيط: (٢/٦١٣).

المطلب الثاني

معنى التعقبات في الاصطلاح

حتى يمكننا أن نعرف المراد من عبارة التعقبات، لا بد لنا من الوقوف على أمرين مهمين، نستنبط من خلالهما معرفة معنى هذه المفردة.

وهذان الأمران هما:

١- معرفة المعنى اللغوي للمفردة، وقد تقدم في المطلب الأول.

٢- تتبع صنيع الأئمة في ما يشبه التعقبات حتى يستبين ماهيته، ويوضح تعريفه.

- **أولًا: التعقبات عند المفسرين:**

يمكن تعريف التعقب عند المفسرين بأنه: تعقب مفسر متأخر على مفسر متقدم في بعض آرائه المتعلقة بالتفسير، ويتبع ذلك الرد -غالبا- بالتصحيح والترجيح بما يراه المتأخر، وقد يرد المتعقِب على المتعقَب عليه قوله وقد لا يرد.

وكذلك يعرف بأنه اتباعُ المفسر قولًا يذكره في بيان معنى في القرآن بقول آخر، يصلح خطأه، أو يكمل نقصه، أو يبين لبسه[(١)].

- **ثانيًا: التعقبات عند الأصوليين:**

هو رفع التَّوهم الناشئ من الكلام السابق بأحد أدوات التعقب، وهي: بل، ولكنَّ، وعلى، وأدوات الاستثناء. أو مخالفة حكم ما بعده لما قبله. مثل: ما جاءني زيدٌ لكن عمرو[(٢)].

---

(١) تعقبات الإمام ابن كثير على من سبقه من المفسرين (ص٩٧).

ينظر على سبيل المثال كتاب: أنوار الهلالين في التعقبات على الجلالين، للدكتور/محمد بن عبد الرحمن الخميّس.

وأيضا كتابه: التعقيبات المفيدة على كتاب كلمات القرآن.

(٢) ينظر: التقرير والتحرير (٦٦/٢)، البحر المحيط للزركشي (٤٥/٢)، تعقبات الإمام ابن كثير على من سبقه من المفسرين (ص: ٩٧).

● **ثالثا: التعقبات عند الفقهاء:** لا تخرج التعقبات عندهم عن معناها اللغوي، ومن ذلك قول ابن عرفة[(١)]: "واستحضر هنا ما ذكره القاضي عياض[(٢)] في مداركه من اعتراض عبد الحق[(٣)]، وتعقبه على البراذعي[(٤)]"[(٥)].

وقوله أيضا: "ألا ترى كيف تعقب على ابن شاس[(٦)]، وابن الحاجب[(٧)]،

---

(١) محمد بن محمد ابن عرفة أبو عبد الله الورغمي، من شيوخه أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي، وله تقييده الكبير في المذهب المالكي، وفي أصول الدين تأليف عارض به كتاب الطوالع للبيضاوي، إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، تولى إمامة الجامع، توفي سنة (٧٤٨ هـ) ودفن بالبقيع. ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٣٣١/٢)، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (٢٣٦/١).

(٢) عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي أبو الفضل السبتي، ولد منتصف شعبان سنة (٤٧٦هـ)، له الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، والشفا في حقوق المصطفى، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، توفى بمراكش سنة (٥٤٤هـ). ينظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص: ٤٣٧)، وفيات الأعيان (٣/ ٤٨٣)، وأزهار الرياض (٢٣/١)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (٢/ ٣٦٣)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٤٣)، وفيات الأعيان (٣/ ٤٨٣).

(٣) عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي أبو محمد الأزدي، له الأحكام الشرعية كبرى وصغرى ووسطى، والمعتلّ من الحديث وغيرها، من علماء الأندلس كان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلله ورجاله مشاركا في الأدب وقول الشعر توفي سنة (٥٨١هـ). ينظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص: ٣٩١)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢/ ٥٩)، وتذكرة الحفاظ (١٣٥٠/٤).

(٤) خلف بن أبي القاسم محمد الأزدي القيرواني البراذعي وقيل: البرادعي. له التّهذيب في اختصار المدوَّنة، وقال عن نفسه لطلبته: فخذ بعلمي ولا تنظر إلى عملي *** كُلِ الثمار وخلّ العود للنار، الشيخ الفقيه الإمام، قال القاضي عياض: كان من كبار أصحاب ابن أبي زيد، وأبي الحسن القابسي لم يعرف تحديداً سنة ولادته، وكذلك وفاته. ينظر: ترتيب المدارك لعياض (٢٥٦/٧) وسير أعلام النبلاء (٣٤٣/١٧)، والديباج المذهب لابن فرحون (٣٤٩/١).

(٥) شرح حدود ابن عرفة (ص:١١).

(٦) عبد الله بن نجم بن شاس الجذامي المصري، له الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، شيخ المالكيَّة في عصره بمصر، درَّس بمدرسة المالكية التي بمصر مُدَّة، وأقبل عَلَى النظر في السّنة النبوية والاشتغال بها. وبعد عوده من الحجّ امتنع من الفتوى إلى حين وفاته مجاهدًا سنة (٦١٦هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (١٣/ ٤٧٤)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (١/ ٤٤٣)، شذرات الذهب لابن العماد (١٢٣/٧).

(٧) عثمان بن عمر بن أبي بكر الكردي الأصل، ثم المصري، المالكي، المعروف بابن الحاجب، ولد في أسنا من صعيد مصر سنة (٥٧٠هـ) ونشأ في القاهرة وسكن دمشق، له منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل الإمام اللغوي الأصولي الفقيه، ومختصر المنتهى، وغيرها وتوفي بالإسكندرية سنة (٦٤٦هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (١٤/ ٥٥١)، شذرات الذهب لابن العماد (٢٣٤/٥)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص: ١٩٦).

والغزالي[1]، جعلهم الأهل والمحل والقصد مع اللفظ من أركان الطلاق، مع أنها خارجة عن حقيقته، وكل خارج عن حقيقة الشيء ليس ركنا له"[2].

- **رابعًا: التعقبات عند المحدثين:**

للتعقب عند المحدثين عدة معانٍ منها ما يلي:

أ- تعقب أو استدراك إمام على إمام أحاديث لم يخرجها، وهي موافقة لشرطه أو العكس[3].

ب- تعقب أو استدراك محدِّث على آخر في الإسناد، مثل استدراكه عليه في روايته عن راوٍ لا ينبغي الرواية عنه، أو الرواية عمن عنعن ولم يصرح[4].

ج- التعقب أو الاستدراك على رفع موقوف أو وقف مرفوع.

د- التعقب أو الاستدراك على المحدث في أحكامه على الحديث[5].

هـ- ومن استدراكات المحدثين وتعقباتهم ما يكون في الحكم على الأحاديث، من تضعيف راوٍ ليس بضعيف، أو توثيق راوٍ ضعيف ونحوها[6].

---

(١) محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الإمام، ولد سنة (٤٥٠هـ)، له إحياء علوم الدِّين، والمستصفى من علم الأصول، وغيرها، لم يكن للطائفة الشافعية في عصره مثله، تُوفِّي بخُراسان سنة (٥٠٥هـ). ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٥/ ٢٠٠)، وفيات الأعيان (٤/ ٢١٦)، تاريخ الإسلام (١١/ ٣١٠)، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٢).

(٢) شرح حدود ابن عرفة (ص: ١٥٣).

(٣) مثل استدراك الحاكم على الصحيحين، واستدراك ابن رجب على الترمذي.

(٤) مثل قول الدارقطني في الإلزامات والتتبع (١٩٨): "ولا نعلم إسماعيل روى عن عياض شيئا". ثم قال النووي متعقبا عليه: قال الدارقطني: والحديث محفوظ عن الحارث. قلت: وهذا الاستدراك ليس بلازم فإن إسماعيل بن أمية صحيح السماع عن عياض. صحيح مسلم بشرح النووي (٦٢/٧).

(٥) مثل استدراكات الذهبي على الحاكم في مستدركه.

(٦) ينظر في أمثلة لذلك في كتاب: تنبيه الهاجد إلى ما وقع من النظر فى كتب الأماجد، ومن الأمثلة على ذلك: (١/ ٥٠، ٥٤، ٥٦).

ومن خلال ما سبق يمكن صياغة تعريفه بما يلي: "**هو تعقب متأخر على متقدم، في عبارة أو مسألة أو رأي، بالتصحيح، أو الإبطال، أو الزيادة، من دون شرط بيان الراجح**".

وكذلك يعرف بأنه: **اتباع المفسر قولا يذكره في بيان معنى في القرآن بقول آخر، يصلح خطأه، أو يكمل نقصه، أو يبين لبسه**[1].

ويمكن من خلال هذا التعريف أن نقف على مراد التعقبات عند أصحاب الفنون المختلفة.

(١) ينظر: تعقبات الامام ابن كثير على من سبقه من المفسرين: ص٩٦.

المبحث الثاني

صيغ التعقبات عند الإمام الألوسي، ومنهجه فيها

وفيه مطلبان

المطلب الأول: صيغ التعقبات عند الألوسي.

المطلب الثاني: منهج الإمام الألوسي في التعقبات.

المطلب الأول

صيغ التعقبات عند الألوسي

من خلال استعراض صيغ التعقبات عند الإمام الألوسي على من سبقه من المفسرين يتبين استخدامه لعدة صيغ وأساليب في التعقب، وهي كما يلي:

١- التصريح بمخالفة القول للحديث:

قال الألوسي: "وأنت تعلم أن التأويل الذي ذكره البيضاوي يأبى عنه كل الإباء حديث ابن عباس[١] رضي الله تعالى عنهما"[٢].

٢- التصريح ببعد القول المتعقب عليه:

قال الألوسي: "وادّعى البيضاوي- بيّض الله تعالى غرّة أحواله- أن هذه الجملة راجعة إلى قوله سبحانه: ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [سورة النساء:١٣٠] فإنه إذا توكّلت وفوّضت فهو الغنى؛ لأن من توكل على الله عز وجل كفاه، ولما كان ما بينهما تقريرا له لم يعد فاصلا، ولا يخفى أنه على بعده لا حاجة إليه"[٣].

---

(١) يقصد به الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده، (٤/ ٢٦٧)، برقم (٢٤٥٥)، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان -يعني عرفة- فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣]. وصححه الألباني في الصحيحة (٤/ ١٥٨)، رقم (١٦٢٣).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩٧/٥)

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٥٨/٣)

٣- وصف القول بأنه ليس شيء:

استعمل الألوسي هذه العبارة في قوله أثناء ردّه على ابن حجر وتأييده للبيضاوي: "وقوله فيما ذكره البيضاوي عليه الرحمة: (ليس بشيء) ليس بشيء"[١].

٤- التصريح بانعكاس القول المتعقب عليه على صاحبه:

قال الألوسي: "وعن عطاء: العشر الأول منها[٢] مدني وباقيها مكي، وقد انعكس ذلك على البيضاوي"[٣].

٥- كون القول مما لم يقف له على دليل:

قال الألوسي: "وجعل البيضاوي من التحية التي لم يحيه بها الله تعالى تحيتهم له عليه الصلاة والسلام بأنعم صباحا وهي تحية الجاهلية كعم صباحا ولم نقف على أثر في ذلك"[٤].

٦- وصف القول بالتكلف:

قال الألوسي: "وجعلُه قيدا في التقدير لأنه بمعنى (ليس بذي ظلم عظيم أو كثير) تكلّفٌ لا نظير له"[٥].

وقال في موضع آخر: "وجعل القاضي ذكر المتعاطفات على هذا النمط من باب الترقي على اعتبار الأب على الأم سابقا على عطفهما على الأخ فيكون المجموع معطوفا عليه وكذا في ﴿ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴾ [سورة عبس:٣٦] فقال: تأخير الأحب فالأحب للمبالغة كأنه قيل: يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه، ولا يخفى تكلفه"[٦].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/ ١٧٦).

(٢) أي: سورة المجادلة.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٤/ ١٩٧).

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٤/ ٢٢١).

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/ ١١٨-١١٩).

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٥/ ٢٥١).

٧- وصف القائل بأنه قد سها:

قال الألوسي: "والبيضاوي بنى تفسيره على أن الفعل ينزل بالياء التحتية مبنيا للفاعل وهو ضمير الله تعالى ﴿والْمَلائِكَةَ﴾ بالنصب على أنه مفعوله، واعترض عليه أنه لم يقرأ بذلك أحد من العشرة، بل لم توجد هذه القراءة في الشواذ، وهو خلاف ما سلكه في تفسيره، ولعله رحمه الله تعالى قد سها"(١).

٨- وصف القائل بالخطأ وسوء الأدب:

قال الألوسي عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾[التوبة: ٤٣]: "ولقد أخطأ وأساء الأدب وبئسما فعل فيما قال وكتب صاحب الكشاف كشف الله تعالى عنه ستره، ولا أذن له ليذكر عذره حيث زعم أن الكلام كناية عن الجناية، وأن معناه أخطأت وبئسما فعلت"(٢).

٩- وصف القول بأنه لا يخلو عن تعقيد:

قال الألوسي: و"كلام العلامة البيضاوي- بيّض الله تعالى غرّة أحواله- في هذا المقام لا يخلو عن تعقيد وربما لا يوجد له محمل صحيح إلا بعد عناية وتكلف فتأمل جدا"(٣).

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ٢٦٠).
(٢) الكشاف (٢/٢٧٤).
(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣/١٠٨).

١٠- وصف القول بأنه توهّم:

قال الألوسي: "وقيل: هما[١] جبلا إرمينية [٢] وأذربيجان[٣] ونسب ذلك إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وإليه يميل صنيع البيضاوي. وتعقب بأنه توهم، ولعل النسبة إلى الحبر غير صحيحة"[٤].

١١- أن يبين أن القول المعقب عليه خلاف الظاهر وفيه فك للنظم:

قال الألوسي: "يلزم القاضي أن لا يكون ما وقع من وراء حجاب وحيا لا أنه يخصصه لأنه نظير قولك: ما كان لك أن تنعم إلا على المساكين وزيد، نعم يحتمل أن يكون زيد داخلا فيهم على نحو: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ﴾ [سورة البقرة:٩٨]، وهذا يضر القاضي لاقتضائه أن يكون هذا القسم أعني ما وقع من وراء حجاب أعلى المراتب فلا يكون الثاني هو المشافهة، وتقدير إلا وحيا من غير حجاب أو من وراء حجاب خلاف الظاهر وفيه فك للنظم"[٥].

---

(١) أي: السدان المذكوران في قوله تعالى: ﴿بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ﴾ [الكهف: ٩٣].

(٢) إِرْمِينِيَةُ: بكسر أوله ويفتح، وسكون ثانيه، وكسر الميم، وياء ساكنة، وكسر النون، وياء خفيفة مفتوحة: اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال. ينظر: معجم البلدان (١/ ١٦٠)

(٣) أَذْرَبِيجَان: بالفتح، ثم السكون، وفتح الراء، وكسر الباء الموحدة، وياء ساكنة، وجيم، قال ابن المقفّع: أذربيجان مسماة باذرباذ بن إيران بن الأسود بن سام بن نوح، عليه السلام، وقيل غير ذلك، وحدّ أذربيجان من برذعة مشرقا إلى أرزنجان مغربا، ويتّصل حدّها من جهة الشمال ببلاد الديلم، والجيل، والطّرم، وهو إقليم واسع. ومن مشهور مدائنها: تبريز، وهي اليوم قصبتها وأكبر مدنها. ينظر: معجم البلدان (١/١٢٨).

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٨/ ٣٥٩)

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٣/ ٥٤).

١٢- كون القول ليس من دأب القرآن المجيد:

قال الألوسي عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[الشعراء: ١٠٠- ١٠١]: "وقال سعد أفندي[١]: لا يبعد أن يكون جمع الأول وإفراد الثاني إشارة إلى أنه لا فرق بين الاستغراقين، وفيه أن إيثار صيغة لإفادة مسألة عربية ليس من دأب القرآن المجيد"[٢].

١٣- ترجيح قول على قول:

قال الألوسي: "وقال القاضي البيضاوي: إنه من إنزال المسبب منزلة السبب لأن علمهم بأنه خير مستفاد من الإبصار. وفيه أن المذكور أنا خير لا أم تعلمون أني خير، وله أن يقول: ذلك يغني غناه لأنه جعله مسلما معلوما ما عندهم فقال: أَمْ أَنَا خَيْرٌ لا أم تعلمون كما سلف، ولا يخفى أن ما ذكره الزمخشري أظهر"[٣].

١٤- وصف القول بأنه لا يخلو عن دغدغة ومخالفة لما عليه سلف الأمة:

قال الألوسي: "وقال البيضاوي: المعنى تعالى بالوحدانية والألوهية وتعظم بالتفرد بالربوبية، وعلى هذا فهو ختام لوحظ فيه مطلعه ثم حقق الآية بما لا يخلو عن دغدغة ومخالفة لما عليه سلف الأمة"[٤].

---

(١) سعد الله بن عيسى بن أمير خان الشهير بسعدي جلبي أو سعد أفندي، له الفوائد البهية حاشية على تفسير البيضاوي، قاض حنفي من علماء الروم أصله من ولاية قسطموني، منشأه ووفاته في الآستانة، عمل في التدريس وولي القضاء بها مدة ثم تولى الإفتاء الى أواخر حياته. ينظر: الكواكب السائرة (٢/ ٢٣٦)، كشف الظنون (١/ ١٩١)، الأعلام للزركلي (٣/ ٨٩)

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٠/ ١٠٣)

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٣/٩٠).

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٤/٣٧٨).

١٥- وصف القول بأنه غير مشهور:

قال الألوسي: "وقال أبو حيان: الظاهر أن تَقَعَ في موضع نصب بدل اشتمال من السماء أي ويمنع وقوع السماء على الأرض، ورد بأن الإمساك بمعنى اللزوم يتعدى بالباء وبمعنى الكف بعن وكذا بمعنى الحفظ والبخل كما في تاج المصادر وأما بمعنى المنع فهو غير مشهور"(١).

١٦- وصف القول لا يخلو صفاؤه عن كدر:

قال الألوسي: "وما ذكر الإمام البيضاوي وغيره من أنه ساغ هذا الجمع هنا لأنه أراد بالثمرات جمع ثمرة أريد بها الكثرة كالثمار مثلها في قولك: أدركت ثمرة بستانك، وليست التاء للوحدة الحقيقية بل للوحدة الاعتبارية، ويؤيده قراءة ابن السميفع من الثمرة أو لأن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [سورة الدخان:٢٥] و﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [سورة البقرة:٢٢٨] أو لأنها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة- لا يخلو صفاؤه عن كدر كما يسفر عنه كلام الشهاب"(٢).

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/ ١٨٤)

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/١٩١).

المطلب الثاني
منهج الإمام الألوسي في التعقبات

لقد تنوعت تعقبات الألوسي رحمه الله تعالى على من سبقه من المفسرين بحسب سبب التعقب.

ويمكن أن نجمل أهم أسباب تعقبات عند الألوسي إلى ثلاثة أسباب:

١-عدم صحة القول المعقب عليه، وعدم وجود الدليل عليه.

٢-مخالفة القول المعقب عليه للنصوص الصريحة.

٣- مخالفة القول المعقب عليه لأقوال أهل العلم.

أولا: منهجه في التعقبات فيما يتعلق بالقرآن الكريم:

تعقبه على القول لعدم صحة شيء في سبب النزول:

قال الألوسي: "هذا ولم يصح عندي في سبب نزول هذه الآية شيء، وأما ما ذكره الزمخشري والبيضاوي ومولانا مفتي الديار الرومية وغيرهم فهو من طريق السدي الصغير وهو كذاب، وتلك السلسلة سلسلة الكذب لا سلسلة الذهب"[(١)].

تعقبه على القول لمخالفته للقراءات المتواترة:

قال الألوسي: "والبيضاوي بنى تفسيره على أن الفعل ينزل بالياء التحتية مبنيا للفاعل وهو ضمير الله تعالى ﴿والْمَلائِكَةَ﴾ بالنصب على أنه مفعوله، واعترض عليه أنه لم يقرأ بذلك أحد من العشرة، بل لم توجد هذه القراءة في الشواذ، وهو خلاف ما سلكه في تفسيره، ولعله رحمه

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/١٥٩).

الله تعالى قد سها"[1].

تعقبه على القول لكونه ليس من دأب القرآن المجيد:

قال الألوسي: "وقال سعد أفندي: لا يبعد أن يكون جمع الأول وإفراد الثاني إشارة إلى أنه لا فرق بين الاستغراقين، وفيه أن إيثار صيغة لإفادة مسألة عربية ليس من دأب القرآن المجيد"[2].

تعقبه على القول لأنه خلاف الظاهر وفيه فك لنظم القرآن:

قال الألوسي: "يلزم القاضي أن لا يكون ما وقع من وراء حجاب وحيا لا أنه يخصصه لأنه نظير قولك: ما كان لك أن تنعم إلا على المساكين وزيد، نعم يحتمل أن يكون زيد داخلا فيهم على نحو: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ﴾ [سورة البقرة:٩٨]، وهذا يضر القاضي لاقتضائه أن يكون هذا القسم أعني ما وقع من وراء حجاب أعلى المراتب فلا يكون الثاني هو المشافهة، وتقدير إلا وحيا من غير حجاب أو من وراء حجاب خلاف الظاهر وفيه فك للنظم"[3].

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ٢٦٠)

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٠/ ١٠٣)

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (١٣/ ٥٤).

ثانيا: منهجه في التعقبات فيما يتعلق بالسنة النبوية:

تعقبه على القول لمخالفته الأحاديث الصحيحة الصريحة:

قال الألوسي: "وقول العلامة البيضاوي بعد تعريف الجن في سورتهم بما عرّف. وفيه دليل على أنه صلّى الله عليه وسلّم ما رآهم ولم يقرأ عليهم وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبر الله تعالى بذلك ناشئ من عدم الاطلاع على الأحاديث الصحيحة الكثيرة المصرحة برؤيته صلّى الله عليه وسلّم لهم وقراءته عليهم وسؤالهم منه"(١).

وقال الألوسي: "وأنت تعلم أن التأويل الذي ذكره البيضاوي يأبى عنه كل الإباء حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما"(٢).

تعقبه على القول لكونه تحريف لنص الحديث:

قال الألوسي: "وقيل: لأن الآية(٣) نزلت، وهو ﷺ في الصلاة فأغنى التلبس بها عن ذكرها، واستدل هذا القائل بما ذكره القاضي تبعا لغيره أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه إلى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين، وقد صلى بأصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب، وتبادل الرجال والنساء صفوفهم- فسمي المسجد مسجد القبلتين- وهذا- كما قال الإمام السيوطي(٤)- تحريف للحديث، فإن قصة بني سلمة لم يكن فيها

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣٤٥/٤).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩٧/٥).

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[البقرة: ١٤٤].

(٤) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السيوطي، الإمام الحافظ، المشهور، له الإتقان في علوم القرآن، وتدريب الراوي، والأشباه والنظائر وغيرها، له نحو ٦٠٠ مصنف، نشأ في القاهرة يتيما ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس على النيل، فألف أكثر كتبه، وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا ⇦=

النبي ﷺ"[1].

تعقبه على القول لكون لفظه لم يوجد في المشهور:

قال الألوسي: "أما ما ذكره في الحجة الأولى من حديث أم سلمة[2][3] بالوجه الذي رواه مخالف لما في البيضاوي المخالف لما في الكتب الحديثية، فيجاب عنه بأن ابن أبي مليكة[4] لم يثبت سماعه عن أم سلمة وبتقديره للمعاصرة يقال: إن هذا اللفظ لم يوجد في المشهور ولعله نقل بالمعنى لبعض الروايات الآتية على حسب ما يلوح له"[5].

= فيردها. وبقي على ذلك إلى أن توفي سنة (٩١١هـ). ينظر: حسن المحاضرة (١/ ١٨٨)، والضوء اللامع (٤/ ٦٥)، الكواكب السائرة (١/ ٢٢٦)، شذرات الذهب لابن العماد (١٠/ ٧٤).

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/٤٠٨).

(٢) هند بنت أبي أمية، حذيفة، ويقال: سهيل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، المخزومية، أم سلمة زوج النبي، تزوجها سنة اثنتين من الهجرة بعد بدر، وبنى بها في شوال، توفيت في شوال سنة (٥٩هـ)، وصلى عليها أبو هريرة. ينظر: الثقات (٣/ ٤٣٩)، تهذيب الكمال (٣٥/ ٣١٧)، تقريب التهذيب (٢/ ٦١٧).

(٣) وهو ما ذكره البيضاوي نقلا عن الشافعي عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة أنها قالت: قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاتحة الكتاب فعدّ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ آية ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ آية ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ آية ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ آية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ آية ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ آية ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ آية. ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٢٥).

(٤) عبد الله بن عبيد الله بن أبي مُلَيْكَة زهير بن عبد الله بن جدعان الإمام الحجة الحافظ أبو بكر وأبو محمد القرشي المؤذن، روى عن عائشة وأختها أسماء وأبي محذورة وابن عباس وغيرهم، وعنه عطاء بن أبي رباح وعمرو ابن دينار وأيوب السختياني وغيرهم. قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم –.وكان عالما مفتيا صاحب حديث وإتقان وكان قاضيا لابن الزبير ومؤذنا له، توفي سنة (١١٧هـ). ينظر: طبقات ابن سعد (٥/ ٤٧٣)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٨٨ – ٩٠)، وتهذيب الكمال (١٥/ ٢٥٦)، وتذكرة الحفاظ (١/ ١٠١ – ١٠٢)

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/ ٤٤).

تعقبه على القول لكونه مما لم يقف له على دليل من الأثر:

قال الألوسي: "وجعل البيضاوي من التحية التي لم يحيه بها الله تعالى تحيتهم له عليه الصلاة والسلام بأنعم صباحا وهي تحية الجاهلية كعم صباحا ولم نقف على أثر في ذلك"[1].

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٤/ ٢٢١).

ثالثا: منهجه في التعقبات فيما يتعلق بأقوال الصحابة:

تعقبه على القول بعدم صحة نسبته للصحابي:

قال الألوسي: "وقيل: هما جبلا إرمينية وأذربيجان ونسب ذلك إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وإليه يميل صنيع البيضاوي. وتعقب بأنه توهم، ولعل النسبة إلى الحبر غير صحيحة"[1].

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٨/ ٣٥٩).

رابعا: منهجه في التعقبات فيما يتعلق بأقوال العلماء:

تعقبه على القول لكون الثابت عن أهل العلم عكسه:

قال الألوسي: "وعن عطاء: العشر الأول منها[1] مدني وباقيها مكي، وقد انعكس ذلك على البيضاوي"[2].

(١) أي: سورة المجادلة.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٤/ ١٩٧).

خامسا: منهجه في التعقبات فيما يتعلق باللغة، والنحو، والبلاغة:

قال الألوسي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[الكهف: ٧٩]: "وقال البيضاوي ما حاصله: إنه في الأصل مصدر (ورى، يرئي) ك(قضى، يقضي) وإذا أضيف إلى الفاعل يراد به المفعول أعني المستور وهو ما كان خلفا، وإذا أضيف إلى المفعول يراد به الفاعل أعني الساتر وهو ما كان قداما. ورد عليه بقوله تعالى: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾ [سورة الحديد:١٣] فإن وراء أضيفت فيه إلى المفعول والمراد بها الخلف"(١).

وقال الألوسي: "وقال أبو حيان: الظاهر أن تَقَعَ في موضع نصب بدل اشتمال من السماء أي ويمنع وقوع السماء على الأرض، ورد بأن الإمساك بمعنى اللزوم يتعدى بالباء وبمعنى الكف بعن وكذا بمعنى الحفظ والبخل كما في تاج المصادر وأما بمعنى المنع فهو غير مشهور"(٢).

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٨/ ٣٣٢).
(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/ ١٨٤).

سادسا: منهجه في التعقبات فيما يتعلق بالعلوم الأخرى:

قال الإمام الألوسي: "وقال العلامة البيضاوي: الاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة ونيفا وستين مرة، ثم إن طرفها الأسفل يصل موضع طرفها الأعلى في أقل من ثانية إلى آخر ما قال.

وما ذكرناه هو الصواب في التعبير؛ فإن المقدمتين اللتين ذكرهما ممنوعتان، أما الأولى بأن النسبة التي ذكرها إنما هي نسبة جرم الشمس إلى جرم الأرض كما برهنوا عليه في باب مقادير الأجرام والأبعاد من كتب الهيئة، لكنهم قالوا جرم الشمس مثل جرم الأرض مائة وستة وستين مرة وربع مرة وثمن مرة. والعلامة جعل ذلك نسبة القطر إلى القطر لأنه المتبادر مما بين الطرفين، وإرادة الجرم منه خلاف الظاهر جدا. وكان يكفيه لو أراد ذلك أن يقول: قرص الشمس ضعف كرة الأرض فأي معنى لما زاده.

وأما (الثانية) فإن أراد بالثانية الثانية من دقيقة الدرجة الفلكية التي هي ستون دقيقة فمنعها بما حرره العلامة القطب الشيرازي في نهاية الإدراك حيث قال: مقدار الدرجة الواحدة من مقعر الفلك الأطلس بالأميال ٩٣٤٣٥٩٣ ميلا فالفلك الأعلى يقطع فيما مقداره من الزمان جزء واحد من خمسة عشر جزءا من ساعة مستوية وهو ثلث خمسها هذا المقدار من الأميال فإذا تحرك مقدار دقيقة وهي جزء من تسعمائة جزء من ساعة مستوية كان قدر قطعه من المسافة ١٥٥٧١٨ ميلا وسدس ميل وخمس ربع أو ربع خمس ميل، ولأن حين ما يبدو قرن الشمس إلى أن تطلع بالتمام يكون بقدر ما يعد واحد من واحد إلى ثلاثمائة فبمقدار ما يعد ثلاثين يتحرك الفلك ١٥٥٧١٨ ميلا وهو ألف وسبعمائة واثنان وثلاثون فرسخا من مقعره والله تعالى أعلم بما يتحرك محدبه حينئذ فسبحان الله تعالى ما أعظم شأنه اهـ.

وحاصل ذلك أن الفلك الأعظم يتحرك من ابتداء طلوع جرم الشمس إلى أن يطلع بتمامه سدس درجة وهو عشر دقائق من ستين دقيقة من درجة فلكية ومقدار مساحة هذه الدقائق ٥١٩٦٠٠ أي خمسمائة ألف وتسعة عشر ألفا وستمائة فرسخ وإذا جعلنا هذه

الدقائق ثواني كانت ستمائة ثانية فأين الأقل من ثانية؟.

وإن أراد بـ(الثانية) الثانية من دقيقة الساعة التي هي ربع الدرجة الفلكية فسدس الدرجة هاهنا يكون ثلثي دقيقة، وإذا جعلنا ثلثي الدقيقة ثواني كانا أربعين ثانية وهذه الثواني الستمائة بعينها إلا أن المنجمين لما جعلوا الساعة ستين دقيقة تسهيلا للحساب والساعة عبارة عن خمسة عشر درجة فلكية اقتضى أن تكون الدرجة الفلكية وكل ثانية من ثواني دقيقة الساعة بخمسة عشر ثانية من ثواني دقيقة الدرجة الفلكية فالخلاف بين ثواني دقائق الدرجة الفلكية وثواني دقيقة الساعة اعتبار لفظي.

وأجاب عبد الرحمن الكردي الشهير بالفاضل بأن الثانية جزء من ستين جزءا من دقيقة والدقيقة قد تطلق على جزء من ستين جزءا من درجة وقد تطلق على جزء من ستين جزءا من ساعة وقد تطلق على جزء من ستين جزءا من يوم بليلته.

ومراد العلامة البيضاوي من (الثانية) (الثانية) الثالثة، لا (الثانية) الأولى وهو ظاهر، ولا (الثانية) الثانية، كما ذهب إليه سعدي جلبي وتبعه ابن صدر الدين، وفيه أنه يفهم منه أن الفلكيين قد يقسمون اليوم بليلته إلى ستين دقيقة كما يقسمونها إلى الساعات والدرجات والدقائق قسمة يتميز بها أجزاء الزمان ولم يقل بذلك أحد منهم وإنما ذكر ذلك بعضهم تسهيلا لمعرفة الكسر الزائد على الأيام التامة من السنة لتعرف منه السنة الكبيسة في ثلاث سنين أو أربع سنين وهو بمعزل عما نحن فيه من قطع المسافة البعيدة بالزمان القليل ولو سلمنا ما زعمه كان ناقصا من مدة حركة الفلك الأعظم من ابتداء طلوع قرص الشمس إلى انتهائه وهو ثلثا دقيقة هما أربعون ثانية وذلك جزء من تسعين جزءا من ساعة مستوية كما حرره العلامة الشيرازي، وما ذكره من أن الثانية من دقيقة اليوم بليلته عبارة عن أربعة وعشرين ثانية من ثواني دقيقة الساعة، وهي أقل من ثلثي دقيقة بستة عشر ثانية خطأ على خطأ تلك إذًا قسمة ضيزى، نعم قد أصاب في الرد على الفاضلين وقد أخطأ الفاضل الأول في غير ذلك في هذا المقام كما لا يخفى على من وقف على كلامه وكان له أدنى اطلاع على كتب القوم.

ولتداول هذا المبحث بين الطلبة وعدم وجدانهم من يبل غليلهم تعرضنا له بما نرجو أن يبل به الغليل، هذا والعلماء درجات والله تعالى الموفق لفهم الدقائق فتأمل مرة وثانية وثالثة فلعل

الله سبحانه أن يفتح عليك غير ذلك.

وما ذكر من تساوي الأجسام مبني على ما قيل على تركبها من الجواهر الفردة وفيه خلاف النظام والفلاسفة، والبحث في ذلك طويل، ولا يستدل على الاستحالة بلزوم الخرق والالتئام، وقد برهنوا على استحالة ذلك لأنا نقول: إن برهانهم على ذلك أوهن من بيت العنكبوت كما بين في محله"[1].

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٨/ ٩-١١)

الفصل الثالث

التعريف بالإمام البيضاوي وبكتابه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)

وفيه تمهيد ومبحثان

التمهيد: وفيه نبذة عن عصر البيضاوي.

المبحث الأول: التعريف بالإمام البيضاوي.

المبحث الثاني: نبذة عن كتاب (أنوار التنزيل وأسرار التأويل).

التمهيد

عصر الإمام البيضاوي وتأثره بتلك الأحوال

كان القرن السابع مسرح أحوال هامة في تاريخ العالم الإسلامي، حدثت فيه أحوال سياسية خطيرة، كانت نقطة تحول في تاريخ العالم الإسلامي، وتغيرت فيه نظم الحضارة، وتبدلت فيه الحياة العلمية والثقافية وغير ذلك، ولما كان للظروف السياسية والاجتماعية والثقافية دور في تكوين شخصية الإنسان وعلمه وثقافته ودوره في الحياة كان لابد أن نلقي الضوء على الأحوال التي مرت في عصر البيضاوي بشيء من الإيجاز[1]:

المطلب الأول

الحياة السياسية

ضعفت الخلافة العباسية في القرن السابع ضعفاً شديداً، وكان الخليفة العباسي ببغداد لا يتعدى نفوذه ببغدادِ وما حولها من القرى، وكانت القوة السياسية موزعة بين الأتراك والسلاجقة، والأيوبيين الأكراد في مصر والشام والحجاز واليمن، ثم جاء بعدهم المماليك إلى آخر النصف الأول من القرن السابع وسيطر البربر على المغرب والأندلس وتبعوا في الاسم فقط للخليفة العباسي ببغداد، ثم ظهرت دول إسلامية مستقلة كالدولة الغورية في بلاد الأفغان والهند، والدولة الفاطمية في مصر، جاءت بعدها الدولة الأيوبية، والدولة الصلحية في اليمن، والدولة الموحدية في المغرب والأندلس، والدولة الخوارزمية والتابكية في خوارزم وغيرها، وكان بين هذه الدول من التناحر والنزاع ما أدى إلى ضعفها وطمع الأعداء فيها، وأما في داخل هذه الدول فلم يكن هنالك استقرار ولا أمن بل كان هناك اضطرابات وفتن بين الفرق، فقد حدثت فتنة عظيمة بين أهل السنة والشيعة في بغداد وراح ضحيتها الكثير من الناس، وانتصر الخليفة العباسي لأهل السنة، والشيء الذي أغاظ وزيره ابن العلقمي، فاتصل بالمغول الذين كانت أطماعهم اتجهت نحو العالم الإسلامي فكانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر فلما جاءهم ابن

(١) ينظر: ذيل مرآة الزمان (٤١٠/١)، (٣٢٥/٢-٣٤٦،٤٥٤)، (٨٨/٣)، (١١٨/٣)، البداية والنهاية (١٤٩/١٣)، النجوم الزاهرة (٢٣/٧)، شذور الذهب (٣٠٧/٥).

العلقمي وأخبرهم عن ضعف المسلمين زحفت جيوش المغول على البلاد الإسلامية، وسقطت الإمارات المجاورة لهم واحدة تلو الأخرى حتى وصلوا بغداد بقيادة هولاكو التتري وانقضوا عليها وقتلوا الخليفة العباسي، وذبحوا العلماء ونشروا الذعر والرعب وقتلوا كل من قابلهم وعاثوا في الأرض فسادا واستباحوا بغداد أربعين يوما قتلا وتخريبا وهتكا للأعراض، وأحرقوا الكتب ورموها في نهر دجلة وكان ذلك في عام (٦٥٦هـ).

واتجهت جيوش المغول نحو الشام فاحتلوا حلب ودمشق وحماه، فلم يقف زحفهم حتى التقوا بجيوش المماليك في مصر والشام في معركة (عين جالوت) [١] فانتصر المسلمون عليهم بقيادة ركن الدين بيبرس[٢]، وقتلوا قائد المغول (كبتغا) وكان ذلك عام (٦٥٨هـ)[٣].

وأما في الغرب فقد كانت الحروب الصليبية سجالاً بين المسلمين والصليبيين الذين كانوا يطمعون في احتلال مصر والقدس، ولولا وقوف المسلمين تجاههم صلابة لاستولوا على كثير من الأراضي الإسلامية في الشام ومصر، وهكذا كان حال المسلمين في القرن السابع تهاجم الملل الكافرة من الشرق والغرب، ويشعل أعداء الإسلام الفتن من الداخل.

وقد أجمع كل من ترجم للإمام البيضاوي بوصفه بـ(القاضي)، وأن أباه كان قاضيا من قبل، وقد ذكروا أن البيضاوي هو الذي تقدم بطلب هذا المنصب، وقد تولى القضاء أكثر من مرة، ولم يستمر في منصبه هذا كثيرا، فقد كان يعين على القضاء ثم يعزل، إلى أن قرر أخيرا الاعتزال وترك القضاء[٤]، وهذا يعتبر من ضمن مشاركة الإمام في الناحية السياسية.

---

(١) اسم موقع عند مدينة بيسان في دولة الأردن وقد جرت بقربه الفاصلة الشهيرة والتي انتهت بهزيمة المغول وتراجعهم النهائي عن بلاد الشام وإيقاف مدهم. ينظر: النجوم الزاهرة (٧/٧٩)، ابداية والنهاية (١٣/٢٢٠).

(٢) بيبرس العلائي البندقداري الصالحي، ركن الدين، الملك الظاهر، صاحب الفتوحات والأخبار والآثار، وكان شجاعا جبارا، يباشر الحروب بنفسه، وفي أيامه انتقلت الخلافة الى الديار المصرية سنة (٦٥٩هـ). ينظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٧٩).

(٣) البداية والنهاية (١٣/٢٦٦-٣٠٩)، الحركة الفكرية في مصر، عبد اللطيف حمزة (ص ٧٦).

(٤) ينظر: شذرات الذهب (٧/ ٦٨٦)، كشف الظنون (١/ ١٨٦).

المطلب الثاني

الحياة الاجتماعية

كان الشعب في العصر العباسي يتألف من العرب والفرس والأتراك وقليل من اليهود والنصارى؛ الذين كفلت لهم الدولة الإسلامية الأمن والأمان، وقد أدى انقسام المسلمين في هذا العصر إلى شيع وطوائف إلى تفكك المجتمع الإسلامي، فكان السنيون يكونون السواد الأعظم ويتمتعون بقسط وافر من الحرية والطمأنينة، وينقسم الشعب في ذلك العصر إلى أربع طبقات من ناحية عامة:

١- طبقة الخاصة وهي ثلاث طبقات: الأول: الخليفة وأهله ورجال دولته من الوزراء والأمراء وقواد الجيش، الثاني: طبقة أرباب البيوتات، الثالث: طبقة توابع الخاصة من الخدم والأرقاء والخصيان والجواري.

٢- طبقة العامة، وهي طبقتان:

الطبقة الأولى، وهم العلماء والفقهاء والأدباء والتجار والمغنون، وأصحاب الفنون الجميلة والصناع.

والطبقة الثانية وهم السواد الأعظم ويتمثلون في سكان المدن من الصناع والباعة وأصحاب الحرف وغيرهم، وسكان القرى والمزارعين والرعاة وغيرهم[١].

هكذا كان يتألف المجتمع في العصر العباسي، وقد كان للعلماء دور في نصح الخلفاء والولاة وتبصيرهم بالحقّ وكفّهم عن الباطل.

والإمام البيضاوي احتل مكانة رفيعة في مجتمعه، وتبوأ مركزا مرموقا، فقد كان من أسرة معروفة تجمع بين العلم وبين المناصب العليا في القضاء، مما كان لذلك بالغ الأثر في التفات الناس حوله ليقتبسوا من علمه، ويتعرفوا على أحكام الشرع التي تغطي جميع أمور المسلم في يومه، وقد قدم الإمام البيضاوي لبلده وأهله ومجتمعه انتاجا علميا متميزا، فانكب الناس حوله لأخذ كتبه، والاقتباس من علمه[٢].

---

(١) ينظر: تاريخ التمدن الإسلامي (٥/٢٦-٥٦)، تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم، (٤/٦٢٥).

(٢) القاضي البيضاوي للزحيلي (٦١).

المطلب الثالث

الحياة العلمية

بسقوط الخلافة العباسية التي عاش الإسلام في ظلها زهاء خمسة قرون، ظهرت الدولة المستقلة في أرجاء العالم الإسلامي، وكان لهذه الدول دور في تقدم الحضارة الإسلامية، ونشر العلوم، وتبادل الثقافات، وذلك أنّ بغداد بعد أن كانت مركز الحضارة الإسلامية، ظهرت إلى جانبها مراكز أخرى مثل القاهرة وبخارى وغرنة وتبريز وشيراز وقرطبة والري وخوارزم وغيرها، وازدهرت فيها العلوم والآداب وذلك بتشجيع الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء ورجال العلم والأدب.

ونمت الثقافة في هذا العصر وأخذت الطابع الحضاري فكانت مراكز الثقافة المسجد والزاوية والكتاب والمدرسة وبيت الحكمة والمكتبة، وكانت المدارس التي أنشئت في هذا العصر أشبه بالجامعات الآن، فقد كان يدرس فيها كثير من العلوم المتنوعة وقد انتشرت هذه المدارس وخاصة في بلاد الشرق الإسلامي وقد كان أهم هذه المدارس هي:

١- المدارس النظامية التي أسسها نظام الملك وزير السلطان (مكشاه) السلجوقي في بغداد ونيسابور.

٢- المدرسة المستنصرية[١] التي أنشأها في بغداد الخليفة العباسي المستنصر بالله وكانت آية من حيث الهندسة والمعمار وقد زودت بمكتبة تحتوي على آلاف الكتب في مختلف العلوم كما خصصت فيها أماكن لنسخ مايريده الطلبة والناسخون من المخطوطات.

٣- المدرسة الكاملية[٢] التي أسسها الملك الكامل الأيوبي، وقد بنيت لدراسة الحديث خاصة ولكنها لم تقتصر على دراسة الحديث وحده بل كان يدرس فيها غيره وقد سميت بدار الحديث.

---

(١) ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٤٦/ ٦)، البداية والنهاية (١٣/ ١٣٩).

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام (٥١/ ١٥٩)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (٢/ ٢٦٢).

٤- المدرسة الصالحية[١] التي بناها الملك الصالح نجم الدين الأيوبي[٢]، وقد كانت تضم أربع مدارس لكل مذهب مدرسة خاصة به.

٥- المدرسة الظاهرية[٣] التي بناها الملك الظاهر بيبرس وجعل لها خزانة كتب تضم سائر العلوم وكان يدرس فيها الفقه على المذهب الشافعي والحنفي وعلم الحديث والقراءات[٤].

وقد كانت في العالم الإسلامي مدارس أخرى على هذا الطراز حيث توجد مدارس هامة في قرطبة وغرناطة وتبريز وشيراز وطوس وغيرها، وكانت لها أهمية كبيرة في نشر العلوم بالإضافة إلى المساجد التي كانت تدرس بها العلوم بمختلف أنواعها.

وأما على صعيد التأليف فقد شعر العلماء بضعف المسلمين وتفككهم وهجوم الأعداء عليهم من كل جانب فشمروا عن ساعد الجد فحاولوا حفظ التراث وجمع تأليف السابقين وخدمته بالاختصار والشرح والتعليق والنظم فجمعوا عدة علوم في فن واحد وصهروها ونسقوها لتصير فنا واحداً فمثلا جمعوا الأصول والمنطق والجدل معاً وعلوم اللغة مع التفسير والفقه وغير ذلك.

وكان علماء هذا العصر لهم إلمام كامل في أكثر العلوم فنجد الواحد منهم يؤلف في أكثر من فن فمثلا البيضاوي ألف في التفسير والحديث وعلم الكلام والمنطق والأصول والفقه وغيرها.

وقد ظهر في هذا العصر علماء أجلاء حفظوا علم السابقين وأضافوا عليه ما فتح الله به عليهم من العلم والمعرفة فظهر في هذه الفترة الشيخ تقي الدين ابن الصلاح[٥] صاحب التأليف

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس (١/ ٢٣٩).

(٢) الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل محمد، أبو الفتوح نجم الدي، من كبار الملوك الأيوبيين بمصر. ولد سنة (٦٠٣هـ)، ونشأ بالقاهرة، وكان شجاعا مهيبا عفيفا صموتا، عمر بمصر ما لم يعمره أحد من ملوك بني أيوب، وتوفي سنة (٦٤٧هـ). ينظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٣٨).

(٣) الدارس في تاريخ المدارس (١/ ٢٥٧).

(٤) البداية والنهاية (١٣/٢٦٦-٣٠٩).

(٥) عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر النصري الكردي الشهرزوري، أبو عمرو، المعروف بابن الصلاح، الملقب بتقي الدين، ولد سنة (٥٩٧هـ)، من أشهر تصانيفه: المقدمة في علوم الحديث، وقد كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث ونقل اللغة، وكانت له مشاركة في ⇦=

في علوم الحديث والفقه، وشيخ الإسلام ابن تيمية[1] الذي ألف في الفقه والعقيدة والحديث والتفسير وغيرها، والشيخ عز الدين بن عبد السلام العالم المشهور[2]، وابن النجار[3] صاحب التاريخ، والحافظ ضياء الدين المقدسي[4] صاحب كتاب الأحكام،

= فنون عديدة، وكانت فتاويه مسددة، وتوفي سنة (٦٤٣هـ). ينظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٤٣)، الوافي بالوفيات (٢٠/ ٢٦)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٣٢٦).

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين شيخ الإسلام ابن تيمية، ولد بحران سنة (٦٦١هـ)، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق واعتقل بها وأطلق، ثم أعيد، له أكثر من مئتي شيخ فمنهم أبوه الشيخ عبد الحليم بن تيمية الحنبلي والشيخ زين الدين ابن المنجا ومجد الدين ابن عساكر وغيرهم، ومن تلامذه شمس الدين ابن قيم الجوزية وأبو عبد الله الذهبي و إسماعيل بن عمر بن كثير محمد بن عبد الهادي المقدسي وغيرهم، له الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح ودرء تعارض العقل والنقل وغيرها كثير جدا أوصلها بعض الباحثين إلى ٣٣٠ مؤلف، وكان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان.ومات معتقلا بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ. ينظر: فوات الوفيات (١/٣٥-٤٥)، الدرر الكامنة (١/ ١٤٤)، البداية والنهاية (١٤/ ١٣٥).

(٢) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء وبائع الملوك. ولد بدمشق سنة (٥٧٧هـ) ونشأ وتفقه بها على كبار علمائها وجمع إلى الفقه والأصول العلم بالحديث والأدب والخطابة والوعظ كان خطيباً للجامع الأموي، تخشى السلاطين والأمراء صولته وسلطانه من شيوخه فخر الدين بن عساكر و سيف الدين الآمدي وغيرهم، ومن تلاميذه ابن دقيق العيد و شهاب الدين القرافي و أبو شامة النحوي الأصولي المؤرخ وغيرهم، له مؤلفات كثيرة منها التفسير القواعد الكبرى والقواعد الصغرى وبداية السول في تفضيل الرسول والفتاوى المصرية توفي بالقاهرة سنة (٦٦٠هـ). ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ٣٣٥)، طبقات الشافعية للسبكي (٨/ ٢٠٩)، حسن المحاضرة للسيوطي (١/ ٣١٤)، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣١٥).

(٣) محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن، الحافظ الكبير محب الدين، أبو عبد الله ابن النجار البغدادي، ولد سنة (٥٧٨هـ)، من تصانيفه: الذيل على تاريخ بغداد، وكان أول عنايته بالطلب وله خمس عشرة سنة، وله الرحلة الواسعة، وسمع الكثير ونسخ، وحصل الأصول والمسانيد، وخرج لنفسه ولغير واحد، وكان إماما ثقة، حجة، مقرئا، مجودا، حلو المحاضرة، كيسا، متواضعا، صالحا، خيرا، متنسكا، وتوفي سنة (٦٤٣هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (١٤/ ٤٧٩)، فوات الوفيات (٤/ ٣٦)، الوافي بالوفيات (٥/ ٧).

(٤) محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل، أبو عبد الله السعدي، المقدسي، ثم الدمشقي الصالحي، ولد سنة (٥٦٩هـ)، ومن تصانيفه: الأحاديث المختارة، لزم الحافظ عبد الغني وتخرج به، وكان شيخ وقته، ونسيج وحده علما وحفظا وثقة ودينا، من العلماء الربانيين، توفي سنة (٦٤٣هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (١٤/ ٤٧٢)، فوات الوفيات (٣/ ٤٢٦)، الوافي بالوفيات (٤/ ٤٨).

وعلم الدين السخاوي[1] صاحب التصانيف الكثيرة والشرح في علوم الحديث، والشيخ الشلوبيني[2] النحوي، والشيخ ابن الحاجب المالكي صاحب المختصرات في الفقه وأصول الفقه، والرافعي[3] والنووي[4] وغيرهم من العلماء الذين يطول ذكرهم[5].

وقد كان للقاضي البيضاوي دور بارز في الحياة العلمية في عصره، فقد صنف كتبا كثيرة في موضوعات مختلفة، كالفقه وأصوله، والتفسير والحديث، وأصول الدين والعربية، والجدل والمنطق.

وقد رزقه الله التوفيق في التأليف، والنجاح في التصنيف، والسداد في اختيار المعلومات والدقة في العلم، وتفضل الله عليه بإقبال الناس على كتبه، وانتشار مصنفاته، وشيوعها في الأقطار، وانكب عليها طلاب العلم، وتتلمذوا على كتبه[6].

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري السخاوي، ولد سنة (٥٩٥هـ)، ومن تصانيفه: شرح المفصل، وشرح القصيدة الشاطبية في القراءات، وقد كان إماما بالقراءات، والنحو والتفسير، توفي سنة (٦٤٣هـ). ينظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٤٠)، سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٢٢)، معرفة القراء الكبار (ص: ٣٤٠).

(٢) عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله أبو علي الشلوبيني الأندلسي، من تصانيفه: كتاب في النحو سماه التوطئة، وهو إمام في العربية واللغة، أقام علما للعلماء ستين سنة، وتوفي سنة (٦٤٥هـ). ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (٢/ ٣٣٢)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص: ٢٢١)، بغية الوعاة (٢/ ٢٢٤).

(٣) عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل بن الحسن القزويني أبو القاسم الرافعي، من تصانيفه: كتاب العزيز، وقد تورع بعضهم عن إطلاق لفظ العزيز مجردا على غير كتاب الله فقال (الفتح العزيز في شرح الوجيز)، وكان متضلعا من علوم الشريعة تفسيرا وحديثا وأصولا، وتوفي سنة (٦٢٤هـ). ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٢٨١)، طبقات الشافعيين (ص: ٨١٤)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ٧٥).

(٤) يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين، ولد في سنة (٦٣١هـ)، شيخ الإسلام، الحافظ الفقيه الشافعي الزاهد، أحد الأعلام، ومن كتبه: المنهاج في شرح مسلم، وكتاب الأذكار، وكتاب رياض الصالحين وتوفي سنة (٦٧٦هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (١٥/ ٣٢٤)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٣٩٥)، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (٢/ ١٥٣).

(٥) البداية والنهاية (١٣/٢٦٦-٣٠٩).

(٦) القاضي البيضاوي للزحيلي (٧٢).

المبحث الأول

التعريف بالإمام البيضاوي

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته.

المطلب الثاني: طلبه للعلم، ورحلاته العلمية.

المطلب الثالث: شيوخه، وتلاميذه.

المطلب الرابع: آثاره العلمية، وأقوال العلماء فيه وثناؤهم عليه.

المطلب الخامس: وفاته.

المطلب الأول

اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته

- **أولًا: اسمه ونسبه:**

هو عبد الله بن أبي القاسم عمر بن محمد بن أبي الحسن علي البيضاوي، وكان يكنى بأبي الخير، وقيل: بأبي سعيد، ويلقب بناصر الدين ويعرف بالقاضي[(١)].

والنسبة بالبيضاوي إلى المدينة البيضاء[(٢)] – بفتح الباء – وهي إحدى المدن ببلاد فارس[(٣)]، وكان اسمها أيام الفرس درا صفيد فعربت بالمعنى.

المشاركون للبيضاوي في اللقب:

وقد شارك البيضاوي في نسبته إلى البيضاء عدد من العلماء أصحاب التأليف، وقد أسند بعض المترجمين إليه بعض المؤلفات على سبيل الخطأ لاشتراكهم في اللقب، ومن هؤلاء العلماء:

١- أبو بكر البيضاوي: هو محمد بن أحمد بن العباس الفارسي القاضي أبو بكر البيضاوي كان إمامًا جليلًا له «الأدلة في الفقه»، و«التبصرة المرتبة في الفقه» وله معرفة بالأدب، وكان يعرف بالشافعي وذكره السبكي[(٤)] في الطبقة الرابعة ممن توفي بين سنة (٤٠٠-

---

(١) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٥٧/٨)، طبقات الشافعية للإسنوي (٢٨٣/١)، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (١٧٢/٢)، شذرات الذهب (٦٨٥/٧)، بغية الوعاة (٥٠/٢)، روضات الجنات (١٣٦/٥)، البداية والنهاية (٣٦٣/١٣)، مرآة الجنان (٢٢٠/٤)، كشف الظنون (٨٩/٢)، الوافي بالوفيات (٢٠٦/١٧)، طبقات المفسرين للأدنه وي (٢٥٤/١)، دائرة المعارف الإسلامية (٤١٨/٤)، حاشية القونوي (١/٣)، عناية القاضي وكفاية الراضي (٢/١)، معجم المؤلفين (٩٧/٦)، طبقات المفسرين للداوودي (٢٤٨/١)، تذكرة النبيه (١٠٤/١)، الأعلام للزركلي (١١٠/٤).

(٢) مدينة مشهورة بفارس، وإنما سميت البيضاء لأن لها قلعة تبيّن من بعد ويرى بياضها، وكانت معسكرا للمسلمين يقصدونها في فتح إصطخر، وينسب إليها جماعة من العلماء. معجم البلدان (٥٢٩/١).

(٣) فارِسُ: ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق أرّجان ومن جهة كرمان السّيرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مكران، وليس أصله بعربي بل هو فارسيّ معرّب أصله بارس وهو غير مرتضى فعرّب فقيل فارس، وقصبتها الآن شيراز، سميت بفارس بن علم بن سام بن نوح، عليه السلام، وقيل غير ذلك. ينظر: معجم البلدان (٢٢٦/٤).

(٤) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي أبو نصر تاج الدين السبكي، له شرح مختصر ابن الحاجب والإبهاج في شرح المنهاج، شرح منهاج البيضاوي في أصول الفقه و طبقات الشافعية الكبرى والوسطى والصغرى وجمع الجوامع في ⇦=

٥٠٠ هـ)[١].

٢- أبو عبد الله البيضاوي: هو محمد بن عبد الله بن أحمد ولي القضاء بربع الكرخ من بغداد وحدث بيسير عن أبي بكر القطيعي والحسين بن محمد بن عبيد العسكري. مات فجأة ليلة الجمعة رابع عشر رجب سنة أربع وعشرين وأربعمائة (٤٢٤ هـ)، ودفن بمقبرة باب حرب[٢].

٣- أبو الحسن البيضاوي: هو محمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد ختن القاضي أبي الطيب، توفي في شعبان سنة (٤٠٨ هـ)، عن ست وسبعين سنة[٣].

٤- أبو القاسم البيضاوي: هو علي بن محمد بن عبد الله أبو القاسم البيضاوي ابن أبي الحسين ابن أبي عبد الله سبط القاضي أبي الطيب الطبري مات شابا في شهر رمضان سنة (٤٥٠هـ)[٤].

وقد نسب أيضا البيضاوي بالشِّيرازي - نسبة إلى شيراز[٥] بكسر الشين -، وهي من أعظم مدن فارس حيثُ يُنسَب إليها علماء أجلاء منهم:

- الإمام أبو إسحاق الشيرازي: وهو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي أبو إسحاق الشيرازي، صاحب "التنبيه"، و"المهذّب" في الفقه، و"النكت" في الخلاف، و"اللمع"

= أصول الفقه وغيرها، طلب الحديث مع ملازمة الاشتغال بالفقه والأصول والعربية حتى مهر وهو شاب، تفقه على أبيه وعلى الذهبي وبرع حتى عدم مثله في عصره، يرتحل إليه الطلبة من الآفاق. توفي سنة (٧٦٩هـ). ينظر: طبقات الشافعية للحسيني (ص: ٢٣٥)، الدرر الكامنة (٤٢٥/٢)، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٤١٠/١).

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٩٦/٤).

(٢) ينظر: تاريخ بغداد (٩٦/٣)، طبقات الشافعية الكبرى (٦٣/٣)، طبقات الفقهاء (١٢٦/١).

(٣) ينظر: تاريخ بغداد (٣/ ٤٥٩، طبقات الشافعية الكبرى (١٩٦/٤).

(٤) ينظر: تاريخ بغداد (١٩/ ٤٧)، طبقات الشافعية الكبرى (٥/ ٢٩٢).

(٥) شيراز: بلد عظيم مشهور معروف مذكور، قيل: سمّيت بشيراز بن طهمورث، وقيل: شبهت بجوف الأسد لأنّه لا يحمل منها شيء إلى جهة من الجهات ويحمل إليها ولذلك سمّيت شيراز، وبها جماعة من التابعين مدفونون، وهي في وسط بلاد فارس، وقد نسب إلى شيراز جماعة كثيرة من العلماء في كلّ فنّ، وهي الآن مدينة إيرانية، تقع في منتصف أرض محافظة فارس. ينظر: معجم البلدان (٣٨٠/٣)، أطلس دول العالم الإسلامي (ص: ٢٤).

و"شرحه"، و"التبصرة" في أصول الفقه وغيرها، توفي سنة ست وسبعين وأربعمائة[١].

– **الإمام قطب الدين الشيرازي**: وهو محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي، صاحب التصانيف النافعة في الأصول والمنطق والهيئة والفلك والحديث والعلوم العربيةُ ولِد بشيراز سنة أربع وثلاثين وستمائة، وتوفي بتبريز عام عشرة وسبعمائة[٢].

وقد ذكر البيضاوي نسبه في مقدمة كتابه "الغاية القصوى في دراية الفتوى"، حيث قال: (فاعلم أني قد أخذت الفقه عن والدي مولى الموالي الصدر العالي، ولي الله الوالي، قدوة الخلف وبقية السلف، إمام الملة والدين أبو القاسم عمرَ قدَّس الله روحه، وهو عن والده قاضي القضاة السعيد فخر الدين محمد بن الإمام الماضي صدر الدين أبي الحسن علي البيضاويَ قدَّس الله أرواحهم عن الإمام العلامة مجير الدين...)[٣]، ثم ذكر سنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- **ثانيًا: مولده ونشأته:**

ولد القاضي ناصر الدين البيضاوي في بلدة البيضاء التابعة لمنطقة شيراز، وقد غاب على المؤرخين تاريخ ميلاده فلم يذكروه في كتبهم، ولم يشر أحد من المترجمين إلى تاريخ ولادته[٤]، ولكن بالتقريب فهو من علماء القرن السابع وولادته غالبا في أوائل القرن السابع أو أواخر القرن السادس.

وأمَّا نشأته فقد نشأ البيضاوي أول حياته في البيضاء مع أسرته، ثم رحل إلى شيراز. ونشأ في بيت علم ودين وبركة ومنصب، ينتسب إلى أسرة عرفت بالعلم والفضل، فقد كان والده عالما قاضيا، ذا مكانة عند السلطان، تولى منصب قاضي قضاة شيراز، كما تولى جده محمد من قبل قاضي القضاة. فتربى في مهد العلم وغذِّي به وتدرج فيه إلى أن بلغ فيه درجة سامية من العلم.

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى (٢١٥/٤)، البداية والنهاية (١٥٣/١٢).

(٢) ينظر: الدرر الكامنة (١٠٠/٦)، مفتاح السعادة (٢٠٤/١).

(٣) الغاية القصوى في دراية الفتوى (١٤٨/١).

(٤) البيضاوي وآراؤه الاعتقادية (ص: ٢٢).

● **ثالثًا: عقيدته:**

البيضاوي – رحمه الله – من كبار المتكلمين، وقد سار في منهجه في تقرير مسائل العقيدة على منهج المتكلمين بصفة عامة، وعلى منهج الأشاعرة بصفة خاصة[1].

أمثلة على عقيدته:

١– تعريف التوحيد:

سار البيضاوي في تعريفه للتوحيد على منهج المتكلمين الذين يرون معنى الواحد هو نفي التبعيض والتركيب والتعدد والتثنية ونفي الجسمية والجهة وغيرها من المصطلحات الكلامية. فقال في قوله –تعالى–: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص:١] قال: "الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد، وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصّها، كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية"[2].

وهذا التفسير للواحد والتوحيد ليس في الكتاب والسنة، وليس هو توحيد الرسل الذي دعوا إليه؛ وإنما هذه مصطلحات المتكلمين التي ابتدعوها.

٢– تأويل حمل العرش:

في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [سورة غافر: ٧]، قال البيضاوي: "حملهم إياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له، أو كناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده، وتوسطهم من نفاذ أمره"[3].

(١) البيضاوي وآراؤه الاعتقادية (ص٤٧).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣٤٧/٥).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥٢/٥).

٣- تفسير الاستواء:

في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [سورة الأعراف:٥٤]، قال البيضاوي: "استوى أمره أو استولى، وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف، والمعنى: أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزهاً عن الاستقرار والتمك".

٤- تكليف ما لا يطاق:

جوّز البيضاوي تكليف ما لا يطاق فقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾.[سورة البقرة:٢٨٦] قال: "وهو دليل على جواز التكليف بما لا يطاق وإلاّ لما سئُل التخلُّص منه"[(١)].

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٦)

● **رابعًا مذهبه:**

لقد كان مذهب الإمام الشافعي أكثر انتشارا في بلاد فارس، وخراسان [١]، وبغداد [٢]، وما حولها، فكان من تأثير ذلك أن اختار البيضاوي مذهب الشافعي[٣]، ودافع عنه وإن كان قد أتقن فقه بقيّة المذاهب، إلا أنَّ مذهب الشافعي غلب على فقهه فظهر في مؤلفاته[٤].

وقد كان والد البيضاوي شافعي المذهب فكان لذلك أثر في تكوين شخصيته واختياره لمذهب الشافعي.

(١) خُراسَانُ: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمّهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهي كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس. ينظر: معجم البلدان (٣٥٠/٢).

(٢) بَغْدَاذُ: أم الدنيا وسيدة البلاد، قال ابن الأنباري: أصل بغداد للأعاجم، والعرب تختلف في لفظها إذ لم يكن أصلها من كلامهم ولا اشتقاقها من لغاتهم، قال بعض الأعاجم: تفسيره بستان رجل، فباغ بستان وداد اسم رجل، وقيل غير ذلك، كان أول من مصّرها وجعلها مدينة المنصور بالله أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ثاني الخلفاء. معجم البلدان (٤٥٦/١).

(٣) عناية القاضي وكفاية الراضي (٢/١).

(٤) ينظر: كتاب الغاية القصوى في دراية الفتوى في فقه الشافعي، وشرح كتاب الشيرازي المسمى بالتنبيه في فقه الشافعية، وغير ذلك من كتبه.

المطلب الثاني

طلبه للعلم، ورحلاته العلمية

- **أولًا: طلبه للعلم:**

نشأ البيضاوي أغلب حياته العلمية في شيراز، وكانت آنذاك مقصد العلماء من جميع أقطار العالم الإسلامي، فتلقى علومه الأولية عن والده، وتفقه على يديه[(١)].

ولم يقتصر في تعليمه على والده فقط، فقد تتلمذ على شيوخ عصره في مختلف المجالات، في أصول الدين وأصول الفقه والتفسير والعربية والأدب والتاريخ وفي علم الكلام والمنطق والفلسفة، ولم يحتج إلى رحلات في طلب العلم، حيث اجتمعت أكابر العلماء في شيراز، فنهل البيضاوي من معين العلم وأتقنه، فصار أستاذا في كثير من الفنون، جمع فيها القرآن وعلومه، والفقه وأصوله، واللغة وعلومها، كما برع في علم الكلام، والجدل، والمنطق، والتاريخ والفلسفة.

ثمُ قلِّد منصب قاضي القضاة بشيراز، كما قلد والده هذا المنصب من قبل، وجده محمد[(٢)].

وكان سبب ترقيه إلى هذا المنصب هو تفسيره للقرآن في كتابه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل).

قال الخوانساري[(٣)]: "وقد صار في هذا الكتاب منشأ ترقياته في العالم، وسبب تقربه عند سلطان العصر، واختصاصه بمنصب قضاء القضاة، وذلك أنه كان قد بعث إليه بكتاب تفسيره المذكور، فاستحسنه منه، وأشار إليه بأن يطلب من الحضرة السلطانية بأداء هذا العمل السديد كما يريد، فقال أريد قضاء البيضاء؛ لكي أترفع به بين أهل دياري الذين ينظرون إلي بعين

---

(١) ينظر: مقدمة الغاية القصوى (١/١٨٤)، مرآة الجنان (٤/١٦٥).

(٢) ينظر: تاريخ الأدب الفارسي لرضا زاده (ص ١٣٧)، وتاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان (٢٧٩).

(٣) هو: محمد باقر بن زين العابدين بن جعفر، الموسوي، الخوانساري، الأصفهاني، المؤرِّخ الأديب، صاحب كتاب "روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات"، من مجتهدي الإماميين. ولد ونشأ في قصبة خونسار (بإيران) وانتقل إلى أصفهان فاستقر إلى أن توفي فيها سنة ١٣١٣هـ. ينظر: الوديعة (ص:١٢٦-١٣٩)، إيضاح المكنون (١/ ٣٣)، الأعلام للزركلي (٦/ ٤٩)، معجم المؤلفين (٩/ ٨٧).

التحقير"[1].

- **ثانيًا: رحلاته:**

الرحلة في طلب العلم أمر معتاد ومشهور لدى العلماء، فكثير منهم يرحل من قطر إلى قطر؛ طلبًا للعلم في شتّى مجالاته وفنونه، إلاّ أن مصادر ترجمة البيضاوي – رحمه الله – لم تذكر لنا سوى رحلتين:

الأولى: رحلته من البيضاء إلى شيراز مع أسرته[2]:

رحل البيضاوي مع والده إلى شيراز عاصمة بلاد فارس، وكانت شيراز في ذلك الوقت مقصد العلماء من جميع أقطار العالم الإسلامي الذين فروا إليها من ويلات الحروب المغولية، حيث كانت بمأمن من هذه الحروب وكان حاكمها الأتابك أبو بكر يشجع على العلم والعلماء فاجتمع بها كثير من العلماء، فتلقَّى ناصر الدين البيضاوي علومه وفنونه على علمائها وشيوخها حتى برع في كثير من فنون العلم.

الثانية: كانت من شيراز إلى تبريز [3] بعد أن تولى القضاء في شيراز[4].

لم تذكر كتب التراجم تاريخا عن هذه الرحلات إلا ما ذكره أحد الباحثين أن انتقال البيضاوي من شيراز إلى تبريز كان حوالي سنة (٦٥٠هـ)[5].

وقد أشارت بعض كتب ترجمته أنه دخل تبريز طلبا لقضاء شيراز فأُعطي ذلك دون تأخير[6].

---

(١) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات (١٣٤/٢).

(٢) ينظر: كشف الظنون (١٨٦/١).

(٣) تِبْرِيزُ: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وكسر الراء، وياء ساكنة، وزاي، كذا ضبطه أبو سعد، وهو أشهر مدن أذربيجان: وهي مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة بالآجر والجصّ، وفي وسطها عدة أنهار جارية، والبساتين محيطة بها، والفواكه بها رخيصة، وقد خرج منها جماعة وافرة من أهل العلم، منهم: إمام أهل الأدب أبو زكرياء يحيى بن علي الخطيب التبريزي، والقاضي أبو صالح شعيب بن صالح بن شعيب التبريزي، وغيرهم. معجم البلدان (١٣/٢).

(٤) ينظر: كشف الظنون (١٨٦/١).

(٥) التفسير ورجاله للفاضل ابن عاشور (ص: ٨٨).

(٦) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (١٥٨/٨)، طبقات المفسرين للداودي (٢٤٢/١).

قال السبكي: "إنَّ البيضاوي لما صرف عن قضاء شيراز رحل إلى تبريز، وصادف دخوله إليها مجلس درس لبعض الفضلاء، فجلس في أخريات القوم بحيث لا يعلم به أحد، فذكر المدرس نكته زعم أنَّ أحدا من الحاضرين لا يقدر على جوابها، وطلب من القوم حلها والجواب عنها، فإن لم يقدروا فالحل فقط، فإن لم يقدروا فإعادتها، فلما انتهى من ذكرها شرع القاضي ناصر الدين في الجواب، فقال له: لا أسمع حتى أعلم أنك فهمت، فخيره بين إعادتها بلفظها أو معناها، فبهت المدرس، فقال: أَعدها بلفظها، فأعادها ثم حلَّها وبين أن في ترتيبه إياها خللا، ثم أجاب عنها وقابلها في الحال بمثلها، ودعا المدرس إلى حلها فتعذر عليه ذلك. وكان الوزير حاضرًا، فأقامه من مجلسه وأدناه جانبه، وسأله من أنت فأخبره أنه البيضاوي وأنه جاء في طلب القضاء بشيراز، فأكرمه وخلع عليه في يومه ورده وقد قضى حاجته"[1].

وقيل: إنه دخل تبريز ومكث مدة واستشفع بشيخه محمد الكحتائي عند الأمير لتوليه القضاء، فشفع له إلا أنه زهد في المناصب وترك القضاء، ولازم شيخه حتى توفي بتبريز.

ففي كلا الروايتين إذا شفع للبيضاوي في تولي القضاء علمه أو شفع له الشيخ الكحتائي أنه نال ذلك المنصب، ولكنه تركه وقضى عمره في الزهد والعبادة والتدريس والتأليف.

(١) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (١٥٨/٨)، عناية القاضي وكفاية الراضي (٢/١).

المطلب الثالث

شيوخه، وتلاميذه

- **أولًا: شيوخه:**

تلقى البيضاوي العلم على كثير من العلماء في عصره فدرس الفقه، والقراءات، واللغة، والنحو، والمنطق وغيرها، فقد كانت تبريز آنذاك قبلة العلماء في بلاد فارس ومن أشهر شيوخ البيضاوي ما يلي:

١- والده: أبو القاسم عمر بن محمد بن أبي الحسن علي البيضاوي: ترجم له صاحب كتاب شد الإزار فقال: "مقتدى عصره، وأوحد دهره، كان إماما متبحرا جمع بين العلم والتقوى وتقلد القضاء بشيراز سنين، درَّس وأسمع، وحدَّث وروى عن شيخه عبد الرحيم بن عبد الرحمن السجستاني، توفي في ربيع سنة خمس وسبعين وستمائة ودفن بالضفة الجنوبية من المدرسة الغربية بالسوق الكبير"(١).

وقد تأثَّر البيضاوي بوالده، وظهر ذلك في فتواه؛ فقد صرَّح بفتوى والده في تفسيره آية الصدقات فقال: "ظاهر الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف الثمانية، ووجوب الصرف إلى كل صنف وجد منهم، ومراعاة للتسوية بينهم قضية للاشتراك، وإليه ذهب الشافعي رضي الله عنه، وعن عمر، وحذيفة(٢)، وابن عباس، وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين جواز صرفها إلى صنف واحد، واختاره بعض أصحابنا، وبه قال الأئمة الثلاثة وبه كان يفتي شيخي، ووالدي رحمهما الله تعالى"(٣).

---

(١) شد الإزار وحط الأوزار (ص: ٢٩٩).

(٢) حذيفة بن اليمان، صحابي جليل من نجباء أصحاب النبي السابقين صح في مسلم عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلمه بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة وأبوه صحابي أيضا استشهد بأحد، وهو صاحب السر في أسماء المنافقين، وندبه الرسول ليلة الأحزاب ليجس له خبر العدو، وعلى يده فُتح الدينور عنوة، ومناقبه تطول، ومات بعد قتل عثمان بأربعين يوما سنة (٣٦هـ). ينظر: معجم الصحابة (١/ ١٩١)، معرفة الصحابة (٢/ ٦٨٦)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٦١)، الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٢٣).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٨٦/٣).

وقد ذكر اليافعي[1] في ترجمته له أنَّه تفقَّه على أبيه[2].

وذكر البيضاوي في مقدمة كتابه الغاية القصوى في دراية الفتوى إجازته العلمية وسند أخذه العلم من والده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

٢- الشيخ محمد الكَحْتَائي: وهو الشيخ محمد بن محمد الكحتائي الصوفي، من شيوخ البيضاوي الذين صحبهم واقتدى بهم في الزهد والعبادة، فقد كان يقتدي به ويستجيب لإرشاده وتوجيهه، فقد لزمه البيضاوي واقتدى بسلوكه في الزهد والعبادة إلى أن مات، فقد ذكر السبكي أنَّ البيضاوي عندما صرف عن قضاء شيراز دخل تبريز ومكث بها، فاستشفع من الشيخ محمد بن محمد الكحتائي للأمير في طلب القضاء، فلما أتاه على عادته قال: إنِّ هذا الرجل عالم فاضل يريد الاشتراك مع الأمير في السعير، يعني أنه يطلب منكم مقدار سجادة في النار، وهي مجلس الحكم، فتأثر البيضاوي من كلامه وترك المناصب الدنيوية ولازم الشيخ إلى أن مات وصنَّف التفسير بإشارة شيخه، ولما مات دفن عند قبره؛ وهذا يدل على أنه صحب هذا الشيخ في أواخر عمره - رحمه الله [4].

٣- عمر البوشكاني: هو شرف الدين عمر الزكي البوشكاني، قال صاحب شد الإزار: "هو مولانا شرف الدين عمر الزكي البوشكاني. أستاذ العلماء ومرجع الفضلاء، وملجأ الأكابر في عهده، وجامع أقسام العلوم من المنقول والمعقول، لم يترك فنا إلا درسه، وعلمًا إلا مارسه، وكان مع ذلك أحد العباد، يصلي كل يوم وليلة صلوات كثيرة، ويجتهد في أمر وضوئه وطهارته اجتهادا بليغا، لم يخط قط خطوة إلا في رضي الله تعالى، ولم يتكلم بكلمةِ هَجْرٍ مدة عمره، وكانت له سدة يجلس عليها متى درس، تعظيمًا للعلم ومكانته، وكان أكابر العلماء يتتلمذون عليه، والقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي قد تأدب به وتخرج لديه.

---

(١) عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي المؤرِّخ، له مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان وصنّف فِي التصوف وَفِي أصُول الدِّين وَكَانَ يتعصب للأشعري وَله كَلَام في ذم ابْن تَيْمِية، وَهُوَ من جملَة المعظمين لِابْنِ عَرَبِيّ وَله فِي ذَلِك مُبَالغَة، توفي بمكة سنة ٧٦٨هـ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٠/ ٣٣)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٣/ ١٨)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (١/ ٣٧٨).

(٢) مرآة الجنان (٤/ ٢٢٠).

(٣) الغاية القصوى في دراية الفتوى (ص: ١٥).

(٤) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ١٥٨)، روضات الجنات (٥/ ١٣٤).

توفي سنة (٦٨٠هـ)، ودفن بالضفة الجنوبية من تلك المدرسة"[١].

٤- نصير الدين الطوسي: ذكر الخوانساري في روضات الجنات[٢] أنه من شيوخ البيضاوي الذين تتلمذ عليهم هو محمد بن عبد الله الطوسي كان يقال له المولى نصير الدين، ويقال الخواجا نصير الدين، اشتغل في شبيبته وحصل علم الأوائل تحصيلا جيدا، وصنَّف في ذلك في علم الكلام، وشرح الإشارات لابن سينا.

ولم يذكر أحد من المترجمين له أنه رحل إلى شيراز، والتقى بالبيضاوي كما أن البيضاوي لم يخرج من بلده شيراز، ولم يذكر هذه الصحبة غير الخوانساري.

هؤلاء الشيوخ من جملة من تتلمذ عليه البيضاوي، ليسوا كلهم، ويبدو أنَّ شهرة البيضاوي غطت على كثير من أسماء شيوخه، فشاع في التاريخ ذكره دون ذكرهم.

- **ثانيًا: تلاميذه:**

تلقى العلم على البيضاوي عدد كبير من التلاميذ، إذ كانت له الدروس وحلقات العلم، ولكن التاريخ لم يسجل أسماء إلا القليل منهم، والسبب في ذلك يرجع إلى قولنا بأن شهرة البيضاوي العلمية شغلت المؤرخين من النظر إلى تلاميذ البيضاوي وشيوخه، إلا قليلا ممن اشتهر منهم، وممن اشتهر من هؤلاء التلاميذ:

١- جمال الدين الكسائي: هو جمال الدين محمد بن أبي بكر بن محمد المقرئ قال أبو القاسم جنيد الشيرازي صاحب كتاب شدّ الإزار، كان من علماء المشايخ بشيراز تتلمذ على القاضي إمام الدين البيضاويَ درَّس الكتب، وله تصانيف فائقة منها: كتاب نور الهدى في شرح مصابيح الدُّجى، وكتاب النجَّم في الأصول، وسير القرائح في الأحاجي وغيرها، كان يعظ الناس ويدعوهم إلى الله تعالى[٣].

٢- رَزِين الدين الخنجي: هو القاضي رزين الدين علي بن روز بها بن محمد الخنجي، قدوة أرباب العلم والتقوى وأسوة أصحاب الدرس والفتوى، قد جمع بين المشروع والمعقول،

---

(١) شد الإزار وحط الأوزار (ص: ٢٩٩).

(٢) روضات الجنات (٥/١٣٤).

(٣) ينظر: شد الإزار وحط الأوزار (ص: ١١٧)، البيضاوي ومنهجه في التفسير (ص: ٢١).

وصنف في الفروع والأصول، ومن مصنفاته " المعتبر في شرح المختصر لابن الحاجب"، وكتاب " النهاية في شرح الغاية للبيضاوي "، وكتاب " الشكوك على الكافية "، وكتاب "القواعد في النحو "، توفي في صفر سنة سبع وسبعمائة ودفن بقبته العالية[١].

٣- فخر الدين الجاربردي: هو الإمام أحمد بن الحسن فخر الدين الجاربردي، قال السبكي[٢]: "كان فاضلا دينا متفننا مواظبا على الشغل بالعلم وإفادة الطلبة. شرح منهاج البيضاوي في أصول الفقه، وتصريف ابن الحاجب، وقطعة من "الحاوي"، وله على "الكشاف" حواشي مشهورة، وقد قرأه مرات عديدة، بلغنا أنه اجتمع بالقاضي ناصر الدين البيضاوي وأخذ عنه، توفي بتبريز في شهر رمضان سنة ست وأربعين وسبعمائة"[٣].

٥- كمال الدين المراغي: هو عمر بن إلياس بن يونس المراغي أبو القاسم الصوفي كمال الدينُ ولِد بأذربيجان[٤] سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وقدم دمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة وهو ابن نيف وثمانين سنة، وذكر ابن حجر عن شيخه البدر النابلسي أن المراغي سمع على القاضي ناصر الدين البيضاوي المنهاج والغاية القصوى والطوالع.

(١) شد الإزار وحط الأوزار (ص: ٢٢٩).
(٢) طبقات الشافعية الكبرى (١٦٩/٣).
(٣) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (٣٧٩/١٠)، الأعلام للزركلي (١١١/١)
(٤) ينظر: الأعلام (٨١/٧)، الدرر الكامنة (١٨٤/٤).

المطلب الرابع

آثاره العلمية، وأقوال العلماء فيه وثناؤهم عليه

- **أولًا: آثاره العلمية:**

ترك البيضاوي آثارا كثيرة ومؤلفات وفيرة في مختلف المجالات قال عنه الإسنوي[1] شارح المنهاج: "كان عالما بعلوم كثيرة صالحا خيرا، صنّف التصانيف المشهورة في أنواع العلوم. منها "مختصر الكشاف"، و"مختصر الوسيط" في الفقه المسمى بـ "الغاية" و "المنهاج" في أصول الفقه"[2].

وسوف نذكر هذه المؤلفات حسب موضوعاتها:

أولا: في أصول الدين:

صنّف البيضاوي في هذا المجال أربعة كتب ذكرها من ترجم له.

١- طوالع الأنوار من مطالع الأنظار[3]، وهو كتاب في المنطق، قال عنه السبكي في الطبقات الكبرى: " أنه أجل مختصر في علم الكلام "[4]، واعتنى به العلماء كثيرًا وشرحوه ومن هذه الشروح: شرح العُبري الفرغاني المتوفى (ت ٧٤٣هـ)[5]، وغيرها من الشروح[6].

---

(١) عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر القرشي الأموي المصري الإسنوي، جمال الدين أبو محمد الفقيه الأصولي الشافعي، من علماء العربية ولد في رجب سنة (٧٠٤ هـ)، له نهاية السول شرح منهاج الأصول، والتمهيد في تخريج الأصول على الفروع، وغيرها، تُوفِّي سنة (٧٧٢هـ). ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١٣٢/٣)، وشذرات الذهب (٤٢٢/٦)، والدرر الكامنة (٣/ ١٤٧)، والبدر الطالع (٣٥٢/١).

(٢) ينظر: نواهد الأبكار وشوارد الأفكار (٢١/١)

(٣) ينظر: كشف الظنون (١٧٠٥/٢). والكتاب مطبوع ومتداول.

(٤) (٥٩/٢).

(٥) عبد الله أو عبيد الله بن محمد الفرغاني الهاشمي الحسيني الملقب بالعبري، له شرح مصنفات القاضي البيضاوي، عالم بالحكمة وفقه الشافعية كان قاضي تبريز وكان يقرئ أهل المذهبين (الحنفية والشافعية) وينعت بالشريف المرتضى، كثير التواضع ملاذا للضعفاء توفي سنة (٧٤٣هـ). ينظر: إيضاح المكنون (١/ ٨)، طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٤-١٥٣) الأعلام للزركلي (١٢٦/٤).

(٦) ينظر: كشف الظنون (١١١٦/٢)، ومقدمة الطوالع (ص: ٢٢).

٢- الإيضاح[١].

٣- مصباح الأرواح[٢].

٤- منتهى المنى في شرح أسماء الله الحسنى، ذكره البيضاوي في تفسيره في آخر سورة الحشر[٣].

ثانيًا: في أصول الفقه:

صنّف البيضاوي العديد من الكتب في أصول الفقه، ومن تلك الكتب:

١- منهاج الوصول إلى علم الأصول، وهذا الكتاب انتشر انتشارًا واسعًا واهتم به العلماء ودرسوه وقاموا بشرحه والتعليق عليه. حتى بلغت شروحه أكثر من (٣٤) شرحًا غير الحواشي والتعليقات[٤]، ومنها نهاية السول شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للإسنوي.

٢- شرح المنهاج، جعل كتابه هذا شرحًا لمنهاج الوصول إلى علم الأصول[٥].

٣- شرح المحصول في أصول الفقه للإمام فخر الدين الرازي[٦].

٤- شرح منتخب المحصول في الأصول للرازي[٧].

٥- مرصاد الأفهام إلى مبادئ الأحكام، وهو شرح لمختصر ابن الحاجب[٨].

---

(١) ينظر: الوافي بالوفيات (٢٠٦/١٧)، بغية الوعاة (٥٠/٢)، طبقات المفسرين (٢٤٢/١)، البيضاوي ومنهجه في التفسير (ص ٣٨).

(٢) شرحه القاضي عبيد الله بن محمد الفرغاني التبريزي المعروف بالعبري توفي سنة (٧٤٢هـ)، وعليه شرح آخر بقال أقول، المسمى بالإيضاح. ينظر: كشف الظنون (٢/ ١٧٠٤).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٠٦١/٢)، البيضاوي وآراؤه العقدية (ص ٣٥).

(٤) ينظر: كشف الظنون (١٨٧٩/٢)، والقاضي ناصر الدين وأثره في أصول الفقه (ص ٣٣٣)، البيضاوي وآراؤه الاعتقادية (ص ٣٥).

(٥) ينظر: الوافي بالوفيات (٢٠٦/١٧)، طبقات المفسرين (٢٤٢/١).

(٦) ينظر: البداية والنهاية (٣٦٣/١٣).

(٧) ينظر: بغية الوعاة (٥٠/٢).

(٨) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٤٠/١).

ثالثًا: مؤلفاته في الفقه:

١- الغاية القصوى في دراية الفتوى: اختصر فيه كتاب الوسيط في فقه الإمام الشافعي لحجة الإسلام الغزالي المتوفى سنة خمس وخمسمائة في مجلد واحد[١].

٢- شرح التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي[٢].

رابعًا: مؤلفاته في العربية:

ألَّف البيضاوي في اللغة العربية كتابين، وهما:

١- لب الألباب في علم الإعراب، وهو مختصر الكافية في النحو لابن الحاجب المالكي[٣].

٢- شرح الكافية في النحو لابن الحاجب المالكي[٤].

خامسًا: مؤلفاته في التفسير:

كتاب (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) الذي ذاع ذكره في سائر الأقطار، وسار مسير الشمس في رابعة النهار، وتلقاه العلماء شرقا وغربا بالقبول، ووشحوه بالشروح والحواشي الضافية الذيول، وهو أجل مؤلفاته. وقد لخص تفسيره هذا من ثلاثة كتب: الكشاف للزمخشري، ومن مفاتيح الغيب للرازي،

---

(١) وقد شرحه رزين الدين علي بن روز بها بن محمد الخنجي وسماه (النهاية في شرح الغاية). ونظمه الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن الظهيري الشافعي، سماه (الكفاية). ينظر: كشف الظنون (١١٩٣/٢)، الوافي بالوفيات (٢٠٦/١٧)، طبقات الشافعية الكبرى (١٥٧/٨).

(٢) إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق الشيرازي الفيروزآبادي ولد بفيروزآباد بلُيدة بفارس سنة (٣٩٣هـ) له التنبيه والمهذبات في الفقه والنكت في الخلاف واللمع وشرحه والتبصرة في أصول الفقه والملخص والمعونة في الجدل وطبقات الفقهاء ونصح أهل العلم، وغيرها، توفي سنة (٤٧٦ هـ). ينظر: تاريخ بغداد (٢١/ ٣٢)، طبقات الشافعية الكبرى (٨٨/٣)، تاريخ الإسلام (١٠/ ٣٨٣)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٥٢)، الوافي بالوفيات (٦/ ٤٢)، شذرات الذهب (٤/٤٥).

(٣) ينظر: الأعلام (١١٠/٤).

(٤) كشف الظنون (١٣٧٣/٢).

ومن تفسير الراغب الأصفهاني المسمى بجامع التفاسير[1][2].

سادسًا: مؤلفاته في الحديث:

كتاب تحفة الأبرار شرح كتاب مصابيح السنة للإمام البغوي[3].

سابعًا: مؤلفاته في التاريخ:

- نظام التواريخ، كتبه باللغة الفارسية، ذكر فيه تاريخا للعالم من عهد آدم حتى وقته سنة (٦٧٤هـ)[4].

ثامنًا: مؤلفاته في المنطق:

شرح كتاب مطالع الأنوار للأرموي[5] سماه: شرح المطالع[6].

تاسعًا: مؤلفاته في الهيئة والفلك:

ألّف البيضاوي في هذا الفن كتابين هما:

---

(١) الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الراغب الأصفهاني، له جامع التفسير ومحاضرات الأدباء والذريعة إلى مكارم الشريعة والأخلاق والمفردات في غريب القرآن وحل متشابهات القرآن عالم أديب سكن بغداد واشتهر، توفي سنة (٥٠٢ هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠)، بغية الوعاة (٢٩٧/٢)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص: ١٢٢)، الأعلام (٢٥٥/٢).

(٢) ينظر: عناية القاضي وكفاية الراضي (ص: ٤٣٠).

(٣) الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد البغويّ الفقيه الشافعي يعرف بابن الفرّاء، ويلقب محيي السنة، له معالم التنزيل في التفسير، وشرح السنة وغيرها، كان إماما في التفسير، إماما في الحديث، إماما في الفقه، جليلا ورعا زاهدا، تفقه على القاضي حسين، وهو أخص تلامذته، ومن تلامذته أبو منصور محمد بن أسعد العطّاريّ المعروف بحفدة، وجماعة، مات في شوال (٥١٦هـ) بمرو الرّوذ وقد جاوز البغوي الثمانين ولم يحج. ينظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٥٧)، طبقات الشافعية الكبرى (٧/ ٧٥)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ١٢)، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٦١) رقم: ١٥٤.

(٤) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية (٣٣/٩)، الأعلام (١١٠/٤).

(٥) محمود بن أبي بكر بن أحمد سراج الدين الأرموي أبو الثناء الشافعي ولد سنة (٥٩٤هـ)، له التحصيل مختصر المحصول في أصول الفقه واللباب ومختصر الأربعين في أصول الدين، والبيان والمطالع في المنطق، عالم بالأصول والمنطق، من الشافعية. أصله من (أرمية) من بلاد أذربيجان قرأ بالموصل وسكن بدمشق، توفي سنة (٦٨٢هـ) بمدينة قونية (القيروان) الآن. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (٥٥/٥)، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (٢/ ٢٧٦)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٦/ ١٠٢).

(٦) ينظر: طبقات المفسرين (٢٤٢/١)، بغية الوعاة (٥٠/٢).

١- شرح الفصول لنصير الدين الطوسي[١].

٢- مختصر في الهيئة[٢].

عاشرًا: مؤلفاته في العلوم والفنون العامة:

صنف البيضاوي كتاب أو رسالة في العلوم العامة سماها: موضوعات العلوم وتعريفها[٣].

حادي عشر: مؤلفاته في التصوف:

ألف فيه: التهذيب والأخلاق[٤].

ثاني عشر: المؤلفات المنسوبة إليه خطأ:

نُسِبَت إلى البيضاوي ثلاثة كتب ليست له؛ للاشتراك في النسبة بينه وبين مصنفيها:

١- الإرشاد في الفقه.

٢- التبصرة في الفقه.

٣- التذكرة في الفروع.

وهذه الكتب الثلاثة لأبي بكر البيضاوي[٥].

٤- تاريخ الصين المأخوذ من كتاب تاريخ العالم[٦].

---

(١) ينظر: روضات الجنات (١٣٦/٥)، هدية العارفين (٤٦٢/١).

(٢) ينظر: حاشية القونوي (٣/١).

(٣) الأعلام (١١٠/٤) وذكر أنه مخطوط.

(٤) ينظر: البيضاوي وآراؤه الاعتقادية (ص ٤٣)، البيضاوي ومنهجه في التفسير (ص ٣٩).

(٥) طبقات الشافعية الكبرى (٩٧/٤).

(٦) دائرة المعارف الإسلامية (٣٣/٩).

● **ثانيًا: أقوال العلماء فيه وثناؤهم عليه:**

لقد حظي الإمام البيضاوي على ثناء العلماء؛ لمكانته العلمية، وتفوقه على أقرانه، وقال عنه العلماء: إنه كان إماما مبرزا نظارا، خيرا، صالحا، متعبدا، فقيها، أصوليا، متكلما، مفسِّرًا، محدثا، أديبا، نحويا، مفتيا، قاضيا، عادلا[١].

– قال ابن قاضي شهبة[٢]: "صاحب المصنفات وعالم آذربيجان وشيخ تلك الناحية ولي قضاة شيراز"[٣].

– وقال القاضي تاج الدين السبكي: "كَانَ إِمَامًا مبرزا نظارا صَالحا متعبدا زاهدا ولي قَضَاء الْقُضَاة بشيراز وَدخل تبريز وناظر بهَا"[٤].

– وقال الخفاجي: "كان إمامًا في فقه الشافعيّ – رحمه الله تعالى – والتفسير والأصلين والعربية، والمنطق نظارا زاهدا متعبدا"[٥].– وقال الداودي[٦]: "كان إماما علامة، عارفا بالفقه بالفقه والتفسير والأصلين والعربية والمنطق، نظّارا صالحا متعبّدا زاهدا شافعيا"[٧].

– وقال الأدنه وي[٨]: "كَانَ إِمَامًا مبرزا نظارا صَالحا متعبدا زاهدا ولي قَضَاء الْقُضَاة بشيراز وَدخل تبريز وناظر بهَا"[٩].

---

(١) الفتح المبين قي طبقات الأصوليين (٨٨/١).

(٢) أبو بكر بن أحمد بن محمد، الشهبي الدمشقي المعروف بابن قاضي شهبة، صاحب طبقات الشافعية، الفقيه المؤرِّخ، توفي بدمشق سنة (٨٥١هـ). ينظر: الضوء اللامع (٢١/١١).

(٣) طبقات الشافعية . لابن قاضى شهبة (١٧٢/٢)

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (١٥٧/٨).

(٥) عناية القاضي وكفاية الراضي (٢/١).

(٦) محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداوودي المالكي المصري، من تلاميذ جلال الدين السيوطي له طبقات المفسرين المفسرين وذيل طبقات الشافعية للسبكي، وترجمة الحافظ السيوطي، شيخ أهل الحديث في عصره توفي بالقاهرة سنة (٩٤٥ هـ). ينظر: شذرات الذهب (٨/ ٢٦٤)، الأعلام للزركلي (٢٩١/٦)، معجم المؤلفين (١٠/ ٣٠٤).

(٧) طبقات المفسرين للداوودي (٢٤٨/١).

(٨) هو: أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر. له كتاب (طبقات المفسرين) طبع بتحقيق: سليمان بن بن صالح الخزي، نشرته: مكتبة العلوم والحكم – السعودية، قال محقق كتابه (طبقات المفسرين)، في مقدمة التحقيق (٦ /د): لم أجد ترجمته.

(٩) طبقات المفسرين للأدنه وي (٢٥٤/١).

- وقال شيخ زاده[1]: "الإمام علم الهدى، علامة الورى، الذي أطبق علماء الأمة على علو شأنه، ورفعة منزلته ومقداره..."[2].

- وقال السيوطي: كان إماما علّامة، عارفا بالفقه والأصلين والعربية والمنطق، نظّارا صالحا، متعبّدا، شافعيّا"[3].

(١) محمد محيي الدين بن مصطفى مصلح الدين القوجوي شَيْخ زَادَهْ، له حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي، قال الحاج خليفة: وهي أعظم الحواشي فائدة وأكثرها نفعا وأسهلها عبارة، وشرح الوقاية في الفقه وغيرها، مفسر من فقهاء الحنفية كان مدرسا في إستانبول توفي سنة (٩٥١ هـ). ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ٢٦٩)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥/ ٣١٦)، الأعلام للزركلي (٩٩/٧).

(٢) حاشية شيخ زاده على البيضاوي (٢/١).

(٣) بغية الوعاة (٥٣/٢).

المطلب الخامس: وفاته

توفي البيضاوي في تبريز ببلاد الفرس، ودفن في (خرانداب) بتبريز على شرقي تربة الخواجة ضياء الدين يحيى على ما ذكر الخوانساري[(١)]، ودفن عند قبر شيخه محمد الكحتائي[(٢)].

وأما تاريخ وفاته فقد اختلف فيه المؤرخون:

١- أن وفاته كانت سنة (٦٨٢ هـ)؛ ذكرها حاجي خليفة[(٣)(٤)].

٢- وأنها كانت سنة (٦٩١ هـ)؛ قاله السيوطي[(٥)].

٣- أنها كانت سنة (٦٩٢ هـ)؛ ذكره اليافعي[(٦)].

٤- أنها كانت سنة (٧١٩ هـ)؛ ذكرها شهاب الدين الخفاجي[(٧)] وقال بأن المؤرخين صرحوا بذلك وهو المعتمد.

٥- أن وفاته كانت سنة (٦٨٥ هـ)؛ ذكره ابن كثير في البداية والنهاية[(٨)]، والصفدي[(٩)] في في الوافي بالوفيات[(١٠)]، وهي أرجح الروايات ومشى عليها أكثر المؤرخين وأصحاب التراجم.

---

(١) روضات الجنات (١٣٤/٥).

(٢) كشف الظنون (١٧٨/١).

(٣) مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي، المعروف بالحاج خليفة، ولد سنة (١٠١٧هـ)، ومن تصانيفه: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وهو مؤرخ بحاثة، تركي الأصل، وصحب والي حلب (محمد باشا) إلى مكة، فحج، وزار خزائن الكتب الكبرى، وعاد إلى الآستانة، وانقطع في السنوات الأخيرة من حياته إلى تدريس العلوم. وتوفي سنة (١٠٦٧هـ). ينظر: الأعلام للزركلي (٧/ ٢٣٦).

(٤) كشف الظنون (١٨٦/١).

(٥) بغية الوعاة (٥٠/٢).

(٦) مرآة الجنان (١٦٥/٤).

(٧) عناية القاضي وكفاية الراضي (٣/١).

(٨) البداية والنهاية (٣٦٣/١٣).

(٩) خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي صلاح الدِّين ولد في صفد (بفلسطين) سنة (٦٩٦هـ) له مصنفات كثيرة أشهرها الوافي بالوفيات. تعلم في دمشق فعانى صناعة الرسم فمهر بها، ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، تُوفي بدمشق سنة (٧٦٤هـ). ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (١٠/ ٥)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (١/ ٢٤٣)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٢/ ٢٠٧)، الدرر الكامنة (٢٠٧/٢).

(١٠) الوافي بالوفيات (٢٠٦/١٧).

ولتباين هذه الأقوال في تاريخ وفاته حيث لا يمكن الترجيح فالمعول عليه هو الأخذ بقول جمهور المؤرخين أنه توفي عام (٦٨٥هـ)، والله أعلم بالصَّواب.

المبحث الثاني

نبذة عن كتاب (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: مكانته، وأهميته.

المطلب الثاني: منهجه بإيجاز.

المطلب الثالث: مصادره.

المطلب الرابع: أهم مميزاته والمآخذ عليه.

المطلب الخامس: عناية العلماء به.

المطلب الأول

مكانته وأهميته

إن كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل للعلامة البيضاوي من أمهات كتب التفسير، التي لا يستغني عنها من يريد أن يفهم كلام الله تعالى، ويقف على أسراره ومعانيه.

ويعتبر من أشهر كتب التفسير بالرأي[1]، والكتاب خلاصة عمر عالم، وزبدة خبرته، فقد ألفه في آخر عمره، ويدل على ذلك أن البيضاوي قد ذكر كثيرا من كتبه في تفسيره وأحال عليها، وكذلك أنه ألّف تفسيره هذا بإشارة من شيخه محمد الكحتائي الذي لازمه في آخر عمره إلى أن توفي بمدينة تبريز[2].

وهو تفسير متوسط الحجم، جمع فيه صاحبه بين التفسير والتأويل، على مقتضى قواعد اللغة العربية، وقرر فيه الأدلة على أصول أهل السنة[3].

- يقول البيضاوي عن كتابه: "وقد اتفق إتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنطوي على فوائد ذوي الألباب، المشتمل على خلاصة أقوال أكابر الأئمة، وصفوة آراء أعلام الأمة، في تفسير القرآن وتحقيق معانيه، والكشف عن عويصات ألفاظه ومعجزات مبانيه، مع الإيجاز الخالي عن الإخلال، والتلخيص العاري عن الإضلال، المرسوم «بأنوار التنزيل وأسرار التأويل..."[4].

- وقال السيوطي في حاشيته على تفسير البيضاوي: "للقاضي ناصر الدين البيضاوي لخص هذا الكتاب فأجاد، وأتى بكل مستجاد... وحرر مهمات، واستدرك تتمات: فظهر كأنه سبيكة نضار، واشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار، وعكف عليه العاكفون، ولهج بذكر محاسنه الواصفون، وذاق طعم دقائقه العارفون، فأكب عليه العلماء تدريسا ومطالعة،

---

(١) كما قال ذلك العلامة الزرقاني. ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/٥٦).

ومعنى التفسير بالرأي أي تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر. ينظر: التفسير والمفسرون (١/٢٥٥).

(٢) كشف الظنون (١/١٨٦).

(٣) ينظر: التفسير والمفسرون للذهبي (١/٢١١).

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/١٤).

وبادروا إلى تلقيه بالقبول رغبة فيه ومسارعة"[1].

وقال حاجي خليفة: "وتفسيره هذا كتاب عظيم الشأن، غني عن البيان... وضم إليه ما ورى زناد فكره من الوجوه المعقولة، فجلا رين الشك عن السريرة، وزاد في العلم بسطة وبصيرة... فحل ما أشكل على الأنام، وذلل لهم صعاب المرام، وأورد في المباحث الدقيقة ما يؤمن به عن الشبه المضلة، وأوضح لهم مناهج الأدلة... ثم إن هذا الكتاب رزق من الله – سبحانه وتعالى– بحسن القبول عند جمهور الأفاضل والفحول، فعكفوا عليه بالدرس والتحشية، فمنهم من علق تعليقه على سورة منه، ومنهم من حشى تحشية تامة، ومنهم من كتب على بعض مواضع منه"[2].

ويقول عنه بروكلمان في (دائرة المعارف الإسلامية): "ويعتبر أهل السنة تفسير البيضاوي أحسن التفاسير جميعًا وله في أنفسهم مكانة عظيمة"[3].

(١) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار (١/١٣).

(٢) كشف الظنون (١/١٨٦).

(٣) دائرة المعارف الإسلامية (٤/١٨-١٩).

المطلب الثاني

منهجه بإيجاز

لقد ذكر البيضاوي بعضًا من منهجه في مقدمه تفسيره: " ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة مما بلغني من عظماء الصحابة، وعلماء التابعين، ومن دونهم من السلف الصالحين، وينطوي على نكت بارعة، ولطائف رائعة، استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين، وأماثل المحققين، ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزوّة إلى الأئمة الثمانية المشهورين، والشواذ المروية عن القراء المعتبرين.

إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام، والتلخيص العاري عن الإضلال حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته، والإتيان بما قصدته، ناويا أن أسميه بعد أن أتممه «بأنوار التنزيل وأسرار التأويل"[1].

ويمكن أن يُجمل منهجه في التفسير فيما يلي:

١- يعرض البيضاوي للآيات ويفسرها نحويا بدون توسع واستفاضة، ثم يذكر الأقوال والمذاهب فيها، ويرد على من خالفه، وكل ذلك دون توسع إلاّ في بعض المواضع التي تحتاج لذلك.

٢- والذي ذكره من وجوه التفسير ثانيا أو ثالثا أو رابعا بلفظ قيل فهو ضعيف، ضعف المرجوح أو ضعف المردود[2].

٣- ويهتم أحيانا بذكر القراءات، ولكنه لا يلتزم المتواتر منها، فيذكر الشاذ.

٤- ومن منهجه إذا مر بآية فيها أمر عقدي فإنه يذكر أقوال الفرق فيها، ويقرر مذهب أهل السنة.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/١٤).

(٢) ينظر: كشف الظنون (١/١٨٦).

٥- عند ذكره لآيات الأحكام فإنه يعتمد على المذهبين الشافعي والحنفي، ولا يذكر سواهما إلا قليلا فيها[١]، ويرجح المذهب الشافعي.

٦- إذا عرض للآيات الكونية، فإنه لا يتركها بدون أن يخوض في مباحث الكون والطبيعة.

٧- المؤلف مقل جدا من ذكر الروايات الإسرائيلية، وإن ذكرها فإنه يذكرها بصيغة التضعيف[٢].

٨- تسامحَ البيضاوي في الأحاديث التي أوردها في أواخر السور[٣].

٩- ومن منهج المؤلف أنه يفسر القرآن بالقرآن، وله طرق مختلفة في ذلك:

فمرة يفسر الآية ويبين المراد منها ويؤيد تفسيره بآية من القرآن الكريم. ومرة يفسر الآية بذكر آية تماثلها في المعنى من غير ذكر تفسير من عنده. ومرة إذا كانت الآية فيها حكم فقهي، فيتخذه فيه مذهبا، ويأتي بآية أخرى دليلا على ما ذهب إليه من الحكم الفقهي، بمعنى: أنه إذا ذكر المعنى مجملا في آيات من القرآن الكريم، ذكر الآيات التي ورد فيها مفصلا.

١٠- وأنه يفسر القرآن بالسنة صحيحها وحسنها وضعيفها، وله طرق في ذلك:

فيورد الحديث لبيان ما تدل عليه الآية. أو يورد الحديث لتسهيل فهم الآية وتوضيح معناها، أو يورد الحديث ليعضد به حجته ويؤيد ما ذهب إليه من قوله، وقد يأتي بالحديث لبيان مالا يعلم إلا من النقل، وليس للعقل ولا للرأي فيه مجال، كأخبار الأمم السابقة، أو أخبار عن مشاهد القيامة، ومنها أنه يذكر الحديث لبيان سبب نزول الآية، أو يذكر الحديث للدلالة على فضل السورة، ولا يتحرج في ذلك في ذكر الضعيف والموضوع.

---

(١) ولعل ذلك يرجع إلى أنهما المذهبان السائدان في تلك المناطق من بلاد فارس وخراسان. ينظر: البيضاوي ومنهجه في التفسير (ص: ٧٥).

(٢) ينظر: البيضاوي وآراؤه الاعتقادية (ص ٦٠ – ٦٤).

(٣) مقدمة تفسير البيضاوي للمرعشي (ص ١٤).

١١- أنه يفسر القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، وقد نص ذلك في مقدمته، فهو عندما يفسر الآية ويبين رأيه فيها، يدعم ما قاله بقول بعض الصحابة أو التابعين؛ توضيحا أو تعضيدا، فهو مرة يفصح عن ذكر أسمائهم، ومرة يذكر أقوالهم من غير ذكر أسماء، ومرة يتبنى أقوالهم.

المطلب الثالث

مصادره

تعددت مصادر البيضاوي في تفسيره، ويمكن أن تُجمل كما يلي:

١- القرآن الكريم.

٢- والسنة النبوية.

٣- ثم أقوال الصحابة والتابعين، وقد نص على ذلك المؤلف في مقدمته: "يحتوي على صفوة مما بلغني من عظماء الصحابة، وعلماء التابعين، ومن دونهم من السلف الصالحين"[(١)].

مثاله:

في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾[سورة الروم:١٧] قال البيضاوي: "عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن الآية جامعة للصلوات الخمس، تمسون صلاة المغرب والعشاء، وتصبحون صلاة الفجر، وعشيا صلاة العصر، وتظهرون صلاة الظهر"[(٢)].

٤- كتب التفسير. وقد أوضحت مصادر ترجمة البيضاوي أن المؤلف لخص تفسيره من ثلاثة كتب:

أ- من تفسير الزمخشري، المسمى: (الكشاف على حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، لخص منه ما يتعلق بالإعراب والتراكيب اللغوية والألفاظ والمعاني، وترك ما في الكشاف من الاعتزالات، وأحيانا يذهب إلى ما ذهب إليه صاحب الكشاف.

ب- التفسير الكبير المسمى: (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي، لخص منه ما يتعلق بالحكمة والفلسفة وأصول الدين والفقه[(٣)].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٣/١).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٠٤/٤).

(٣) مقدمة تحقيق: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٥).

ج- تفسير الراغب الأصفهاني، المسمى: (جامع التفسير)، لخص منه ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات[1].

٥- كتب الفقهاء. سبق القول أن البيضاوي يعتمد في نقله الأحكام على فقه الشافعية والحنفية، ولا يذكر سواهما إلا قليلا، ومن الكتب التي اعتمد عليها في الأحكام:

أ- بدائع الصنائع[2] للكاساني[3]، من كتب الحنفية.

ب- المهذب للشيرازي، والوجيز لأبي حامد الغزالي، من كتب الشافعية.

ج- المدونة، من كتب المالكية.

د- المغني، من كتب الحنابلة[4].

٦- كتب الأصول. لا شك أن البيضاوي تأثر بأقوال الذين ناقشوا الآية مناقشة أصولية، وأهم كتاب اعتمد عليه في ذلك كتاب المحصول للرازي[5].

٧- كتب اللغة. تأثر البيضاوي بأهل اللغة ونقل عنهم ويبدو ذلك واضحًا في تفسيره، فنقل عن الخليل، وسيبويه[6]، وثعلب[7]،

---

(١) ينظر: التفسير والمفسرون (٢١١/١)، كشف الظنون (١٨٦/١).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥٧/٤)، وفي: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢٥٨/٧).

(٣) أبو بكر بن مسعود بن أحمد علاء الدِّين الكاساني الحلبي الحنفي، له بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع والسلطان المبين في أصول الدين تفقه على علاء الدين، محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي. وتزوج ابنته وكان له وجاهة، وخدمة، وشجاعة، وكرم، توفي بحلب سنة (٥٨٧هـ). ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٢/٢، ٤٤)، تاج التراجم لابن قطلوبغا (ص: ٣٢٨)، بغية الطلب فى تاريخ حلب (١٠/ ٤٣٤٧).

(٤) ينظر: البيضاوي ومنهجه في التفسير (ص: ٧٥ – ٧٦).

(٥) ينظر: البيضاوي ومنهجه في التفسير (ص: ٧٨ – ٧٩).

(٦) عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب أبو بشر الفارسي، الملقب سيبويه وسيبويه بالفارسية معناها رائحة التفاح ولد سنة (١٤٨هـ) له مصنفات أشهرها الكتاب، إمام النحو، أخذ النحو عن الخليل ولازمه، وكان أفهم الناس في النحو، وأول مَن بسطَ علم النحو، تُوفِّي بالأهواز سنة (١٨٠هـ). ينظر: وفيات الأعيان (٣/ ٤٦٣)، معجم الأدباء (٥/ ٢١٢٢)، البلغة لابن الزبيدي (١/ ١٦٣)، تاريخ بغداد للخطيب (١٢/ ١٩٥).

(٧) أحمد بن يحيى بن يسار أبو العباس، المعروف بـ (ثعلب)، ولد سنة (٢٠٠هـ) إمام الكوفيين في النحو واللغة، له الفصيح، ومجالس ثعلب، وغيرها، كان راوية للشعر، محدثا، مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة. وأصيب في أواخر أيامه بصمم فصدمته فرس فسقط في هوة، توفي ببغداد سنة (٢٩١هـ). ينظر: تاريخ بغداد (٦/ ٤٤٨)، تاريخ الإسلام (٦/ ٩٠١)، بغية الوعاة (١/ ٣٩٦)، تاريخ العلماء النحويين للتنوخي (ص: ١٨١).

والزجاج، والمبرد[1]، والأزهري[2]، وغيرهم[3].

(١) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العبَّاس الثمالي الأزدي المعروف بالمبرد، ولد سنة (٢١٠ هـ) إمام العربية ببغداد في زمنه، له كتاب المقتضب، من شيوخه أبو عثمان المازني، وَأبو حاتم السجستاني وعمارة بن عقيل وغيرهم، ومن تلامذته الصولي ونفطويه والخرائطي وأبو عمر غلام ثعلب وأبو سهل بن زياد وإسماعيل الصفار وغيرهم، كان فصيحا بليغا مفوها ثقة أخباريّا علامة توفي سنة (٢٨٦هـ). ينظر: تاريخ بغداد (٦٠٣/٤)، وإنباه الرواة (٢٤١/٣)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (١/ ٢١٦)، البداية والنهاية (١١/ ٧٩).

(٢) محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري أبو منصور الهروي، ولد سنة (٣٠٢هـ) أحد أئمَّة اللُّغة والأدب الكِبار، له تهذيب اللغة وهو أكبر كتاب صنف في اللغة وأحسنه وكتابا في تفسير ألفاظ المزني وهو إمام عالم باللّغة والعربية قيّم بالفقه والرّواية، تُوفِّي بخراسان سنة (٣٧٠هـ). ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء (٢٣٧)، معجم الأدباء (٥/ ٢٣٢١)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (٤/ ١٧٧)، وَفَيَات الأعيان (٣/ ٣٣٤)، طبقات الشافعية الكبرى (٦٣/٣).

(٣) ينظر: البيضاوي ومنهجه في التفسير (ص: ٧٥ – ٧٩).

المطلب الرابع

أهم مميزاته والمآخذ عليه

لتفسير البيضاوي مميزات كثيرة، جعلته في مقدمة التفاسير، من أهمها:

١- أن البيضاوي لم يقدم على هذا التفسير إلاّ بعد أن تبحر في كل الفنون، برع في العلوم الدينية أصولها وفروعها، والعربية معانيها وبيانها؛ فالكتاب خلاصة علمه وعمره.

٢- جمعه لأصول الفنون في هذا التفسير: كالفقه وأصوله، والعقائد واتجاهاتها، واللغة وفروعها، والتفسير والمنطق، وعلم الكلام والتاريخ وغيرها.

٣- نصرته للسنة ورده على الفرق الضالة، وأصحاب البدع. فقد رد على المعتزلة في كثير من تأويلاتهم وضلالاتهم[١]، كما رد على الشيعة في قولهم بولاية علي رضي الله عنه[٢]، وغير ذلك، ودحض كل ذلك بالأدلة النقلية والعقلية.

٤- امتاز تفسير البيضاوي بالدقة والاختصار، فعباراته موجزة للغاية، جامعة لكثير من الحقائق والفوائد العلمية[٣].

المآخذ عليه:

يمكن إجمال المآخذ على تفسير القاضي البيضاوي من خلال النقاط التالية:

(١) أنه اختصر غالب مادة تفسيره من تفسير الزمخشري، وكان أحيانا يوافق بعض آراء الزمخشري الاعتقادية[٤]، ومن أمثلته: تفسير مس الجن للإنسان بالوسوسة والإغراء، وذلك عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[سورة البقرة: ٢٧٥]، حيث قال: "إلا قياماً كقيام المصروع، وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع، والخبط

---

(١) مثال: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾ [البقرة: ٢٦]. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٦٤/١).

(٢) مثال في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٣١/٤).

(٣) مقدمة تحقيق: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٥).

(٤) التفسير والمفسرون (١/ ٢١١)، القاضي البيضاوي للزحيلي (١٣١).

ضرب على غير اتساق كخبط العشواء. ﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ أي الجنون، وهذا أيضاً من زعماتهم أن الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل: جَنَّ الرجلُ"[1]. وهو في ذلك موافق لتفسير الزمخشري تماما[2]، حيث قال الزمخشري: "تخبط الشيطان من زعمات العرب، يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع. والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء، فورد على ما كانوا يعتقدون. والمس: الجنون[3]".

(٢) أنه يذكر بعض الأحاديث الموضوعة في فضائل بعض السور[4]، ومن أمثلته: ما أورده في نهاية تفسير سورة (يس)، حيث قال: "وعنه عليه الصلاة والسلام: ((**إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن (يس)، وأيما مسلم قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة، وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة (يس) نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً يصلون عليه ويستغفرون له، ويشهدون غسله ويشيعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه، وأيما مسلم قرأ (يس) وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة، فيشربها وهو على فراشه، فيقبض روحه وهو ريان، ويمكث في قبره وهو ريان، ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان**))"[5].

(١) تفسير البيضاوي (١/ ١٦٢).
(٢) ينظر: القاضي البيضاوي للزحيلي (١٣٧)
(٣) تفسير الزمخشري (١/ ٣٢٠).
(٤) التفسير والمفسرون (١/ ٢١١).
(٥) تفسير البيضاوي (٤/ ٢٧٥).

وهذا الحديث ضعيف عند أهل العلم من المحدثين[1].

(٣) أنه يتطرق في التفسير إلى الخوض في مباحث الكون والطبيعة[2]، ومن أمثلته: تفسير لقوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [سورة الصافات: ١٠] حيث قال: "والشهاب ما يرى كأن كوكباً انقض، وما قيل إنه بخار يصعد إلى الأثير فيشتعل فتخمين، إن صح لم يناف ذلك إذ ليس فيه ما يدل على أنه ينقض من الفلك"[3].

(١) ينظر: تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٧٠)، كشف الخفاء (١/ ٢٦٣)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/ ٣١٢).

(٢) التفسير والمفسرون (١/ ٢١٣).

(٣) تفسير البيضاوي (٥/ ٦). ومن أمثلته أيضا: (٣/ ٢٠٨، ٢٤٧).

المطلب الخامس

عناية العلماء به

نظرًا للقيمة العلمية لهذا الكتاب واشتهاره في الآفاق فقد اهتم به العلماء وتولوه بالشرح، ووضعوا عليه الحواشي والتعليقات الكثيرة، فمنهم من علق على سورة منه، ومنهم من حشي تحشية تامة، ومنهم من كتب على بعض مواضع منه، حتى فاقت على مائة كتاب، منها ما كتبت بالعربية ومنها ما كتبت بالفارسية، ومن أشهر هذه الحواشي[1]:

١-حاشية العالم الفاضل محيي الدين محمد بن الشيخ مصلح الدين مصطفى القوجوي (ت٩٥١هـ). وهي أعظم الحواشي فائدة وأكثرها نفعا وأسهلها عبارة.

٢-حاشية العالم مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم المشهور بابن التمجيد (ت نحو ٨٨٠ هـ).

٣-حاشية الفاضل القاضي زكريا بن محمد الأنصاري المصري (ت٩٢٦ هـ). وهي في مجلد سماها «فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل».

٤-حاشية الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ). وهي في مجلد أيضا سماه «نواهد الأبكار وشوارد الأفكار».

٥-حاشية الفاضل أبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني (ت٩٤٥هـ).

٦-حاشية شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني (ت٧٨٦هـ).

٧-حاشية العالم الفاضل محمد بن جمال الدين بن رمضان الشرواني (ت١٠٦٣ هـ).

٨-حاشية الشيخ الفاضل صبغة الله بن إبراهيم الحيدري شيخ مشايخ بغداد في عصره (ت١١٨٧هـ).

---

(١) ينظر: التفسير والمفسرون (٢١٥/١)، ومقدمة تفسير البيضاوي للمرعشي (ص ٦، ١٦-٢٠)، والبيضاوي ومنهجه في التفسير (ص ٣٣٥).

٩-حاشية صبغة الله بن روح الله بن جمال الله البروجي الحسيني النقشبندي الفقيه المتصوّف (ت١٠١٥هـ) وسمّاها «إراءة الدقائق».

١٠-حاشية الشيخ الفاضل جمال الدين إسحاق القراماني (ت ٩٣٣ هـ).

١١-حاشية العالم المشهور بروشني الآيديني.

١٢-حاشية الشيخ محمود بن الحسين الأفضلي الحاذقي الشهير بالصادقي الكيلاني (ت٩٧٠هـ). وهي من سورة الأعراف إلى آخر القرآن سماها «هداية الرواة إلى الفاروق المداوي للعجز عن تفسير البيضاوي» وفرغ من تحريرها سنة ثلاث وخمسين تسعمائة.

١٣-حاشية الشيخ بابا نعمة الله بن محمد النخجواني (ت٩٠٠هـ).

١٤-حاشية العالم مصطفى بن شعبان الشهير بالسروري (ت٩٦٩هـ).

١٥-حاشية المولى الشهير بمنا وعوض (ت٩٩٤هـ).

١٦-حاشية الشيخ أبي بكر بن أحمد بن الصائغ الحنبلي (ت٧١٤هـ). وسماه «الحسام الماضي في إيضاح غريب القاضي» شرح فيه غريبه، وضم إليه فوائد كثيرة.

وأما التعليقات والحواشي الغير التامة فكثيرة جدا، فمنها:

١٧-حاشية المولى المحقق محمد بن فرامرز الشهير بملا خسرو (ت٨٨٥هـ). وهي من أحسن التعليقات عليه بل أرجحها.

١٨-حاشية العالم الفاضل نور الدين حمزة بن محمود القراماني (ت٨٧١هـ). وهي على الزهراوين سماها «تقشير التفسير».

القسم الثاني

الدراسة التطبيقية

وتشمل تعقبات الإمام الألوسي التفسيرية على البيضاوي، في كامل القرآن،

وهي مرتبة على ترتيب السور

١- سورة الفاتحة

المسألة الأولى: مقاصد المعاني التي تشتمل عليها الفاتحة.

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "وتسمى أم القرآن؛ لأنها مفتتحه ومبدؤه، فكأنها أصله ومنشؤه؛ ولذلك تسمى أساسا، أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله سبحانه وتعالى، والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده، أو على جملة معانيه من الحكم النظرية، والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء"[(١)].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "ومنه – أي من أسماء الفاتحة – أم القرآن لاشتمالها- كما قال العلامة[(٢)]- على مقاصد المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو أهله ومن التعبد بالأمر والنهي ومن الوعد والوعيد، وإنما كانت المقاصد هذه لأن بعثة الرسل وإنزال الكتب رحمة للعباد وإرشادا إلى ما يصلحهم معاشا ومعادا وذلك بمعرفة من يقدر على إيصال النعم إيجادا وإمدادا، ثم التوصل إليه بما يربط العتيد، ويجلب المزيد عملا واعتقادا والتنصل عما يفضي به إلى رجع المحصل ومنع المستحصل قلوبا وأجسادا والثناء فرع معرفة المثنى عليه مع الاستحقاق وتدخل المعرفة بصفات الجلال والجمال، ومنها ما منه الإرسال والإنزال والتفاوت بين المطيع والمذنب فدخل الإيمان بالله تعالى وصفاته والنبوات والمعاد على الإجمال، والتعبد يتمكن به من التوصل والتنصل ويدخل فيه من وجه الإيمان بالنبوات وما يتعلق بها من الكتاب والملائكة إذ الأمر والنهي فرع ثبوت ذلك في الجملة، والوعد والوعيد يتضمنان الإيمان بالمعاد، ويبعثان على التعبد، والناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة والأكثرون بعثتهم الرغبة والرهبة، وأوسطهم الرجاء

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٢٥).

(٢) أي: القاضي البيضاوي كما هو واضح من النقل عنه في القول المعقّب عليه.

والخوف. والخواص- وقليل ما هم- الأنس والهيبة فبالثلاثة تم الإرشاد إلى مصالح المعاش والمعاد ولا أحصر لك وجه الحصر بهذا فلمسلك الذهن اتساع. ولك أن ترد الثلاثة إلى اثنين فتدرج الثناء في التعبد؛ إذ لا حكم للعقل، ولعله إنما جعله قسيما له تلميحا إلى أن شكر المنعم واجب عقلا مراعاة لمذهب الاعتزال، ولم يبال البيضاوي بذلك فعبر بما عبر به من المقال"[1].

الدراسة:

ذكر القاضي البيضاوي أن من أسماء سورة الفاتحة: (أم القرآن)؛ وذكر أنها سميت بذلك لأسباب، منها أنها اشتملت على أمور ثلاثة، وهي:

١-اشتمالها على الثناء على الله.

٢-اشتمالها على التعبد بأمره ونهية.

٣-اشتمالها على الوعيد والوعيد.

وذهب العلامة الألوسي إلى أن هذه المعاني الثلاثة يمكن أن ترد إلى معنيين أساسيين، وهما:

١-الثناء على الله، ويدخل في ضمنها التعبد لله.

٢-الوعد والوعيد.

وهذه المسألة مبينة على سبب تسمية سورة الفاتحة بـ(أم القرآن).

وقد تعددت أقاويل المفسرين في سبب تسميتها بذلك، ومن تلك الأقوال:

القول الأول: أنها سميت أم القرآن لتقدمها على سائر سور القرآن غيرها، وتأخر ما سواها خلفها في القراءة والكتابة. قال ابن جرير الطبري[2]: "وإنما قيل لها لكونها كذلك أم

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/ ٣٧).

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآمليّ الطبريّ أبو جعفر، الإمام، المفسّر، ولد سنة (٢٢٤هـ) صاحب التصانيف المشهورة، رحل في طلب الحديث، وسمع بالعراق والشام ومصر من خلق كثير وحدث بأكثر مصنفاته، له أكبر كتابين في التفسير والتاريخ جامع البيان عن تأويل آي القرآن و تأريخ الأمم والملوك وغيرها، وكان مجتهداً في أحكام الدين لا يقلد أحداً، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه، توفي سنة (٣١٠ هـ). ينظر: طبقات القراء للذهبي (٢١٣/١)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٣٠)، طبقات المفسرين للداوودي (١١٠/٢) رقم: ٤٦٨.

القرآن لتسمية العرب كل جامع أمرا أو مقدما لأمر، إذا كانت له توابع تتبعه، هو لها إمام جامع أما، فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ أم الرأس، وتسمي لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها للجيش أما"[(١)].

القول الثاني: أنها سميت بذلك لكونها الأصل، وذلك لخلوها من النسخ والرفع، فصارت أصلا لغيرها[(٢)].

القول الثالث: لكونها أول القرآن والكتب المنزلة[(٣)].

القول الرابع: لأنها أفضل سور القرآن[(٤)].

القول الخامس: سميت بذلك لأنها إمام لجميع القرآن تقرأ في كل صلاة وتقدم على كل سورة، كما أن أمّ القرى إمام لأهل الإسلام[(٥)].

القول السادس: سميت بذلك لأنها تامة في الفضل[(٦)].

القول السابع: لأنها مجمع العلوم والخيرات، وتضمنها معاني القرآن مجملا[(٧)]، وقد اختلف أصحاب هذا القول في عدد هذه المعاني التي اشتملت عليها الفاتحة.

فذهب مكي بن أبي طالب[(٨)] إلى أنها تضمنت الثناء على الله والإقرار له بالربوبية والعبادة، وذكر النبيين ومن ضل عن سبيلهم، وفيها الإشارة إلى أمور الديانة والقدرة والتذلل

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ١٠٥). تفسير الماتريدي (١/ ٣٦٩)، تفسير الثعلبي (١/ ١٢٧)، الهداية الى بلوغ النهاية (١/ ٧٩)، تفسير الماوردي (١/ ٤٥)، تفسير البغوي (١/ ٤٩)، زاد المسير (١/ ١٧)، تفسير العز بن عبد السلام (١/ ٨٨).

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي (١/ ٣٦٩)، تفسير الخازن (١/ ١٥).

(٣) تفسير الثعلبي (١/ ١٢٦).

(٤) تفسير الثعلبي (١/ ١٢٧).

(٥) تفسير الثعلبي (١/ ١٢٧).

(٦) تفسير الثعلبي (١/ ١٢٧).

(٧) ينظر: تفسير الثعلبي (١/ ١٢٧)، الهداية الى بلوغ النهاية (١/ ٧٩)، تفسير السمعاني (١/ ٣١)، تفسير البغوي (١/ ٤٩)، تفسير الزمخشري (١/ ١)، تفسير الرازي (١/ ١٥٦)، تفسير القرطبي (١/ ١١٢)، تفسير النسفي (١/ ٢٥).

(٨) مكّي بن أبي طالب حمُّوْش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي القرطبي، من تصانيفه: الهداية في التفسير، كان من الراسخين في القرآن وعلومه، توفي سنة (٤٣٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/ ٥٩١)، طبقات المفسرين للداودي (ص: ٥٢١).

والخضوع لله والتسليم لأمره"[1].

وذهب الزمخشري إلى أنها تضمنت ثلاثة معان، وهي: الثناء على اللَّه تعالى بما هو أهله، والتعبد بالأمر والنهى، والوعد والوعيد[2].

وذهب الرازي إلى أنها تضمنت أربعة معان، وهي: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى[3].

والراجح هو: أن هذه المسألة من المسائل التي تنوعت وجهة أنظار المفسرين فيها، بحيث جعل بعض العلماء لهذه السورة مقصدا واحدا، وبعضهم جعل لها مقصدين كما أشار إليه الألوسي، وبعض العلماء ذكر فيها مقاصد كثيرة.

(١) الهداية الى بلوغ النهاية (١/ ٧٩).

(٢) تفسير الزمخشري (١/ ١)

(٣) تفسير الرازي (١/ ١٥٦)

المسألة الثانية: شكر المنعم واجب شرعا وعقلا.

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "وتسمى أم القرآن؛ لأنها مفتتحه ومبدؤه، فكأنها أصله ومنشؤه؛ ولذلك تسمى أساسا، أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله سبحانه وتعالى، والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده، أو على جملة معانيه من الحكم النظرية، والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء"[(١)].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "لك أن ترد الثلاثة إلى اثنين فتدرج الثناء في التعبد؛ إذ لا حكم للعقل، ولعله إنما جعله قسيما له تلميحا إلى أن شكر المنعم واجب عقلا مراعاة لمذهب الاعتزال، ولم يبال البيضاوي بذلك فعبر بما عبر به من المقال"[(٢)].

الدراسة:

ذكر العلامة الألوسي أن سبب جعل القاضي البيضاوي الثناء قسيما للتعبد من حيث إن شكر المنعم واجب عقلا.

والبيضاوي في ذلك تابع للزمخشري[(٣)].

وهذه المسألة (شكر المنعم) من المسائل العقدية التي وقع فيها النزاع بين أهل السنة وبين بقية الطوائف المخالفة.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٢٥).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/ ٣٧).

(٣) تفسير الزمخشري (١/ ١).

القول الأول: أن شكر المنعم واجب بالشرع وبالعقل، وهو قول أهل السنة[1].

القول الثاني: أنه واجب بالعقل فقط. وهو قول المعتزلة[2].

القول الثالث: أنه واجب بالشرع فقط. وهو قول الأشاعرة[3].

والراجح هو: قول أهل السنة، قال ابن القيم: "﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [سورة يس:٢٢] أخرج الحجة عليهم في معرض المخاطبة لنفسه تأليفا لهم، ونبه على أن عبادة العبد لمن فطره أمر واجب في العقول، فإن خلقه لعبده أصل إنعامه عليه، وأنعامه كلها تابعة لإيجاده وخلقه، وقد جبل الله العقول والفطر والشرائع على شكر المنعم ومحبة المحسن. ولا يلتفت إلى ما يقوله نفاة التحسين والتقبيح في ذلك، فإنه من أفسد الأحوال وأبطلها في العقول والفطر والشرائع"[4].

(١) ينظر: أصول الدين (ص: ٦٢)، الروض الباسم (٢/ ٣٦٦)، لوامع الأنوار البهية (١/ ١١٤).

(٢) المعتمد (٢/ ٣١٥). المستصفى (ص: ٤٥)، الملل والنحل (١/ ٨١)، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١/ ٢٦٧).

(٣) ينظر: البرهان في أصول الفقه (١/ ١١)، المستصفى (ص: ٤٩)، المحصول للرازي (١/ ١٤٧).

(٤) مختصر الصواعق المرسلة (٩٤-٩٥).

المسألة الثالثة: هل البسملة آية مستقلة أم أنها آية من كل سورة؟

في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [سورة الفاتحة: ١].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ من الفاتحة، ومن كل سورة، وعليه قراءة مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك – رحمه الله تعالى – والشافعي"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "اختلف الناس في البسملة في غير النمل إذ هي فيها بعض آية بالاتفاق على عشرة أقوال، الأول: أنها ليست آية من السور أصلا. الثاني: أنها آية من جميعها غير براءة. الثالث أنها آية من الفاتحة دون غيرها. الرابع: أنها بعض آية منها فقط الخامس أنها آية فذة أنزلت لبيان رؤوس السور تيمنا للفصل بينها. السادس: أنه يجوز جعلها آية منها وغير آية لتكرر نزولها بالوصفين. السابع: أنها بعض آية من جميع السور. الثامن: أنها آية من الفاتحة وجزء آية من السور. التاسع: عكسه. العاشر: أنها آيات فذة، وإن أنزلت مرارا. وكنت من قبل أعد السادة الشافعية لي غزية ولا أعد نفسي إلا منها، وقد ملكت فؤادي غرة أقوالهم كما ملكت فؤاد قيس ليلى العامرية، فحيث لاحت لا متقدم ولا متأخر لي عنها. إلى أن كان ما كان فصرت مشغولا بأقوال السادة الحنفية، وأقمت منها برياض شقائق النعمان. وقد أطال الفخر(٢) في هذا المقام المقال وأورد ست عشرة حجة لإثبات أنها آية من الفاتحة كما هو نص كلامه ولا عبرة بالترجمة فها أنا بتوفيق الله تعالى راده ولا فخر وناصر مذهبي بتأييد الله تعالى ومنه التأييد والنصر"(٣).

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٢٥).

(٢) تفسير الرازي (١/ ١٧٢).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/٤١- ٤٢).

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي الشافعي إلى أن البسملة آية من الفاتحة، بينما يرى العلامة الألوسي أن البسملة ليست آية من الفاتحة، مرجحا أقوال أئمة الحنفية على أقوال السادة الشافعية.

اتفق العلماء على أن البسملة بعض آية من سورة النمل، واختلفوا في غيرها على عشرة أقوال[1]، أشهرها ثلاثة أقوال، وهي:

القول الأول: أنها آية مستقلة أنزلت لبيان رؤس السور تيمنا للفصل بينها، وليست من السور، وهو قول الحنفية[2]، والمالكية[3]، والحنابلة[4].

من أدلتهم:

استدل أصحاب هذا القول بعدد من الأحاديث التي لم تَذكر البسملةَ آية من السورة، وأدلتهم كما يلي:

١. عن أبي هريرة[5] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها إلي ونصفها لعبدي، يقول العبد: الحمد لله رب العالمين، يقول الله: حمدني عبدي، يقول العبد: الرحمن الرحيم، يقول الله: أثنى علي عبدي، يقول العبد: مالك يوم الدين، يقول الله: مجدني عبدي، يقول العبد: إياك نعبد**

---

(١) وهي من أمهات المسائل حتى أفردها بعض العلماء بالتصنيف؛ كالإمام أبي بكر بن خزيمة، والحافظ أبي بكر الخطيب وابن عبد الله وغيرهم. (ينظر: روح المعاني، مع حاشية المحقق ١/٤١).

(٢) ينظر: البناية (٢/ ١٩٢)، البحر الرائق (١/ ٣٣٠)، مجمع الأنهر (١/ ٩٥).

(٣) ينظر: الذخيرة للقرافي (٢/ ١٧٧)، القوانين الفقهية (ص: ٤٤)، مواهب الجليل (١/ ١٠).

(٤) ينظر: المغني (١/ ٣٤٧)، الشرح الكبير (١/ ٥١٩)، الإنصاف (٢/٤٨).

(٥) أبو هريرة الدوسي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، اختلفوا في اسمه واسم أبيه اختلافا كثيرا، وأشهرها: عبد الرحمن بن صخر، أسلم عام خيبر، وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم راضيا بشبع بطنه، وكان من أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه حريص على العلم والحديث، توفي سنة (٥٧هـ). ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٧٦٨)، أسد الغابة (٦/ ٣١٣)، الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٣٤٨).

وإياك نستعين، يقول الله: هذه بيني وبين عبدي، يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال الله: فهؤلاء لعبدي))[1].

٢. عن أبي سعيد بن المعلى[2] رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه فقلت: يا رسول الله كنت أصلي فقال: ((**ألم يقل الله:** ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ﴾ [سورة الأنفال:٢٤]))، ثم قال لي: ((**ألا أعلمك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟**))، قلت: ما هي؟ قال: ((**الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**))[3].

٣. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**إن سورة من القرآن شفعت لرجل حتى غفر له وهي** ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [سورة الملك:١]))[4].

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث: أنها دلت على أن البسملة ليست آية لا من الفاتحة، ولا من غيرها[5].

القول الثاني: أنها آية من الفاتحة دون غيرها، وهو قول بعض الشافعية[6]، ورواية عن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، (٢٩٥/١)، رقم (٣٩٥).

(٢) أبو سعيد بن المعلى، قيل اسمه رافع بن المعلى بن لوذان بن المعلى، صحابي، ولا يعرف له إلا حديثان، وتوفي سنة (٧٤هـ). ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٦٦٩)، أسد الغابة (٥/ ١٤٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ١٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، (٦/ ١٧)، رقم (٤٤٧٤).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٧٩٧٥، ٨٢٧٦)، وأبو داود في أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله، باب في عدد الآي، (٥٧/٢) رقم (١٤٠٠)، والترمذي في أبواب الأمثال، باب ما جاء في فضل سورة الملك، (١٤/٥)، رقم (٢٨٩١). وابن ماجه في كتاب الأدب، باب ثواب القرآن، (١٢٤١/٢)، رقم (٣٧٨٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٤٢١).

(٥) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ١٥٨)، شرح أبي داود للعيني (٣/ ٤١٤).

(٦) ينظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي (٢/ ١٨٢)، المجموع شرح المهذب (٣/ ٣٣٣)، إحكام القنطرة في أحكام البسملة (ص: ٢٠).

الإمام أحمد[1].

من أدلتهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**إذا قرأتم:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾. **فاقرءوا:** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [سورة الفاتحة:١/١]؛ **إنها أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني، و** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [سورة الفاتحة:١/١] **إحداها**))[2].

ووجه الدلالة: أنها نصت على أن البسملة آية من الفاتحة، فدل ذلك على اختصاصها بالفاتحة، دون غيرها[3].

القول الثالث: أنها آية من الفاتحة وغيرها، إلا براءة، وهو قول الشافعية[4].

من أدلتهم:

١. عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**أنزل علي آنفا سورة: بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [سورة الكوثر:١]))[5].

٢. عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**إذا قرأتم فاتحة الكتاب... فاقرؤوا:** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ **فإنها أم القرآن، والسبع المثاني، وإن:** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [سورة الفاتحة:١/١] **إحدى آياتها**))[6].

---

(١) ينظر: المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (١/ ٥٤)، الكافي في فقه الإمام أحمد (١/ ٢٤٥)، وقال: "اختارها أبو عبد الله بن بطة، وأبو حفص".

(٢) أخرجه الدارقطني في سننه (١/ ٣١٢)، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم، حديث (٣٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٥)، كتاب الصلاة، باب بسم الله الرحمن الرحيم آية، وصححه الألباني في الصحيحة (٣/١٧٩-١٨٠).

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ١٥٨)، شرح أبي داود للعيني (٣/ ٤١٤).

(٤) ينظر: نهاية المطلب (٢/ ١٣٧)، البيان (٢/ ١٨٢)، المجموع (٣/ ٣٣٤)، كفاية الأخيار (ص: ١٠٥).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، (١/٣٠٠)، رقم (٤٠٠).

(٦) أخرجه الدارقطني في سننه (١/ ٣١٢)، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم، حديث (٣٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٥)، كتاب الصلاة، باب بسم الله الرحمن الرحيم آية، وصححه الألباني في الصحيحة (٣/١٧٩-١٨٠).

ووجه الدلالة من هذين الحديثين: أن النبي صلى الله عليه وسلم عد البسملة آية من سورتي الكوثر والفاتحة، فدل ذلك على أنها آية من الفاتحة وغيرها[1].

٣. أن الصحابة رضي الله عنهم أثبتوها في أول كل سورة غير براءة، ولم يثبتوا بين الدفتين غير القرآن[2].

والراجح هو: أنها آية مستقلة أنزلت لبيان رءوس السور تيمنا للفصل بينها، وليست من السور. قال ابن قدامة[3]: "والدليل على أنها ليست من الفاتحة، ما روى أبو هريرة، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((**قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: العبد: الحمد لله رب العالمين. قال الله تعالى: حمدني عبدي. فإذا قال: الرحمن الرحيم. قال الله: أثنى علي عبدي. فإذا قال: مالك يوم الدين. قال الله: مجدني عبدي. فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين. قال الله: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل. فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل**)) أخرجه مسلم[4]، فلو كانت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ آية لعدها، وبدأ بها، ولم يتحقق التنصيف، لأن آيات الثناء تكون أربعا ونصفا، وآيات الدعاء اثنتين ونصفا"[5].

---

(١) ينظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٢/ ١٦٠)، شرح النووي على مسلم (٤/ ١١٢).

(٢) ينظر: الحاوي الكبير (٢/ ١٠٧)، المجموع شرح المهذب (٣/ ٣٣٣)، إحكام القنطرة في أحكام البسملة (ص: ٢١).

(٣) موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي ولد سنة (٥٤١هـ). حفظ القرآن ولزم الاشتغال بطلب العلم من صغره، من شيوخه هبة الله بن الحسن الدقاق، وأبي الفتح بن البطي، وأبي زرعة وغيرهم، ومن تلامذته الجمال أبو موسى، وابن نقطة، والضياء، وأبو شامة وغيرهم، له تصانيف كثيرة حسنة في الذهب (الحنبلي)، فروعا وأصولا، وفي الحديث، واللغة، والزهد، والرقائق أشهرها المغني، كان عالم أهل الشام في زمانه وكان من بحور العلم وأذكياء العالم، توفي سنة (٦٢٠هـ). ينظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٣٣)، وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٥-١٧٣)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٠٧-١٠٩).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، (١/٢٩٥)، رقم (٣٩٥).

(٥) المغني لابن قدامة (١/ ٣٤٨).

المسألة الرابعة: معنى الاستعانة في تفسير الباء في البسملة.

في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [سورة الفاتحة: ١].

القولُ المعقَّبُ عليه:

قال القاضي البيضاوي: "الاستعانة: طلب المعونة وهي: إما ضرورية، أو غير ضرورية. والضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح أن يكلف بالفعل. وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي، أو يقرب الفاعل إلى الفعل ويحثه عليه، وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف. والمراد طلب المعونة في المهمات كلها، أو في أداء العبادات"(١).

التعقيب:

قال الإمام الآلوسي: " تمسكت الجبرية والقدرية بهذه الآية، أما الجبرية فقالوا: لو كان العبد مستقلا لما كان للاستعانة على الفعل فائدة، وأما القدرية فقالوا: السؤال إنما يحسن لو كان العبد متمكنا في أصل الفعل فيطلب الإعانة من الغير، أما إذا لم يقدر عليه لم يكن للاستعانة فائدة، وقد أشار ناصر الملة والدين البيضاوي -بيض اللّه تعالى وجه حجته- ببيان المعونة إلى أنه لا تمسك لواحد من الفريقين في ذلك حيث قال: وهي إما ضرورية أو غيرها، والضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها، وعند استجماعها يصح أن يوصف الرجل بالاستطاعة، ويصح أن يكلف بالفعل، وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل، كالراحلة في السفر للقادر على المشي، أو يقرب الفاعل إلى الفعل ويحثه عليه، وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف. انتهى. وحاصله أن الاستعانة طلب ما يتمكن به العبد من الفعل أو يوجب اليسر عليه وشيء منهما لا يوجب

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٢٩).

الجبر ولا القدر. وعندي أن الآية إن استدل بها على شيء من بحث خلق الأفعال فليستدل بها على أن للعباد قدرا مؤثرة بإذن اللّه تعالى لا بالاستقلال كما عقدت عليه خنصر عقيدتي"[1].

الدراسة:

هذه المسألة تتعلق بمسألة أفعال العباد، وقد اختلف فيها على أقوال:

القول الأول: قول أهل السنة والجماعة أن الله خالق كل شيء ومن ذلك العباد وأفعالهم قال عزوجل: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾[سورة الزمر:٦٢]. وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾[سورة الصافات:٩٦]. وأن الله خلق للعباد قدرة وإرادة ومشيئة وفعلا، فبالقدرة يستطيعون القيام بالتكاليف المناطة بهم، وبالإرادة والمشيئة يصح توجيه الخطاب إليهم بالأوامر والنواهي، وعلى الفعل يقع الجزاء على الخير خيرا وعلى الشر شرا، إلا أن يعفو الله جل وعلا، قال عز وجل: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[سورة الإنسان:٣٠]. ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾[سورة التكوير:٢٨].[2] وهو قول البيضاوي والألوسي.

القول الثاني: قول الجهمية أن المخلوق مجبر على فعله، ولا قدرة له ولا اختيار[3].

القول الثالث: قول المعتزلة بأن العبد له القدرة التامة والاختيار المطلق، ولا قدرة للخالق عليه[4].

والراجح هو: قول أهل السنة والجماعة، وهو الذي دلت عليه النصوص.

---

(١) روح المعاني (١/ ٩٠).

(٢) ينظر: أصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ١٩٧)، الاعتقاد لابن أبي يعلى (ص: ٣١)، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/ ٤٥٨)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٢٢٥)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٦٣).

(٣) ينظر: التبصير في الدين (ص: ١٠٧)، الملل والنحل (١/ ٨٦)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٩٠)، البيهقي وموقفه من الإلهيات (ص: ٣٩٧).

(٤) ينظر: التبصير في الدين (ص: ١٠٧)، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١/ ١٦٥)، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/ ٤٥٧)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٢٩٧)، البيهقي وموقفه من الإلهيات (ص: ٣٩٧).

المسألة الخامسة: هل نص أبو حنيفة في مسألة البسملة بشيء؟

في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [سورة الفاتحة: ١].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "ولم ينص أبو حنيفة رحمه الله تعالى فيه بشيء فظن أنها ليست من السورة عنده"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "ولا ينبغي لمن وقف على الأحاديث أن يتوقف في قرآنيتها أو ينكر وجوب قراءتها ويقول بسنيتها، فواللّه لو ملئت لي الأرض ذهبا لا أذهب إلى هذا القول، وإن أمكنني - والفضل للّه تعالى – توجيهه، كيف وكتب الأحاديث ملأى بما يدل على خلافه وهو الذي صح عندي عن الإمام، والقول بأنه: لم ينص بشيء(٢)، ليس بشيء، وكيف لا ينص إلى آخر عمره في مثل هذا الأمر الخطير الدائر عليه أمر الصلاة من صحتها أو استكمالها، ويمكن أن يناط به بعض الأحكام الشرعية وأمور الديانات، كالطلاق والحلف والتعليق، وهو الإمام الأعظم والمجتهد الأقدم رضي الله تعالى"(٣).

الدراسة:

هذا التعقب متعلق بالمسألة التي قبلها، وهي هل البسملة آية أم لا؟

وقد ذكر الإمام البيضاوي أن الإمام أبا حنيفة لم يذكر حكمه في البسملة في كونها آية

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٢٥)

(٢) في هامش روح المعاني: فيه رد على البيضاوي.ا.هـ.منه، وهذا القول هو للإمام البيضاوي، في تفسيره: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٢٥).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/٤٧-٤٨).

من الفاتحة، أو لا، ومن أجل ذلك عدّ في مذهبه أنها ليست آية من سورة الفاتحة.

ومجمل تعقب الألوسي في المسألة في أمرين:

الأمر الأول: أن الإمام أبا حنيفة نص في هذه المسألة، علمًا بأني قد بحثت في كتب الحنفية عن كلام الإمام الأعظم في المسألة فلم أجد له نصا صريحا في ذلك.

الأمر الثاني: أن الأحاديث نصّت في المسألة، ويستغنى بها عن كلام الأئمة ونصوصهم، إذ النصوص الشرعية هي الحاكمة، والتي يقضى بها على غيرها.

وقد حرر هذه المسألة الشهاب الخفاجي، فقال تعليقا على قول البيضاوي: "ولما كان المصنف رحمه الله شافعيا قائلًا بمفهوم المخالفة مع أنه مراعىً في الروايات وعبارات المصنفين، وأورد عليه أن سكوته يجوز أن يكون احترازًا عن الخوض فيما لا دليل عليه كما ذهب إليه الإمام أو لتعارض أدلته، واقتصر على الظن دون نفي القرآنية رأسا؛ لأنه أدنى مراتب الخلاف مع قيام الأدلة على قرآنيتها، وكذا ذهب بعض الحنفية[1] إلى أن الصحيح أنها آية فذة أنزلت للفصل أو لبيان أوائل السور"[2].

وجاء في (تبيين الحقائق): "فإن قيل: لو كانت آية من القرآن لجازت الصلاة بها عند أبي حنيفة، إذ لا يشترط أكثر من آية، قلنا: إنما لا تجوز الصلاة بها لاشتباه الآثار، واختلاف العلماء في كونها آية لا؛ لأنها ليست من القرآن"[3].

والراجح هو: أن عدم ورود نصّ عن الإمام أبي حنيفة في هذه المسألة لا يعني أنه يقول بعدم قرآنية البسملة، بل لعل سكوته كان احترازًا عن الخوض فيما لا دليل عليه كما قال الشهاب.

---

(١) ذكره السرخسي في أصول الفقه، وأبو بكر الرازي، وقال: إنه مقتضى قول أبي حنيفة، كما في نصب الراية لأحاديث الهداية للعلامة الزيلعي (١/ ٣٢٧).وينظر: إحكام القنطرة في أحكام البسملة لمحمد عبد الحي اللكنوي (ص:٢٠).

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (١/٢٦-٢٧).

(٣) تبيين الحقائق (١/ ١١٣).

المسألة السادسة: لفظ حديث أم سلمة في مسألة البسملة، ودرجته.

في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [سورة الفاتحة: ١].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "وقول أم سلمة رضي الله عنها: ((قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الفاتحة وعدّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ آية))[(١)].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: أما ما ذكره في الحجة الأولى من حديث أم سلمة بالوجه الذي رواه مخالف لما في البيضاوي المخالف لما في الكتب الحديثية، فيجاب عنه: بأن أبا مليكة لم يثبت سماعه عن أم سلمة، وبتقديره للمعاصرة يقال: إن هذا اللفظ لم يوجد في المشهور، ولعله نقل بالمعنى لبعض الروايات الآتية على حسب ما يلوح له"[(٢)].

الدراسة:

هذه المسألة تتعلق بالمسألة السابقة، وهي حكم البسملة، وهل هي آية من السورة، أم لا؟ وهذا التعقب يتعلق بأحد أدلة القائلين بأن البسملة آية من الفاتحة.

ومحور تعقب الألوسي في هذه المسألة على البيضاوي في هذا الحديث يدور حول أمرين، من حيث سند الرواية، ومن حيث لفظه الصحيح.

وكي تتضح الصورة من التعقب، وكلام البيضاوي الذي تعقبه الألوسي، نورد الحديث كما

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٢٥).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/ ٤٤).

أورده البيضاوي، فقال: "روى الشافعي عن ابن جريج[1] عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة أنها قالت: ((قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاتحة الكتاب فعد بسم الله الرحمن الرحيم آية الحمد لله رب العالمين آية الرحمن الرحيم آية مالك يوم الدين آية إياك نعبد وإياك نستعين آية اهدنا الصراط المستقيم آية صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آية)). وهذا نص صريح"[2].

وخلاصة تعقب الألوسي في أمرين:

١- بأن ابن أبي مليكة لم يثبت سماعه من أم سلمة. وقد نفى سماعه منها غير واحد من أهل الحديث[3]، وتبعهم الألوسي في ذلك.

٢- أن الحديث مشهور بغير هذا اللفظ الذي أورده البيضاوي، إذ اللفظ المشهور والمعروف عن أم سلمة، قالت: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، ثم يقف، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، ثم يقف، وكان يقرؤها: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾))[4].

والراجح هو: أن تعقب الألوسي صحيح؛ لأن حديث أم سلمة مشهور بلفظ مخالف لما ذكره البيضاوي، وهو مروي مشهور في كثير من كتب الحديث.

---

(١) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد القرشي مولاهم المكي الفقيه، من شيوخه: مجاهد وعطاء وابن أبي مليكة، ومن تلامذته: القطان وروح والحجاج، وكان عالم أهل مكة، وأحد أوعية العلم، وهو أول من صنف التصانيف في الحديث، توفي سنة (١٥١هـ). ينظر: تاريخ بغداد (١٢/ ١٤٢)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٨/ ٣٣٨)، تاريخ الإسلام (٣/ ٩١٩)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٢٥).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/ ٤٤).

(٣) منهم: الترمذي في جامعه (٢٩٢٧)، والطحاوي في كتابه: الرد على الكرابيسي، كما نقله ابن التركماني في الجوهر النقي (٢/ ٤٤)، وابن الملقن في البدر المنير (٣/ ٥٥٧).

(٤) أخرجه الترمذي في أبواب القراءات، باب في فاتحة الكتاب، (٥/ ٣٥)، رقم (٢٩٢٧). وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢/ ٦٠).

المسألة السابعة: في أصل لفظ الجلالة (الله) ومعناه.

في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [سورة الفاتحة: ١].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "و(الله) أصله إله، فحذفت الهمزة وعوض عنها الألف واللام، ولذلك قيل: يا أللهُ، بالقطع، إلا أنه مختص بالمعبود بالحق.

والإله في الأصل لكل معبود، ثم غلب على المعبود بالحق. واشتقاقه من أَلَه ألهةً وألوهةً وألوهيةً بمعنى عبد، ومنه تألّهَ واسْتَأْلَه.

وقيل: من أله، إذا تحير؛ لأن العقول تتحير في معرفته.

أو من ألهت إلى فلان، أي سكنت إليه؛ لأن القلوب تطمئن بذكره، والأرواح تسكن إلى معرفته.

أو من أله، إذا فزع من أمر نزل عليه، وآلهه غيره أجاره؛ إذ العائذ يفزع إليه وهو يجيره حقيقة أو بزعمه.

أو من أله، الفصيل إذا ولع بأمه؛ إذ العباد يولعون بالتضرع إليه في الشدائد.

أو من وَلَه إذا تحير وتخبط عقله، وكأن أصله ولاه، فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه، فقيل: إله كإعاء وإشاح، ويردَهَ الجمع على آلهةٍ دون أولهةٍ.

وقيل: أصله لاه يليه ليهًا ولاهًا، إذا احتجب وارتفع؛ لأنه سبحانه وتعالى محجوب عن إدراك الأبصار، ومرتفع على كل شيء، وعما لا يليق به، ويشهد له قول الشاعر:

كحلفة من أبي رباح يشهدها لاهه الكبار

وقيل: علَمٌ لذاته المخصوصةِ؛ لأنه يُوصَف ولا يُوصَف به، ولأنه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه، ولأنه لو كان وصفا لم يكن قول: لا إله إلا الله، توحيدا مثل: لا إله إلا الرحمن، فإنه لا يمنع الشركة.

والأظهر أنه وصفٌ في أصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار له

كالعلم، مثل: الثريا والصعق، أجري مجراه في إجراء الأوصاف عليه، وامتناع الوصف به، وعدم تطرق احتمال الشركة إليه، لأن ذاته من حيث هو بلا اعتبار أمر آخر حقيقي أو غيره غير معقول للبشر، فلا يمكن أن يدل عليه بلفظ، ولأنه لو دل على مجرد ذاته المخصوصة لما أفاد ظاهر قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [سورة الأنعام:٣] معنى صحيحًا، ولأن معنى الاشتقاق هو كون أحد اللفظين مشاركًا للآخر في المعنى والتركيب، وهو حاصل بينه وبين الأصول المذكورة"[(١)].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "أما أنه (أي لفظ الجلالة: الله) علم كذلك، فقد استدل عليه بوجوه: الأول: أنه يوصف ولا يوصف به، الثاني: أنه لا بد له من اسم يجري عليه صفاته، فإن كل شيء تتوجه إليه الأذهان ويحتاج إلى التعبير عنه قد وضع له اسم توقيفي أو اصطلاحي فكيف يهمل خالق الأشياء ومبدعها، ولم يوضع له اسم يجري عليه ما يعزى إليه ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه، الثالث: أنه لو كان وصفا لم تكن الكلمة توحيدا.. والإمام البيضاوي مع أن له اليد البيضاء في التحقيق لم يتبلج له صبح هذا القول، وهو لا يحتاج إلى النظر الدقيق فاختار (أنه وصف في أصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره، وصار له كالعلم، مثل الثريا والصعق، أجري مجراه في إجراء الوصف عليه، وامتناع الوصف به ،وعدم تطرق احتمال الشركة إليه؛ لأن ذاته من حيث هو بلا اعتبار أمر آخر حقيقي، أو غيره غير معقول للبشر، فلا يمكن أن يدل عليه بلفظ، ولأنه لو دلّ على مجرد ذاته المخصوص لما أفاد ظاهر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [سورة الأنعام:٣] معنى صحيحًا، ولأن معنى الاشتقاق كون أحد اللفظين مشاركًا للآخر في المعنى والتركيب، وهو حاصل بينه وبين الأصول المذكورة). هذا كلامه، وقد أبطل فيه الأدلة الثلاث، وحيث لم يلزم من إبطال الدليل إبطال المدلول أبطله بوجهين ونظم في سلكهما"[(٢)].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٦/١).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٥٩/١- ٦٠).

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن لفظ الجلالة (الله) وصف مشتق، لكنه صار علما بالغلبة.

بينما يرى العلامة الألوسي أنه علم، وذكر لهذا القول ثلاثة أدلة.

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة بين قائل بكونه وصفًا مشتقًا، وبين قائل بكونه علمًا على الذات المخصوصة، واختلف القائلون بكونه وصفًا مشتقًا في أصل اشتقاقه على أقوال ذكرها البيضاوي، ورجح البيضاوي كونه وصفا لكنه صار علمًا بالغلبة.

القول الأول: أنه غير مشتق، وهو قول الألوسي، وقال به عدد كثير من أئمة النحو واللغة[1].

ومن أدلتهم[2]:

١- قوله عز وجل: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [سورة مريم:٦٥]، ووجه الاستشهاد منه: أنه تعالى حكم بعدم وجود سمي له، وفيه تنبيه على عدم المادة المأخوذ منها الاسم.

ورد على هذا الوجه من الاستدلال: بأن هذا غير لازم؛ لأن الذي سمى به المشركون أصنامهم هو ما حكاه الله تعالى بقوله ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [سورة الأعراف:١٣٨]، وقوله ﴿فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [سورة طه:٨٨].

وقوله تعالى ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [سورة مريم:٦٥]، أي هل تعلم شيئا يسمى الله غيره أو هل تعلم له نظيرا في الخلق ووجوب الإلهية[3].

---

(١) ينظر: معنى لا إله إلا الله للزركشي (ص: ١٠٦).

وممن قال بهذا القول: الخليل بن أحمد، والزجاج، وبيان الحق النيسابوري، وابن العربي، والسهيلي، والسمين الحلبي، وشمس الدين السفاريني. ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى (ص: ٢٥)، تهذيب اللغة (٢٢٢/٦)، مادة (أله)، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (٥/١)، نتائج الفكر في النحو (ص:٤١)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٢٤/١)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٣١).

(٢) ينظر: نتائج الفكر في النحو (ص: ٤١)، معنى لا إله إلا الله للزركشي (ص: ١٠٦).

(٣) معنى لا إله إلا الله للزركشي (ص: ١٠٧).

٢- أن هذا الاسم سبق الأشياء التي زعموا أنه مشتق منها، فكيف يشتق القديم من الحديث.

وقد رد هذا القول بأن قول النحاة (أن هذا اللفظ مشتق من هذا اللفظ)، أن ذلك على سبيل المجاز، فقال ابن عصفور[١]: "كأنهما لاتحاد لفظيهما وتقارب معنييهما قد أخذ أحدهما من الآخر، كما تقول في الشخصين المتشابهين: هذا أخو هذا، تشبيها لهما بالأخوين. ولما خفي هذا الوجه من الاشتقاق على بعضهم، رد قول من زعم أن اسم (الله) تعالى مشتق من الوله أو من غير ذلك؛ لأن (الله) هذا اللفظ قديم؛ لأن أسماء الله تعالى قديمة، والوله لفظ محدث، والمشتق منه قبل المشتق، فيلزم على هذا أن يكون المحدث قبل القديم. وذلك خلف. ولو علم أنه قد يقال: هذا اللفظ مشتق من هذا، وإن لم يكن مأخوذا منه كما قدمنا لم ينكر ذلك"[٢].

٣- أن أصحاب القول الآخر مختلفون في أصل اشتقاقه، وإذا تعارضت الأقوال لم يكن بعضها أولى من بعض.

القول الثاني: أنه اسم مشتق، وهو قول البيضاوي، وقد اختلفوا في أصل اشتقاقه، على أقوال كثيرة، أشهرها رأيان:

الرأي الأول: أنه مشتق من وله يوله[٣].

وردّ هذا القول: بأنه لأنه لو كان منه؛ لقيل في تفعّل منه: توله؛ لأن الواو فيه واو في تولّه، وفي إجماعهم على أنه تألّه بالهمز ما يبين أنه ليس من وله[٤].

الرأي الثاني: أنه مشتق من الألوهية. وهو قول أكثر النحاة[٥].

---

(١) علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الله بن عصفور، أبو الحسن الحضرمي الإشبيلي، ومن تصانيفه: الممتع في التصريف، وكان بقية الحاملين للواء العربية بالمغرب، كثير المطالعة، طاف المغرب كله، وأقام بتونس شاغلا للطلبة، وتوفي سنة (٦٦٩هـ). ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص: ٢١٨)، بغية الوعاة (٢/ ٢١٠)، تاريخ الإسلام (١٥/ ١٧٢).

(٢) الممتع الكبير في التصريف (ص: ٤١).وينظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٢)، معنى لا إله إلا الله للزركشي (ص: ١٠٨).

(٣) ذكره الزبيدي في تاج العروس (٣٦/ ٣٢٤)، مادة (أله).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى (ص: ٢٥).

(٥) ينظر: معنى لا إله إلا الله للزركشي (ص: ١٠٩).

والراجح هو: أن اسم الله مشتق من الألوهية، وأما قول المخالف: كيف يشتق القديم من الحديث؟ فقد أجيب عن ذلك بأن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى ولا ألمّ بقلوبهم وإنما أرادوا أنه دالّ على صفة له تعالى وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى كالعليم والقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة والقديم لا مادة له فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله ثم الجواب عن الجميع أننا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة، فالاشتقاق هنا ليس اشتقاقا ماديا وإنما هو اشتقاق تلازم سمي المتضمن بالكسر مشتقا والمتضمن بالفتح مشتقا منه ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى"[1].

(١) ينظر: بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ٢٢)

٢- سورة البقرة

المسألة الأولى: كون (من) في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ للتبعيض أم لا؟

القولُ المعقَّبُ عليه:

قال القاضي البيضاوي: "إدخال (من) التبعيضية عليه لمنع المكلف عن الإسراف المنهي عنه. ويحتمل أن يراد به الإنفاق من جميع المعاون التي أتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة"(١).

التعقيب:

قال الإمام الآلوسي: "قول مولانا البيضاوي تبعا للزمخشري: إنه للكف عن الإسراف المنهي عنه: مخصوص بمن لم يصبر على الفاقة، ويتجرع مرارة الإضافة، وإلا فقد تصدق الصديق رضي الله تعالى عنه بجميع ماله ولم ينكره عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لعلمه بصبره واطلاعه على ما وقر في صدره"(٢).

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن إنفاق الإنسان بكل ما يملكه منهي عنه بناءً على أن معنى (من) في الآية للتبعيض.

بينما يرى العلامة الألوسي أن إنفاق الإنسان بكل ما يملكه جائز لمن يصبر على الفاقة، ويتجرع مرارة الإضافة بناء على أنها ليست للتبعيض.

وقد اختلف الفقهاء في هذه المسألة: هل يجوز للإنسان أن يتصدق بجميع ماله؟

القول الأول: يجوز، لكن بشروط وإذا فقد أحد هذه الشروط كره، وهذه الشروط هي:

١-صحة البدن والمال.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٣٩).

(٢) روح المعاني (١/ ١٢١).

٢-عدم وجود دين عليه.

٣-أن يكون ذا صبر على الفاقة والفقر.

٤-ألا يكون ذا عيال.

ونسب هذ القول إلى جمهور العلماء[١]، واستدلوا بما يلي: عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر[٢] إن سبقته يوما، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**ما أبقيت لأهلك؟**))، قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**ما أبقيت لأهلك؟**))، قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدا[٣].

القول الثاني: لا يجوز، واستدلوا بما يلي[٤]: عن ابن عمر قال: طلق غيلان بن سلمة الثقفي[٥] نساءه وقسم ماله بين بنيه، في خلافة عمر. فبلغ ذلك عمر، فقال: "طلقت نساءك، وقسمت مالك بين بنيك؟" قال: نعم. قال: ((والله، إني لأرى الشيطان فيما يسرق من السمع سمع بموتك، فألقاه في نفسك، فلعلك أن لا تمكث إلا قليلا، وايم الله لئن لم تراجع نساءك،

---

(١) ينظر: الحاوي الكبير (٣/ ٣٩١)، المهذب للشيرازي (١/ ٣٢٢)، الشرح الكبير على متن المقنع (٢/ ٧١٦)، فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٩٥)، شرح أبي داود للعيني (٦/ ٤٣٢)، عمدة القاري (٨/ ٢٩٣).

(٢) عبد الله بن عثمان أبي قحافة بن عامر القرشي: الشهير بأبي بكر الصديق، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، وصحب النبيّ صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وكان من السابقين إلى الإسلام، واستمر معه طول إقامته بمكة، ورافقه في الهجرة وفي الغار وفي جميع المشاهد، توفي سنة (١٣هـ). ينظر: الطبقات الكبرى (٣/ ١٦٩)، الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٣٣٣).

(٣) أخرجه: أبو داود في كتاب الزكاة، باب الرجل يخرج من ماله، (٢/ ١٢٨)، رقم (١٦٧٨)، والترمذي في أبواب: المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه واسمه عبد الله بن عثمان ولقبه عتيق، (٦/ ٤٧)، رقم (٣٦٧٥). قال الترمذي: "حسن صحيح". وحسنه الألباني في صحيح أبي داود - الكتاب الأم (٥/ ٣٦٦).

(٤) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٩٥)، عمدة القاري (٨/ ٢٩٣).

(٥) غيلان بن سلمة بن شرحبيل الثقفي، أسلم يوم الطائف، وكان عنده عشر نسوة، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخير منهن أربعا، وتوفي في آخر خلافة عمر رضي الله عنه. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٢٥٦)، أسد الغابة (٤/ ٤٣)، الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٢٥٣).

وترجع في مالك، لأورثهن منك إذا مت، ثم لآمرن بقبرك فليرجمن كما رجم قبر أبي رغال))[1].

القول الثالث: يجوز من الثلث ويرد عليه الثلثان، وهو قول الأوزاعي[2] ومكحول[3][4]، واستدلوا بما يلي: عن سعد بن أبي وقاص[5] رضي الله عنه، قال: جاء النبي صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا بمكة، وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها، قال: ((**يرحم الله ابن عفراء**))، قلت: يا رسول الله، أوصي بمالي كله؟ قال: ((**لا**))، قلت: فالشطر، قال: ((**لا**))، قلت: الثلث، قال: ((**فالثلث، والثلث كثير**))[6].

والراجح هو: القول الأول، وهو قول الألوسي.

قال ابن حجر[7]: "الصواب عندنا الأول من حيث الجواز:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧/ ٦٦)، رقم (١٢٢١٦)، وأحمد في مسنده (٨/ ٢٥١)، رقم (٤٦٣١)، وابن حبان في صحيحه (٩/ ٤٦٣)، رقم (٤١٥٦). وصححه الألباني في إرواء الغليل (٦/ ٢٩١).

(٢) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، ولد في بعلبكّ، سنة (٨٨ هـ)، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت، له كتاب السنن في الفقه، والمسائل، وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأيه، إلى زمن الحكم ابن هشام، وتوفي ببيروت سنة (١٥٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٧/ ٣٠٧).

(٣) مكحول الشامي، أبو عبد الله الدمشقي، روى عن النبي مرسلا، وعن أبي بن كعب، وكان فقيها إمام، من أفقه علماء الشام، توفى سنة (١١٨هـ)، ينظر: تهذيب الكمال (٢٨/ ٤٦٤)، وتقريب التهذيب (٢/ ٢٧٣)، والكاشف (٣/ ١٧٢).

(٤) ينظر: الحاوي الكبير (٣/ ٣٩١)، فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٩٥)، عمدة القاري (٨/ ٢٩٣).

(٥) أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي، كان سابع سبعة في الإسلام، شهد بدرًا والمشاهد كلها، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، كان مجاب الدعوة مشهورًا بذلك، توفي سنة (٥٥هـ) بالعقيق، ودفن بالبقيع. ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٢/ ٦٠٧ - ٦١٠)، الاصابة لابن حجر (٣/ ٧٣).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، (٤/ ٣)، رقم (٢٧٤٢)، ومسلم في كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، (٣/ ١٢٥٠)، رقم (١٦٢٨).

(٧) أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، المعروف بابن حجر المصري الشافعي، ولد في مصر سنة (٧٧٣هـ)، من تصانيفه: تصانيفه: فتح الباري، وتغليق التعليق، ولسان الميزان، والإصابة في معرفة الصحابة، أكثر جدا من المسموع والشيوخ فسمع العالي والنازل وأخذ عن الشيوخ والأقران فمن دونهم واجتمع له من الشيوخ المشار إليهم والمعول في المشكلات عليهم ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره، وتوفي في سنة (٨٥٢هـ)،. ينظر: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (١/ ٣٥٢)، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ (٢١١)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٢/ ٣٧).

والمختار من حيث الاستحباب: أن يجعل ذلك من الثلث جمعاً بين قصة أبي بكر وحديث كعب"[1].

(١) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٩٥).

المسألة الثانية: هل يسمى الحرام رزقا؟ وما معنى الرزق عند المعتزلة:

في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [سورة البقرة: ٣]

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "وأما المعتزلة لما استحالوا على الله تعالى أن يمكن من الحرام لأنه منع من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه، قالوا: الحرام ليس برزق، ألا ترى أنه تعالى أسند الرزق هاهنا إلى نفسه إيذانًا بأنهم ينفقون الحلال المطلق. فإن إنفاق الحرام لا يوجب المدح، وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ [سورة يونس:٥٩]. وأصحابنا جعلوا الإسناد للتعظيم والتحريض على الإنفاق، والذم لتحريم ما لم يحرم. واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة. وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله صلّى الله عليه وسلّم في حديث عمرو بن قرة: ((**لقد رزقك الله طيبًا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان مَا أَحَلَّ الله لَكَ من حلاله**))[(١)]. وبأنه لو لم يكن رزقًا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقًا، وليس كذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [سورة هود:٦]"[(٢)].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "والاستدلال على هذا المطلب كما فعل البيضاوي ليس بشيء؛ لأن للمعتزلة أن لا يخصوا الرزق بالغذاء بل يكتفوا بمطلق الانتفاع دون الانتفاع بالفعل، على أن

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الحدود، باب المخنثين، (٢/ ٨٧١)، رقم (٢٦١٣)، من طريق يحيى بن العلاء، بشر بن نمير، عن مكحول، عن يزيد بن عبد الله، عن صفوان بن أمية به. قال ابن كثير: "هذا حديث منكر جدًا أحسبه أن يكون موضوعًا، فإن يحيى بن العلاء وشيخه متروكان إجماعًا". جامع المسانيد والسنن (٤/ ٢٩٧).وينظر: مصباح الزجاجة (٣/ ١١٩).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣٩/١).

الآية لم تدل على أن الله تعالى يوصل جميع ما ينتفع به كل أحد إليه فإن الواقع خلافه، بل دلت على أنه سبحانه وتعالى يسوق الرزق ويمكّن من الانتفاع به، فإذا حصل الإعراض من الحلال إلى الحرام لم يقدح في تحقق رازقيته جل وعلا، وأيضا قد يقال: معنى الآية ما من دابة متصفة بالمرزوقية فلا تدخل مادة النقض ليضر خروجها، كما لا يدخل السمك في قولهم: كل دابة تذبح بالسكين، أي: كل دابة تتصف بالمذبوحية فالاتصاف أن هذا لا يصلح دليلا. والأحسن الاستدلال بالإجماع قبل ظهور المعتزلة على أن من أكل الحرام طول عمره مرزوق طول عمره ذلك الحرام، والظواهر تشهد بانقسام الرزق إلى طيب وخبيث، وهي تكفي في مثل هذه المسألة، والأصل الذي بني عليه التخصيص قد تركه أهل السنة قاعا صفصفا"[(١)].

الدراسة:

يتفق الإمامان الألوسي والبيضاوي في كون الحرام داخلا في الرزق كما هو مذهب الأشاعرة، وقد رد البيضاوي على المعتزلة في هذه المسألة، وذكر أوجها في الرد عليهم، ومنها: أنه لو لم يكن رزقًا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقًا، وفي ذلك منافاة لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [سورة هود:٦][(٢)].

وموضع التعقب أن البيضاوي رد على المعتزلة بتخصيص الرزق بالغذاء، بينما يرى الألوسي أن المعتزلة قالوا بمطلق الانتفاع، قال الألوسي: "والاستدلال على هذا المطلب كما فعل البيضاوي وغيره بأنه لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [سورة هود:٦] ليس بشيء... إلخ[(٣)].

وهذه المسألة من المسائل العقدية التي وقع الخلاف فيها بين أهل السنة والأشعرية من جهة، وبين المعتزلة من جهة أخرى.

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/١٢٠).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٣٩).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/١٢٠).

القـول الأول: أن الحـرام رزق علـى وجـه القـوت والاغتـذاء، وهـو قـول أهـل السـنة[1]، والأشعرية[2]، وهو قول البيضاوي والألوسي.

واستدلوا بما يلي:

١- الآيات الكثيرة التي فيها أن الله هو الذي يرزق، ومنها قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [سورة الروم:٤٠]. ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [سورة الملك:١٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ [سورة الذاريات:٥٨].

٢- أن من اغتذى بطول عمره بالحرام، لم يكن ممن يرزقه الله، وهذا يخالف صريح قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾.

٣- أن الإجماع حاصل من الأمة قبل ظهور المعتزلة أنه لا رازق إلا الله، وإن استحق العبد الذم واللوم على أكل الحرام.

القول الثاني: أن الحرام ليس برزق، وهو قول المعتزلة[3].

ودليلهم: أن رزق الحرام يلزم منه تملك الحرام، وهذا لا يجوز.

ورد عليهم: بأنه لا يلزم من رزق الحرام التملك، فالطفل الذي يتغذى من لبن أمه، والبهيمة التي ترعى الحشيش، يرزقهما الله، ولا ملك لهما في شيء من ذلك[4].

والراجح هو: القول الأول، وهو قول أهل السنة، والموافق لنصوص الكتاب الكريم، والموافق للإجماع الحاصل قبل نزاع المعتزلة؛ لأن لفظ (الرزق) يراد به ما أباحه الله تعالى للعبد وملّكه إياه ويراد به ما يتغذى به العبد، والله تعالى يرزق البهائم ولا توصف بأنها تملك، ولا بأنه أباح الله

---

(١) ينظر: القدر للفريابي (ص: ١٨٦)، الشريعة للآجري (٢/ ٦٩)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٤٤).

(٢) ينظر: الإبانة عن أصول الديانة (ص: ٢٠٥)، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل (ص: ٣٧٠)، الإنصاف للباقلاني (ص: ١٥)، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (ص: ١٧١)، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص: ٣٦)، شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ١٦٢)، شرح المواقف للجرجاني (ص: ١٤٢).

(٣) تفسير الزمخشري (١/ ٤٠).وينظر: الإبانة عن أصول الديانة (ص: ٢٠٥)، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ١٧٦)، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص: ٣٦)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٤٤).
واختاره ابن حزم من الظاهرية، ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/٥٠).

(٤) ينظر: الإبانة عن أصول الديانة (ص: ٢٠٦)، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل (ص: ٣٧٠)، الإنصاف للباقلاني (ص: ١٥).

ذلك لها إباحة شرعية؛ فإنه لا تكليف على البهائم – وكذلك الأطفال والمجانين – لكن ليس بمملوك لها وليس بمحرم عليها، وإنما المحرم بعض الذي يتغذى به العبد وهو من الرزق الذي علم الله أنه يتغذى به وقدر ذلك بخلاف ما أباحه وملكه، والرزق الحرام مما قدره الله وكتبته الملائكة وهو مما دخل تحت مشيئة الله وخلقه وهو مع ذلك قد حرمه ونهى عنه فلفاعله من غضبه وذمه وعقوبته ما هو أهله"[1].

ورزق الخالق سبحانه وتعالى ينقسم إلى قسمين:

القسم الأوّل: الرزق العام، وهو الذي يشمل البرّ والفاجر، والمؤمن والكافر، والكبير والصغير، والعاقل وغير العاقل، بل يشمل جميع ما تدبّ فيه الحياة من مخلوقاته، فيرزق الحيتان في البحار، والسباع في القفار، والأجنّة في بطون الأمهات، والنمل في باطن الأرض، فما من شيءٍ إلا وله قسمه وحظّه من الرزق: قوته وغذاؤه وما به عيشه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [سورة هود:٦] فتكفّل بأرزاق خلائقه وضمّنها تفضّلًا منه وتكرّمًا.

وهذا النوع من الرزق قد يكون من الحرام وقد يكون من الحلال، والمرجع في ذلك إلى الشرع؛ فإن أذن في هذا الرزق أن يتناوله العبد أو يتحصّله فهو المباح، وإن كان غير مأذون للعبد فيه فهو الحرام الذي يأثم صاحبه به، وهو في كلا الحالين رزقٌ، وعمومه جاء من ناحيتين: عمومه كمًّا ليشمل الخلائق على اختلاف أنواعها، وعمومه كيفًا ليشمل ما أحلّه الله وما حرّمه[2].

القسم الثاني: الرزق الخاص، ويعنون به الرزق النافع للعباد، والذي يستمرّ نفعه في الدنيا والآخرة، ويشمل رزق القلوب وعطاءها بالعلم النافع، والهداية والرشاد، والتوفيق إلى سلوك الخير، والتحلّي بجميل الأخلاق، والتنزّه عن رديئها، وهذا هو الرزق الحقيقي الذي يفيد العبد في معاشه ومعاده، يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقٗا ١١﴾ [سورة الطلاق:١١]، وفي موضع آخر: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٥٤٥).

(٢) ينظر: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (ص: ٣٤٥).

لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [سورة ص:٤٩-٥٤].

كما يشمل هذا القسم رزق الأبدان بالرزق الحلال الذي لا تبعة فيه يوم القيامة، بأن يغني الله عبده بحلاله عن حرامه، وبفضله عمن سواه، وهذا الرزق مما اختصّ الله به المؤمنين، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [سورة الأعراف:٣٢] [(١)].

كما قيل:

وكذلك الرزاق من أسمائه والرزق من أفعاله نوعان
رزق القلوب العلم والإيمان والـ ـرزق المعد لهذه الأبدان[(٢)]

وإدراك الفرق بين هذين القسمين والتفريق بين الرزق الخاص والعام يجيب على هذه المسألة فإن قُصد به الرزق على الإطلاق العام فهو يدخل فيه، وإن قُصد به الإطلاق الخاص فلا يدخل.

وقد استدلّ الإمام الرازي[(٣)] في جواز تسمية الحرام رزقًا على الاعتبار العام بقوله: "فحجة الأصحاب من وجهين:

الأول: أن الرزق في أصل اللغة هو الحظ والنصيب على ما بيناه، فمن انتفع بالحرام فذلك الحرام صار حظا ونصيبا، فوجب أن يكون رزقا له.

الثاني: أنه تعالى قال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [سورة هود:٦] وقد يعيش الرجل طول عمره لا يأكل إلا من السرقة، فوجب أن يقال: إنه طول عمره لم يأكل من رزقه شيئا".

---

(١) ينظر: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (ص: ٣٤٥).
(٢) نونية ابن القيم: الكافية الشافية، (١/٢١١).
(٣) تفسيره الرازي (٢/ ٢٧٥-٢٧٦).

ولعل الأظهر في هذه المسألة التفصيل بين قولي الإمامين، فكل منهما يصح قوله باعتبار قسم من أقسام الرزق المتقدم ذكرها آنفًا، والله أعلم.

المسألة الثالثة: إطلاق الفعل وإرادة مطلق الحدث.

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٦].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "و﴿سَوَآءٌ﴾: اسم بمعنى الاستواء، نعت به كما نعت بالمصادر، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ [سورة آل عمران:٦٤]. رفع بأنه خبر ﴿إِنَّ﴾ وما بعده مرتفع به على الفاعلية، كأنه قيل: إن الذين كفروا مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه، أو بأنه خبر لما بعده، بمعنى: إنذارك وعدمه سيان عليهم، والفعل إنما يمتنع الإخبار عنه إذا أريد به تمام ما وضع له، أما لو أطلق وأريد به اللفظ، أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمنًا على الاتساع فهو كالاسم في الإضافة، والإسناد إليه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ﴾، وقوله: ﴿يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ﴾. وقولهم: (تَسْمَعُ بِالمعيديِّ خَيرٌ مِنْ أَنْ تَرَاه)[1]. وإنما عدل هاهنا عن المصدر إلى الفعل لما فيه من إيهام التجدد، وحسن دخول الهمزة وأم عليه؛ لتقرير معنى الاستواء وتأكيده، فإنهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء، كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم: اللهم اغفر لنا أيتها العصابة"[2].

(١) هذا مثل يضرب فيمن كان له نباهة ذكر أو شهرة اسم، ومنظره ليس كذلك.ينظر: أمثال العرب، للضبي (ص: ٥٥)، الأمثال لابن سلام (ص: ٩٧)، البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ (ص: ٩٦)، البيان والتبيين (١/ ١٥٤)، العقد الفريد (٣/ ٢٨)، جمهرة الأمثال، للعسكري (١/ ٢٦٦)، مجمع الأمثال، للميداني (١/ ١٢٩).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٤١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "ودعوى البيضاوي- بيّض الله تعالى غرّة أحواله- أنه استعمل فيه اللفظ في جزء معناه وهو الحدث تجوّزًا، فلذا صح الإخبار عنه كما يجوز الإخبار عما يراد به مجرد لفظه كضربَ: ماض مفتوح الباء، على ما فيها[1]، لا تتأتى فيما إذا كان المعادلان أو أحدهما بعد همزة التسوية جملة اسمية، كما في قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٩٣]. ويدخل في الميل مع المعنى، مع أنه لا يلزم عليه الخروج عن الحقيقة"[2].

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى جواز استعمال الفعل في جزء معناه (وهو الحدث).

وقد وافقه العلامة الألوسي في ذلك، لكنه اعترض عليه بأنه لا يجوز فيما إذا كان المعادلان أو أحدهما بعد همزة التسوية جملة اسمية.

واستعمال الفعل في جزء معناه معروف عند النحاة[3].

وعلة ذلك: أن همزة الاستفهام تؤول هي والفعل بعدها في تأويل مصدر، والمصدر يعامل معاملة الفعل[4].

والراجح هو: قول الألوسي، وهو الموافق لما قرره أئمة النحو.

---

(١) الضمير هنا يعود على قوله: ودعوى البيضاوي..الخ.

(٢) تفسير الألوسي (١/١٣٠).

(٣) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي (١/ ٣١)، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك (١/ ٥٨)، حاشية المحقق البقاعي على أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (١/ ١٨٧).

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٢١)، مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٧٦)، إعراب القرآن الكريم للدعاس (١/ ١٠)، إعراب القرآن وبيانه (١/ ٢٨).

المسألة الرابعة: هل الكذب حرام كله؟

في قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٠].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "والكذب: هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به. وهو حرام كله لأنه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه. وما روي أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كذب ثلاث كذبات، فالمراد التعريض. ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وصرح في الحديث بجوازه في ثلاثة مواطن في الحرب، وإصلاح ذات البين، وكذب الرجل لامرأته ليرضيها، ولا حصر، ولهذا جاز تلقين الذين أقروا بالحدود الرجوع عن الإقرار. فينبغي أن يقابل بين مفسدة الكذب والمفسدة المترتبة على الصدق؛ فإن كانت المفسدة في الصدق أشد ضررا: فله الكذب، وإن كان عكسه أو شك: حرم عليه، فما قاله الإمام البيضاوي عفا اللّه تعالى عنه من أن الكذب حرام كله يوشك أن يكون مما سها فيه"(٢).

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن الكذب كله حرام، وما روي عن إبراهيم عليه السلام فهو محمول على التعريض.

بينما يرى العلامة الألوسي أن الكذب يجوز في المواطن الثلاث التي جاء الحديث بجوازه فيها.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٤٥).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/١٥٣).

وقد أجمع العلماء على حرمة الكذب[1].

لكن اختلفوا في مواطن هل يجوز فيها الكذب للمصلحة، أم لا، أو أنها محمولة على المعاريض.

القول الأول: أن الكذب كله حرام، وما جاء في بعض الأحاديث من الترخص فيه فهو من باب المعاريض والتورية، وهو قول الطبري[2]، والمهلب[3][4]. وهو قول البيضاوي.

ودليلهم: هو الجمع بين الإجماع الوارد على تحريم الكذب، وبين الأحاديث الواردة التي يفهم من ظاهرها جواز الكذب، وذلك بحمل تلك الأحاديث على أن المراد منه التورية والتعريض، لا صريح الكذب.

القول الثاني: أن الكذب كله حرام، ولا يجوز منه شيء إلا في هذه المواطن الثلاثة، وأما في غيرها فيوري فقط، وهو قول ابن قتيبة[5][6].

واستدلوا بما يلي:

١-عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**الحرب خُدْعَة**))[7].

---

(١) عمدة القاري، للعيني (١٤/ ٢٧٥).

(٢) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ١٨٧)، شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٥٨).

(٣) المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق، أبو سعيد الأزدي العتكي، من وجوه أهل البصرة وفرسانهم وأجوادهم، وتولى حرب الأزارقة وكانت له معهم وقعة وقائعه مشهورة مذكورة، توفي سنة (٤٣٥هـ). ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٦١/ ٢٨٠)، وفيات الأعيان (٥/ ٣٥٠)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٣).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ١٨٧).

(٥) عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد الكاتب الدينوري، ومن تصانيفه: غريب القرآن، وغريب الحديث، ومشكل القرآن، ومشكل الحديث، وأدب الكتاب، وعيون الأخبار، وكتاب المعارف، وغير ذلك، كان ثقة دينا فاضلا، وتوفي سنة (٢٧٦هـ). ينظر: تاريخ بغداد (١١/ ٤١١)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص: ١٥٩)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (٢/ ١٤٣).

(٦) تأويل مختلف الحديث (ص: ٨٥).

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة، (٤/ ٦٣)، رقم (٣٠٢٧)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب جواز الخداع في الحرب، (٣/ ١٣٦١)، رقم (١٧٤٠).

٢-عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط[١] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيرا، أو يقول خيرا**))[٢].

وفي رواية مسلم[٣] قالت: ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.

ووجه الاستدلال: أن هذه الأحاديث بينت وحددت المواطن التي يجوز فيها للإنسان الكذب، فدلت على أن الكذب لا يجوز في غيرها[٤].

القول الثالث: أن الكذب يجوز في غير هذه المواطن الثلاثة، مما يعين على جلب منفعة أو دفع مضرة، وهو قول سفيان بن عيينة[٥][٦]،

---

(١) أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، أسلمت بمكة قبل أن يأخذ النساء في الهجرة إلى المدينة، ثم هاجرت وبايعت، فهي من المهاجرات المبايعات، تزوجها زيد، ثم الزّبير، ثم عبد الرّحمن بن عوف، ثم عمرو بن العاص، فماتت عنده. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٩٥٣)، أسد الغابة (٦/ ٣٨٦)، الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٤٦٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، (٣/ ١٨٣)، رقم (٢٦٩٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه، (٤/ ٢٠١١)، رقم (٢٦٠٥).

(٣) مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسين القشيري النيسابوري، أحد الأئمة من حفاظ الحديث، وهو صاحب المسند المسند الصحيح، وقفا طريق البخاري ونظر في علمه، وحذا حذوه، ولما ورد البخاري نيسابور في آخر أمره لازمه مسلم، وأدام الاختلاف إليه، توفي في سنة (٢٦١هـ). ينظر: تاريخ بغداد (١٥/ ١٢١)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٨٩)، وفيات الأعيان (٥/ ١٩٤).

(٤) ينظر: تأويل مختلف الحديث (ص: ٨٥)، شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٥٧)، عمدة القاري (١٣/ ٢٦٨).

(٥) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، مولى محمد بن مزاحم، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام، أبو محمد محمد الهلالي الكوفي، ثم المكي، مولده بالكوفة، قال الإمام الشافعي: لولا مالك وسفيان بن عيينة، لذهب علم الحجاز، توفي سنة (١٩٨هـ). ينظر: طبقات ابن سعد (٥/ ٤٩٧)، التاريخ الكبير (٤/ ٩٤)، تاريخ بغداد (٩/ ١٧٤).

(٦) الاستذكار (٨/ ٥٧٣).

وابن الجوزي[1][2]. وهو قول الألوسي.

واستدلوا بنفس أدلة أصحاب القول السابق، مع غيرها من أدلة، ومنها:

١-قوله تعالى عن منادي يوسف: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [سورة الرعد: ٧٠].

ووجه الاستشهاد: أن يوسف عليه السلام اتهم إخوته بالسرقة، وهم برءاء منها، وذلك من أجل المصلحة[3].

٢-عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام، قط إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله، قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار، إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلما غيري وغيرك، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار، أتاه فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك، فأرسل إليها فأتي بها فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها، فقبضت يده قبضة شديدة، فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك، ففعلت، فعاد، فقبضت أشد من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك، ففعلت، فعاد، فقبضت أشد من القبضتين الأوليين، فقال: ادعي الله أن يطلق يدي، فلك الله أن لا أضرك، ففعلت، وأطلقت يده، ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان، ولم تأتني بإنسان، فأخرجها من أرضي، وأعطها هاجر. قال: فأقبلت تمشي، فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف، فقال لها: مهيم؟ قالت: خيرا، كف الله**

---

(١) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله أبو الفرج القرشي التّيمي البكري البغدادي الحنبلي، المشهور بابن الجوزي وعرف جده بالجوزي لجوزة كانت في دارهم بواسط لم يكن بها جوزة سواها ولد سنة (٥١٠هـ). كان ذا حظٍ عظيم، وصيتٍ بعيد في الوعظ، يحضر مجالسه الملوك، والوزراء وبعض الخلفاء، والأئمة والكبراء، له زاد المسير في التفسير وتذكرة الأريب في اللغة والموضوعات المنتظم في التاريخ وصفة الصفوة وتلبيس إبليس وغيرها توفي في رمضان سنة (٥٩٧هـ). ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٣٤٢)، الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٣٩٩)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ١٧)، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٧٥).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ٤٥٩).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٢٧١)، تفسير السمرقندي (٢/ ٢٠٣).

يد الفاجر، وأخدم خادما)). قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء[1].

ووجه الاستدلال: أن الكذب يجوز فيما فيه مصحلة الإنسان، ويمكن به دفع الضرر عن نفسه[2].

والراجح هو: أن الكذب حرام، إلا ما كان فيه مصلحة، من دفع مفسدة ظاهرة، أو جلب مصلحة متيقنة، وأما تعميم الإمام البيضاوي -رحمه الله- تحريمه كله فليس بظاهر، لورود النص في ذلك.

قال محمد بن الحسن الشيباني[3]: "لا خير في الكذب في جدّ ولا هزل، فإن وسع الكذب في شيء ففي خصلة واحدة: أن ترفع عن نفسك أو عن أخيك مظلمة، فهذا نرجو أن لا يكون به بأس"[4].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾، (٤/ ١٣٩)، رقم (٣٣٥٧)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، (٤/ ١٨٣٩)، رقم (٢٣٧١).

(٢) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٣٤٤)، فتح الباري لابن حجر (٦/ ٣٩٢).

(٣) محمد بن الحسن أبو عبد الله الشيباني الكوفي الإمام العلامة، صاحب أبي حنيفة، كان مع تبحره في الفقه يضرب بذكائه المثل، له المبسوط والجامع الكبير الصغير، توفي بالري سنة (١٨٩هـ). ينظر: الجواهر المضية (٣/ ١٢٢)، تاج التراجم (٣٢٧)، الفوائد البهية (ص ١٦٣).

(٤) ينظر: موطأ الإمام مالك، برواية محمد بن الحسن (١/٣١٨).

المسألة الخامسة: سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٤].

القولُ المعقَّبُ عليه:

قال البيضاوي: "روي أن ابن أُبيّ وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة، فقال لقومه: انظروا كيف أردّ هؤلاء السفهاء عنكم، فأخذ بيد أبي بكر ﷺ فقال: مرحبا بالصديق، سيد بني تيم، وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ، ثم أخذ بيد عمر ﷺ فقال: مرحبا بسيد بني عدي الفاروق، القوي في دينه، الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ، ثم أخذ بيد علي ﷺ فقال: مرحبا يا ابن عم رسول الله ﷺ وختنه سيد بني هاشم، ما خلا رسول الله ﷺ. فنزلت"(١).

التعقّب:

قال الألوسي: "هذا ولم يصح عندي في سبب نزول هذه الآية شيء، وأما ما ذكره الزمخشري(٢) والبيضاوي ومولانا مفتي الديار الرومية وغيرهم فهو من طريق السدي الصغير وهو كذاب، وتلك السلسلة سلسلة الكذب لا سلسلة الذهب"(٣).

الدراسة.

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن الآية نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابة، بينما يرى العلامة الآلوسي أنه لا يصح في هذه الآية سبب نزولن وأنها على إطلاقها.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٤٧).

(٢) تفسير الزمخشري (١/ ٦٥).

(٣) روح المعاني (١/١٥٩).

وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية، وفي تعيين الذين نزلت فيهم الآية:

القول الأول: أن المراد هم اليهود، وهو مروي عن ابن عباس[(١)].

القول الثاني: أن المراد هم المنافقون والمشركون، وهو مروي عن مجاهد[(٢)][(٣)]، والربيع بن أنس[(٤)][(٥)]، وأبو العالية[(٦)][(٧)]، والسدي[(٨)][(٩)]، وهو قول السمرقندي[(١٠)][(١١)]، والقشيري[(١٢)][(١٣)]، والقشيري[(١٢)][(١٣)]،

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٣٠٦)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٤٦).

(٢) مجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى السائب بن أبي السائب المخزومي المكي المقرئ المفسر أحد الأعلام، من شيوخه: ابن عباس، وعائشة وأبي هريرة، وسعد وعبد الله بن عمرو، عرض القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، توفي سنة (١٠٣هـ). ينظر: الطبقات الكبرى (٥/ ٤٦٦)، سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: ٩٢٩)، تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٧١).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٣٠٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٤٧).

(٤) الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني المروزي بصري، سجن بمرو ثلاثين سنة، وتحيل ابن المبارك حتى دخل إليه، فسمع منه، قال عبد الله بن المبارك: أعطيت لمن أدخلني على الربيع بن أنس ستين درهما، توفي سنة (١٣٩هـ). ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٩/ ٦٠)، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٦٩)، الوافي بالوفيات (١٤/ ٥٦).

(٥) تفسير الطبري (١/ ٣٠٨).

(٦) رفيع بن مهران، أبو العالية الرياحي البصري، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين، ودخل على أبي بكر الصديق، وصلى خلف عمر بن الخطاب، توفي سنة (٩٠هـ). ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٩/ ٢١٤)، تاريخ الإسلام (٢/ ١٢٠٤)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٧).

(٧) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٤٨).

(٨) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، من شيوخه: ابن عباس، وأنس. ومن تلامذته: أبو عوانة، والثوري، والحسن بن صالح، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس، وهو في الحديث صدوق، ورمي بالتشيّع، توفي سنة (١٢٧هـ). ينظر: النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (١/ ٣٠٨)، اللباب لابن الأثير (١/ ٥٣٧)، ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٢٣٦)

(٩) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٤٨).

(١٠) نصر بن محمد بن أحمد السّمرقندي، مفسر ومحدث، لقب بإمام الهدى لفضله وصلاحه، ترك عدة مؤلفات أبرزها تفسيره، وهو متوسط الحجم، جمع فيه الأقوال المأثورة في التفسير، وقد ترجم إلى التركية، توفي في جمادى الآخرة سنة (٣٧٥هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (٨/ ٤٢٠)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٢٢)، الوافي بالوفيات (٢٧/ ٥٤).

(١١) تفسير السمرقندي (١/ ٢٩).

(١٢) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد، أبو القاسم القشيري النيسابوري، من تصانيفه: نحو القلوب، وكتاب لطائف الإشارات، وغير ذلك، كان ثقة، حسن الموعظة، مليح الإشارة، وتوفي سنة (٤٦٥هـ). ينظر: تاريخ بغداد (١١/ ٨٣)، معجم الأدباء (٤/ ١٥٧٠)، تاريخ الإسلام (١٠/ ٢١٨)، الوافي بالوفيات (١٩/ ٦٣).

(١٣) تفسير القشيري (١/ ٦٤).

والسمعاني[1][2]، وابن عطية[3]، والقرطبي[4][5]، والنسفي[6][7].

وقد استدل بعض أصحاب هذا القول بما روي في سبب نزول الآية[8]، وهو: أن أبا بكر وعمر وعثمان[9] وعلي بن أبي طالب[10]- رضي الله عنهم- مرّوا بقوم من المنافقين، فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: انظروا كيف أرد هؤلاء الجهال عنكم فتعلّموا مني كيف أكلمهم،

---

(١) منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع بن مسلم بن عبد الله أبو المظفّر السّمعانيّ التميميّ المروزيّ، ولد في ذي الحجة سنة (٤٢٦هـ) مفسر، من العلماء بالحديث من أهل مرو، كان مفتي خراسان، قدمه نظام الملك على أقرانه في مرو. صنف في الفقه، والتفسير، والحديث، والأصول، توفي في ليلة الجمعة بمرو (٤٨٩/٣/١٣هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (١٠/ ٦٤٠)، تذكرة الحفاظ (٤/ ٤٣)، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١١٤)، الوافي بالوفيات (١٨/ ١٩٩)، البداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ١٥٣)، طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ٣٣٥)، طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٣٣٩).

(٢) تفسير السمعاني (١/ ٥٠).

(٣) تفسير ابن عطية (١/ ٩٤).

(٤) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي القرطبي، من كتبه: الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة، وغيرها، إمام متفنن متبحر في العلم، توفي سنة (٦٧١هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٢٩)، الوافي بالوفيات (٢/ ٨٧)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢/ ٣٠٨)، طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٦٩).

(٥) تفسير القرطبي (١/ ٢٠٦).

(٦) عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات، فقيه حنفي مفسر نسب إلى منطقة نسف في بلاد السند، لم تذكر كتب التراجم تاريخ ولادته. تتلمذ على أكثر شيوخ عصره، ومنهم شمس الدين الكردي وأحمد العتابي. كان النسفي أحد الزهاد المتأخرين والعلماء العاملين، له مؤلفات كثيرة في الفقه والأصول والتفسير أبرزها تفسيره: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، وهو تفسير متوسط الحجم اختصره من تفسير الكشاف وتفسير البيضاوي. توفي في بلدة إيذج قرب أصبهان (٧١٠ هـ). ينظر: الجواهر المضية (١/ ٢٧٠)، والدرر الكامنة (٢/ ٢٤٧)، الأعلام للزركلي (٤/ ٦٨)

(٧) تفسير النسفي (١/ ٥٢).

(٨) ينظر: تفسير السمرقندي (١/ ٢٩)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤٧/١).

(٩) عثمان بن عفان بن أبي العاص أبو عمرو القرشي الأموي، ذو النورين أمير المؤمنين، أسلم قديمًا وهاجر الهجرتين، تزوج بابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، قتل بالمدينة سنة (٣٥هـ). ينظر: الاستيعاب (٣/ ١٠٣٧)، أسد الغابة (٣/ ٥٧٨)، الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٤٥٦).

(١٠) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، وهو أول النَّاس إسلامًا في قول كثير من العلماء، وهاجر إلى المدينة، وشهد جميع المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبوك، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه على أهله، استشهد في سنة (٤٠هـ). ينظر: أسد الغابة (٣/ ٥٨٨)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٤٤)، الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٥٠١).

فأخذ بيد أبي بكر، وقال: مرحبًا بسيد بني تميم، وثاني اثنين، وصاحبه في الغار، وصفيه من أمته، الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أخذ بيد عمر قال: مرحبًا بسيد بني عدي القوي في أمر الله تعالى، الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أخذ بيد علي فقال: مرحبًا بسيد بني هاشم، ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، الباذل نفسه ودمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والسابق إلى الهجرة فقال له علي: ((اتق الله يا عبد الله ولا تنافق، فإن المنافقين شر خليقة الله)). قال: فلم تقول هكذا وإيماني كإيمانكم وتصديقي كتصديقكم. ثم افترقوا، فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتم ردي هؤلاء عنكم؟ فقالوا: لا نزال بخير ما عشت لنا، فنزلت الآية: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ يعني إيماننا كإيمانكم، وتصديقنا كتصديقكم[1].

والراجح هو: أنه يتبين مما سبق أن قول الألوسي –رحمه الله–: "ولم يصح عندي في سبب نزول هذه الآية شيء"، أصح مما ذهب إليه البيضاوي؛ لكون البيضاوي –رحمه الله– اعتمد في تفسيره على رواية ضعيفة في سندها محمد بن مروان وهو السدي الصغير، وهو متروك[2]. وأيضا: فإنه لم يرد في سبب نزولها حديث صحيح يعتمد عليه.

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص٢٢). وفي سنده محمد بن مروان وهو السدي الصغير، وهو متروك. ينظر: تقريب التهذيب (٦٢٧٩).

(٢) تقريب التهذيب (٦٢٧٩). وقال ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب (١/ ٢٣٧): "آثار الوضع لائحة على هذا الكلام".

المسألة السادسة: معنى: (يَمُدُّهُمْ) في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٥].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ من مدّ الجيش وأمدّه إذا زاده وقوّاه، ومنه مددت السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والسماد، لا من المدّ في العمر فإنه يعدى باللام كأملي له. ويدل عليه قراءة ابن كثير ﴿وَيُمِدُّهُمْ﴾"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "ورد استعمال هذه المادة بمعنيين، أحدهما ما ذكرنا، وثانيهما الإمهال، ومنه مد العمر، والواقع هنا من الأول دون الثاني لوجهين:

الأول: أنه روي عن ابن كثير من غير السبعة ﴿يُمِدُّهُمْ﴾ بالضم من المزيد(٢)، وهو لم يسمع في الثاني.

والثاني: أنه متعد بنفسه، والآخر متعد باللام، والحذف والإيصال خلاف الأصل فلا يرتكب بغير داع، فمعنى ﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ يزيدهم ويقويهم فيه، وإلى ذلك ذهب البيضاوي وغيره، والحق أن الإمهال هنا محتمل وإليه ذهب الزجاج(٣)، وابن كيسان(٤).

والوجهان مخدوشان، فقد ورد عند من يعول عليه من أهل اللغة كل منهما ثلاثيا ومزيدا ومعدّى بنفسه وباللام، وكلاهما من أصل واحد ومعناهما يرجع إلى الزيادة كمًّا أو كيفًا، وفي

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٤٨).

(٢) رواه أبو حذيفة عن ابْن كَثِيرٍ، خارج السبعة، ينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها (ص: ٤٨١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٩١).

(٤) البحر المحيط في التفسير (١/ ١١٦).

(الصحاح)[1]: مد الله في عمره ومده في غيه أمهله وطول له، وروي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن مدّ الله تعالى في طغيانهم التمكين من العصيان[2]. وعن ابن عباس: الإملاء[3]"[4].

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن (المد) في اللغة يراد به الزيادة، بينما يرى العلامة الألوسي أنه يراد به الزيادة، ويراد به أيضا الإمهال.

وقد ذكر أهل اللغة أن كلا المعنيين يتعديان بنفسه[5].

قال ابن دريد[6]: "أمددت لك في الأجل: أنسأتك فيه"[7].

وقال الجوهري: "مد الله في عمره. ومده في غيه، أي أمهله وطول له"[8].

وقال ابن منظور[9]: "مده في غيه أي أمهله وطول له"[10].

---

(١) الصحاح (٢/ ٥٣٧)، مادة (مدد).

(٢) البحر المحيط في التفسير (١/ ١١٦).

(٣) البحر المحيط في التفسير (١/ ١١٦).

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/١٦٢).

(٥) ينظر: فتح القدير (١/٥٣).

(٦) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري، ولد سنة (٢٢٣هـ)، ومن تصانيفه: الجمهرة، وهو على حروف المعجم، والمقصور والممدود، وكان من أكابر علماء العربية مقدماً في اللغة وأنساب العرب وأشعارهم، توفي سنة (٣٢١هـ). ينظر: تاريخ العلماء النحويين للتنوخي (ص: ٢٢٥)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص: ١٩١)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (٣/ ٩٢).

(٧) جمهرة اللغة (١/ ١١٥).

(٨) الصحاح (٢/ ٥٣٧).

(٩) محمد بن مكرم بن علي بن أحمد ابن أبي القاسم بن حقة بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، جمال الدين أبو الفضل، ولد سنة (٦٣٠هـ)، ومن تصانيفه: لسان العرب، الذي جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح وحواشيه والجمهرة والنهاية، وكان عارفا بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة، مات في شعبان سنة (٧١١هـ). ينظر: بغية الوعاة (١/ ٢٤٨)، الأعلام للزركلي (٧/ ١٠٨).

(١٠) لسان العرب (٣/ ٣٩٦).

والراجح هو: أن تعقب الألوسي –رحمه الله– صحيح، فليس المعنى مقتصرا على أحدهما، وقد ذكر أهل اللغة أن كلا المعنيين يتعدى بنفسه.

المسألة السابعة: معنى ﴿ٱلَّذِى﴾ في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "و﴿ٱلَّذِى﴾: بمعنى (الذين) كما في قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ إن جعل مرجع الضمير في ﴿بِنُورِهِمْ﴾، وإنما جاز ذلك ولم يجز وضع (القائم) موضع (القائمين)؛ لأنه غير مقصود بالوصف، بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة إلى وصف المعرفة بها؛ لأنه ليس باسم تام، بل هو كالجزء منه، فحقه أنه لا يجمع كما لا تجمع أخواتها، ويستوي فيه الواحد والجمع، وليس (الذين) جمعه المصحح، بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى، ولذلك جاء بالياء أبدًا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل، ولكونه مستطالًا بصلته استحق التخفيف، ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "و﴿ٱلَّذِى﴾ وضع موضع (الذين) إن كان ضمير ﴿بِنُورِهِمْ﴾ راجعا إليه، وإلا فهو باق على ظاهره؛ إذ لا ضير في تشبيه حال الجماعة بحال الواحد، وجاز هنا وضع المفرد موضع الجمع، وقد منعه الجمهور فلم يجوزوا إقامة (القائم) مقام (القائمين)؛ لأن هذا مخالف لغيره لخصوصية اقتضته، فإنه إنما وضع ليتوصل به إلى وصف المعارف بالجمل، فلما لم يقصد لذاته توسعوا فيه، ولأنه مع صلته كشيء واحد، وعلامة الجمع لا تقع حشوا فلذا لم يلحقوها به ووضعوه لما يعم كـ(من)، و(ما)، و(الذين) ليس جمعا له بل هو اسم وضع مزيدا فيه لزيادة المعنى، وقصد التصريح بها ولذا لم يعرف بالحروف كغيره على الأفصح، ولأنه استطال

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤٩/١).

بالصلة فاستحق التخفيف حتى بولغ فيه إلى أن اقتصر على اللام في نحو اسم الفاعل، قاله القاضي[1] وغيره، ولا يخلو عن كدر لاسيما الوجه الأخير"[2].

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن (الذي) في هذا الموضع بمعنى (الذين)، وأن (الذين) ليس جمعا لـ(الذي).

ويوافقه في ذلك العلامة الألوسي، إلا أنه تعقبه في بعض كلامه، وهو قوله: "ولكونه مستطالًا بصلته استحق التخفيف، ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين".

أما البيضاوي فهو تابع في ذلك للزمخشري[3].

وأما وجه وصفه بأنه لا يخلو عن كدر، فهو ما ذكره أبو حيان الأندلسي، فقال: "من زعم أن (الذي) هنا هو (الذين) وحذفت النون لطول الصلة، فهو خطأ: لإفراد الضمير في الصلة، ولا يجوز الإفراد للضمير لأن المحذوف كالملفوظ به"[4].

وقال السمين الحلبي[5]: "هذا وهم فاحش، لأنه لو كان من باب ما حذفت منه النون لوجب مطابقة الضمير جمعا"[6].

وهذه المسألة من المسائل اللغوية التي وقع فيها الخلاف: هل (الذين) جمع مصحح من (الذي) أم النون فيه زيدت لزيادة المعنى وليس بجمع له؟ على قولين:

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤٩/١).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٦٦/١).

(٣) ينظر: تفسير الزمخشري (١/ ٧٣). تفسير الرازي (٢/ ٣١٣).

(٤) البحر المحيط في التفسير (١/ ١٢٥).

(٥) أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين، ومن شيوخه: أبو حيان الأندلسي، والتقي الصائغ، ومن تصانيفه: الدر المصون، والقول الوجيز، وهو مفسر، عالم بالعربية والقرآت، شافعيّ المذهب، أصله من أهل حلب، ثم رحل إلى القاهرة، وولي تدريس القراءات بجامع ابن طولون، وتوفي في جمادى الأولى سنة (٧٥٦هـ). ينظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/ ٥٣٧)، بغية الوعاة (٤٠٢/١)، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٠١)، غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ١٥٢).

(٦) الدر المصون (١/ ١٥٧).

القول الأول: أن (الذين) جمع (الذي) لكنها تكون بالياء دائما على اللغة الفصيحة؛ قال ابن جني[1]: " وَجمع (الَّذِي) (الَّذين) بِالْيَاءِ فِي كل حَال"[2].

وهو اختيار ابن مالك[3] حيث قال في ألفيته[4]:

جمع الذي الأولى الذين مطلقا وبعضهم بالواو رفعًا نطقا

القول الثاني: أن (الذين) ليست جمع (الذي) المصحح، بل جاءت النون فيها زيادة لزيادة المعنى؛ قال أبو البقاء الكفوي[5]: "وَلَيْسَ (الَّذين) جمع (الَّذِي) المصحح، بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء أبدا في اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل"[6].

وهو اختيار البيضاوي[7].

والراجح هو: أن الألوسي لم يعترض على البيضاوي في اختياره أن (الذين) ليست جمع (الذي) المصحح، بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى، وإنما اعترض على الأوجه التي رجّح بها قوله، لاسيما الوجه الأخير الذي يقول فيه: "ولكونه مستطالًا بصلته استحق التخفيف، ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين"[8].

---

(١) أبو الفتح عثمان بن جني، من تصانيفه: سر صناعة الإعراب، الخصائص، وكان من حذاق أهل الأدب، وأعلمهم بعلم النحو والتصريف، وتوفي سنة (٣٩٢هـ). ينظر: تاريخ العلماء النحويين للتنوخي (ص: ٢٤)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص: ٢٤٤)، معجم الأدباء (٤/ ١٥٨٥).

(٢) اللمع في العربية لابن جني (ص: ١٨٨).

(٣) محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني النحوي، ولد سنة (٦٠٠هـ)، ومن تصانيفه: التسهيل، والخلاصة الألفية، والكافية الشافية، وهو إمام في العربية واللغة، وكان مبرزا في صناعة العربية، إماما في القراءات وعللها، وتوفي سنة (٦٧٢هـ). ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص: ٢٦٩)، بغية الوعاة (١/ ١٣٠)، تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٤٩).

(٤) ألفية ابن مالك (ص: ١٩٨).

(٥) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء، من تصانيفه: الكليات، وكان من قضاة الأحناف. عاش وولي وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى إستانبول فتوفي بها في سنة (١٠٩٤هـ). ينظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٣٨).

(٦) الكليات لأبي البقاء الحنفي (ص: ١٦٤).

(٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤٩/١).

(٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤٩/١).

المسألة الثامنة: معنى: ﴿ٱسۡتَوۡقَدَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبۡصِرُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "والاستيقاد: طلب الوقود والسعي في تحصيله، وهو سطوع النار وارتفاع لهبها"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "و(استوقدوا) بمعنى (أوقدوا)، وجعْلُ الاستيقاد بمعنى طلب الوقود وهو سطوع النار -كما فعل البيضاوي- محوج إلى حذف، والمعنى حينئذ: طلبوا نارا واستدعوها، فأوقدوها ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ﴾، لأن الإضاءة لا تتسبب عن الطلب، وإنما تتسبب عن الإيقاد"(٢).

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن الاستيقاد معناه طلب الوقود، بينما يرى العلامة الألوسي أن أنه بمعنى الإيقاد.

وقد اختلف المفسرون وأهل اللغة في معنى ﴿ٱسۡتَوۡقَدَ﴾:

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٤٩).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/١٦٦).

القول الأول: أنه بمعنى طلب الوقود، وهو قول مكي بن أبي طالب[1]، وأبي هلال العسكري[2][3]، وقوام السنة الأصبهاني[4][5]، والباقولي[6][7].

قال أبو هلال: "لا يجوز أن يكون افعل واستفعل بمعنى واحد، كما لا يكون علم واستعلم بمعنى واحد"[8]. واختاره البيضاوي[9].

القول الثاني: أنه بمعنى الإيقاد، وأن ﴿اسْتَوْقَدَ﴾ وأوقد بمعنى واحد، وهو قول الأخفش[10][11]، وابن قتيبة[12]، ومحمد بن عزير[13][14]،

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/١٧٠).

(٢) أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، أبو هلال اللغوي العسكري، ومن تصانيفه: كتاب الفروق في اللغة، وكان موصوفا بالعلم والفقه، والغالب عليه الأدب والشعر. ينظر: معجم الأدباء (٢/ ٩١٨)، بغية الوعاة (١/ ٥٠٦)، تاريخ الإسلام (٩/ ٣٣٨).

(٣) الوجوه والنظائر (ص: ٢٦٢).

(٤) إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر، أبو القاسم التيمي، الطلحي، الأصبهاني، المعروف بالجوزي، الملقب بقوام السنة، ولد سنة (٤٥٧هـ)، من مؤلفاته: الترغيب والترهيب، وكتاب دلائل النبوة، كان إمام أئمة وقته وأستاذ علماء عصره وقدوة أهل السنة في زمانه، ومات في سنة (٥٣٥هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (١١/ ٦٢٣)، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٨٠)، طبقات الشافعيين (ص: ٥٩١).

(٥) إعراب القرآن، للأصبهاني (ص: ١٣).

(٦) علي بن الحسين بن علي الضرير الأصفهاني النحوي، أبو الحسن الباقولي المعروف بالجامع، ومن تصانيفه: شرح الجمل، الجواهر، المجمل، الاستدراك على أبي علي، البيان في شواهد القرآن، علل القراءات، وكان إمام في العربية والقراءات. ينظر: معجم الأدباء (٤/ ١٧٣٦)، بغية الوعاة (٢/ ١٦٠)، الوافي بالوفيات (٢١/ ١٠).

(٧) إعراب القرآن، للباقولي (٢/٤٠٥).

(٨) الوجوه والنظائر (ص: ٢٦٢).

(٩) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٤٩).

(١٠) سعيد بن مسعدة البلخي، أبو الحسن، من شيوخه: الخليل بن أحمد وسيبويه، ومن تصانيفه: معاني القرآن، والاشتقاق، والعروض، والقوافي، وغيرها، كان أبرع أصحاب سيبويه، توفي في سنة (٢١٠هـ). ينظر: أخبار النحويين البصريين (ص: ٤٠)، تاريخ العلماء النحويين (ص: ٨٥)، البلغة (ص: ١٤٥).

(١١) معاني القرآن (١/ ٥٣).

(١٢) غريب القرآن (ص: ٤٢).

(١٣) محمد بن عزير، أبو بكر السجستاني، من تصانيفه: غريب القرآن، يقال إنه ألفه في خمس عشرة سنة، وكان رجلا صالحا فاضلا، وتوفي سنة (٣٣٠هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (٧/ ٦١٦)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢١٦)، الوافي بالوفيات (٤/ ٧٠).

(١٤) غريب القرآن للسجستاني (ص: ٩٦).

والطبري[1]، والثعلبي[2][3]، والواحدي[4][5]، والسمعاني[6]، والبغوي[7]، وأبي حيان[8]، والعكبري[9][10]. واختاره الألوسي[11].

والراجح هو: القول الثاني أن ﴿اسْتَوْقَدَ﴾ وأوقد بمعنى واحد كما ذكر الألوسي، والدليل في ذلك كما قال أبو حيان: "كونها بمعنى أوقد، وهو أرجح؛ لأن جعلها للطلب يقتضي حذف جملة حتى يصح المعنى، وجعلها بمعنى أوقد لا يقتضيه"[12].

---

(١) تفسير الطبري (١/٣٣٥).

(٢) أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي، ويقال أيضا: الثعالبي، وهو صاحب الكتاب المشهور بأيدي الناس المعروف بتفسير الثعلبي، وكان أوحد زمانه في علم التفسير، وتوفي في محرم سنة (٤٢٧هـ). ينظر: معجم الأدباء (٢/ ٥٠٧)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (١/ ١٥٤)، وفيات الأعيان (١/ ٧٩)، تاريخ الإسلام (٩/ ٤٢٢).

(٣) تفسير الثعلبي (١/١٦٠).

(٤) أحمد بن محمد بن علي بن متّويه الواحدي النيسابوري الشافعي أبو الحسن مفسر نحوي، لغوي فقيه شاعر، إخباري. إخباري. أصله من ساوه، ومن أولاد التجار. له: الوجيز والوسيط والبسيط وكلها في التفسير والمغازي وشرح ديوان المتنبي والإغراب في الإعراب، ونفي التحريف عن القرآن الشريف. توفي بنيسابور سنة (٤٦٨هـ). ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٢٣)، طبقات النحاة لابن قاضي شهبة (٢/ ١٣٥)، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣٩٤).

(٥) التفسير الوسيط (١/٩٣).

(٦) تفسير السمعاني (١/٥٢).

(٧) تفسير البغوي (١/٩٠).

(٨) البحر المحيط (١/١٢٧).

(٩) عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبريّ البغدادي، أبو البقاء، محبّ الدين، ولد سنة (٥٣٨هـ)، ومن تصانيفه: التبيان في إعراب القرآن ويسمى: إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراآت في جميع القرآن، عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب، وتوفي سنة (٦١٦هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (١٣/ ٤٧٢)، سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٩١)، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٣١)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص: ١٦٨).

(١٠) التبيان في إعراب القرآن (١/٣٣).

(١١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/١٦٦).

(١٢) البحر المحيط (١/١٢٧).

المسألة التاسعة : في تحديد فاعل ﴿أَضَآءَتْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ أي: النار، ما حول المستوقد إن جعلتها متعدية، وإلا أمكن أن تكون مسندة إلى ما، والتأنيث لأن ما حوله أشياء وأماكن: أو إلى ضمير النار، و(ما): موصولة في معنى الأمكنة، نصب على الظرف، أو مزيدة"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "و﴿أضاء﴾ يكون متعديا ولازما، فعلى الأول ما موصولة أو موصوفة، والظرف صلة أو صفة وهي المفعول، والفاعل ضمير النار، وعلى الثاني فما كذلك وهي الفاعل وأنث فعله لتأويله بمؤنث كالأمكنة والجهات، أو الفاعل ضمير النار و(ما) زائدة أو في محل نصب على الظرفية، ولا يجب التصريح بفي حينئذ كما توهم؛ لأن الحق أن (ما) الموصولة أو الموصوفة إذا جعلت ظرفا فالمراد بها الأمكنة التي تحيط بالمستوقد- وهي الجهات الست-، وهي مما ينصب على الظرفية قياسا مطردا فكذا ما عبر به عنها، وأولى الوجوه أن تكون ﴿أَضَآءَتْ﴾ متعدية و(ما) موصولة إذ لا حاجة حينئذ إلى الحمل على المعنى، ولا ارتكاب ما قل استعماله لاسيما زيادة (ما) هنا حتى ذكروا أنها لم تسمع هنا، ولم يحفظ من كلام العرب جلست ما مجلسا حسنا، ولا قمت ما يوم الجمعة. ويا ليت شعري من أين أخذ ذلك الزمخشري(٢)،

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٤٩).
(٢) تفسير الزمخشري (١/ ٧٣).

وكيف تبعه البيضاوي؟!"[1].

الدراسة:

محل التعقب هنا: في تحديد فاعل أضاء، وفيه ثلاثة أوجه في الإعراب:

الوجه الأول: على اعتبار: أضاء فعلا لازما، فيكون الإعراب كما يأتي: أضاء: فعل ماض، والتاء: للتأنيث لا محل لها من الإعراب، وما: موصول في محل رفع فاعل، وإنما أنث الفعل مع أن لفظ الفاعل (ما) مذكر، لأن المقصود به الأماكن أو الأشياء[2].

وهذا الوجه قد اتفق على جوازه الإمامان: البيضاوي، والألوسي.

الوجه الثاني: على اعتبار أن الفعل ﴿أضاء﴾ متعد، فيكون الإعراب كما يأتي: أضاء: فعل ماض، والتاء: للتأنيث لا محل لها من الإعراب، والفاعل: ضمير مستتر يعود على النار، وما: موصولة في محل نصب على المفعولية[3].

وهذا الوجه اتفق عليه الإمامان أيضًا ورجحه الألوسي ومال إليه.

الوجه الثالث: أضاء: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل ضمير مستتر يعود على النار، تقديره هي، و(ما) زائدة[4].

وهذا الوجه هو الذي انتقده الألوسي على البيضاوي –رحمهما الله– حيث قال متعجبًا: "ويا ليت شعري من أين أخذ ذلك الزمخشري وكيف تبعه البيضاوي؟!"[5].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/١٦٧).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٣٣)، إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٣).

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٣٣)، إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٣)، مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٨٠)، إعراب القرآن للأصبهاني (ص: ١٦)، إعراب القرآن وبيانه (١/ ٤٢)، الجدول في إعراب القرآن (١/ ٦٠).

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٣٣)، إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٣).

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/١٦٧).

والراجح هو: أن الذي يظهر والله أعلم أن تعقب الألوسي صحيحٌ، لأن زيادة (ما) هنا قد ذكروا أنها لم تسمع، ولم يسمع عن العرب: جلست- ما- مجلسا حسنا، ولا قمت- ما- يوم الجمعة. قال العكبري: "﴿أَضَآءَتْ﴾ متعد، فيكون ما على هذا مفعولا به"[1].

(١) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٣٣).

المسألة العاشرة : هل المعدوم شيء؟

في قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٠].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "والشيء يختص بالموجود، لأنه في الأصل مصدر شاء، أطلق بمعنى شاء تارة، وحينئذ يتناول البارئ تعالى كما قال: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ﴾ [سورة الأنعام:١٩]. وبمعنى مشيء أخرى، أي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة، وعليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة:٢٠]. ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [سورة الزمر: ٦٢]، فهما على عمومهما بلا مثنوية. والمعتزلة لما قالوا: الشيء ما يصح أن يوجد وهو يعم الواجب والممكن، أو ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع أيضًا، لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل"[(١)].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "والشيء لغة ما يصح أن يعلم ويخبر عنه كما نص عليه سيبويه[(٢)]، وهو شامل للمعدوم والموجود الواجب والممكن وتختلف إطلاقاته، ويعلم المراد منه بالقرائن فيطلق تارة، ويراد به جميع أفراده كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة:٢٨٢]. بقرينة إحاطة العلم الإلهي بالواجب والممكن المعدوم والموجود والمحال الملحوظ بعنوان ما، ويطلق ويراد به الممكن مطلقا كما في الآية الكريمة بقرينة القدرة التي لا تتعلق إلا بالممكن، وقد يطلق ويراد به الممكن الخارجي الموجود في الذهن كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥٣/١).
(٢) الكتاب لسيبويه (١/ ٢٢).

ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [سورة الكهف:٢٣- ٢٤]. بقرينة كونه متصورا مشيئا فعله غدا، وقد يطلق ويراد به الممكن المعدوم الثابت في نفس الأمر كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة النحل:٤٠]. بقرينة إرادة التكوين التي تختص بالمعدوم، وقد يطلق ويراد به الموجود الخارجي كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [سورة مريم:٩]. أي موجودا خارجيا لامتناع أن يراد نفي كونه شيئا بالمعنى اللغوي الأعم الشامل للمعدوم الثابت في نفس الأمر؛ لأن كل مخلوق فهو في الأزل شيء- أي معدوم- ثابت في نفس الأمر وإطلاق الشيء عليه قد قرر، والأصل في الإطلاق الحقيقة ولا يعدل عنه إلا لصارف ولا صارف. وشيوع استعماله في الموجود لا ينتهض صارفا إذ ذاك إنما هو لكون تعلق الغرض في المحاورات بأحوال الموجودات أكثر لا لاختصاصه به لغة، وما ذكره مولانا البيضاوي من اختصاصه بالموجود- لأنه في الأصل مصدر شاء- أطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى وبمعنى مشيء أخرى أي مشيء وجوده إلخ ففيه- مع ما فيه- أنه يلزمه في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة:٢٨٢]. استعمال المشترك في معنييه"(١).

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن المعدوم لا يقال عنه شيء، وإنما يقال الشيء للموجود فقط، وهذا ما كان يقصده بقوله: "والشيء يختص بالموجود"(٢).

بينما يرى العلامة الألوسي أن إطلاق الشيء ليس مختصا بالموجود بل يطلق على الموجود، وعلى المعدوم، وقال في ذلك: "وهو شامل للمعدوم والموجود الواجب والممكن وتختلف إطلاقاته، وشيوع استعماله في الموجود لا ينتهض صارفا"(٣).

وهذه المسألة متعلقة بالعقائد، وقد وقع الخلاف فيها بين الفرق على قولين:

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/١٨٠).
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٥٣).
(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/١٨٠).

القول الأول: أن المعدوم ليس بشيء، وهو قول أهل السنة[١]، والأشعرية[٢]، والمرجئة[٣]، وهو قول ابن حزم[٤][٥].

ودليلهم:

١- قول الله عز وجل ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [سورة مريم:٩].

٢- وقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [سورة الإنسان:١].

٣- وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [سورة الفرقان:٢].

٤- وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر:٤٩].

ووجه الاستدلال: أنه تعالى وصف المعدوم بأنه غير شيء، فصح أن المعدوم ليس شيئا[٦].

القول الثاني: أن المعدوم شيء، وهو قول المعتزلة[٧]، والشيعة[٨].

ودليلهم[٩]:

---

(١) ينظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١/١٢٠)، شرح الطحاوية (ص: ٩٣)، لوامع الأنوار البهية (١٥٧/٢).

(٢) ينظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل (ص: ٣٥)، الفرق بين الفرق (ص: ٩٦)، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص: ٢٠٣).

(٣) المرجئة هم الذين يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة. ينظر: الفرق بين الفرق (ص: ١٩٠)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٥٤)، الملل والنحل (١/ ١٣٩).

(٤) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب أبو محمد، أصله من الفرس، ولد في ليلة الفطر (٣٨٤هـ) بقرطبة، كان شافعي المذهب، فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر، من تصانيفه: الفصل في الملل وفي الأهواء والنحل، وكتاب في الإجماع، وكتاب التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، قال الحميدي: كان حافظاً عالماً متفنناً في علوم جمة عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له، ومات بعد (٤٥٠هـ). ينظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (٣٠٨)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص: ٤١٥)، معجم الأدباء (٤/ ١٦٥٠).

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٧/٥).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٥٢٩)، تفسير الماتريدي (١٠/ ٣٥٧).

(٧) ينظر: الفرق بين الفرق (ص: ١٦٤)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٧/٥)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين (ص: ٦٣)، الملل والنحل للشهرستاني (٨٣/١)، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١٢٠/١)، غاية المرام في علم الكلام (ص: ٢٨١)، لوامع الأنوار البهية (١٥٧/٢).

(٨) جامع المسائل لابن تيمية (٤/ ٤١٩).

(٩) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٧/٥).

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة الحج:١]. ووجه الاستدلال: أنه عز وجل أخبر بأنها شيء، وهي معدومة(١).

ونوقش: أن قول الله عز وجل ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾[سورة الحج:١] موصولة بقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [سورة الحج:٢] فإنما تم الكلام عند قوله ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ فصح أن زلزلة الساعة يوم ترونها شيء عظيم، ولم يقل تعالى قط أنها الآن شيء عظيم، ثم أخبر تعالى بما يكون يومئذ من هول المرضعات ووضع الأحمال وكون الناس سكارى من غير خمر(٢).

٢- أن المعدوم يخبر عنه ويوصف ويتمنى، ومن المحال أن يكون ما هذه صفته ليس شيئا.

ونوقش: بأن هذا جهل شديد وظن فاسد، وذلك أن قولنا في شيء يذكر أنه معدوم ويخبر عنه أنه معدوم ويتمنى به إنما هو أن يذكر اسم ما فذلك الاسم موجود بلا شك يعرف ذلك بالحس كقولنا: العنقاء وابن آوى وحبين وعرس ونبوة مسيلمة وما أشبه ذلك، ثم كل اسم ينطق به ويوجد ملفوظا أو مكتوبا فإنه ضرورة لا بد له من أحد وجهين: إما أن يكون له مسمى، وإما أن يكون ليس له مسمى، فإن كان له مسمى فهو موجود وهو شيء حينئذ، وإن كان ليس له مسمى فإخبارنا بالعدم وتمنينا للمريض الصحة إنما هو إخبار عن ذلك الاسم الموجود أنه ليس له مسمى ولا تحته شيء وتمن منا لأن يكون تحته مسمى(٣).

والراجح هو: قول أهل السنة والجماعة، وهو أن المعدوم ليس بشيء، وهو قول البيضاوي.

---

(١) ينظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١/١٢٠)، لوامع الأنوار البهية (٢/١٥٧).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١٥٦).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١٥٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] عن قول "المعدوم شيء": " أول من ابتدع هذه المقالة في الإسلام أبو عثمان الشحام[2] شيخ أبي علي الجبائي[3] وتبعه عليها طوائف من القدرية المبتدعة من المعتزلة والرافضة"[4].

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية، ولد في حران سنة (٦٦١هـ)، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، وكان آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان، وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق واعتقل بها وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق سنة (٧٢٨هـ)، فخرجت دمشق كلها في جنازته. ينظر: فوات الوفيات (١/ ٣٥-٤٥)، الدرر الكامنة (١/ ١٤٤)، البداية والنهاية (١٤/ ١٣٥).

(٢) الصواب أنه أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري، كان رئيس المعتزلة بالبصرة في عصره، وله في مذهب الاعتزاك مقالات مشهورة، وعنه أخذ أبو الحسن الأشعري علم الكلام. ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٧)، تاريخ الإسلام (٧/ ٧٠)، الوافي بالوفيات (٤/ ٥٥).

(٣) محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن يزيد بن أبي السكن الجبائي أبو علي، رأس المعتزلة وكبيرهم ومن انتهت إليه رياستهم، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه نسبة الطائفة الجبائية، نسبته إلى جبى من قرى البصرة اشتهر في البصرة، ودفن بجبى، وكان من رأيه تقديم أبي بكر على عمر وعثمان، والوقف عن أبي بكر وعلي، توفي سنة (٣٠٣هـ). ينظر: وفيات الأعيان (١/ ٤٨٠)، والأعلام للزركلي (٦/ ٢٥٦).

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل (٤/ ١٧).

المسألة الحادية عشر: إعراب ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ صفة ثانية، أو مدح منصوب، أو مرفوع، أو مبتدأ خبره فلا تجعلوا"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وإن جعل ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ مبتدأ- خبره لا تجعلوا- كاد يزول الإشكال ويرتفع المقال، ومع هذا لا شك في مرجوحية هذا الوجه وإن أشعر كلام مولانا البيضاوي بأرجحيته"(٢).

الدراسة:

اختلف المفسرون في إعراب الاسم الموصول في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾:

القول الأول: أنه منصوب، واختلف في تخريج النصب:

الرأي الأول: أنه نصب على إتباع ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ المتقدم، وهو اختيار ابن عطية(٣).

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٥٥).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/١٨٩).

(٣) تفسير ابن عطية (١/ ١٠٥).

الرأي الثاني: أنه نصب على النعت، وهو اختيار القرطبي[١].

الرأي الثالث: أنه نصب على المدح، وأشار إليه النسفي[٢].

الرأي الرابع: أنه منصوب على القطع، وهو اختيار السمين الحلبي[٣].

الرأي الخامس: أنه نعت النعت، ذكره السمين الحلبي، ورده بأن النعت لا ينعت، بل إن جاء ما يوهم ذلك جعل نعتا للأول، إلا أن يمنع مانع فيكون نعتا للنعت[٤].

الرأي السادس: أنه مفعول منصوب بـ﴿تَتَّقُونَ﴾، وهذا الوجه جوزه النحاس[٥][٦]، وضعفه ابن عطية[٧].

القول الثاني: أنه مرفوع، واختلف أيضا في تخريج الرفع:

الرأي الأول: أن يكون مرفوعا على القطع، أشار إليه ابن عطية[٨].

الرأي الثاني: أنه مرفوع بإضمار (هو)، وأشار إليه النسفي[٩]، وقواه السمين الحلبي[١٠].

الرأي الثالث: أنه مرفوع لأنه مبتدأ، وخبره بعد ذلك: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا﴾ وذكره البيضاوي من أوجه الإعراب، وردّه السمين الحلبي فقال: "وهذا فيه نظر من وجهين، أحدهما: أن صلته ماضية فلم يشبه الشرط فلا تزاد في خبره الفاء، الثاني: عدم الرابط إلا أن يقال بمذهب

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٢٢٩).

(٢) تفسير النسفي (١/ ٦٢).

(٣) الدر المصون (١/ ١٩١).

(٤) الدر المصون (١/ ١٩١).

(٥) أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل الصفار المعروف بالنحاس، من تصانيفه: إعراب القرآن، كان نحوياً فاضلاً، وكان من أهل العلم بالفقه والقرآن، وكان لا يتكبّر أن يسأل الفقهاء وأهل النظر، ويناقشهم عمّا أشكل عليه في تآليفه، وكان يحضر حلقة ابن الحدّاد الفقيه الشافعي وكانت لابن الحدّاد ليلة في كل جمعة، يتكلّم فيها عنده في مسائل الفقه على طريق النحو، وكان لا يدع حضور مجلسه تلك الليلة، توفي سنة (٣٣٧هـ). ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص: ٢١٧)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (١/ ١٣٦)، وفيات الأعيان (١/ ٩٩).

(٦) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٦).

(٧) تفسير ابن عطية (١/ ١٠٥).

(٨) تفسير ابن عطية (١/ ١٠٥).

(٩) تفسير النسفي (١/ ٦٢).

(١٠) الدر المصون (١/ ١٩٢).

الأخفش وهو أن يجعل الربط مكرر الاسم الظاهر إذا كان بمعناه نحو: «زيد قام أبو عبد الله»، إذا كان أبو عبد الله كنية لزيد، وكذلك هنا أقام الجلالة مقام الضمير كأنه قال: الذي جعل لكم فلا تجعلوا له أندادا"[1].

والراجح هو: أن محل الخلاف هو في إعراب ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ مبتدأ وخبره ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟﴾.

ووجه اعتراض العلامة الألوسي على البيضاوي أنه ذكره ضمن الأوجه المحتملة الصحيحة دون التعقيب عليه، وكلام العلامة الألوسي في محله لأن هذا القول مرجوح وليس براجح.

(١) الدر المصون (١/ ١٩٢).

المسألة الثانية عشر: الحكمة من الإتيان بجمع القلة ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "وإنما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة، لأنه أراد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك أدركت ثمرة بستانه، ويؤيده قراءة من قرأ: (من الثمرة) على التوحيد"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وأتى بجمع القلة مع أن الموضع موضع الكثرة فكان المناسب لذلك (من الثمار) للإيماء إلى أن ما برز في رياض الوجود بفيض مياه الجود كالقليل بل أقل قليل بالنسبة لثمار الجنة ولما ادخر في ممالك الغيب، أو للإشارة إلى أن أجناسها من حيث إن بعضها يؤكل كله وبعضها ظاهره فقط وبعضها باطنه فقط، المشير ذلك إلى ما يشير- قليلةٌ لم تبلغ حد الكثرة، وما ذكر الإمام البيضاوي وغيره من أنه ساغ هذا الجمع هنا لأنه أراد بالثمرات جمع ثمرة أريد بها الكثرة كالثمار مثلها في قولك: أدركت ثمرة بستانك، وليست التاء للوحدة الحقيقية بل للوحدة الاعتبارية، ويؤيده قراءة ابن السميفع (من الثمرة)(٢)، أو لأن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ﴾ [سورة الدخان:٢٥]، و﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [سورة البقرة:٢٢٨]، أو لأنها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة- لا

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٥٥).
(٢) البحر المحيط في التفسير (١/ ١٦٠).

يخلو صفاؤه عن كدر"[1].

الدراسة:

يرى البيضاوي أن الحكمة من الإتيان بجمع القلة في قوله: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾[سورة البقرة:٢٢] هو لأنه أراد بالثمرات جمع ثمرة أريد بها الكثرة كالثمار مثلها في قولك: أدركت ثمرة بستانك، وليست التاء للوحدة الحقيقية بل للوحدة الاعتبارية، ويؤيده قراءة ابن السميفع[2] (من الثمرة) [3].

بينما يرى الإمام الألوسي –رحمه الله– أن الحكمة هي: الإيماء إلى أن ما برز في رياض الوجود بفيض مياه الجود كالقليل بل أقل قليل بالنسبة لثمار الجنة[4].

وقال الزمخشري: "فإن قلت: فالثمر المخرج بماء السماء كثير جمّ فلم قيل: الثمرات دون الثمر والثمار؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما أن يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك: فلان أدركت ثمرة بستانه، تريد ثماره. ونظيره قولهم: كلمة الحويدرة، لقصيدته. وقولهم للقرية: المدرة، وإنما هي مدر متلاحق. والثاني: أنّ الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية، كقوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ﴾ و﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾. ويعضد الوجه الأوّل قراءة محمد بن السميفع: من الثمرة، على التوحيد"[5].

والراجح هو: أنه يصح أن يكون كلًا من اللطيفتين صحيحًا، إذ لا مانع من اجتماع حكمتين لأمر واحد، والله تعالى أعلم.

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/١٩١).

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن السميفع، أبو عبد الله اليمني، له اختيار في القراءة يُنسب إليه شذا فيه، قرأ على ابن كثير، ولكنه ضعيف. ينظر: غاية النهاية (٢/ ١٦١).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٥٥).

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/١٩١).

(٥) تفسير الزمخشري (١/ ٩٤).

المسألة الثالثة عشر: معنى ﴿دُونِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٣].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "ومعنى ﴿**دُونِ**﴾: أدنى مكان من الشيء، ومنه تدوين الكتب، لأنه إدناء البعض من البعض، ودونك هذا. أي: خذه من أدنى مكان منك، ثم استعير للرُتَب فقيل: زيد دون عمرو أي: في الشرف، ومنه الشيء الدون، ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حدّ إلى حدّ وتخطي أمر إلى آخر"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "ومنه: دونك اسم فعل. لا تدوين الكتب خلافا للبيضاوي- كما قيل- لأنه من الديوان: الدفتر ومحله، وهي فارسي معرب من قول كسرى إذ رأى سرعة الكتاب في كتابتهم وحسابهم: ديوانه. وقد يقال: لا بعد فيما ذكره البيضاوي، و(ديوان) مما اشتركت فيه اللغتان، وقد استعمل في انحطاط محسوس لا في ظرف- كدون زيد في القامة- ثم استعير للتفاوت في المراتب المعنوية تشبيها بالمراتب الحسية- كدون عمرو شرفا- ولشيوع ذلك اتسع في هذا المستعار فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد ولو من دون تفاوت وانحطاط، وهو بهذا المعنى قريب (غير) فكأنه أداة استثناء، ومن الشائع دون بمعنى خسيس فيخرج عن الظرفية ويعرف بأل ويقطع عن الإضافة كما في قوله:

إذا مـــا عـــلا المـــرء رام العـــلا ... ويقنـع بالـدون مـن كـان دونـا"(٢)

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥٧/١).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٩٨/١).

الدراسة:

كلمة (دون) تطلق في الأصل على معنى القرب والدنو، يقول ابن فارس: "الدال والواو والنون أصل واحد يدل على المداناة والمقاربة. يقال هذا دون ذاك، أي هو أقرب منه"[(١)].

وتطلق أيضا على عدة معان أخرى قريبة من معنى الدنو والقرب، ومنها:

الدون: الخسيس من الشيء[(٢)].

الدون: خلاف الجيد[(٣)].

والدون: الأصغر في بعض اللغات فلان دون فلان في السن[(٤)].

وقمت دون فلان، إذا وقيته بنفسك[(٥)].

ودونك هذا الشيء، إذا عرضك وأمكنك[(٦)].

ومن معانيها أيضا: قبل، وأمام، ووراء، وتحت، وفوق، والساقط من الناس وغيرهم، والشريف، وتكون بمعنى الأمر، وبمعنى الوعيد، وبمعنى الإغراء[(٧)].

ومحل الخلاف هو معنى: تدوين الكتب، هل هو من (دون) لأنه إدناء البعض من البعض، أو من الديوان، وهو الدفتر ومحله، وهو فارسي معرب من قول كسرى إذ رأى سرعة الكتاب في كتابتهم وحسابهم: ديوانه.

قال الجوهري: "والديوان أصله: دَوَّانٌ، فعوّض من إحدى الواوين، لأنَّه يجمع على دَواوين، ولو كانت الياء أصلية لقالوا دياوين. وقد دونت الدواوين"[(٨)].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٢/ ٣١٧)، مادة (دون).وينظر: تهذيب اللغة (١٤/ ١٢٧)، مادة (دون).

(٢) جمهرة اللغة (٢/ ٦٨٦)، مادة (دون)، تهذيب اللغة (١٤/ ١٢٧)، مادة (دون)، الصحاح (٥/ ٢١١٥)، مادة (دون).

(٣) جمهرة اللغة (٢/ ٦٨٦)، مادة (دون).

(٤) جمهرة اللغة (٢/ ٦٨٦)، مادة (دون).

(٥) جمهرة اللغة (٢/ ٦٨٦)، مادة (دون).

(٦) جمهرة اللغة (٢/ ٦٨٦)، مادة (دون).

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (١٤/ ١٢٧)، مادة (دون)، تهذيب اللغة (١٤/ ١٢٧)، مادة (دون)، الصحاح (٥/ ٢١١٥)، مادة (دون).

(٨) الصحاح (٥/ ٢١١٥)، مادة (دون).

وقد وجّه الألوسي -رحمه الله- هذا القول من البيضاوي، بعد أن اعترض عليه.

والراجح هو: أنه لا تعارض بين القولين، ويكون (ديوان) مما اشتركت فيه اللغتان العربية والفارسية كما ذكره الألوسي نفسه في توجيه كلام البيضاوي. قال ابن الأثير[1]: "الديوان: هو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء. وهو فارسي معرب"[2].

(١) المبارك بن محمد بن محمد الشيباني، أبو السعادت، الملقب بمجد الدين، المعروف بابن الأثير، ولد في سنة (٥٤٤هـ)، كان عالما فاضلا وسيدا كاملا، قد جمع بين علم العربية والقرآن، والنحو واللغة والحديث وشيوخه وصحّته وسقمه والفقه، وكان شافعيا، وصنّف في كلّ ذلك تصانيف هي مشهورة بالموصل وغيرها، وتوفي في سنة (٦٠٦هـ). ينظر: معجم الأدباء (٥/ ٢٢٦٨)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (٣/ ٢٥٧)، سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٨٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٥٠).

المسألة الرابعة عشر: الكلام على صفة الإرادة.

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٦].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "والإرادة: نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه، وتقال للقوة التي هي مبدأ النزوع، والأول مع الفعل، والثاني قبله، وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به، ولذلك اختلف في معنى إرادته فقيل: إرادته لأفعاله أنه غير ساهٍ ولا مكره، ولأفعال غيره أمره بها. فعلى هذا لم تكن المعاصي بإرادته، وقيل: علمه باشتمال الأمر على النظام الأكمل والوجه الأصلح، فإنه يدعو القادر إلى تحصيله، والحق: أنه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه، أو معنى يوجب هذا الترجيح، وهي أعم من الاختيار، فإنه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وللمتكلمين- أهل الحق وغيرهم- في تفسيرها -أي: الإرادة- مذاهب، فالكلبي والنجار وغيرهما على أن إرادته سبحانه لأفعاله أنه يفعلها عالما بها وبما فيها من المصلحة، ولأفعال غيره أنه أمر بها وطلبها، فالمعاصي إذا ليست بإرادته جل شأنه، ونحو ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وارد عليهم. والجاحظ وبعض المعتزلة والحكماء على أن إرادته -تعالى شأنه- علمه بجميع الموجودات من الأزل إلى الأبد(٢)، وبأنه كيف ينبغي أن يكون نظام الوجود حتى يكون على الوجه الأكمل، ويكفيه صدوره عنه حتى يكون الموجود على وفق

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٦٣/١).

(٢) الفرق بين الفرق (ص: ١٦٠).

المعلوم على أحسن النظام من غير قصد وطلب شوقي، ويسمون هذا العلم عناية، وذهب الكرامية وأبو علي وأبو هاشم إلى أنها صفة زائدة على العلم إلا أنها حادثة قائمة بذاته عز شأنه عند الكرامية، وموجودة لا في محل عند الأبوين[1]، والمذهب الحق أنها ذاتية قديمة وجودية زائدة على العلم ومغايرة له وللقدرة، مخصصة لأحد طرفي المقدور بالوقوع، وكونها نفس الترجيح الذي هو من صفات الأفعال- كما قال البيضاوي عفا الله تعالى عنه- لم يذهب إليه أحد"[2].

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن الإرادة ترجيح أحد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه، أو معنى يوجب هذا الترجيح.

بينما يرى العلامة الألوسي أنها ذاتية قديمة وجودية زائدة على العلم ومغايرة له وللقدرة، مخصصة لأحد طرفي المقدور بالوقوع.

وهذه المسألة تتعلق بصفات الباري جل وعلا، وهي من المسائل التي خالفت فيها الطوائف المبتدعة مذهب أهل السنة والجماعة.

فالإرادة عند أهل السنة والجماعة تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية: وهي التي بمعنى المشيئة، وإرادة شرعية: وهي التي بمعنى المحبة، والفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية من حيث الحكم من وجهين:

الوجه الأول: أن الإرادة الكونية يلزم فيها وقوع المراد، والإرادة الشرعية لا يلزم فيها وقوع المراد، فقد يريد الله الشيء شرعا ولا يقع.

الوجه الثاني: الإرادة الشرعية لا تكون إلا فيما يحبه الله، والإرادة الكونية تكون فيما يحبه وما لا يحبه. فمثلا الإيمان والعمل الصالح مراد لله شرعا لا كونا؛ لأن من الناس من لم يؤمن ومن لا يعمل صالحا، ولو كان مرادا لله كونا وقدرا للزم أن يؤمن الناس كلهم ويعملوا

(١) أي: أبو علي وأبو هاشم كما يظهر من سياق كلام الألوسي رحمه الله تعالى.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/٢١٠-٢١١).

صالحا[1].

وقد وقع الخلاف مع أهل السنة في هذه الصفة من أمرين:

الأمر الأول: نفي الإرادة عن الله تعالى، وأن العبد هو الذي يخلق أفعال نفسه، وهؤلاء هم القدرية المعتزلة[2]، وتبعهم الرازي[3].

الأمر الثاني: تحريف معنى الإرادة عن معناها الصحيح، إلى معنى التخصيص بلا مخصص، وهو قول الأشعرية[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في رد هذا القول: "قول القائل: إن الإرادة لذاتها تقتضي التخصيص بلا مخصص قول باطل فإن الإرادة التي يعرفها الناس من أنفسهم لا توجب ترجيحا إلا بمرجح وإرادة الإنسان لأحد المتماثلين دون الآخر مع تساويهما من كل وجه ومع كون نسبة الإرادة إليهما سواء ممتنع لمن تصوره والعلم بامتناعه ضروري وهذا هو نفس الترجيح بلا مرجح. بل الذي يعلمه الناس من أنفسهم أن إرادة الإنسان أحد الشيئين ليست هي إرادته للآخر سواء ماثله أو خالفه فضلا عن أن يكون إرادة واحدة نسبتها إلى المثلين سواء وهي ترجح أحدهما بلا مرجح وإن جاز أن يقال إن هذه الإرادة حاصلة له وهي ترجح أحد متعلقيها المتماثلين بلا مرجح جاز أن يقال نفس الإنسان يرجح إرادة هذا على إرادة هذا بلا مرجح"[5].

والراجح هو: ما ذهب إليه أهل السنة من معنى الإرادة التي يعرفها الناس من أنفسهم والتي لا توجب ترجيحا إلا بمرجح، خلافا للبيضاوي والألوسي معًا، وهو ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية وردّ على المخالفين من جميع الطوائف في معنى الإرادة[6].

---

(١) ينظر: شرح الطحاوية (ص: ٦٩)، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١/ ٥١)، شرح العقيدة السفارينية (١/ ١٨٨- ١٨٩)، الإيمان بالقضاء والقدر (ص: ٥٤).

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق (ص: ١٦٠)، التبصير في الدين (ص: ٨٠)، الملل والنحل (١/ ٤٦)، شرح الطحاوية (ص: ٦٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٢٤٥).

(٤) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل (ص: ٤٧).

(٥) الصفدية (٢/ ١٠٥).

(٦) ينظر: الصفدية (٢/ ١٠٥-١١٣).

المسألة الخامسة عشر: دلالة مفهوم العدد.

في قوله تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٩].

القولُ المعقَّبُ عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [سورة البقرة:٢٩] بدل أو تفسير. فإن قيل: أليس إن أصحاب الأرصاد أثبتوا تسعة أفلاك؟ قلت: فيما ذكروه شكوك، وإن صح فليس في الآية نفي الزائد مع أنه إن ضم إليها العرش والكرسي لم يبق خلاف"(١).

التعقيب:

قال الإمام الآلوسي: "لا يقال: إن أرباب الأرصاد أثبتوا تسعة أفلاك، وهل هي إلا سماوات؟ لأنا نقول: هم شاكّون إلى الآن في النقصان والزيادة، فإن ما وجدوه من الحركات يمكن ضبطها بثمانية وسبعة بل بواحد، وبعضهم أثبتوا بين فلك الثوابت والأطلس كرة لضبط الميل الكلي، وقال بعض محققيهم: لم يتبين لي إلى الآن أن كرة الثوابت كرة واحدة أو كرات منطوية بعضها على بعض، وأطال الإمام الرازي الكلام في ذلك وأجاد، على أنه إن صح ما شاع فليس في الآية ما يدل على نفي الزوائد بناء على ما اختاره الإمام من أن مفهوم العدد ليس بحجة، وكلام البيضاوي في تفسيره يشير إليه خلافا لما في منهاجه الموافق لما عليه الإمام الشافعي ونقله عنه الغزالي في المنخول، وذكر الساليكوتي أن الحق أن تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد، والخلاف في ذلك مشهور"(٢).

الدراسة:

يرى العلامة الألوسي أن القاضي البيضاوي اضطرب كلامه في مدلول مفهوم العدد، فإن

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٦٦).
(٢) روح المعاني (١/ ٢١٩).

القاضي في كتابه المنهاج يرى أن التخصيص بالعدد لا يدل على الزائد والناقص.

وذهب في تفسيره أن العدد يفهم منه التخصيص.

بينما يرى العلامة الألوسي إن أرادة التكثير من السبعين شائع في كلام العرب.

وقد اختلف الأصوليون في مفهوم العدد هل هو حجة أم لا، على قولين:

القول الأول: أنه حجة، وهو قول الإمام أبي حنيفة، ومالك، وداود الظاهري[(١)]، وأحمد بن حنبل[(٢)]، وبعض الشافعية[(٣)].

القول الثاني: أنه ليس بحجة، وهو قول أكثر الشافعية[(٤)].

والراجح هو: أن تعقب الألوسي –رحمه الله– للبيضاوي في اضطرابه في القول في دلالة مفهوم العدد بين التفسير والمنهاج واقع، والصحيح هو ما ذهب إليه البيضاوي –رحمه الله– في المنهاج، من أن مفهوم العدد ينفي غيره، وتخصيص العدد بالذكر يفيد نفي الحكم عن غيره[(٥)].

---

(١) داود بن علي بن خلف أبو سليمان الفقيه الظاهري ولد سنة (٢٠٠هـ)، وهو إمام أصحاب الظاهر، وكان من المتعصبين للشافعي، وصنف كتابين في فضائله والثناء عليه، وانتهت إليه رياسة العلم ببغداد، وكان ورعا ناسكا زاهدا توفي في ذي القعدة سنة (٢٧٠هـ). ينظر: تاريخ بغداد (٩/ ٣٤٢)، طبقات الفقهاء (ص: ٩٢)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٩٧)، الوافي بالوفيات (١٣/ ٢٩٦).

(٢) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال أبو عبد الله الشيباني المروزي ثم البغدادي، ولد سنة (١٦٤هـ) الإمام الحافظ المحدّث، ناصر السُّنة وشيخ الإسلام ومن سادات المسلمين، صاحب المذهب، طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وامتحن في مسألة خلق القرآن فصبر على السجن والضرب، حتى رفع الله الفتنة في عهد الخليفة المتوكل العباسي، من شيوخه إبراهيم بن سعد بن إبراهيم أبو إسحاق الزهري ومحمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي والمعتمر بن سليمان أبو محمد التيمي ويحي بن سعيد أبو سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم، وألفت كتب جمعت شوخه، ومن تلامذته عبد الملك الميموني، وأبو بكر المروذي، ومهنأ بن يحي الشامي، وأبو بكر الأثرم، والوراق أحمد بن محمد بن هاني، وإبراهيم بن هاني وغيرهم ، له مصنفات كثيرة من أشهرها المسند والعلل ومعرفة الرجال برواية ابنه عبد الله والأسامي والكنى والزهد وفضائل الصحابة، توفي سنة (٢٤١هـ). ينظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٣٥٥)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ١٧٩). المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (١/ ٦٤).

(٣) ينظر: شرح مختصر الروضة (٢/ ٧٦٩)، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب (٢/ ٤٤٥)، الإبهاج في شرح المنهاج (١/ ٣٨٢)، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول (ص: ٢٥٢)، البحر المحيط في أصول الفقه (٥/ ١٧٠)، تيسير التحرير (١/ ١٠٠)، إرشاد الفحول (ص: ٣٠٨).

(٤) ينظر: شرح مختصر الروضة (٢/ ٧٦٩)، الإبهاج في شرح المنهاج (١/ ٣٨٢)، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول (ص: ٢٥٢)، البحر المحيط في أصول الفقه (٥/ ١٧٠)، إرشاد الفحول (ص: ٣٠٨).

(٥) المسودة في أصول الفقه لآل تيمية (١/٣٥٢).

المسألة السادسة عشر: المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٦٢].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بألسنتهم، يريد به المتدينين بدين محمد ﷺ المخلصين منهم والمنافقين، وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: وفي المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ هنا أقوال، والمروي عن سفيان الثوري أنهم المؤمنون بألسنتهم، وهم المنافقون(٢)؛ بدليل انتظامهم في سلك الكفرة. والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بأن تلك المرتبة وإن عبر عنها بالإيمان لا تجديهم نفعا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا، وعن السدي أنهم الحنيفيون ممن لم يلحق الرسول ﷺ- كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل- ومن لحقه- كأبي ذر وبحيرى- ووفد النجاشي الذين كانوا ينتظرون البعثة(٣)، وقيل: إنهم المتدينون بدين محمد ﷺ مخلصين أو منافقين- واختاره القاضي- وكأن سبب الاختلاف قوله تعالى فيما بعد: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ إلخ فإن ذلك يقتضي أن يكون المراد من أحدهما غير المراد من الآخر وأقل الأقوال مؤنة أولها"(٤).

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٨٤).

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٩١)، زاد المسير في علم التفسير (١/ ٧٢).

(٣) تفسير الطبري (٢/٤٠).

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/٢٧٩).

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن المراد بالذين آمنوا في هذا الموضع هم المؤمنون والمنافقون.

بينما يرى العلامة الألوسي أن المراد بهم هم المنافقون فقط.

وقد اختلف العلماء في المراد بالذين آمنوا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾، على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المراد هم المنافقون فقط، وهو قول سفيان الثوري[1][2]، وابن قتيبة[3]، والزمخشري[4]، والنسفي[5]، والشوكاني[6][7].

القول الثاني: أن المراد هم المؤمنون الصادقون فقط، وهو مروي عن مجاهد[8]، والسدي[9]، وهو قول مقاتل[10][11]، وقتادة[12]،

---

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الثوري من أهل الكوفة، ولد في سنة (٩٧هـ)، ومن تصانيفه: الجامع، وكان شيخ الإسلام، وإمام الحفاظ، وسيد العلماء العاملين في زمانه، ومات في شعبان سنة (١٦١هـ). ينظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٢١٩)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١١/ ١٥٤)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩).

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٩١)، زاد المسير في علم التفسير (١/ ٧٢).

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٦٤).

(٤) تفسير الزمخشري (١/ ١٤٦).

(٥) تفسير النسفي (١/ ٩٤).

(٦) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني، ولد في سنة (١١٧٣هـ)، من كتبه: نيل الأوطار في الفقه، الفقه، وفتح القدير في التفسير، وإرشاد الفحول في الأصول، وهو فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، وكان يرى تحريم التقليد. وتوفي سنة (١٢٢٩هـ). ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ٢١٤)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٩٨)، معجم المؤلفين (١١/ ٥٣).

(٧) فتح القدير (١/ ١١٠).

(٨) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٤٥)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٢٦).

(٩) تفسير الطبري (٢/٤٠).

(١٠) مقاتل بن سليمان بن بشير، أبو الحسن البلخي، كان إماما في تفسير القرآن، ولم يكن في الحديث بذاك، وتوفي سنة (١٥٠هـ). ينظر: تاريخ بغداد (١٥/ ٢٠٧)، وفيات الأعيان (٥/ ٢٥٥)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٠/ ١١٣).

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ١١٢).

(١٢) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٠٨).

وابن جرير الطبري[١]، والماتريدي[٢][٣]، والقشيري[٤]، ونجم الدين النيسابوري[٥][٦]، وبيان الحق وبيان الحق النيسابوري[٧][٨].

القول الثالث: أن المراد هم المؤمنون الصادقون والمنافقون، وهو قول القاضي البيضاوي[٩].

البيضاوي[٩].

والراجح هو: القول الثاني، وذلك لعدة أمور:

أولًا: أنه قول كثير من أئمة التفسير.

ثانيًا: عدم ثبوت شيء في سبب نزول الآية.

ثالثًا: أنه هو الموافق لسياق الآية، لأنه لم يرد في القرآن ذكر المنافقين بلفظ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

رابعًا: أنه أشبه بظاهر التنزيل؛ لأن الله جل ثناؤه لم يخصص بالأجر على العمل الصالح مع الإيمان بعض خلقه دون بعض منهم[١٠].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٣٢).

(٢) محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، من أئمة علماء الكلام نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند) له التوحيد التوحيد وأوهام المعتزلة والرد على القرامطة وتأويلات القرآن. توفي بسمرقند سنة (٣٣٣ هـ). ينظر: الفوائد البهية (ص: ١٩٥)، ومفتاح السعادة (٢/ ٢١)، والجواهر المضية (٢/ ١٣٠)، الأعلام للزركلي (٧/ ١٩).

(٣) تفسير الماتريدي (١/ ٤٨٤).

(٤) تفسير القشيري (١/ ٩٦).

(٥) محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوريّ أبو القاسم، نجم الدين، من تصانيفه: إيجاز البيان في معاني القرآن، وهو وهو مفسر لغويّ، وكان عالما بارعا مفسرا لغويا فقيها متفننا فصيحا، توفي في حدود (٥٥٠هـ). ينظر: معجم الأدباء (٦/ ٢٦٨٦)، بغية الوعاة (٢/ ٢٧٧)، الأعلام للزركلي (٧/ ١٦٧).

(٦) إيجاز البيان عن معاني القرآن (١/ ١٠٢).

(٧) محمود بن أبي الحسن بن الحسين النّيسابوريّ الغزنويّ أبو القاسم، يلقب ببيان الحق، مفسر لغويّ، له باهر البرهان في في معاني مشكلات القرآن وإيجاز البيان في معاني القرآن وغيرها، نشأ على أرض نيسابور ورحل إلى غزنة، وبعد أن استولى علاء الدين الغوري على غزنة في ٥٤٨ هـ ، ونكّل بأهلها وعلمائها، رحل المؤلف عنها متجها إلى «الخجندة» وظل فيها حتى عام ٥٥٣ هـ، ثم رحل إلى حلب ثم دمشق واستقر بها حتى مات. ينظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي (٧/ ١٤٥)، طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٣١١).

(٨) باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (١/ ٨٨).

(٩) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٨٤).

(١٠) تفسير الطبري (٢/ ٤٦).

المسألة السابعة عشر: الحكمة من تقديم (الرءوف) على (الرحيم) في قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ فلا يضيع أجورهم ولا يدع صلاحهم، ولعله قدم الرءُوف وهو أبلغ محافظة على الفواصل"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ تذييل لجميع ما تقدم، فإن اتصافه تعالى بهذين الوصفين يقتضي لا محالة أن الله لا يضيع أجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم، و(الباء) متعلقة بـ ﴿لَرَءُوفٌ ﴾ وقدّم على ﴿رَّحِيمٌ ﴾ لأن الرأفة مبالغة في رحمة خاصة، وهي رفع المكروه وإزالة الضرر كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ [سورة النور:٢]. أي لا ترأفوا بهما فترفعوا الجلد عنهما، والرحمة أعم منه، ومن الإفضال ودفع الضرر أهم من جلب النفع، وقول القاضي بيّض الله تعالى غرّة أحواله: (لعل تقديم الرءوف -مع أنه أبلغ- محافظة على الفواصل)، ليس بشيء؛ لأن فواصل القرآن لا يلاحظ فيها الحرف الأخير كالسجع، فالمراعاة حاصلة على كل حال، ولأن الرحمة(٢) حيث وردت في

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/١١١).

(٢) قوله (الرحمة) سبق قلم، وإنما قصد (الرأفة) ليتم له الاحتجاج بالقاعدة، والله أعلم.

القرآن قدمت ولو في غير الفواصل كما في قوله تعالى: ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [سورة الحديد:٢٧]. في وسط الآية"[١].

الدراسة:

هذه المسألة متعلقة بمسألة مراعاة الفواصل في القرآن الكريم، وهي من أحد دلالة بلاغة القرآن وفصاحته، وشرف رتبته، وعلو منزلته.

قال الزركشي[٢]: "واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جدا ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما"[٣].

ومحل النزاع هنا هو: البحث عن الحكمة في تقديم الرؤوف على الرحيم في الآية، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة البقرة:١٤٣].

فرأي البيضاوي رحمه الله أن الحكمة: هي المحافظة على فواصل القرآن، حيث إنها تنتهي بالميم في ذاك الموضع، فلو لم يقدم الرءوف لما حصل التناسب فيها.

ورأى الألوسي رحمه الله أن الحكمة هي أن الرأفة: رحمة في أمر خاص، والرحمة أعم، فلذا قدم الخاص، ثم ذكر العام.

واحتج الألوسي رحمه الله على هذه الحكمة، بأن الرأفة حيثما وردت في القرآن فهي مقدمة على غيرها.

ففي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة البقرة:١٤٣].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة:١١٧].

وقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة:١٢٨].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/٢).

(٢) محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الموصلي بدر الدين الشافعي، ولد في سنة (٧٤٥هـ)، من تصانيفه: البرهان في علوم القرآن، وتخريج أحاديث الرافعي، وهو فقيه، أصولي، محدث، مشارك في بعض العلوم، وكانت وفاته في سنة (٧٩٤هـ). ينظر: طبقات المفسرين للأدنه وي (ص: ٣٠٢)، معجم المؤلفين (١٠/ ٢٠٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/ ٦٠). وينظر: الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٣٩).

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النحل:٧].

وقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النحل:٤٧].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحج:٦٥].

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النور:٢٠].

وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحديد:٩].

وقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحشر:١٠].

فهذه تسعة مواضع من كتاب الله ورد فيها اسما: الرءوف والرحيم، وكلها بتقديم الرءوف على الرحيم.

والراجح هو: ما ذكره الألوسي رحمه الله؛ لتوارد الآيات على تقديم (الرءوف) على (الرحيم)، وأما تناسب الفواصل فليس بوجيه في الحكمة.

وقد وجه السيوطي في سبب تقديم الرأفة على الرحمة أنه من باب تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ[١].

وباب التقديم والتأخير من أبواب البلاغة العظيمة، التي تبنى يستدل بها على فصاحة الكلام، قال الجرجاني: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"[٢].

(١) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٤٤).

(٢) دلائل الإعجاز (١/ ١٠٦).

المسألة الثامنة عشر: حكم حديث تحويل القبلة الذي ذكره البيضاوي.

في قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٤٤].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "روي أنه عليه الصلاة والسلام قدم المدينة، فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرًا، ثم وجه إلى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين. وقد صلى بأصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر، فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب، وتبادل الرجال والنساء صفوفهم، فسمي المسجد مسجد القبلتين"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وقيل: لأن الآية نزلت، وهو ﷺ في الصلاة فأغنى التلبس بها عن ذكرها، واستدل هذا القائل بما ذكره القاضي تبعا لغيره أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه إلى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين، وقد صلى بأصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب، وتبادل الرجال والنساء صفوفهم- فسمي المسجد مسجد القبلتين- وهذا- كما قال الإمام السيوطي- تحريف للحديث(٢)، فإن قصة بني سلمة لم يكن فيها النبي ﷺ"(٣).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/١١٢).

(٢) نواهد الأبكار (٢/ ٣٤٠).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/٤٠٨).

الدراسة:

اختلف المفسرون في قصة الذين حولوا القبلة وهم في الصلاة، هل كان معهم النبي صلى الله عليه وسلم، أم لا؟

القول الأول: النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس في مسجد بني سلمة، وأنه في تلك الصلاة أمر بتحويل القبلة، وبذلك سمي المسجد بمسجد القبلتين، وهذا الذي ذكره القاضي روي عن ابن عباس، ولا يصح سنده[1]، وذكر عن مجاهد وغيره[2].

القول الثاني: أن النبي صلى بأصحابه في مسجده، ثم مر رجل ممن صلى معه على مسجد بني سلمة، فأخبرهم تحويل القبلة، وهو القول الذي نصره الألوسي.

ودليل هذا القول الأحاديث التي وردت في قصة التحويل، وأن النبي لم يكن مع القوم الذي حولوا القبلة، وهم في صلاتهم، ومن تلك الأحاديث:

عن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: "بينما الناس في صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آت فقال: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة"[3].

والراجح هو: أن قول الألوسي –رحمه الله– أصحّ مما ذهب إليه البيضاوي؛ لكونه اعتمد على الرواية الصحيحة المتفق عليها، وقد اعتمد البيضاوي –رحمه الله– على رواية ضعيفة لم يصحّ سندها.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢٠٨). وسنده ضعيف جدا، فيه الواقدي محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب (٦١٧٥): "متروك مع سعة علمه"، (ص: ٤٩٨).

(٢) ينظر: تفسير الثعلبي (٢/ ١٢)، تفسير البغوي (١/ ١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة، ومن لم ير الإعادة على من سها، فصلى إلى غير القبلة، (١/ ٨٩)، رقم (٤٠٣)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، (١/ ٣٧٤)، رقم (٥٢٦).

قال المُناوي[1] رحمه الله: "هذا تحريف للحديث، فإن قصة بني سلمة لم يكن فيها النبي صلى الله عليه وسلم إماما، ولا هو الذي تحول في الصلاة"[2].

(١) هو: زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين المناوي، ولد سنة (٩٥٢هـ)، من كبار العلماء بالدين والفنون انزوى للبحث والتصنيف وكان قليل الطعام كثير السهر فمرض وضعفت أطرافه فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي منه تآليفه، له تآليف كثيرة منها: فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير وشرح على تائية ابن الفارض وشرح المشاهد لابن عربي وحاشية على شرح المنهاج للجلال المحلي وشرح على الازهرية والجواهر المضيئة في الاحكام السلطانية، توفي سنة (١٠٣١هـ). ينظر: خلاصة الأثر (٤١٢/٢) البدر الطالع (٣٥٧/١) الإعلام للزركلي (٢٠٤/٦).

(٢) الفتح السماوي (١٩٣/١).

المسألة التاسعة عشر: حذف المضاف مع إبقاء المضاف إليه بحاله على إنجراره.

في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٧].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿وَصَدٌّ﴾ صرف ومنع. ﴿عَنسَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي الإسلام، أو ما يوصل العبد إلى الله سبحانه وتعالى من الطاعات. ﴿ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ أي بالله. ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ على إرادة المضاف، أي وصد المسجد الحرام كقول أبي دؤاد[1]:

أكــلّ امــرئ تحســبين امــرءًا ونــارٍ توقّــدُ بِاللَّيْــلِ نَــارا[2]

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ اختار أبو حيان[3] عطفه على الضمير المجرور وإن لم يعد الجار، وأجاز ذلك الكوفيون ويونس والأخفش وأبو علي[4]، وهو شائع في لسان العرب نظما ونثرا، واعترض بأنه لا معنى للكفر بالمسجد الحرام وهو لازم من العطف، وفيه بحث إذ الكفر قد ينسب إلى الأعيان باعتبار الحكم المتعلق بها كقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ

(١) نسبه إليه كما في الأصمعيات (ص: ١٩١)، المنصف للسارق والمسروق منه (ص: ٦٤٨).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٣٧).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٢/ ٣٨٥).

(٤) ينظر: الأصول في النحو، لابن السراج (١/ ١٢٨)، توضيح المقاصد والمسالك (٢/ ١٠٢٧).

بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ [سورة البقرة:٢٥٦]. واختار القاضي تقدير مضاف معطوف على ﴿وَصَدٌّ﴾ أي (وصدّ المسجد الحرام عن الطائفين والعاكفين والركع السجود) واعترض بأن حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه بحاله مقصور على السماع، ورد بمنع الإطلاق؛ ففي التسهيل[١]: إذا كان المضاف إليه إثر عاطف متصل به أو مفصول بلا سبق بمضاف مثل المحذوف لفظا ومعنى جاز حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه على إنجراره قياسا"[٢].

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى إرادة حذف المضاف في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾. بينما يرى العلامة الألوسي (تبعا لأبي حيان) أن قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، معطوف على الضمير المجرور.

ومما يدل على اختيار العلامة الألوسي لقول أبي حيان: أنه ذكره كالمقر له، بينما اعترض على قول البيضاوي. وقد اتفق النحاة على جواز حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، ومنهم: سيبويه[٣]، والمبرد[٤]، وابن جني[٥]، وابن السراج[٦][٧]، والأنباري[٨][٩]،

---

(١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك (ص: ٧٢).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/ ٥٠٤)

(٣) الكتاب (٣/ ٢٤٧).

(٤) المقتضب (٤/ ٣٤٣).

(٥) الخصائص (٢/ ٣٦٤).

(٦) أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج، ومن تصانيفه: الأصول في النحو، وكان أحد العلماء المذكورين، وأئمة النحو المشهورين، أخذ عن أبي العباس المبرد، وإليه انتهت الرياسة في النحو بعد المبرد، وتوفي سنة (٣١٦هـ). ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص: ١٨٦)، معجم الأدباء (٦/ ٢٥٣٤)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (٣/ ١٤٥).

(٧) الأصول في النحو (٢/ ١٣٩).

(٨) عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد، كمال الدين، أبو البركات الأنباري، من تصانيفه: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، وكان إماما ثقة صدوقا، فقيها مناظرا، غزير العلم، ورعا زاهدا عابدا، تقيا عفيفا، وتوفي سنة (٥٧٧هـ). ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص: ١٨٣)، بغية الوعاة (٢/ ٨٦)، تاريخ الإسلام (١٢/ ٥٩٩).

(٩) الإنصاف (١/ ٥٢، ٥٥، ١٢٩، ٣٠٧، ٣١٠).

والسهيلي[1][2]، وأبو البقاء العكبري[3]، وابن مالك[4]، وابن هشام[5][6].

وممن جوّزه بقيد أمن اللبس: الزمخشري[7]، وابن مضاء[8][9].

وقد اختار هذا القول في إعراب قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ جمهور المفسرين ومنهم: الطبري[10] والزمخشري[11] والرازي[12] والبيضاوي[13].

ولم يخالف من النحاة في ذلك إلا سعيد بن مسعدة الأخفش[14]، ولم يجز حذف المضاف مطلقا، وإنما الاقتصار على ما ورد سماعا فقط.

---

(١) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ، أبو القاسم، من تصانيفه: الروض الأنف في السيرة النبوية. وكان عالما بالقراءات، واللغات، والغريب، بارعا في ذلك، وتصدر للإقراء والتدريس والحديث، وبعد صيته، وجل قدره، وجمع بين الرواية والدراية، توفي بمراكش في سنة (٥٨١هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (١٢/ ٧٣١)، تذكرة الحفاظ (٤/ ٩٦)، الوافي بالوفيات (١٨/ ١٠٠)، نكث الهميان في نكت العميان (ص: ١٦٨).

(٢) نتائج الفكر في النحو (ص: ٢٤٠).

(٣) إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث (ص: ٢٨).

(٤) شرح الكافية الشافية (٢/ ٩٦٨).

(٥) عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري الشيخ جمال الدين الحنبلي، ولد سنة (٧٠٨هـ)، ومن تصانيفه: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وشرح التسهيل، تفقه للشافعي ثم تحنبل، فحفظ مختصر الخرقي في دون أربعة أشهر؛ وذلك قبل موته بخمس سنين، وأتقن العربية، وتوفي سنة (٧٦١هـ). ينظر: بغية الوعاة (٢/ ٦٨)، أعيان العصر وأعوان النصر (٣/ ٥)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (٧/ ١٣١).

(٦) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ١٤٤).

(٧) المفصل في صنعة الإعراب (ص: ١٣٤).

(٨) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن حريث ابن عاصم بن مضاء اللخمي أبو العباس وأبو جعفر الجياني القرطبي، ولد سنة (٥١٣هـ)، ومن تصانيفه: المشرق في النحو، الرد على النحويين، كان له تقدم في علم العربية، وصار رحلة في الرواية، وعمدة في الدراية، وكان مقرئا مجودا، محدثا مكثرا، قديم السماع، واسع الرواية، وتوفي سنة (٥٩٢هـ). ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص: ٧٤)، بغية الوعاة (١/ ٣٢٣)، تاريخ الإسلام (١٢/ ٩٧١).

(٩) الرد على النحاة (ص: ٧٧).

(١٠) تفسير الطبري (٤/ ٣٠١).

(١١) تفسير الزمخشري (١/ ٢٥٩).

(١٢) تفسير الرازي (٦/ ٣٨٩).

(١٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٣٧).

(١٤) الخصائص (٢/ ٣٦٤).

والراجح هو: جواز حذف المضاف في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، وهو قول الجمهور من النحاة كما سبق، وكذا جمهور المفسرين في هذا الموضع كالطبري، والزمخشري، والرازي، والبيضاوي[1].

(١) قال الفخر الرازي: "والثاني: وهو قول الأكثرين: أنه عطف على سبيل الله".تفسير الرازي (٦/ ٣٨٩).

المسألة العشرون: هل المعتزلة والروافض ممن ينكرون الحساب يوم القيامة أم لا؟

في قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٤].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ يوم القيامة. وهو حجة على من أنكر الحساب كالمعتزلة والروافض"[(١)].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وذكر البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [سورة البقرة:٢٨٤] أن المعتزلة والخوارج[(٢)] ينكرونه. ويعضده ما ذكره الإمام النسفي في بعض مؤلفاته حيث قال[(٣)]: قالت المعتزلة لا ميزان ولا حساب ولا صراط ولا حوض ولا شفاعة، وكل موضع ذكر الله تعالى فيه الميزان أو الحساب أراد سبحانه به العدل. انتهى. لكن المذكور في عامة المعتبرات الكلامية أن أكثرهم ينفي الصراط وجميعهم ينفي الميزان ولم يتعرض فيه لنفيهم الحساب، والحق أن الحساب بمعنى المجازاة مما لا ينكره إلا المشركون"[(٤)].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٦٥).

(٢) هكذا وقع عند الألوسي، والذي في تفسير البيضاوي: "المعتزلة والروافض".ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٦٥).

(٣) لم أقف على كتابه هذا.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/ ٧)

الدراسة:

اتفق أهل السنة والجماعة وغيرهم من الطوائف على إثبات الحساب يوم القيامة[١].

ومسألة الحساب يوم القيامة من المسائل المهمة، والأمور الواضحة، والتي صح الإخبار بوقوعها بالتواتر، والتي لم يختلف فيها أي طائفة من الطوائف المنتسبة إلى الإسلام[٢].

وهي من قطعيات المسائل المتفق عليها بين الأمة، ومن المعلوم من الدين بالضرورة.

قال القاضي عياض: " كذلك نقطع على كفر من قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص، وتعذيبها أو تنعيمها فيها، بحسب ذكائها وخبثها. وكذلك من أنكر البعث أو الحساب، فهو كافر بإجماع للنص عليه، وإجماع الأمة على صحة نقله متواتراً"[٣].

قال البغدادي[٤]: "ومنها (المتواتر) أخبار مستفيضة بين أئمة الحديث والفقه، وهم مجمعون على صحتها، كالأخبار في الشفاعة، والحساب، والحوض، والصراط، والميزان، وعذاب القبر، وسؤال الملكين في القبر"[٥].

ولم يصرّح أحد بنفي الحساب، وإنما ذكر ذلك النسفي عرضا بقوله في بعض مؤلفاته أن بعض المعتزلة أو الروافض قالوا بنفي الحساب[٦].

---

(١) ينظر: مقدمة أبي زيد القيرواني (ص: ٥٩)، التبصير في الدين (ص: ١٧٥)، لمعة الاعتقاد (ص: ٣٢)، شرح الطحاوية (٢/ ٦٠١)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٧١). وينظر: تثبيت دلائل النبوة، للقاضي عبد الجبار المعتزلي (٢/ ٥٨١).

(٢) إكفار الملحدين في ضروريات الدين (ص: ٤٤).

(٣) ينظر: الشفا (٢/ ١٠٦٧، ١٠٧٧).

(٤) عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، أبو منصور الأستاذ الكامل ذو الفنون، ومن تصانيفه: كتاب التفسير، وكتاب الفرق بين الفرق، وهو الفقيه الأصولي، الأديب الشاعر النحوي، مات سنة (٤٢٧هـ). ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/ ١٣٦)، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (١/ ٢١١)، بغية الوعاة (٢/ ١٠٥).

(٥) ينظر: الفرق بين الفرق (ص: ٣١٤).

(٦) لم أقف على كتابه هذا، وقد نقله عنه الألوسي في روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/ ٧).

ونسب عبد القاهر الجرجاني إلى بعض طوائف المعتزلة (كالسالمية)[1] القول بنفي الحساب[2].

والراجح هو: ما ذكر العلامة الألوسي من أن المعتزلة والروافض لا ينكرون الحساب الذي بمعنى المجازاة، ولم ينقل ذلك عنهم، وكأن قول الإمام البيضاوي سهو- أو يريد بعض الطوائف التي أنكرت ذلك، مثل السالمية، وإلا فيستغرب أن يخفى هذه المسألة على مثل القاضي البيضاوي. والله تعالى أعلم.

(١) السالمية نسبة إلى أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سالم (ت٢٩٧هـ) وابنه الحسن بن أحمد بن سالم (٣٥٠ت)، وهو يميلون إلى التشبيه، ويخلطون في أصولهم بين كلام المعتزلة وأهل السنة والصوفية. ينظر: التبصير في الدين (ص: ١٣٣)، الفرق بين الفرق (١٥٧-٢٠٢).

(٢) أصول الإيمان (ص: ١٩٥).

٤- سورة النساء

المسألة الأولى: هل مجرد الكف يوجب نفي التعرض أم لا؟

في قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾ [سورة النساء: ٩١].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ﴾ هم أسد وغطفان، وقيل بنو عبد الدار، أتوا المدينة وأظهروا الإسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا. ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ دعوا إلى الكفر وإلى قتال المسلمين. ﴿أُرۡكِسُواْ فِيهَا﴾ عادوا إليها وقلبوا فيها أقبح قلب. ﴿فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ وينبذوا إليكم العهد. ﴿وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ عن قتالكم ﴿فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ حيث تمكنتم منهم، فإن مجرد الكفّ لا يوجب نفي التعرّض. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾ حجة واضحة في التعرّض لهم بالقتل والسبي؛ لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم، أو تسلطًا ظاهرًا حيث أذنّا لكم في قتلهم"[(١)].

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٨٩/٢).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "المقدم مركب من ثلاثة أجزاء في الآيتين، وهي في الآية الأولى الاعتزال وعدم القتال وإلقاء السلم فبهذه الأجزاء الثلاثة تم الشرط، وجزاؤه عدم التعرض لهم بالأخذ والقتل كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ وفي الآية الثانية عدم الاعتزال وعدم إلقاء السلم وعدم الكف عن القتال، فبهذه الأجزاء الثلاثة تم الشرط، وجزاؤه الأخذ والقتل المصرح به بقوله سبحانه: ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ﴾. ومن هذا يعلم أن ﴿وَيَكُفُّوٓاْ﴾ بمعنى لم يكفوا عطف على المنفي لا على النفي بقرينة سقوط النون الذي هو علامة الجزم، وعطفه على النفي والجزم بأن الشرطية لا يصح لأنه يستلزم التناقض لأن معنى ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ إن لم يكفوا، وإذا عطف ﴿وَيَكُفُّوٓاْ﴾ على النفي يلزم اجتماع عدم الكف والكف، وكلام الله تعالى منزه عنه، وكذا لا يصح كون قوله سبحانه: ﴿وَيَكُفُّوٓاْ﴾ جملة حالية، أو استئنافية بيانية، أو نحوية لاستلزام كل منهما التناقض مع أنه يقتضي ثبوت النون في ﴿يَكُفُّوا﴾ على ما هو المعهود في مثله، وأبو حيان جعل الجزاء في الأول مرتبا على شيئين، وفي الثانية على ثلاثة، والسر في ذلك الإشارة إلى مزيد خباثة هؤلاء الآخرين، وكلام العلامة البيضاوي- بيّض الله تعالى غرّة أحواله- في هذا المقام لا يخلو عن تعقيد وربما لا يوجد له محمل صحيح إلا بعد عناية وتكلف فتأمل جدا"[1].

الدراسة:

تعقب العلامة الألوسي هنا قول البيضاوي: "فإن مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض".

ووجه هذا التعقب: أن القاضي البيضاوي ذهب إلى أن الكف معطوف على النفي، وهذا يلزم منه الجمع بين النقيضين (وهو الكف وعدم الكف).

بينما يرى العلامة الألوسي أن العطف هنا على المنفي وليس النفي، وذكر أن الدليل على

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٠٧/٣- ١٠٨).

ذلك سقوط النون في ﴿وَيَكُفُّوٓاْ﴾ الذي هو علامة الجزم.

وهذا الكلام مبني على معرفة الذي نزلت فيهم هذه الآية، وقد اختلفت فيها الأقوال على رأيين في الجملة.

الرأي الأول: أنهم صنف من المنافقين، وهذا ذكره الطبري(١).

وقد اختلفوا في تعيين هؤلاء المنافقين على أربعة أقوال، وهي:

القول الأول: أنهم ناس من أهل مكة، أسلموا تقية وهم كفار، ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم وذراريهم ونسائه، وهذا مروي عن مجاهد(٢)، والحسن البصري(٣).

القول الثاني: أنها نزلت في الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، و﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡ﴾[سورة آل عمران:١٦٧]، وهذا قول زيد بن ثابت(٤)(٥).

القول الثالث: أنها نزلت في قوم من أهل المدينة أرادوا الخروج عنها نفاقاً، وهذا قول السدي(٦).

القول الرابع: أنها نزلت في قوم من أهل الإفك، وهذا قول ابن زيد(٧)(٨).

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٣٠٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٧/ ٣٠١)، تفسير الماوردي (١/ ٥١٥).

(٣) تفسير الماوردي (١/ ٥١٥).

(٤) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان، كاتب الوحي وأحد نجباء الأنصار، شهد بيعة الرضوان، وقرأ على النبي، وجمع القرآن في عهد الصديق، توفي سنة (٤٥هـ). ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٥٣٧)، أسد الغابة (٢/ ١٢٦)، الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٤٩٠).

(٥) تفسير الماوردي (١/ ٥١٥).

(٦) تفسير الماوردي (١/ ٥١٥).

(٧) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القرشي العدوي المدني مولى عمر بن الخطاب، جمع تفسيرا في مجلد، وكتابا في الناسخ والمنسوخ، لكنه ضعيف في الحديث، وتوفي سنة (١٨٢هـ). ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٧/ ١١٤)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٤٩)، ميزان الاعتدال (٢/ ٥٦٤)، المغني في الضعفاء (٢/ ٣٨٠).

(٨) تفسير الماوردي (١/ ٥١٥).

الرأي الثاني: أنهم قوم من المشركين طلبوا الأمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأمنوا عنده وعند أصحابه وعند المشركين، وهو مروي عن ابن عباس[1]، وقتادة[2]. وذهب إليه إليه العلامة الألوسي.

والراجح هو: الرأي الثاني، وهو أن المقصود من الآية المشركون، وليس المقصود من ذلك المنافقون، لأن المعروف من منهج النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع المنافقين، يجد أنه كان يتعامل معهم بالرفق واللين، وترك قتالهم والمواجهة معهم.

(١) تفسير الماوردي (١/ ٥١٥).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٧/ ٣٠٢)، تفسير الماوردي (١/ ٥١٥)، زاد المسير في علم التفسير (١/ ٤٤٦).

المسألة الثانية: تعلق قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ بما قبله.

في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[سورة النساء: ١٣٢].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[سورة النساء:١٣٢]. راجع إلى قوله: ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾[سورة النساء:١٣٠]، فإنَّه توكّل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وادّعى البيضاوي- بيض الله تعالى غرة أحواله- أن هذه الجملة راجعة إلى قوله سبحانه: ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾[سورة النساء:١٣٠] فإنه إذا توكّلت وفوّضت فهو الغنى؛ لأن من توكل على الله عز وجل كفاه، ولما كان ما بينهما تقريرا له لم يعد فاصلا، ولا يخفى أنه على بعده لا حاجة إليه"(٢).

الدراسة:

محل الخلاف: في (التعلق المعنوي) لقول الله تعالى ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[سورة النساء:١٣٢]:

يرى الإمام البيضاوي -رحمه الله- أنه متعلق بقوله: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾[سورة النساء:١٣٠]، وأن ما بينهما لا يضر في الفصل، لأن تلك الآيات الفاصلة في سياق واحد، فلا يضر الفصل بها.

ويرى الإمام الألوسي -رحمه الله- أن هذا تكلف لا فائدة منه، فتعلق آخر هذه الآية بأولها أولى، ولا حاجة لتعلقها بما يسبقها بعدة آيات.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٠٢/٢)

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٥٨/٣)

قال الشهاب: قوله: "راجع إلى قوله: ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾) فإنه إذا وكلت وفوّضت إليه فهو المغني لأنّ من توكل على الله كفاه، ولما كان ما بينهما تقريرا له لم يعد فاصلا، وقيل: إنه لا حاجة إلى هذا فإنه إذا كان مالك الملك كفت وكالته عمن سواه ممن لا يقدر على شيء إلا بإقداره"[1].

وقال الطاهر ابن عاشور[2]: "أمّا جملة ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ فهي عطف على جملة ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾، أتى بها تمهيدًا لقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ فهي مراد بها معناها الكنائي الذي هو التمكّن من التصرّف بالإيجاد والإعدام، ولذلك لا يحسن الوقف على قوله: ﴿وَكِيلًا﴾"[3].

والراجح هو: أن تعقب الألوسي –رحمه الله– صحيح؛ فسياق الآيات فيما بعد هذه الآية يتسم بالعمومية؛ وتعلُّقه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أوضح، فلا حاجة لتخصيص هذه الآية، وتخصيص ما بعدها تبعًا لها. والله أعلم.

---

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٣/١٨٥)

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، ولد سنة (١٢٩٦هـ)، من كتبه: مقاصد الشريعة الإسلامية، والتحرير والتنوير في تفسير القرآن، وأصول الإنشاء والخطابة، وهو رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، عين عام (١٩٣٢م) شيخا للإسلام مالكيا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، وتوفي سنة (١٣٩٣هـ). ينظر: الأعلام للزركلي (٦/ ١٧٤)، الأزهرية (٧/ ١٩٨)، مجلة المنهل (٣٩/ ٧٩٢).

(٣) ينظر: تفسير التحرير والتنوير (٥/٢١٩)، إعراب القرآن الكريم لدعاس (١/ ٢٢٧).

المسألة الثالثة: التفضيل بين الملائكة وبني آدم.

في قوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[سورة النساء: ١٧٢].

القولُ المعقَّبُ عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿لَا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [سورة النساء: ١٧٢] عطف على المسيح، أي ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيداً لله، واحتج به من زعم فضل الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقال مساقه لرد قول النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي أن يكون المعطوف أعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه، وجوابه أن الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وإن سلم اختصاصها بالنصارى فلعله أراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك: أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس، وإن أراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين هو حول العرش، أو من أعلى منهم رتبة من الملائكة أعلى المسيح من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقاً"(١).

التعقيب:

قال الإمام الآلوسي: "وبالجملة المسألة سمعية، وتفصيل الأدلة والمذاهب فيها حشو الكتب الكلامية، والقطع فيها منوط بالنص الذي لا يحتمل تأويلا ووجوده عسر"(٢).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ١١١).
(٢) روح المعاني (٣/ ٢١٤).

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن الأنبياء أفضل من الملائكة.

بينما يرى العلامة الألوسي أن الكلام في المسألة يقتصر فيها على النص، ولا نص فيها.

ومحور التفضيل هو بين صالحي البشر، وبين الملائكة، فلا خلاف بين أهل العلم أن الكفرة والمنافقين غير داخلين في المفاضلة، فهؤلاء أضل من البهائم: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[سورة الأعراف:١٧٩][(١)].

وخلاصة هذه الأقوال تدور على ثلاثة أقوال، وهي:

القول الأول: أن الملائكة أفضل من البشر[(٢)].

القول الثاني: أن مؤمني البشر أفضل من الملائكة[(٣)].

القول الثالث: التوقف في المسألة[(٤)].

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله جمع جميل في هذه المسألة حيث قال كما نقل عنه تلميذه ابن القيم رحمه الله: "سئل – أي شيخ الإسلام – عن صالحي بني آدم والملائكة: أيهما أفضل؟

فأجاب: بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى، منزهين عما يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة

---

(١) عالم الملائكة الأبرار (ص: ٨٦).

(٢) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ٦٩)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ١٧)، أبكار الأفكار في أصول الدين (٤/ ٢٢٥)، شرح الطحاوية (٢/ ٤١٠)، تفسير الماتريدي (١/ ٤٣٥)، (٣/ ٤٢٧)، تفسير القرطبي (١/ ٢٨٩)، تفسير النسفي (١/ ٤٢٠)، تفسير الخازن (٢/ ٤٨٢)، تفسير ابن كثير (٢/ ٤٨٠)، فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٨٦)، عمدة القاري (٢٥/ ١٠١).

(٣) ينظر: شرح الطحاوية (٢/ ٤١٠)، العقائد الإسلامية (ص: ١١٣)، أبكار الأفكار في أصول الدين (٤/ ٢٢٥)، تفسير البغوي (٣/ ١٤٥)، تفسير القرطبي (١/ ٢٨٩)، تفسير النسفي (١/ ٤٢٠)، تفسير الخازن (٢/ ٤٨٢)، تفسير ابن كثير (٢/ ٤٨٠)، فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٨٦)، عمدة القاري (٢٥/ ١٠١).

(٤) الحبائك في أخبار الملائك (ص: ٢٠٣).

فيصير حال صالحي البشر أكمل من حال الملائكة"[1].

ثم نبه ابن القيم رحمه الله إلى خطورة هذه المسألة، وهي التفضيل بين الخلق، والخوض في هذه المسائل بدون بصيرة، أو علم، فقال: "وهاهنا نكتة خفية لا ينتبه لها إلا من بصّره الله، وهي أن كثيرا ممن يتكلم في التفضيل يستشعر نسبيته وتعلقه بمن يفضله، ولو على بعد، ثم يأخذ في تقريظه وتفضيله، وتكون تلك النسبة والتعلق مهيجة له على التفضيل والمبالغة فيه، واستقصاء محاسن المفضل والإغضاء عما سواها، ويكون نظره في المفضل عليه بالعكس، ومن تأمل كلام أكثر الناس في هذا الباب رأى غالبه غير سالم من هذا، وهذا مناف لطريقة العلم والعدل التي لا يقبل الله سواها ولا يرضي غيرها، ومن هذا تفضيل كثير من أصحاب المذاهب والطرائق وأتباع الشيوخ كل منهم لمذهبه وطريقته أو شيخه"[2].

وقد نبه العلماء إلى قلة الفائدة المرجوة من بحث هذه المسألة، والخوض فيها، قال ابن أبي العز الحنفي[3]: "كنت ترددت في الكلام على هذه المسألة، لقلة ثمرتها، وأنها قريب مما لا يعني، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. فإن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيين، وليس علينا أن نعتقد أي الفريقين أفضل، فإن هذا لو كان من الواجبات لبين لنا نصا"[4].

ومن شواهد أثر المبالغة فيها، وجعلها فيصلا بين أهل السنة والمبتدعة، ما ذكره العلامة السفاريني الحنبلي[5]، فقد قال: "وهي مسألة عظيمة قد كثر فيها الاختلاف، وتشعبت فيها الأقوال، وعظمت فيها المحن والجدال، ولكثرة الخلاف فيها وتباين أقوال الأئمة من المتكلمين وغيرهم في تفاصيلها قلنا في النظم:

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١١٠٤).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ١١٠٥-١١٠٦).

(٣) محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي الصالحي، من تصانيفه: شرح الطحاوية، ولي قضاء دمشق، ثم ولي قضاء مصر فأقام شهرًا ثم استعفى، وتوفي في ذي القعدة، من سنة (٧٩٢هـ). ينظر: الدرر الكامنة (٣/ ٨٧)، شذرات الذهب (٦/ ٣٢٦).

(٤) شرح الطحاوية (٢/ ٤١٠).

(٥) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون، الحنبلي مذهبا، ولد سنة (١١١٤هـ)، من كتبه: غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ولوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية المضية في عقيدة أهل الفرقة المرضية، عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. وتوفي سنة (١١٨٨هـ). ينظر: فهرس الفهارس (٢/ ١٠٠٢)، الأعلام للزركلي (٦/ ١٤)، معجم المؤلفين (٨/ ٢٦٢).

وعنـــدنا تفضـــيل أعيـــان البشـــر علـــى مـــلاك ربنـــا كمـــا اشـــتهر
قـال ومـن قـال سـوى هـذا افـترى وقـد تعـدى في المقـال واجـترى"[1]

وقد تعقبه الشيخ ابن عثيمين[2] رحمه الله فقال: "هذا الفصل ليت المؤلف رحمه الله لم يعقده، وليته لم يتكلم في هذه المسألة، وموضعها: أيهم أفضل؛ الملائكة أو البشر؟[3]

والراجح هو: ما قاله الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى، فقد قال: "أصل البحث في هذا لا داعي له؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم وهم أحرص الناس على العلم والإيمان لم يبحثوا هذا البحث، ولم يقولوا البشر أفضل أم الملائكة. وشيء سكت عنه الصحابة رضي الله عنهم مما يتصل بالدين، فالأجدر بنا أن نسكت عنه. وهذه قاعدة يجب على طالب العلم أن يفهمها، وهي أن كل شيء سكت عنه الصحابة رضي الله عنهم من أمور الدين فاعلم أن الخوض فيه من فضول الكلام، ولا حاجة إليه؛ لأنه لو كان من مهمات ديننا ومن أصول ديننا ومما يجب علينا أن ندين الله به لتبين، إما عن طريق القرآن، أو عن طريق السنة، أو الصحابة، فإذا لم يوجد واحد من هذه الثلاثة علم أنه ليس من الدين في شيء. وإذا بنيت نهجك على هذا استرحت من إشكالات كثيرة يوردها بعض المتعلمين اليوم"[4].

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٩٨).

(٢) محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهيبي التميمي، ولد سنة (١٣٤٧هـ)، واستفاد في طلبه للعلم من عدة مشايخ بعضهم في عنيزة وبعضهم في الرياض منهم: الشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ عبد العزيز بن باز، له مؤلفات كثيرة، منها: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، والقول المفيد على كتاب التوحيد، ويعتبر من أكابر علماء هذا العصر في العقيدة السلفية، ونصر عقيدة أهل السنة والجماعة، توفي بجدة يوم الأربعاء (١٥/١٠/١٤٢١هـ). ينظر: الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين (١٧)، ابن عثيمين الإمام الزاهد للدكتور ناصر الزهراني.

(٣) شرح العقيدة السفارينية (١/ ٦٥٣).

(٤) شرح العقيدة السفارينية (١/ ٦٥٣).

٥- سورة المائدة

المسألة الأولى: وجه النصب في قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾ [سورة المائدة: ١].

القولُ المعقَّبُ عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾ حال من الضمير في ﴿لَكُم﴾ وقيل: من واو ﴿أَوْفُواْ﴾، وقيل: استثناء، وفيه تعسف"(١).

التعقيب:

قال الإمام الآلوسي: "ونقل العلامة البيضاوي عن بعض أن النصب على الاستثناء، وذكر أن فيه تعسفا، وبينه مولانا شيخ الكل في الكل صبغة الله أفندي الحيدري عليه الرحمة بأنه لو كان استثناءًا، لكان إما من الضمير في ﴿لَكُم﴾ أو في ﴿أَوْفُواْ﴾ إذ لا جواز لاستثنائه من ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وعلى الأول: يجب أن يخص البهيمة بما عدا الأنعام مما يماثلها، أو تبقى على العموم لكن بشرط إدارة المماثل فقط في حيز الاستثناء، وأن يجعل قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ من تتمة المستثنى بأن يكون حالا عما استكن في ﴿مُحِلِّي﴾ ليصح الاستثناء إذ لا صحة له بدون هذين الاعتبارين، فسوق العبارة يقتضي أن يقال: (وهم حرم) لأن الاستثناء أخرج المحلين من زمرة المخاطبين، واعتبار الالتفات هنا بعيد لكونه رافعا فيما هو بمنزلة كلمة واحدة، وعلى الثاني: يجب تخصيص العقود بالتكاليف الواردة في الحج، وتأويل الكلام الطلبي بما يلزمه من الخبر مع ما يلزمه من الفصل بين المستثنى والمستثنى منه بالأجنبي، وكل ذلك تعسف أي تعسف. انتهى. وكأنه رحمه الله تعالى لم يذكر احتمال كون الاستثناء

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ١١٣).

من الاستثناء، مع أن القرطبي نقله عن البصريين"[1].

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن إعراب قوله تعالى: "﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾ بأنه منصوب على الاستثناء، بأن فيه تعسفًا.

بينما يرى العلامة الألوسي أنه يمكن أن يحمل على قول البصريين من جواز الاستثناء من الاستثناء.

وقد اختلف العلماء في إعراب قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾:

القول الأول: أنه حال من الضمير في قوله تعالى: ﴿أَوْفُواْ﴾، وهو قول الأخفش[2]، والنحاس[3]، ومكي بن أبي طالب[4]، وذكره العكبري[5].

قال السمين الحلبي: "ضعفوا هذا المذهب من وجهين، الأول: أنه يلزم منه الفصل بين الحال وصاحبها بجملة أجنبية، ولا يجوز الفصل إلا بجمل الاعتراض، والثاني: أنه يلزم منه تقييد الأمر بإيفاء العقود بهذه الحالة، وإذا اعتبرنا مفهومه يصير المعنى: فإذا انتفت هذه الحال فلا توفوا بالعقود، والأمر ليس كذلك، فإنهم مأمورون بالإيفاء بالعقود على كل حال من إحرام وغيره"[6].

(١) روح المعاني (٣/ ٢٢٦).
(٢) معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٧١).
(٣) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٥٥).
(٤) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٢١٧).
(٥) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٤١٥).
(٦) الدر المصون (٤/ ١٧٩).

القول الثاني: أنه حال من الضمير في قوله تعالى: ﴿لَكُم﴾، وهو قول الزمخشري[1]، وابن عطية[2]، وزكريا الأنصاري[3][4]، وذكره العكبري[5]، والنحاس[6]، ومكي بن أبي طالب[7]، ونسبه القرطبي إلى البصريين[8]. فيكون تقديره: إلا ما يتلى عليكم إلا الصيد وأنتم محرمون. قال قال السمين الحلبي: "ضعف هذا الوجه بأنه يلزم منه تقييد إحلال بهيمة الأنعام لهم بحال كونهم غير محلي الصيد وهم حرم، إذ يصير معناه: أحلت لكم بهيمة الأنعام في حال كون انتفاء كونكم تحلون الصيد وأنتم حرم، والغرض أنهم قد أحلت لهم بهيمة الأنعام في هذه الحال وفي غيرها، هذا إذا أريد ببهيمة الأنعام الأنعام نفسها، وأما إذا عني بها الظباء وحمر الوحش وبقره على ما فسره بعضم فيظهر للتقييد بهذه الحال فائدة، إذ يصير المعنى: أحلت لكم هذه الأشياء حال انتفاء كونكم تحلون الصيد وأنتم حرم فهذا معنى صحيح، ولكن التركيب الذي قدرته لك فيه قلق. ولو أريد هذا المعنى من الآية الكريمة لجاءت به على أحسن تركيب وأفصحه"[9].

القول الثالث: أنه حال من الضمير في قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ﴾، ذكره العكبري[10]، وقال السمين الحلبي: "وهو ضعيف"[11].

---

(١) تفسير الزمخشري (١/ ٦٠١).

(٢) تفسير ابن عطية (٢/ ١٤٥).

(٣) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الزين الأنصاري السنبكي القاهري الأزهري الشافعي، ولد سنة (٨٢٦هـ)، ومن تصانيفه: فتح الوهاب شرح الآداب، وغاية الوصول في شرح الفصول، وكان إمام مفسرا فقهيا عالما عاملا، وتوفي سنة (٩٢٦هـ). ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٣/ ٢٣٤)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (١/ ٢٥٢)، الأعلام للزركلي (٣/ ٤٦).

(٤) إعراب القرآن العظيم لزكريا الانصارى (ص: ٢٣٥).

(٥) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٤١٥).

(٦) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٥٥).

(٧) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٢١٧).

(٨) تفسير القرطبي (٦/ ٣٥).

(٩) الدر المصون (٤/ ١٧٨).

(١٠) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٤١٥).

(١١) الدر المصون (٤/ ١٧٩).

القول الرابع: أنه حال من الفاعل المقدر، والتقدير: أحل الله لكم بهيمة الأنعام غير محل لكم الصيد وأنتم حرم. قال السمين الحلبي: "هذا الوجه فيه ضعف من وجوه"[1].

القول الخامس: أنه منصوب على الاستثناء المكرر، قال القرطبي: "هذا وجه ساقط، فإذا معناه أحلت لكم بهيمة الأنعام غير محلي الصيد وأنتم حرم إلا ما يتلى عليكم سوى الصيد"[2].

والراجح هو: أن جميع الأقوال اتفقت على أنه منصوب، لكن وقع الاختلاف في العامل في النصب، قال أبو حيان: "اتفق جمهور من وقفنا على كلامه من المعربين والمفسرين على أنه منصوب على الحال، ونقل بعضهم الإجماع على ذلك، واختلفوا في صاحب الحال"[3].

(١) الدر المصون (٤/ ١٧٩).
(٢) تفسير القرطبي (٦/ ٣٥).
(٣) البحر المحيط (٤/ ١٥٩).

المسألة الثانية: في عدم سقوط وجوب القصاص بالتوبة.

في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [سورة المائدة: ٣٤].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡ ﴾ استثناء مخصوص بما هو حق الله سبحانه وتعالى ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ أما القتل قصاصًا فإلى الأولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه، وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على أنها بعد القدرة لا تسقط الحد وإن أسقطت العذاب، وأن الآية في قطّاع المسلمين؛ لأن توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وقال ناصر الدين البيضاوي: إن القتل قصاصا يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه، وشنع عليه لضيق عبارة العلامة ابن حجر في كتابه التحفة(٢)، وأفرد له تنبيها فقال- بعد نقله-: وهو عجيب، وأعجب منه سكوت شيخنا عليه في حاشيته مع ظهور فساده لأن التوبة لا دخل لها في القصاص أصلًا"(٣).

الدراسة:

هذه من المواضع التي اختلف في بيان قصد البيضاوي، فقد تعقبه هنا العلامة الألوسي،

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٢٥/٢).

(٢) تحفة المحتاج (٩/ ١٦٣- ١٦٤).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢٩٠/٣).

وسبقه إلى ذلك ابن حجر الهيتمي، فقد قال: "وقع للبيضاوي في تفسيره أن القتل قصاصا يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه، وهو عجيب وأعجب منه سكوت شيخنا عليه في حاشيته[1] مع ظهور فساده لأن التوبة كما تقرر لا دخل لها في القصاص أصلا، إذ لا يتصور له بقيد كونه قصاصا حالتا وجوب وجواز؛ لأنا إن نظرنا إلى الولي فطلبه جائز له لا واجب مطلقا، أو للإمام فإن طلبه منه الولي وجب وإلا لم يجب من حيث كونه قصاصا، وإن جاز أو وجب من حيث كونه حدّا، فتأمله، وأوّله بعضهم بما لا يوافق قواعد مذهب البيضاوي فاحذره فإن السبر قاض بأنه لا يجزم بحكم على غير مذهبه من غير عزوه لقائله"[2].

وقد تعقب بعض العلماء على كلام ابن حجر الهيتمي السابق، ببيان أن من تاب من قبل القدرة عليه فتسقط عنه العقوبات المتعلقة بحق الله، وأما ما يتعلق بحقوق العباد، فمرده إلى الولي من جواز أخذ القصاص، وإقامة الحد، أو التفضل بالعفو، والإنعام الصفح.

قال الشرواني[3]: "لا عجب؛ لأن المراد بالوجوب التحتم، فالمعنى يسقط بالتوبة تحتمه فيسقط بعفو الولي، لا جوازه فللولي استيفاؤه، وهذا معنى صحيح لا غبار عليه، والحاصل أن القتل قصاصا في حد نفسه يوصف بالجواز بمعنى عدم امتناع تعاطيه، وبالوجوب أي: التحتم بمعنى امتناع سقوطه، فإذا حصلت التوبة سقط الوصف الثاني وبقي الوصف الأول، وليس في كلام البيضاوي أن الوصفين ثابتان له من حيث كونه قصاصا بل يجوز أن يريد أنهما ثابتان له في نفسه، بمعنى أن ذات هذا القتل الذي يسمى قصاصا لها هذان الوصفان"[4].

---

(١) ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٣/ ٢٣٨).

(٢) تحفة المحتاج (٩/ ١٦٣- ١٦٤).

(٣) عبد الحميد الشرواني، لم أجد له ترجمة، وله حاشية على تحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي في فروع الشافعية. وفي النسخة المطبوعة منها أنه نزيل مكة المكرمة، وبآخرها أنه أتم كتابة المذكور هناك سنة ١٢٨٩هـ وينقل عنه صاحب ترشيح المستفدين كثيرا. ينظر: حاشية الشرواني على تحفة المحتاج (١٠/ ٤٣٢).

(٤) حاشية الشرواني على تحفة المحتاج (٩/ ١٦٣).

وتبعه العبادي[1] على ذلك[2].

وهذا المعنى لم يتفرد به البيضاوي، بل هو في ذلك مسبوق من بعض الأئمة، فقد قال البغوي: "أما المسلمون المحاربون فمن تاب منهم قبل القدرة عليهم وهو قبل أن يظفر به الإمام تسقط عنه كل عقوبة وجبت حقا لله، ولا يسقط ما كان من حقوق العباد، فإن كان قد قتل في قطع الطريق يسقط عنه بالتوبة قبل القدرة عليه تحتم القتل، ويبقى عليه القصاص لولي القتيل فإن شاء عفا عنه وإن شاء استوفاه"[3].

وقرره أيضا الرازي فقال: "كان ولي الدم على حقه في القصاص والعفو، إلا أنه يزول حتم القتل بسبب هذه التوبة"[4].

والراجح هو: أنه قد اتفق جمهور العلماء من الحنفية[5]، والشافعية[6]، والحنابلة[7] على أن أن التوبة قبل القدرة تسقط جميع الحقوق المتعلقة بالله تعالى، بخلاف الحقوق المتعلقة بالعباد، فهي راجعة إلى الولي إن شاء أخذ بحقه، وإن شاء عفا.

ولا شك أن القاضي البيضاوي إمام من الأئمة المشهود لهم بالعلم والإمامة في الفقه، والأولى فيه أن يحمل كلامه على ما يوافق كلام غيره من الأئمة، ما احتمل النص ذلك، لا سيما في المسائل التي لا تخفى على صغار طلبة العلم، فكيف بإمام من الأئمة.

---

(١) أحمد بن قاسم الصبّاغ العبّادي ثم المصري الشافعيّ الأزهري، شهاب الدين فاضل من أهل مصر، من شيوخه ناصر الدين اللقاني وشهاب الدين البرلسي المعروف بعميرة وعيسى الصفوي وغيرهم، ومن تلاميذه محمد بن داود المقدسي وغيره، له حاشية على شرح جمع الجوامع للمحلي وشرح الورقات لإمام الحرمين وحاشية على تحفة المحتاج للهيتمي، توفي سنة (٩٩٤ هـ). ينظر: شذرات الذهب (٨/٤٣)، الأعلام للزركلي (١/ ١٩٨).

(٢) حاشية العبادي على تحفة المحتاج (٩/ ١٦٣).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٠).

(٤) تفسير الرازي (١١/ ٣٤٨).

(٥) ينظر: الاختيار لتعليل المختار (٤/ ١١٦)، العناية شرح الهداية (٥/ ٤٢٧).

(٦) ينظر: المهذب للشيرازي (٣/ ٣٦٨)، نهاية المطلب (١٧/ ٣١٣).

(٧) ينظر: المغني لابن قدامة (٩/ ١٥١)، الواضح في شرح الخرقي (٣/ ٢٢٢).

٦- سورة الأنعام

المسألة الأولى: في إفادة قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحصر.

في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي في أول سورة الأنعام: "أخبر بأنه سبحانه وتعالى حقيق بالحمد، ونبه على أنه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد أو لم يحمد، ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون"(١).

وقال أيضا في أول سورة سبأ: "تقديم الصلة للاختصاص؛ فإن النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لأجلها، ولا كذلك نعم الآخرة"(٢).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وقصارى الكلام أن ترتب الحكم الذي تضمنته جملة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هنا على الوصف المختص به سبحانه من خلق السماوات والأرض وما عطف عليه يفيد الاختصاص القصري على الوجه الذي تقدم، ويشير إلى ذلك كلام العلامة البيضاوي في تفسيره الآية لمن أمعن النظر إلا أن ما ذكره عليه الرحمة في أول سبأ من الفرق بين ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة سبأ:١] وبين ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [سورة سبأ:١]، مما محصله أن جملة ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ جيء بها بتقديم الصلة ليفيد القصر لكون الإنعام بنعم الآخرة مختصا به تعالى بخلاف جملة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ﴾ الخ فإنها لم يجئ بها بتقديم الصلة حتى لا

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٥٣/٢).
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٢٤١).

يفيد القصر لعدم كون الإنعام مختصا به تعالى مطلقا بحيث لا مدخل فيه للغير إذ يكون بتوسط الغير فيستحق ذلك الغير الحمد بنوع استحقاق بسبب وساطته آب عنه، إذ حاصل ما ذكره في تلك السورة هو أنه لا قصر في جملة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ﴾ الخ بخلاف جملة ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾، وحاصل ما أشار إليه في هذه وكذا في الفاتحة هو أن جملة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إذا رتب على الأوصاف المختصة كالخلق والجعل المذكورين مفيد للقصر أيضا غاية ما في البال أن طريق إفادة القصر في البابين متغاير، ففي إحداهن تقديم الصلة وفي الأخرى مفهوم العلة فتدبر ذاك"[1].

الدراسة:

يرى القاضي البيضاوي أن هناك فرقا بين صيغة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وبين ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، بأن تقديم الصلة، وهو ﴿وَلَهُ﴾، يفيد قصر الحمد عليه في الآخرة، بخلاف الصيغة الأولى.

بينما يرى العلامة الألوسي أن القصر مفهوم في كلا الصيغتين، ففي قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، يفيد القصر بمفهوم العلة، وأما في قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، فهو يفيد القصر بتقديم الصلة.

وما ذكره القاضي البيضاوي من أن تقديم الصلة يفيد قصر الحمد على الباري جل وعلا، صحيح ومعتبر، فقد ذكر علماء البلاغة أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والقصر[2].

وهذه المسألة متفرعة عن مسألة أخرى، وهي معنى الحمد في الآخرة في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾.

وقد اختلف المفسرون في المقصود من الحمد هنا على خمسة أقوال، وهي:

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٤/٧٧).

(٢) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (٢/ ٢٣٣)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للهاشمي (ص: ١٦٨)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، للمراغي (ص: ١٥٢)، البلاغة العربية، للميداني (١/ ٥٣٦).

القول الأول: أي له الشكر الكامل في الآخرة، لأن النعم كلها من قبله لا يشركه فيها أحد من دونه، وهو قول الطبري[(١)]، والزجاج[(٢)]، والماتريدي[(٣)]، والبغوي[(٤)]، والخازن[(٥)(٦)]، وأبي حيان[(٧)].

القول الثاني: أنه حمد أهل الجنة لربهم، وهذا القول ذكره الماوردي[(٨)]،[(٩)]، وهو قول الواحدي[(١٠)]، والسمعاني[(١١)]، والكرماني[(١٢)(١٣)]، والنيسابوري الملقب ببيان الحق[(١٤)]، وابن

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٢٠٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٣٩).

(٣) تفسير الماتريدي (٨/ ٤٦٥).

(٤) تفسير البغوي (٦/ ٣٨٣).

(٥) علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر علاء الدين أبو الحسن الشيحي خازن الكتب السّميساطية في دمشق واشتهر بالخازن بسبب ذلك، وُلد في بغداد سنة (٦٧٨هـ) ثم سكن دمشق، وسمع بعض علمائها، فاشتغل بالعلم والتأليف، ويسَّر له عمله في المكتبة سبل التعلم والكتابة، له مصنفات كثيرة منها: (مقبول المنقول) وهو كتاب قيم في الحديث، ومنها: (تفسيره لباب التأويل في معاني التنزيل)، توفي بحلب سنة (٧٤١ هـ).
ينظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٣/ ١٧١)، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٤٢٦)، الأعلام للزركلي (٥/ ٥).

(٦) تفسير الخازن (٣/ ٤٤١).

(٧) البحر المحيط في التفسير (٨/ ٥١٨).

(٨) علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماورديّ البصري، ولد في البصرة سنة (٣٦٤هـ) كان رجلا عظيم القدر، من وجوه الفقهاء الشافعيين، مقدّما عند السلطان أحد الأئمة له التصانيف الحسان في كل فن من العلم له الأحكام السلطانية و سياسة أعلام النبوة و كتاب الحاوي الكبير، في فقه الشافعية في أكثر من عشرين جزءًا و كتاب في النحو، اتهمه ابن الصلاح بالاعتزال في بعض المسائل، وقال ابن السّبكي: الصحيح أنه ليس معتزليا، ولكنه يقول بالقدر فقط، توفي سنة (٤٥٠هـ). ينظر: تاريخ بغداد (١٢/ ١٠٢)، طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ٢٦٧)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٢٥)، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٤٢٧).

(٩) تفسير الماوردي (٤/ ٤٣١).

(١٠) التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٤٨٦).

(١١) تفسير السمعاني (٤/ ٣١٥).

(١٢) محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكرماني ويعرف بتاج القراء، عالم بالقراءات صاحب التصانيف، له غرائب التفسير وعجائب التأويل، والبرهان في متشابه القرآن وكتاب خط المصاحف. والهداية في شرح غاية ابن مهران، توفي نحو (٥٠٥هـ). ينظر: طبقات القراء لابن الجزري (٢/٢٩١)، معجم الأدباء لياقوت (٧/١٤٦)، طبقات المفسرين للداوودي (٢/٣١٢).

(١٣) غرائب التفسير وعجائب التأويل (٢/ ٩٢٥).

(١٤) ينظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن (٢/ ٦٧٧)، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (٢/ ١١٤٧).

الجوزي[١]، والعز بن عبد السلام[٢]، والنسفي[٣].

القول الثالث: أي: له الحمد في الآخرة على الثواب والعقاب لأنه عَدْل منه، وهذا القول ذكره الماوردي ونسبه إلى بعض المتأخرين[٤].

القول الرابع: أن له الحمد في الآخرة على الثواب فقط، وهو قول الزمخشري[٥].

القول الخامس: أن المراد بالآخرة هنا الأرضون، وذلك لأنها خلقت بعد السموات، وهذا القول ذكره الماوردي ونسبه إلى النقاش[٦][٧].

قال الكرماني: "وهذا بعيد، إذ ليس في القرآن (الأولى)"[٨].

والراجح هو: أن كل هذه الأقوال محتملة لمعنى الآية، إلا القول الأخير، والاختلاف فيها من باب التنوع لا التضاد، فالله جل شأنه له الحمد المطلق، وهو الذي يحمده أهل الجنة لإنعامه عليهم، وهو المستحق على الثواب والعقاب، لأن الثوب فضل وإحسان، والعقاب عدل وحكمة.

---

(١) ينظر: تذكرة الأريب في تفسير الغريب (ص: ٣٠٥)، زاد المسير (٣/ ٤٨٩).

(٢) تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٥).

(٣) تفسير النسفي (٣/ ٥١).

(٤) تفسير الماوردي (٤/ ٤٣٢).

(٥) تفسير الزمخشري (٣/ ٥٦٦).

(٦) محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون أبو بكر النقاش، عالم بالقرآن وتفسيره أصله من الموصل، ومنشأه ببغداد. رحل رحلة طويلة. وكان في مبدإ أمره يتعاطى نقش السقوف والحيطان فعرف بالنقاش من تصانيفه شفاء الصدور في التفسير، والإشارة في غريب القرآن والموضح في القرآن ومعانيه وغيرها، توفي سنة (٣٥١ هـ). ينظر: وفيات الأعيان (١/ ٤٨٩)، إرشاد الأريب (٦/ ٤٩٦)، غاية النهاية (٢/ ١١٩)، الأعلام للزركلي (٦/ ٨١)

(٧) تفسير الماوردي (٤/ ٤٣١).

(٨) غرائب التفسير وعجائب التأويل (٢/ ٩٢٥).

المسألة الثانية: في نفع الإيمان المجرد عن العمل صاحبه.

في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٨].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ عطف على ﴿ءَامَنَتْ﴾ والمعنى: أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفسًا غير مقدمة إيمانها أو مقدمة إيمانها غير كاسبة في إيمانها خيرًا، وهو دليل لمن لم يعتبر الإيمان المجرد عن العمل، وللمعتبر: تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم، وحمل الترديد على اشتراط النفع بأحد الأمرين على معنى: لا ينفع نفسًا خلت عنها إيمانها، والعطف على ﴿لَمْ تَكُنْ﴾ بمعنى لا ينفع نفسًا إيمانها الذي أحدثته حينئذ وإن كسبت فيه خيرًا"[(١)].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وأجاب القاضي البيضاوي -بيض الله تعالى غرة أحواله- بأن لمن اعتبر الإيمان المجرد عن العمل وقال: بأنه ينفع صاحبه حيث يخلصه عن الخلود في النار، تخصيص هذا الحكم بذلك أي: إن هذا الحكم- أعني عدم نفع الإيمان المجرد صاحبه- مخصوص بذلك اليوم، بمعنى أنه لا ينفعه فيه، ولا يلزم منه أن لا ينفعه في الآخرة في شيء من الأوقات، وليس المراد أن المحكوم عليه بعدم النفع هو ما حدث في ذلك اليوم من الإيمان والعمل، ولا يلزم من عدم نفع ما حدث فيه عدم نفع الإيمان السابق عليه، وإن كان مجردا عن العمل كما قيل، لأن هذا ليس من تخصيص الحكم في شيء، بل هو تخصيص للمحكوم عليه

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/١٩٠).

قد يرجع حاصله إلى اشتمال الآية على اللف التقديري كما أشرنا إليه.

ويرد عليه أنه: يلزم منه تخصيص الحكم بعدم نفع الإيمان الحادث في ذلك اليوم به أيضا ولا قائل به إذ هو لا ينفع صاحبه في شيء من الأوقات بالاتفاق"[1].

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن الإيمان المجرد من العمل لا ينفع صاحبه في الآخرة، بينما يرى العلامة الألوسي أن عدم النفع خاص في موقف معين، ولا يلزم منه أن يكون عاما في كل مواقف الآخرة.

وهذه المسألة تتعلق بمسألة: هل ينفع الإيمان المجرد عن العمل صاحبه؟

والمسألة في أصلها راجعة إلى حقيقة الإيمان عند الأشاعرة فقد "اشتهر عن الأشاعرة ميلهم إلى مذاهب المرجئة في الإيمان، وقولهم فيه يشبه كثيرا قولهم في مسألة الكلام، حين حصروه بالكلام النفسي دون الألفاظ، وفي الإيمان جعلوا معناه المعرفة أو التصديق، ولم يدخلوا فيه القول ولا الأعمال"[2].

وكلامهم في هذه الآية مبني على أصلهم في الإيمان[3].

فتكون هذه المسألة متعلقة بالمسألة الشهيرة التي وقع فيها الخلاف بين أهل السنة وبين غيرهم حول تعريف الإيمان، وهل يشترط لصحته وجود العمل، أم لا[4]، على خمسة أقوال:

القول الأول: أن الإيمان تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. وهو قول أهل السنة والجماعة[5].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣٠٨/٤).

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن المحمود (١٣٤٩/٣).

(٣) ينظر: حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (٨٢/٢)، وحاشية فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي (٥٤٥/٥-٥٣٨).

(٤) شرح الطحاوية (ص: ٣١٤).

(٥) ينظر: العقيدة رواية أبي بكر الخلال (ص: ١١٧)، شرح السنة للمزني (ص: ٧٨)، الاعتقاد القادري (ص: ٢٤٧)، الاعتقاد لابن أبي يعلى (ص: ٢٣)، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (٣/ ٧٦٠)، لمعة الاعتقاد (ص: ٢٦)، الإيمان لابن تيمية (ص: ١١٨).

القول الثاني: أنه إقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والأعمال ليست منه، وهو قول الكلابية، والأشعرية، ويُحكى هذا عن كثيرٍ من فقهاء الكوفة؛ مثل أبي حنيفة، وأصحابه[(١)].

القول الثالث: أن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، وهو قول الماتريدية[(٢)].

القول الرابع: أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، وهو قول الكرامية[(٣)(٤)].

القول الخامس: الإيمان هو المعرفة بالقلب، وهو قول الجهم بن صفوان[(٥)(٦)].

والراجح هو: أن العمل داخل في مسمى الإيمان، أما من يقول: إن الإيمان باللغة هو التصديق، فيقال: إن الشرع يأتي بنقل ألفاظ اللغة إلى معان مخصوصة، كالإسلام نقله الشرع إلى أن أصبح اسمًا لأركان الإسلام الظاهرة، وهي الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم والحج وما يلحق بها، وهكذا نقل الإحسان؛ إذ الإحسان في اللغة: اسم لإيصال الخير إلى الغير، ولكن نقله الشرع وجعله عبادة الله وحده وإصلاح العمل له، (أن تعبد الله كأنك تراه)، فتصدق الشرع في هذه الكلمات، فيقال -مثلًا-: هذه الكلمات لها تعريف في اللغة وتعريف في الشرع، كما أن أضدادها أيضًا لها تعريف في اللغة وتعريف في الشرع، فالشرك تعريفه في اللغة: الاشتراك بين اثنين في استحقاق، وتعريفه في الشرع: دعوة غير الله مع الله، وكذلك النفاق تعريفه في اللغة: الإخفاء وتعريفه في الشرع: إظهار الإيمان وإخفاء الكفر، فكذلك نقول: إن

---

(١) ينظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ٤٣)، الملل والنحل (١/ ١٠١)، غاية المرام في علم الكلام (ص: ٣١٠)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٤٠٥).

(٢) التوحيد للماتريدي (ص: ٣٧٣).

(٣) الكرامية: فرقة عقدية تنسب إلى محمد بن كرَّام المتوفى سنة (٢٥٥ هـ)، ومن أصول عقائدهم القول بالتجسيم، والله محدود من جهة العرش. وأن لا شيء يحدث في العالم قبل حدوث أعراض في ذاته. ينظر: الفرق بين الفرق (ص: ٢٠٢)، الملل والنحل (١/ ١٠٨).

(٤) ينظر: الملل والنحل (١/ ١٠١)، غاية المرام في علم الكلام (ص: ٣١٠)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٤٠٥).

(٥) الجهم بن صفوان أبو محرز الراسبي مولاهم السمرقندي المتكلم الضال رأس الجهمية وأساس البدعة ولد سنة (٧٨هـ) كان ذا جدال ومراء، وكان كاتبا للأمير الحارث بن سريج التميمي الذي توثب على عامل خراسان نصر بن سيار وكان الجهم ينكر صفات الرب عز وجل وينزهه بزعمه عن الصفات كلها ويقول بخلق القرآن، ويزعم أن الله ليس على العرش بل في كل مكان، وقيل: كان يبطن الزندقة، توفي سنة (١٢٨هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (٣٨٩/٣)، ميزان الاعتدال (١٩٧/١)، لسان الميزان (١٤٢/٢) الأعلام للزركلي (٢/ ١٤١).

(٦) ينظر: السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٣٠٦)، الفرق بين الفرق (ص: ١٩٩)، رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ٢٧٤).

هذه اللفظة: -الإيمان- نقلها الشرع وسماها بهذا الاسم[1].

ويقرر ابن تيمية –رحمه الله- أن الإيمان ليس مجرد التصديق فقط، بل لابد من أمر آخر، وهو عمل القلب الذي يتضمن الحب والانقياد والقبول... فيقول رحمه الله: "إن الإيمان وإن كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار والطمأنينة، وذلك لأن التصديق إنما يعرض للخبر فقط، فأما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمر، وكلام الله خبر وأمر. فالخبر يستوجب تصديق المخبر، والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام، وهو عمل في القلب، جماعه الخضوع والانقياد للأمر، وإن لم يفعل المأمور به، فإذا قوبل الخبر بالتصديق، والأمر بالانقياد، فقد حصل أصل الإيمان في القلب، وهو الطمأنينة والإقرار، فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استوقر في القلب التصديق والانقياد"[2].

وأما من يقول بالترادف بين الإيمان والتصديق فيقال له: لم يقابل لفظ الإيمان في القرآن قط بالتكذيب كما يقابل لفظ التصديق، وإنما يقابل بالكفر، والكفر لا يختص بالتكذيب، بل لو قال: أنا أعلم أنك صادق ولكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك: لكان كفرا أعظم، فعلم أن الإيمان ليس التصديق فقط، ولا الكفر التكذيب فقط، بل إذا كان الكفر يكون تكذيبا، ويكون مخالفة ومعاداة بلا تكذيب، فكذلك الإيمان، يكون تصديقا وموافقة وانقيادا، ولا يكفي مجرد التصديق، فيكون الإسلام جزء مسمى الإيمان.

ولو سلم الترادف، فالتصديق يكون بالأفعال أيضا. كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((**زنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه**))[3]. والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: اعتقاد أهل السنة لابن جبرين (٥/٩).

(٢) الصارم المسلول لابن تيمية (٥٠٩/١).

(٣) أخرجه: البخاري في كتاب القدر، باب ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾، (٨/ ١٢٥)، رقم (٦٦١٢)، ومسلم في كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره (٤/ ٢٠٤٦)، رقم (٢٦٥٧)، من حديث أبي هريرة.

٧- سورة الأعراف

المسألة الأولى: تفسير الاستواء.

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تعالى بالوحدانية في الألوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية. وتحقيق الآية – والله سبحانه وتعالى أعلم– أن الكفرة كانوا متخذين أربابًا فبين لهم أن المستحق للربوبية واحد وهو الله سبحانه وتعالى؛ لأنه الذي له الخلق والأمر فإنه سبحانه وتعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فأبدع الأفلاك ثم زينها بالكواكب كما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ وعمد إلى إيجاد الأجرام السفلية فخلق جسمًا قابلًا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة، ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والأفعال وأشار إليه بقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: ما في جهة السفل ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾، ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها أولًا وتصويرها ثانيًا كما قال تعالى بعد قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي مع اليومين الأولين لقوله تعالى في سورة السجدة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [سورة السجدة:٤]، ثم لما تم له عالم الملك عمد إلى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة، فدبر الأمر مِنَ السماء إِلَى الأرض بتحريك الأفلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والأيام، ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾"[(١)].

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٦/٣).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وقال البيضاوي: المعنى تعالى بالوحدانية والألوهية وتعظم بالتفرد بالربوبية، وعلى هذا فهو ختام لوحظ فيه مطلعه ثم حقق الآية بما لا يخلو عن دغدغة ومخالفة لما عليه سلف الأمة"(١).

الدراسة:

لعل محل انتقاد الإمام الألوسي –رحمه الله– هو قول البيضاوي: "ثم لما تمّ لَه عالمُ الملك عمد إلى تدبيره، كالمِلك الجالسِ على عرشه لتدبير المملكة" وهو خلاف ما عليه السلف من إمرار هذه الآيات دون تعرض لتأويلها مع إثبات ما فيها، يقول الألوسي: "الاستواء معلوم المعنى ووجه نسبته إلى الحق تعالى المجامع للتنزيه مجهول لأن الصفات تنسب إلى كل ذات بما يليق بتلك الذات وذات الحق ليس كمثله شيء فنسبة الصفات المتشابهة إليه تعالى ليست كنسبتها إلى غيره عز وجل لأن كنه ذات الحق ليس من مدركات العقول لتكون صفته من مدركاتها."(٢)

وقال ابن تيمية في تقرير عقيدة السلف من إثبات الاستواء مع نفي التمثيل: " ووصف نفسه بأنه استوى على عرشه، فذكر في سبع آيات من كتابه أنه استوى على العرش، ووصف بعض خلقه بالاستواء على غيره، في مثل قوله: ﴿ لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾[سورة الزخرف:١٣]. وقوله: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾[سورة المؤمنون:٢٨]، وقوله: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾[سورة هود:٤٤] وليس الاستواء كالاستواء"(٣).

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٤/٣٧٨).

(٢) غرائب الاغتراب للألوسي (ص: ١٩٠).

(٣) التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع (ص: ٢٩). وينظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣١-٣٤)، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (ص: ١٠٩-١١١).

والراجح هو: ما عليه سلف الأمة هو إثبات ما أثبته الله لنفسه من الاستواء وغيره من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، ويمرون هذه الآيات كما جاءت ولا يحرفون الكلم عن مواضعه؛ فاستواؤه ثابت على الحقيقة استواءً يليق بجلاله وعظمته؛ قال يحيى بن يحيى[1]: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[سورة طه:٥] فكيف استوى؟ قال: فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء[2] ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعا. فأمر به أن يخرج[3]. وجاء مثله عن ربيعة الرأي[4] شيخ الإمام مالك؛ قال ابن عيينة: سئل ربيعة عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[سورة طه:٥] كيف استوى؟ قال: "الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق"[5].

(١) يحيى بن يحيى بن أبي عيسى كثير الليثي بالولاء، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، رحل إلى المشرق شابا، فسمع الموطأ من الإمام مالك وأخذ عن علماء مكة ومصر، وعاد إلى الأندلس، فنشر فيها مذهب مالك، وتوفي بقرطبة. ينظر: نفح الطيب (١/ ٣٣٢)، وفيات الأعيان (٢/ ٢١٦)، الأعلام للزركلي (٨/ ١٧٦).

(٢) الرحضاء: هو العرق الناتج من أثر الحمى. ينظر: جمهرة اللغة (١/ ٥١٧)، مادة (رحض)، تهذيب اللغة (٤/ ١٢٠)، مادة (رحض)، الصحاح (٣/ ١٠٧٧)، مادة (رحض).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٠٥) رقم: ٨٦٧

(٤) ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ أبو عثمان التيمي، من شيوخه: أنس بن مالك والسائب بن يزيد وسعيد بن المسيب، ومن تلامذته: الأوزاعي والثوري ومالك، كان مفتي أهل المدينة وشيخهم، ويقال له ربيعة الرأي، وكان حافظا للفقه والحديث، وتوفي سنة (١٣٦هـ). ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ١١٨)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (١/ ٣٤٢)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ٧٥).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٤٢) رقم: ٦٦٥.

المسألة الثانية: أخذ الميثاق.

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾ أي ونصب لهم دلائل ربوبيته، وركّب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه بمنزلة الإشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي كراهة أن تقولوا. ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ لم ننبه عليه بدليل"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وأنت تعلم أن التأويل الذي ذكره البيضاوي يأبى عنه كل الإباء حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما"(٢).

الدراسة:

موضع الخلاف، في كون الميثاق الذي أخذه الله تعالى على عباده حاليّ أم مقاليّ؟.

وقد اختلف أهل العلم في هذه المسألة، على أقوال: أشهرها قولان:

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/٤١).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٥/٩٧).

القول الأول: أن الميثاق مقالي، وأن بني آدم قد قالوا حينها: شهدنا، وهو مروي عن ابن عباس[(١)]، وعبد الله بن عمرو[(٢)][(٣)]، وأبي بن كعب[(٤)][(٥)]، وهو قول مجاهد[(٦)]، وعكرمة[(٧)]، وسعيد بن جبير[(٨)]، وعطاء بن أبي رباح[(٩)]، والضحاك بن مزاحم[(١٠)][(١١)]، والحسن البصري[(١٢)]، البصري[(١٢)]، وقتادة[(١٣)]، والسدي[(١٤)]، والكلبي[(١٥)][(١٦)]،

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٥٤٧).

(٢) عبد الله بن عَمْرو بن الْعَاصِ بن وَائِل أَبُو مُحَمَّد السَّهْمِي الْقرشِي، صحابي، وأسلم قبل أبيه، وكان كثير العبادة، وكان يشهد الحروب والغزوات، ويضرب بسيفين، وحمل راية أبيه يوم اليرموك، وعمي في آخر حياته، واختلفوا في مكان وفاته. ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/ ١٧٢٠)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢٨٣)، غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٤٣٩).

(٣) تفسير الطبري (١٠/ ٥٥٣).

(٤) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج، أبو المنذر، كان قبل الإسلام حبرا من أحبار اليهود، مطلعا على الكتب القديمة، يكتب ويقرأ ولما أسلم كان من كتاب الوحي. وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم. وشهد مع عمر بن الخطاب وقعة الجابية، وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس، وتوفي بالمدينة سنة (٢١هـ). ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ٢١٤)، غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٣١)، سير أعلام النبلاء (١/ ٣٨٩).

(٥) تفسير الطبري (١٠/ ٥٥٧).

(٦) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٥).

(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٥).

(٨) تفسير الطبري (١٠/ ٥٥٨).

(٩) تفسير الطبري (١٠/ ٥٥٩).

(١٠) الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم: مفسر، وكانت أمه حاملا به سنتين، وولد وله أسنان، وكان يؤدب الأطفال، ويعلم الصبيان القرآن، ولا يأخذ منهم شيئا، توفي بخراسان سنة (١٠٥هـ). ينظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٣٠٠)، غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٣٣٨)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٨).

(١١) تفسير الطبري (١٠/ ٥٥١).

(١٢) تفسير الطبري (١٠/ ٥٦١).

(١٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٥).

(١٤) تفسير الطبري (١٠/ ٥٦٠).

(١٥) محمد بن السائب بن بشر أبو النضر الكلبي، كان آية في التفسير، واسع العلم، وكان رأسا في الأنساب، إلا أنه شيعي، اتهم بالكذب والرفض، وهو متروك الحديث، وتوفي سنة (١٥٠هـ). ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ٣٠٩)، تاريخ الإسلام (٣/ ٩٦٠)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٤٨)، الوافي بالوفيات (٢٦/ ٥٣).

(١٦) تفسير الطبري (١٠/ ٥٦١).

ومقاتل[1]، والتستري[2][3]، والسمرقندي[4]، والواحدي[5]، والسمعاني[6]، والبغوي[7]، وبيان وبيان الحق النيسابوري[8]، وابن جزي[9][10]، والثعالبي[11][12].

ودليل هذا القول: ما روي عن مسلم بن يسار الجهني[13]، أن عمر بن الخطاب، سئل عن هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾، قال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها، فقال رسول الله صلى الله

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٣).

(٢) سهل بن عبد الله بن يونس أبو محمد التستري الصالح المشهور، لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع؛ وكان صاحب كرامات، وله أقوال في تفسير بعض الآيات جمعها أبو بكر محمد البلدي في كتاب ونسبها إليه وعرف هذا الكتاب بتفسير التستري. توفي في البصرة. ينظر: وفيات الأعيان (٢/ ٤٢٩)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٠)، الوافي بالوفيات (١٦/ ١١).

(٣) تفسير التستري (ص: ٦٨).

(٤) تفسير السمرقندي (١/ ٥٦٣).

(٥) ينظر: التفسير الوسيط (٢/ ٤٢٦)، الوجيز (ص: ٤٢٠).

(٦) تفسير السمعاني (٢/ ٢٢٩).

(٧) تفسير البغوي (٢/ ٢٤٦).

(٨) باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (١/ ٥٤١).

(٩) محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزيّ الكلبي، ومن تصانيفه: كتاب القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، كان مشاركا في فنون عدة من العلم كالعربية والفقه والأصول والأدب الوحديث، وتوفي شهيدا في عام (٧٤١هـ). ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (٢/ ١٦٣)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢٩٥)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥/ ٨٨).

(١٠) تفسير ابن جزي (١/ ٣١٢).

(١١) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، أبو منصور، ولد سنة (٣٥٠هـ)، من تصانيفه: كتاب يتيمة الدهر، وسحر البلاغة، وكتاب فرائد القلائد، وكتاب سر الأدب، وكان يلقب: جاحظ أوانه، وتوفي سنة (٤٢٩هـ). ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء (٢٦٥)، وفيات الأعيان (٣/ ١٨٠)، تاريخ الإسلام (٩/ ٤٧٧).

(١٢) تفسير الثعالبي (٣/ ٩٢).

(١٣) مسلم بن يسار الجهني، الأموي، المكّي، أبو عَبد الله، تابعيّ، يروي عن عمر بن الخطاب، روى عنه عبد الحميد عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وهو بصري تابعي ثقة. ينظر: تهذيب الكمال (٢٧/ ٥٥٦)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥١٤)، تقريب التهذيب (ص: ٥٣١).

عليه وسلم: ((**إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فأخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون**))، فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الله الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخله الله النار**))[(١)].

ونوقش هذا الدليل بما يلي:

١- فيه انقطاعا بين مسلم بن يسار وبين عمر بن الخطاب، فهو لم يسمع منه.

وأجيب عن ذلك: بأن هذا الحديث روي من طرق شتى عن الصحابة، وتواترت فيه الأخبار، بما لا يدع مجالا للشك[(٢)]. قال القرطبي: "معنى هذا الحديث قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه ثابتة كثيرة: من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين، وغيرهم"[(٣)].

٢- أن هذا غير محتمل في اللغة لأنه قال: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل من ظهر آدم.

وأجيب: بأنه قد أخرج ذرية آدم الذين هم ولده من صلبه، ثم أخرج من ظهورهم ذريتهم، ثم أخرج من بعدهم حتى أخرج جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة، فأخرج من ظهورهم كل نسمة تخرج من ظهر، فذكر الأخذ من ظهور ذريته، ولم يذكر ظهر آدم لأن في الكلام دليلًا عليه[(٤)].

٣- أنه لا يجوز من الحكيم أن يخاطب الذر، وإنما يجوز خطاب من هو عاقل، ومن كان مثل الذر كيف يجوز خطابه؟

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في القدر (٤/ ٢٢٢)، رقم (٤٧٠٣)، والترمذي في أبواب تفسير القرآن، باب باب ومن سورة الأعراف (٥/ ١١٥)، رقم (٣٠٧٥).

(٢) ينظر: تفسير السمرقندي (١/ ٥٦٣)، وتفسير القرطبي (٧/ ٣١٥)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٥٠١).

(٣) تفسير القرطبي (٧/ ٣١٥).

(٤) تفسير السمرقندي (١/ ٥٦٥).

وأجيب: بأنه يجوز أن يكونوا كالذر في الصغر ويرزقهم الله تعالى من العقل ما يكونوا به من أهل الخطاب، كما وقع في قصة النملة مع سليمان بن داود- عليهما السلام- وتسبيح الطير والجبال مع داود، فكذلك هذا[1].

٤- أنه لا يجوز أن تكون حجة الله بشيء لا يذكر، وإنما تكون الحجة بشيء يكون الإنسان ذاكرًا له.

وأجيب: بأنه إنما أنسانا الله ذلك في الدنيا ليصح الاختبار، ولا نكون كالمضطرين. والفائدة: علم آدم، وما يحصل له من السرور بكثرة ذريته[2].

القول الثاني: أنه حالي، وهو عبارة عما في الفطرة من الإيمان بالله، والتوجه إليه ضرورة، وما أودع في الكون من دلائل وحدانيته، وتفرد ألوهيته، وهو قول الماتريدي[3]، والزمخشري[4]، والنسفي[5]، وأبي حيان[6]، وابن تيمية[7]، وابن كثير[8].

ومقصد الإمام الألوسي -رحمه الله- بمخالفة القول بالميثاق الحالي لحديث ابن عباس -رضي الله عنهما- فإنه يقصد به الحديث المروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ

(١) تفسير السمرقندي (١/ ٥٦٥).
(٢) باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (١/ ٥٤١).
(٣) تفسير الماتريدي (٥/ ٨٣).
(٤) تفسير الزمخشري (٢/ ١٧٦).
(٥) تفسير النسفي (١/ ٦١٦).
(٦) البحر المحيط في التفسير (٥/ ٢١٨).
(٧) جامع الرسائل لابن تيمية (١/ ١١).
(٨) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٥).

﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٧٢- ١٧٣] [(١)].

قال الإمام القرطبي –رحمه الله–: "وهذه آية مشكلة وقد تكلم العلماء في تأويلها وأحكامها، فنذكر ما ذكروه من ذلك حسب ما وقفنا عليه فقال قوم: معنى الآية أن الله تعالى أخرج من ظهور بني آدم بعضهم من بعض. قالوا: معنى" أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم" دلهم بخلقه على توحيده، لأن كل بالغ يعلم ضرورة أن له ربا واحدا. " ألست بربكم" أي قال. فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم، والإقرار منهم، كما قال تعالى في السماوات والأرض: " قالتا أتينا طائعين ". ذهب إلى هذا القفال؛ وأطنب. وقيل: إنه سبحانه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وأنه جعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها"[(٢)].

وأما الاستدلال بهذه الآية على الميثاق المقالي ففيه نظر، حتى وإن قيل بثبوته، فإن هذه الآية فيه مخالفات لما ورد في أحاديث الإشهاد، ذكرها الإمام ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية فقال: "والآية لا تدل عليه لوجوه:

أحدها: أنه قال: ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾، ولم يقل: من آدم، وفي الحديث: أن الإخراج كان من ظهر آدم فحسب.

الثاني: أنه قال: ﴿مِن ظُهُورِهِمۡ﴾، ولم يقل: من ظهره، وهذا بدل بعض، أو بدل اشتمال، وهو أحسن.

الثالث: أنه قال: ذرياتهم[(٣)] ولم يقل: ذريته.

---

(١) يقصد به الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده، (٤/ ٢٦٧)، برقم (٢٤٥٥)، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان –يعني عرفة– فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣]. وصححه الألباني في الصحيحة (٤/ ١٥٨)، رقم (١٦٢٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٣١٥/٧).

(٣) هذه قراءة أبي عمرو البصري، وهي التي اعتمدها ابن العز لكونها كانت أشهر لديهم في ذاك الزمان، ووافق أبا عمرو عمرو على القراءة بالجمع في الاسم والضمير معًا ﴿ذرياتهم﴾ نافع المدني، وابن عامر الشامي، وقرأ الباقون: ابن كثير ⇦=

الرابع: أنه قال: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾، ولا بد أن يكون الشاهد ذاكرا لما شهد به، وهو إنما يذكر شهادته بعد خروجه إلى هذه الدار- كما تأتي الإشارة إلى ذلك - لا يذكر شهادة قبله.

الخامس: أنه سبحانه أخبر أن حكمة هذا الإشهاد إقامة للحجة عليهم، لئلا يقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾، والحجة إنما قامت عليهم بالرسل والفطرة التي فطروا عليها، كما قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[سورة النساء:١٦٥].

السادس: تذكيرهم بذلك، لئلا يقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾، ومعلوم أنهم غافلون عن الإخراج لهم من صلب آدم كلهم وإشهادهم جميعا ذلك الوقت، فهذا لا يذكره أحد منهم.

السابع: قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾، فذكر حكمتين في هذا الإشهاد؛ لئلا يدعوا الغفلة، أو يدعوا التقليد، فالغافل لا شعور له، والمقلد متبع في تقليده لغيره. ولا تترتب هاتان الحكمتان إلا على ما قامت به الحجة من الرسل والفطرة.

الثامن: قوله: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾، أي لو عذبهم بجحودهم وشركهم لقالوا ذلك، وهو سبحانه إنما يهلكهم بمخالفة رسله وتكذيبهم، وقد أخبر سبحانه أنه لم يكن ليهلك القرى بظلم وأهلها غافلون، وإنما يهلكهم بعد الإعذار والإنذار بإرسال الرسل.

التاسع: أنه سبحانه أشهد كل واحد على نفسه أنه ربه وخالقه، واحتج عليه بهذا في غير موضع من كتابه، كقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[سورة لقمان:٢٥]، فهذه هي الحجة التي أشهدهم على أنفسهم بمضمونها، وذكرتهم بها رسله، بقولهم:

= والكوفيون الثلاثة: عاصم وحمزة والكسائي: بالإفراد في الاسم وجمع الضمير: ﴿ذريتهم﴾. ينظر: الكنز في القراءات العشر (٢/ ٤٨٧)، السبعة في القراءات (ص: ٢٩٧)، إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٦٧).

﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[سورة إبراهيم: ١٠].

العاشر: أنه جعل هذا آية، وهي الدلالة الواضحة البينة المستلزمة لمدلولها بحيث لا يتخلف عنها المدلول وهذا شأن آيات الرب تعالى، فإنها أدلة معينة على مطلوب معين مستلزمة للعلم به، فقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[سورة الأعراف:١٧٤]، وإنما ذلك بالفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، فما من مولود إلا يولد على الفطرة، لا يولد مولود على غير هذه الفطرة، هذا أمر مفروغ منه، لا يتبدل ولا يتغير. وقد تقدمت الإشارة إلى هذا. والله أعلم.

وقد تفطن لهذا ابن عطية وغيره، ولكن هابوا مخالفة ظاهر تلك الأحاديث(١).

فالراجح هو: ما ذهب إليه الإمام الألوسي؛ لأنه مرويّ عن كثير من السلف، ومن قواعد الترجيح المعروفة عند أهل الاختصاص أن القول الذي قال به جمهور السلف مقدم على غيره(٢).

(١) شرح الطحاوية لابن العز الحنفي (٢٢/١).

(٢) قواعد الترجيح لحسين الحربي (٢٨٨).

٩- سورة التوبة

المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾.

في قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [سورة التوبة: ٤٣].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ كناية لا عن خطئه في الإذن فإن العفو من روادفه، ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ بيان لما كني عنه بالعفو ومعاتبة عليه، والمعنى: لأي شيء أذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا بأكاذيب وهلا توقفت، ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في الاعتذار، ﴿وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيه، قيل إنما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما، أخذه للفداء، وإذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما"[(١)].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "ولقد أخطأ وأساء الأدب وبئسما فعل فيما قال وكتب صاحب الكشاف كشف الله تعالى عنه ستره، ولا أذن له ليذكر عذره حيث زعم أن الكلام كناية عن الجناية، وأن معناه أخطأت وبئسما فعلت[(٢)]. وكم لهذه السقطة في الكشاف نظائر، ولذلك امتنع من إقرائه بعض الأكابر كالإمام السبكي[(٣)] عليه الرحمة، وليت العلامة البيضاوي لم يتابعه

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/٨٢).

(٢) الكشاف (٢/٢٧٤).

(٣) علي بن عبد الكافي بن علي، تقي الدين أبو الحسن السبكي ثم المصري الشافعي، ولد سنة (٦٨٣)، كان من أوعية العلم في الفقه وعلم الحديث، والأصول والعربية، وتوفي سنة (٧٥٦هـ). ينظر: المعجم المختص بالمحدثين (ص: ١٦٦)، تاريخ الإسلام (١٥/ ٥١٥)، تذكرة الحفاظ (٤/ ٢٠٠).

في شيء من ذلك"[1].

الدراسة:

اختلف المفسرون في هذه الآية، هل كانت عتابا، أم لا، على قولين:

القول الأول: أنه عتاب من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم، وهو قول الطبري[2]، والماتريدي[3]، والسمرقندي[4]، ومكي بن أبي طالب[5]، والقشيري[6]، والواحدي[7]، والزمخشري[8]، والنسفي[9]، وابن جزي[10].

القول الثاني: أن الآية ليست عتابا، وإنما افتتح الكلام بالدعاء له تنويها لشأنه، وتقديما لدرجته، وهذا القول ذكره الثعلبي[11]، ومكي بن أبي طالب[12]، والقرطبي[13]، ونصره الخازن[14].

قال ابن الأنباري: "لم يخاطَب بهذا لجرم أجرمه، لكنَّ الله وقَّره ورفع من شأنه حين افتتح الكلام بقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ كما يقول الرجل لمخاطبه إذا كان كريماً عليه: عفا الله عنك، ما صنعت في حاجتي؟ ورضي الله عنك، هلاَّ زرتني"[15].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٥/٢٩٩).
(٢) تفسير الطبري (١١/ ٤٧٨).
(٣) تفسير الماتريدي (٥/ ٣٧٩).
(٤) تفسير السمرقندي (٢/ ٦٢).
(٥) الهداية الى بلوغ النهاية (٤/ ٣٠١١).
(٦) تفسير القشيري (٢/ ٣٠).
(٧) الوجيز للواحدي (ص: ٤٦٥).
(٨) تفسير الزمخشري (٢/ ٢٧٤).
(٩) تفسير النسفي (١/ ٦٨٢).
(١٠) تفسير ابن جزي (١/ ٣٣٨).
(١١) تفسير الثعلبي (٥/ ٥٠).
(١٢) الهداية الى بلوغ النهاية (٤/ ٣٠١١).
(١٣) تفسير القرطبي (٨/ ١٥٤).
(١٤) تفسير الخازن (٢/ ٣٦٧).
(١٥) زاد المسير (٢/ ٢٦٤).

وقال القاضي عياض: "أمر لم يتقدم للنبي صلّى الله عليه وسلّم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبة، وغلطوا من ذهب إلى ذلك"(١).

ومقصد الإمام الألوسي –رحمه الله– من هذا التعقب أن الزمخشري كثرت سقطاته في كتابه المسمى: الكشاف، وقد نقل منه البيضاوي –رحمه الله– بعض كلامه وسقطاته، فتمنى أن البيضاوي –رحمه الله– لم يتابعه في شيء من أوهامه تلك.

وأما منهج الإمام البيضاوي –رحمه الله– فإنه ينقل من تفسير الزمخشري، ويتابعه على بعض أوهامه كما تقدم في تفسير سورة البقرة عند قوله تعالى ﴿أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾[سورة البقرة:١٧]، حيث قال الألوسي –رحمه الله– هناك: "ويا ليت شعري من أين أخذ ذلك الزمخشري وكيف تبعه البيضاوي"؟!(٢).

ولقد كان الزمخشري من رؤوس المعتزلة، ودعاتها الأقوياء، وأما تفسيره فقد تكلم العلماء في ذمه قديما، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما الزمخشري فتفسيره محشو بالبدعة على طريقة المعتزلة من إنكار الصفات والرؤية والقول بخلق القرآن... وغير ذلك من أصول المعتزلة"(٣).

وكان تقي الدين السبكي يدرّس تفسير الزمخشري (الكشاف) ثم تركه، قال ابنه تاج الدين عن السبب في تركه: "ولقد كان الشيخ الإمام – يعني: والده الإمام تقي الدين السبكي – يقرؤه، فلما انتهى إلى الكلام على قوله تعالى في سورة التكوير: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [سورة الحاقة:٤٠] الآية. أعرض عنه صفحا، وكتب ورقة حسنة سماها: (سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف) وقال فيها: قد رأيت كلامه على قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾، وكلامه في سورة التحريم في الزلة، وغير ذلك من الأماكن التي أساء أدبه فيها على خير خلق الله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعرضت عن إقراء كتابه حياءً من النبي صلى الله عليه وسلم،

(١) الشفا (٢/ ١٥٨).
(٢) تفسير الآلوسي (١/١٦٧).
(٣) مقدمة في التفسير (ص: ١٠٧).

مع ما في كتابه من الفوائد والنكت البديعة"[1].

قال الرسعني[2] في موضع تفسير هذه الآية: "وهذا تغفيل من الزمخشري عن اللطيفة المودعة في تصدير هذه الآية بذكر العفو، وعبارة جافية لا يليق إطلاقها على آحاد ذوي الأقدار، فكيف بسيد ولد آدم؟ الذي جعل الله تعالى تعظيمه فرضاً، فقال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[سورة النور:٦٣]...ولستُ أجهل أن لهذا الرجل المشار إليه بالرد عليه أقواماً ترعد أنفسهم غضباً وحمية له، ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾"[3].

وقال أبو حيان: "وكلام الزمخشري في تفسير قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾، مما يجب اطراحه، فضلا عن أن يذكر فيرد عليه"[4].

والراجح هو: أن هذه الآية عتاب من الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام، وهو قول كثير من المفسرين.

---

(١) معيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين السبكي (١/٨١).
وينظر لكلام العلماء في الكشاف: المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف في ضوء ما ورد في الانتصاف لابن المنير: (١/٥٣-٥٥)، وكتاب المفسرون بين الإثبات والتأويل في الصفات (٢/٧٢٢-٧٤٠). التفسير والمفسرون (١/٤٦٥).

(٢) عبد الرازق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف بن أبي الهيجاء الجزري، الرسعني الحنبلي. أبو محمد، وأبو عبد الله وأبو الفضائل. عز الدين، وشمس الدين، ولد في سنة (٥٨٩هـ)، ورحل وطاف في البلدان لطلب العلم، فرحل إلى بغداد ودمشق، من تصانيفه: رموز الكنوز، وتوفي رحمه الله في ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الأول سنة (٦٦١هـ). ينظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ١٦٣)، الوافي بالوفيات (١٨/ ٢٤٨)، ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٨٣).

(٣) رموز الكنوز (٢/ ٥٠٨).

(٤) البحر المحيط في التفسير (٥/ ٤٢٧).

المسألة الثانية: دلالة مفهوم العدد.

في قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ٨٠].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "روي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان من المخلصين سأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في مرض أبيه أن يستغفر له، ففعل عليه الصلاة والسلام فنزلت، فقال عليه الصلاة والسلام: لأزيدن على السبعين فنزلت: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾[1] [سورة المنافقون:٦]. وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص؛ لأنه الأصل فجوز أن يكون ذلك حدًا يخالفه حكم ما وراءه، فبين له أن المراد به التكثير دون التحديد، وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير، لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد فكأنّه العدد بأسره"[2].

---

(١) ذكره المصنف تبعا للزمخشري في تفسيره (٢/ ٢٩٤)، ولا يعرف بهذا اللفظ، وإنما اللفظ الصحيح المروي: عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: لما توفي عبد الله بن أبي، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله تصلي عليه، وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنما خيرني الله فقال: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ﴾، وسأزيده على السبعين " قال: إنه منافق، قال: فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓ﴾. وقد أخرجه: البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ (٦/ ٦٧)، رقم (٤٦٧٠)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٤/ ٢١٤٠)، رقم (٢٧٧٤).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/٩١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وكلام العلامة البيضاوي مضطرب، ففي المنهاج: التخصيص بالعدد لا يدل على الزائد والناقص[1]، أي إنه نص في مدلوله لا يحتمل الزيادة والنقصان، وفي التفسير عند هذه الآية بعد سوق خبر سبب النزول: (أنه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص لأنه الأصل فجاز أن يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له عليه الصلاة والسلام أن المراد به التكثير لا التحديد)، وذكر في تفسير سورة البقرة عند قوله سبحانه: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾ [سورة البقرة:٢٩] أنه ليس في الآية نفي الزائد، وإرادة التكثير من السبعين شائع في كلامهم وكذا إرادته من السبعة والسبعمائة"[2].

الدراسة:

يرى العلامة الألوسي أن القاضي البيضاوي اضطرب كلامه في مدلول مفهوم العدد، فإن القاضي في كتابه المنهاج يرى أن التخصيص بالعدد لا يدل على الزائد والناقص.

وذهب في تفسيره أن العدد يفهم منه التخصيص.

بينما يرى العلامة الألوسي أن أرادة التكثير من السبعين شائع في كلام العرب.

وقد اختلف الأصوليون في مفهوم العدد هل هو حجة أم لا، على قولين:

القول الأول: أنه حجة، وهو قول كثير من العلماء[3].

---

(١) منهاج الوصول إلى علم الأصول (ص: ١٨).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣٣٧/٥).

(٣) ينظر: شرح مختصر الروضة (٢/ ٧٦٩)، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب (٢/ ٤٤٥)، الإبهاج في شرح المنهاج (١/ ٣٨٢)، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول (ص: ٢٥٢)، البحر المحيط في أصول الفقه (٥/ ١٧٠)، تيسير التحرير (١/ ١٠٠)، إرشاد الفحول (ص: ٣٠٨).

القول الثاني: أنه ليس بحجة، وهو قول أكثر الشافعية[1].

فتبين بهذا أن العدد له مفهوم يعمل به، وهو داخل في مفهوم المخالفة عند من يقول به، والله تعالى أعلم.

والراجح هو: أن تعقب الألوسي –رحمه الله– على البيضاوي في اضطرابه في القول في دلالة مفهوم العدد بين التفسير والمنهاج واقع، والصحيح هو ما ذهب إليه البيضاوي –رحمه الله– في المنهاج، والألوسي في تفسيره، من أن العدد لا مفهوم له، والمراد به التكثير، وتخصيص العدد بالذكر يفيد نفي الحكم عن غيره[2].

وقد اختلف المفسرون في هذه الآية هل كانت نصا في عدم قبول الاستغفار عن المنافقين، أم لا. على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن النبي لم ينه عن الاستغفار، وإنما خير في ذلك بين فعله وتركه، وهو قول الحسن وقتادة وعروة [3].

وهذا القول رجحه ابن عطية، فقال: "هذا هو الصحيح لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبيينه ذلك. وذلك أن عمر بن الخطاب سمعه بعد نزول هذه الآية يستغفر لهم فقال يا رسول الله، أتستغفر للمنافقين وقد أعلمك الله أنه لا يغفر لهم، فقال له ((**يا عمر إن الله قد خيرني فاخترت، ولو علمت أني إذا زدت على السبعين يغفر لهم لزدت**))[4]، ونحو هذا من مقاولة عمر في وقت إرادة النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة على عبد الله بن أبي ابن

---

(١) ينظر: شرح مختصر الروضة (٢/ ٧٦٩)، الإبهاج في شرح المنهاج (١/ ٣٨٢)، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول (ص: ٢٥٢)، البحر المحيط في أصول الفقه (٥/ ١٧٠)، إرشاد الفحول (ص: ٣٠٨).

(٢) المسودة في أصول الفقه لآل تيمية (١/٣٥٢).

(٣) ينظر: تفسير السمرقندي (٢/ ٧٧)، الوجيز للواحدي (ص: ٤٧٥)، تفسير القرطبي (٨/ ٢٢٠).

(٤) أخرجه: البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ (٦/ ٦٧)، رقم (٤٦٧٠)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، (٤/ ٢١٤٠)، رقم (٢٧٧٤).

سلول[1]، وظاهر صلاته عليه أن كفره لم يكن يقينا عنده، ومحال أن يصلي على كافر، ولكنه راعى ظواهره من الإقرار ووكل سريرته إلى الله عز وجل، وعلى هذا كان ستر المنافقين من أجل عدم التعيين بالكفر"[2].

ونوقش: بأنه قول بعيد، وأن عمر كان يمنع النبي من الاستغفار، مما يدل على أن ذلك لم يكن تخييرا[3].

القول الثاني: أن الآية منسوخة بالآية التي في سورة المنافقين.

ونوقش: بأن الآية وعيد، ولا نسخ في الوعيد[4].

القول الثالث: أن الآية كانت نصا صريحا في عدم قبول الاستغفار، وهو قول الطبري وغيره[5].

والراجح هو: القول الأول، لأنه ورد في الحديث المستدل به أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**إنما خيرني الله فقال**: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [سورة التوبة: ٨٠]، **وسأزيده على السبعين**)).

وهذا نص في أن النبي صلى الله عليه وسلم خير في هذا الأمر.

---

(١) أبو الحباب عبد الله بن أُبيّ بن سَلُول، رأس النفاق بالمدينة، وهو الذي تولَّى أمر الإفك في حق أم المؤمنين عائشة، نزل في ذمه آيات كثيرة مشهورة. توفي بالمدينة في السنة التاسعة للهجرة. ينظر: تهذيب الأسماء للنووي (١/ ٣٦٦)، البداية والنهاية لابن كثير (٥/ ٥٧).

(٢) تفسير ابن عطية (٣/ ٦٤).

(٣) تفسير الماتريدي (٥/ ٤٣٦).

(٤) تفسير الماتريدي (٥/ ٤٣٦).

(٥) تفسير الطبري (١١/ ٥٩٨). وينظر: تفسير السمرقندي (٢/ ٧٧)، تفسير الثعلبي (٥/ ٧٧)، تفسير السمعاني (٢/ ٣٣٢)، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (١/ ٦٠٩)، تفسير النسفي (١/ ٦٩٧)، تفسير ابن جزي (٢/ ٣٧٩)، تفسير ابن كثير (٤/ ١٨٨).

١٠- سورة يونس

المسألة الأولى: دخول العمل في مسمى الإيمان.

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [سورة يونس: ٩].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ ﴾ بسبب إيمانهم إلى سلوك سبيل يؤدي إلى الجنة، أو لإدراك الحقائق كما قال عليه الصلاة والسلام: ((**من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم**)). أو لما يريدونه في الجنة، ومفهوم الترتيب وإن دل على أن سبب الهداية هو الإيمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله: ﴿بِإِيمَٰنِهِمۡ ﴾ على استقلال الإيمان بالسببية وأن العمل الصالح كالتتمة والرديف له. ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ استئناف أو خبر ثان أو حال من الضمير المنصوب على المعنى الأخير، وقوله: ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ خبر أو حال أخرى منه، أو من الْأَنْهارُ أو متعلق بـ﴿تَجۡرِي ﴾ أو بـ﴿يهدي﴾"[(١)].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "المراد بهذا الإيمان الذي جعل سببا لما ذكر: الإيمان الخاص المشفوع بالأعمال الصالحة لا المجرد عنها، ولا ما هو الأعم، ولا ينبغي أن ينتطح في ذلك كبشان، والآية عليه بمعزل عن الدلالة على خلاف ما عليه الجماعة من أن الإيمان الخالي عن العمل الصالح يفضي إلى الجنة في الجملة، ولا يخلد صاحبه في النار، فإن منطوقها أن الإيمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية إلى الجنة، وأما أن كل ما هو سبب لها يجب أن يكون كذلك،

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٠٦).

فلا دلالة لها ولا لغيرها عليه، كيف لا وقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام:٨٢]. مناد بخلافه بناء على ما أطبقوا عليه من تفسير الظلم بالشرك، ولئن حمل على ظاهره أيضا يدخل في الاهتداء من آمن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل أن يظلم بفعل حرام أو بترك واجب، وإلى حمل الإيمان على ما قلنا ذهب الزمخشري وقال: إن الآية تدل على أن الإيمان المعتبر في الهداية إلى الجنة هو الإيمان المقيد بالعمل الصالح، ووجه ذلك بأنه جعل فيها الصلة مجموع الأمرين فكأنه قيل: إن الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح[1]، ثم قيل: بإيمانهم أي هذا المضموم إليه العمل الصالح. وزعم بعضهم أن ذلك منه مبني على الاعتزال وخلود غير الصالح في النار، ثم قال: إنه لا دلالة في الآية على ما ذكره لأنه جعل سبب الهداية إلى الجنة مطلق الإيمان، وأما أن إضافته إلى ضمير الصالحين يقتضي أخذ الصلاح قيدا في التسبب فممنوع فإن الضمير يعود على الذوات بقطع النظر عن الصفات، وأيضا فإن كون الصلة علة للخبر بطريق المفهوم فلا يعارض السبب الصريح المنطوق على أنه ليس كل خبر عن الموصول يلزم فيه ذلك، ألا ترى أن نحو الذي كان معنا بالأمس فعل كذا خال عما يذكرونه في نحو الذي يؤمن يدخل الجنة، وانتصر للزمخشري بأن الجمع بين الإيمان والعمل الصالح. ظاهر في أنهما السبب والتصريح بسببية الإيمان المضاف إلى ضمير الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالتنصيص على أنه ذلك الإيمان المقرون بما معه لا المطلق لكنه ذكر لأصالته وزيادة شرفه، ولا يلزم على هذا استدراك ذكره ولا استقلاله بالسببية.

وفيه رد على القاضي البيضاوي حيث ادعى أن مفهوم الترتيب وإن دل على أن سبب الهداية الإيمان والعمل الصالح لكن منطوق قوله سبحانه: ﴿بِإِيمَٰنِهِمۡ﴾ دل على استقلال الإيمان"[2].

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٣٣٠).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٦/ ٧١).

الدراسة:

موضع الخلاف هنا هو هل العمل داخل في مسمى الإيمان؟، أم هل هو شرط له؟ أم أنه غير داخل فيه ولا مشترط له؟ وعليه ينبني تفسير هذه الآية في قوله: ﴿بِإِيمَٰنِهِمْ﴾، هل دخل فيها العمل بدلالة السياق السابق في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، أم أنه لا يدخل فينفرد قوله: ﴿بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ بسببية دخول الجنة؟.

وأذكر هنا أقوال الفرق في تعريف الإيمان، وهل يدخل العمل في مسماها، أم لا؟

وتحصل من ذلك أن فيها خمسة أقوال:

القول الأول: أن الإيمان تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، وهو قول أهل السنة والجماعة[(١)].

القول الثاني: أنه إقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والأعمال ليست منه، وهو قول الكلابية[(٢)]، والأشعرية، ويُحكى هذا عن كثيرٍ من فقهاء الكوفة؛ مثل أبي حنيفة، وأصحابه[(٣)].

القول الثالث: أن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، وهو قول الماتريدية[(٤)].

القول الرابع: أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، وهو قول الكرامية[(٥)].

القول الخامس: الإيمان هو المعرفة بالقلب، وهو قول الجهم بن صفوان[(٦)].

---

(١) ينظر: العقيدة رواية أبي بكر الخلال (ص: ١١٧)، شرح السنة للمزني (ص: ٧٨)، الاعتقاد القادري (ص: ٢٤٧)، الاعتقاد لابن أبي يعلى (ص: ٢٣)، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (٣/ ٧٦٠)، لمعة الاعتقاد (ص: ٢٦)، الإيمان لابن تيمية (ص: ١١٨).

(٢) الكلابية: هم أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان (ت ٢٤٣هـ)، وكان قيام الصفات اللازمة لله تعالى، وينفي أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها، وهو أول من عرف عنه إنكار قيام الأفعال الاختيارية. ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣ / ١٠٣، ٤ / ١٢، ١٤، ١٤٧، ١٥٦، ١٧٤).

(٣) ينظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ٤٣)، الملل والنحل (١/ ١٠١)، غاية المرام في علم الكلام (ص: ٣١٠)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٤٠٥).

(٤) التوحيد للماتريدي (ص: ٣٧٣).

(٥) ينظر: الملل والنحل (١/ ١٠١)، غاية المرام في علم الكلام (ص: ٣١٠)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٤٠٥).

(٦) ينظر: السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٣٠٦)، الفرق بين الفرق (ص: ١٩٩)، رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ٢٧٤)،

والراجح هو: قول أهل السنة والجماعة من أن الإيمان تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. قال الإمام الشافعي: "كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة بالآخر"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أجمع السلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ومعنى ذلك أنه قول القلب وعمل القلب ثم قول اللسان وعمل الجوارح"(٢).

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ٩٥٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧٢).

المسألة الثانية: ما هي الزيادة في الجنة.

في قولـــه تعـــالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة يونس: ٢٦].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ﴾ المثوبة الحسنى. ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ وما يزيد على المثوبة تفضلًا لقوله: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾، وقيل: الحسنى مثل حسناتهم. والزيادة: عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وأكثر، وقيل: الزيادة: مغفرة من الله ورضوان، وقيل: الحسنى الجنة، والزيادة هي اللقاء"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي رحمه الله: "عن صهيب رضي الله عنه: أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ فقال: ((**إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله تعالى موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه سبحانه فو الله ما أعطاهم الله تعالى شيئا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم**))(٢). فحكاية هذا التفسير بقيل، كما فعل البيضاوي عفا الله تعالى عنه مما لا ينبغي"(٣).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١١٠).

(٢) أخرجه: مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١/ ١٦٣)، رقم (١٨١).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٦/ ٩٧).

الدراسة:

محور تعقب العلامة الألوسي في هذا الموضع: أن القاضي البيضاوي ذكر تفسير الزيادة بالرؤية بصيغة التمريض كالمضعف لها، بينما ثبت في السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بالرؤية.

وقد تنوعت أقوال المفسرين في معنى الزيادة في هذه الآية إلى أقوال، ومن أشهرها:

القول الأول: أن الزيادة هنا هي رؤية الله عز وجل في الجنة، وهو مروي عن أبي بكر الصديق[(١)]، وأبي موسى الأشعري[(٢)][(٣)]، وحذيفة بن اليمان[(٤)]، وعامر بن سعد[(٥)][(٦)]، وهو قول قتادة[(٧)]، وعبد الرحمن بن أبي ليلى[(٨)][(٩)]، والحسن البصري[(١٠)]، وغيرهم[(١١)].

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ١٥٦).

(٢) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر، أبو موسى الأشعري، قيل: إنه قدم مكة قبل الهجرة، فأسلم، ثم هاجر إلى أرض الحبشة، واستعمله النبي على زبيد، وعدن، واستعمله عمر على الكوفة، ومناقبه كثيرة، توفي سنة (٤٢هـ). اثنتين وأربعين. ينظر: معرفة الصحابة (٤/ ١٧٤٩)، تهذيب الكمال (١٥/ ٤٤٦)، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٢/ ٨٩).

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ١٥٧).

(٤) تفسير الطبري (١٢/ ١٥٧).

(٥) عامر بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني، من شيوخه: أسامة بن زيد، وأبو هريرة، وعائشة، وجابر بن سمرة. ومن تلامذته: ابنه داود، والزهري، وعمرو بن دينار، وموسى بن عقبة، وآخرون. وكان ثقة شريفا، كثير الحديث، توفي سنة (١٠٤هـ). ينظر: الطبقات الكبرى (٥/ ١٦٧)، تاريخ الإسلام (٣/ ٦٩)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (٢/ ٧).

(٦) تفسير الطبري (١٢/ ١٥٦).

(٧) تفسير عبد الرزاق (٢/ ١٧٤).

(٨) عبد الرحمن بن أبي ليلى أبو عيسى الأنصاري الكوفي، من شيوخه: عمر وعلي وأبي ذر وابن مسعود، ومن تلامذته: عمرو بن مرة، والحكم بن عتيبة والأعمش، كان إماما علامة حافظا فقيها، توفي سنة (٨٣هـ). ينظر: الطبقات الكبرى (٦/ ١٠٩)، وتهذيب الكمال (١٧/ ٣٧٢-٣٧٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٢-٢٦٨).

(٩) تفسير الطبري (١٢/ ١٥٨).

(١٠) تفسير الطبري (١٢/ ١٦٠).

(١١) ينظر: تفسير السمرقندي (٢/ ١١٢)، تفسير الثعلبي (٥/ ١٢٩)، التفسير الوسيط (٢/ ٥٤٥)، تفسير البغوي (٢/ ٤١٧)، زاد المسير (٢/ ٣٢٧)، تفسير القرطبي (٨/ ٣٣٠)، تفسير ابن كثير (٤/ ٢٦٢).

وذكر القشيري أنه إجماع السلف[1].

ودليل هذا القول: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**)). وفي رواية: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[2] [سورة يونس:٢٦].

القول الثاني: أن الحسنى واحدة من الحسنات بواحدة، والزيادة: التضعيف إلى تمام العشر، وهو مروي عن ابن عباس[3]، وهو قول الحسن البصري[4]، ومجاهد[5].

القول الثالث: أن الزيادة هو ما أعطوا في الدنيا، وهو قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[6].

القول الرابع: أن الزيادة تشمل كل ما ذكر، وهو رأي بن جرير الطبري، قال رحمه الله: "أولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على إحسانهم الحسنى أن يجزيهم على طاعتهم إياه الجنة، وأن تبيض وجوههم، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها، ومن الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر إليه، وأن يعطيهم غرفا من لآلئ، وأن يزيدهم غفرانا ورضوانا؛ كل ذلك من زيادات عطاء الله إياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جناته. وعم ربنا جل ثناؤه بقوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس:٢٦] الزيادات على الحسنى، فلم يخصص منها شيئا دون شيء، وغير مستنكر من فضل الله أن يجمع ذلك لهم، بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله. فأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يعم كما عمه عز

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٩١).

(٢) أخرجه: مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١/ ١٦٣)، رقم (١٨١). (١٨١).

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ١٦٣).

(٤) تفسير الطبري (١٢/ ١٦٣).

(٥) تفسير الطبري (١٢/ ١٦٣).

(٦) تفسير الطبري (١٢/ ١٦٤).

ذكره"[1].

والراجح هو: القول الأول أن الزيادة هنا هي رؤية الله عز وجل في الجنة، وذلك لصراحة الحديث الوارد في تفسير الآية، وأنه قول جماهير علماء الإسلام[2].

وهذه المسألة عموما متعلقة بمسألة رؤية الله في الآخرة، وقد أثبتها أهل السنة والجماعة، وقرروا: أن المؤمنين يرون ربهم تعالى في الجنة[3].

واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة، قال ابن كثير: "تواترت الأخبار عن غير واحد من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات، وفي روضات الجنات، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه آمين"[4].

ومنها:

١- قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[سورة الأنعام:١٠٣].

ووجه الاستشهاد: أن الله إنما نفى الإدراك الذي هو الإحاطة، ولم ينف مجرد الرؤية، وقد دلت أخبار على وقوع الرؤية[5].

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾[سورة الأعراف:١٤٣].

ووجه الاستشهاد: أن موسى عليه السلام سأل الله تعالى الرؤية، فدل على أنها ممكنة وواقعة[6].

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ١٦٤).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (٣/ ١١٥).

(٣) ينظر: الإبانة عن أصول الديانة (ص: ٥٥)، لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة (ص: ١١٧)، معالم أصول الدين (ص: ٧٦)، شرح الطحاوية (١/ ٢٢٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٩).

(٥) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٦).

(٦) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٣٦).

٣- قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[سورة القيامة:٢٢- ٢٣].

ووجه الاستشهاد: أنها صريحة في الرؤية، وأن المؤمنين يرون ربهم في الجنة(١).

٤- عن جرير بن عبد الله(٢) قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى القمر ليلة - يعني البدر - فقال: ((**إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**))، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [سورة ق:٣٩](٣).

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: ((**هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب**))، قالوا: لا يا رسول الله، قال: ((**فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب**))، قالوا: لا، قال: ((**فإنكم ترونه كذلك**))(٤).

٦- عن أبي سعيد الخدري(٥) رضي الله عنه: أن أناسا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم ((**نعم، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب**))، قالوا: لا، قال ((**وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب؟**))، قالوا: لا، قال النبي صلى الله

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٩٩).

(٢) جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك أبو عمرو البجلي، أسلم سنة (١٠هـ)، وكان رجلاً جميلاً، حتى قيل عنه: يوسف هذه الأمة. بعثه النبي إلى صنم ذي الخلصة فهدمها، وكان لهم أثر عظيم في فتح القادسية، سكن الكوفة، ثم اعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، ثم سكن قرقيسيا ومات بها سنة (٥١هـ). ينظر: الإصابة (١/ ٤٧٥). الاستيعاب (٢/ ٤٦٩).

(٣) أخرجه: البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (١/ ١١٥)، رقم (٥٥٤)، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما (١/ ٤٣٩)، رقم (٦٣٣).

(٤) أخرجه: البخاري في كتاب الأذان، باب فضل السجود (١/ ١٦٠)، رقم (٨٠٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٣)، رقم (١٨٢).

(٥) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن أبو سعيد الخدري، مشهور بكنيته، أول مشاهده الخندق، وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة غزوة، وكان ممن حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سننا كثيرة، وروى عنه علما جما، وكان من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم، توفي سنة (٧٤هـ). ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦٠٢)، تاريخ بغداد (١/ ٥٣٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ١٤٧).

عليه وسلم: ((**ما تضارون في رؤية الله عز وجل يوم القيامة، إلا كما تضارون في رؤية أحدهما**))[1].

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث أنها صرحت بحصول الرؤية من المؤمنين لربهم تعالى، وأنه يمكن وقوعها[2].

وخالفهم في ذلك المعتزلة فذهبوا إلى أنه لا يمكن رؤية الله تعالى في الآخرة[3].

واحتجوا على ذلك بأدلة كثيرة، ومن أشهرها:

١- قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[سورة الأنعام:١٠٣].

ووجه الاستشهاد: أن الله تعالى نفى أن يرى، قال الزمخشري: "المعنى أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه، لأنه متعال أن يكون مبصراً في ذاته، لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلا أو تابعا، كالأجسام والهيئات"[4].

ونوقش: بأن الله سبحانه إنما ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمرا وجوديا[5].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (٦/ ٤٤)، رقم (٤٥٨١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٣)، رقم (١٨٣).

(٢) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢/ ٤٢٤)، فتح الباري لابن رجب (٧/ ٢٢٨)، فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٤٦).

(٣) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/ ١٥٤). وينظر: الإبانة عن أصول الديانة (ص: ٥٥)، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (٢/ ٦٤٨)، معالم أصول الدين (ص: ٧٦).

(٤) تفسير الزمخشري (٢/ ٥٤).

(٥) حادي الأرواح (ص: ٢٩٣).

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾[سورة الأعراف:١٤٣].

ووجه الاستشهاد: أن الله أخبر موسى عليه السلام أنه لا يرى، قال الزمخشري: "﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ تأكيد وبيان، لأنّ المنفي مناف لصفاته"(١).

ونوقش بما يلي:

١. أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه بل ما هو من أبطل الباطل وأعظم المحال(٢).

٢. أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالا لأنكره عليه(٣).

٣. إنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب عليه فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامتهم ويريهم نفسه(٤).

والراجح هو: قول أهل السنة والجماعة، فهو الذي تواترت في تأييده الأحاديث، وأجمع عليه أئمة المسلمين من الصحابة والتابعين(٥).

---

(١) تفسير الزمخشري (٢/ ١٥٤).

(٢) حادي الأرواح (ص: ٢٨٤).

(٣) حادي الأرواح (ص: ٢٨٥).

(٤) حادي الأرواح (ص: ٢٨٧).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٩).

١١- سورة هود

المسألة الأولى: في إمكان الخلاء بين العرش والماء.

في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة هود: ٧].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ قبل خلقهما، لم يكن حائل بينهما، لا أنه كان موضوعًا على متن الماء، واستدل به على إمكان الخلاء"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ عطف على جملة ﴿خَلَقَ﴾ مع ضميره المستتر أو حال من الضمير بتقدير (قد) على ما هو المشهور في الجملة الحالية الماضوية من اشتراط (قد) ظاهرة أو مقدرة والمضي المستفاد -من كان- بالنسبة للحكم لا للتكلم أي: كان عرشه على الماء قبل خلقهما وهو الذي يقتضيه كلام مجاهد، وبه صرح القاضي البيضاوي، ثم قال: لم يكن حائل بينهما. أي العرش والماء لا أنه كان موضوعا على متن الماء، واستدل به على إمكان الخلاء، وأن الماء أول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم انتهى، وكذا صرح به العلامة أبو السعود مفتي الديار الرومية لكنه قال: ليس تحته- يعني العرش- شيء غيره أي الماء سواء كان بينهما فرجة، أو موضوعا على متنه كما ورد في الأثر فلا دلالة فيه على إمكان الخلاء كيف لا ولو دل لدل على وجوده لا على إمكانه فقط ولا

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٢٨).

على كون الماء أول ما حدث في العالم بعد العرش وإنما يدل على أن خلقهما أقدم من خلق السماوات والأرض من غير تعرض للنسبة بينهما انتهى، ولا يخفى ما بين القاضي والمفتي من المخالفة، والأكثرون على أن الحق مع المفتي"[1].

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن الآية دليل على إمكان الخلاء بين العرش والماء.

بينما يرى العلامة الألوسي أن الآية ليست على ذلك، وقد نقل كلام المفتي أبي السعود، ورجحه على قول القاضي.

وهذه المسألة متعلقة في أنه هل يوجد خلاء بين العرش والماء، أم أن العرش على متن الماء.

وقد ذهب البيضاوي إلى أن العرش على الماء بمعنى أنه فوقه، لا على متنه، وإمكانية وجود الخلاء[2]، وقد سبقه إلى ذلك السمرقندي، فقال: "لما خلق العرش، لم يكن تحت العرش شيء سوى الماء كما قال: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾"[3].

ويفهم من كلام الزمخشري إمكان وجود الخلاء بين العرش والماء، فقد قال في سياق تفسيره للآية الكريمة: "﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ أي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والأرض. وارتفاعه فوقها إلا الماء"[4].

وقال الشيخ سيد سابق[5]: "ومعنى قوله وكان عرشه على الماء: أن العرش في جهة العلو، والماء تحته في جهة السفل، وليس معناه أنه ملاصق للماء محمول عليه؛ كما يقال السماء على

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٦/٢٠٥-٢١١).

(٢) الخلاء هو الفراغ الكائن بين الجسمين اللذين لا يتماسان، وليس بينهما ما يماسهما". حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٥/٧٢).

(٣) تفسير السمرقندي (٣/ ٢٢٠).

(٤) تفسير الزمخشري (٢/ ٣٨٠).

(٥) سيد سابق، أحد علماء الأزهر الذين تخرجوا في كلية الشريعة، وعمل مديرًا لإدارة الثقافة في وزارة الأوقاف، ألف في الفقه: فقه السنة، والعقائد الإسلامية، حصل على جائزة الملك فيصل في الفقه الإسلامي في سنة (١٤١٣هـ)، وتوفي سنة (١٤٢٠هـ). ينظر: مجلة البيان . العدد [١٥١] صـ ١٠٤ ربيع الأول ١٤٢١هـ ، ومن أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة للمستشار عبد الله العقيل (١/٣٠٥)

الأرض، أي أنها فوقها دون ملاصقتها لها"[1].

وقد ناقش البيضاوي في هذه المسألة الشهاب في تحشيته عليه فقال: "فإن الاستعلاء صادق بالمماسة وعدمها، ولا دليل على ما ذكره في الآية، وقيل مبنى هذا النفي على كون الظاهر ذلك، فإن كون العرش منطبقًا على الماء أوّلًا ثم رفعه عنه محتاج إلى دليل، وهو منتفٍ، ولا يخفى ما فيه، فإن عدم الدليل لا يكون دليلًا للعدم كما بيّن في محله، إلا أن يكون ذلك بعناية لما نقل عن السلف أنه كان على الماء، وهو الآن على ما كان عليه، ولأنه الأنسب بمقام بيان القدرة الباهرة وعلى كل حال فلا يخلو عن القيل والقال"[2].

وكذلك خالفه أبو السعود فذهب إلى أن العرش ليس تحته شيء غيره- أي الماء- وقال: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ﴾ قبل خلقِهما ﴿عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ ليس تحته شيءٌ غيرُه سواءٌ كان بينهما فرجة أو كان موضوعًا على متنه كما ورد في الأثر، فلا دلالةَ فيه على إمكان الخلاء كيف لا ولو دلّ لدلّ على وجوده لا على إمكانه فقط ولا على كون الماءِ أولَ ما حدث في العالم بعد العرش وإنما يدلّ على أن خلقَهما أقدمُ من خلقِ السمواتِ والأرضِ من غير تعرضٍ للنسبة بينهما[3].

ومال إليه الألوسي.

والراجح هو: أن العرش على متن الماء، وقد صح عن ابن عباس ذلك، فقد سئل عن قوله عز وجل ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [سورة هود:٧] على أي شيء كان الماء؟ قال: ((على متن الريح))[4].

ومحل الخلاف إمكان وجود الخلاء أم لا؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهل وراء ذلك جوهر قائم بنفسه سيال هو الدهر؟ هذا مما تنازع فيه الناس فأثبته طائفة من المتفلسفة من أصحاب أفلاطون كما أثبتوا الكليات المجردة

(١) العقائد الإسلامية (ص: ٥٤).

(٢) حاشية الشهاب الخفاجي (٥/٧٢).

(٣) تفسير أبي السعود (٤/١٨٧).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٧)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". وينظر: العرش للذهبي (١/ ٣١٨).

في الخارج التي تسمى المثل الأفلاطونية والمثل المطلقة؛ وأثبتوا الهيولى التي هي مادة مجردة عن الصور وأثبتوا الخلاء جوهرا قائما بنفسه. وأما جماهير العقلاء من الفلاسفة وغيرهم: فيعلمون أن هذا كله لا حقيقة له في الخارج وإنما هي أمور يقدرها الذهن ويفرضها فيظن الغالطون أن هذا الثابت في الأذهان هو بعينه ثابت في الخارج عن الأذهان كما ظنوا مثل ذلك في الوجود المطلق مع علمهم أن المطلق بشرط الإطلاق وجوده في الذهن؛ وليس في الخارج إلا شيء معين وهي الأعيان وما يقوم بها من الصفات فلا مكان إلا الجسم أو ما يقوم به ولا زمان إلا مقدار الحركة ولا مادة مجردة عن الصور؛ بل ولا مادة مقترنة بها غير الجسم الذي يقوم به الأعراض ولا صورة إلا ما هو عرض قائم بالجسم أو ما هو جسم يقوم به العرض وهذا وأمثاله مبسوط في غير هذا الموضع"[1].

قال الإمام المعلّمي[2]: "مذهب المتكلمين أن الخلاء أمر عدمي، والأعدام قديمة، واستدل الفلاسفة على أنه أمر وجودي بأنه يشار إليه ويتقدر، ومما دفع أنهم يقولون: ليس وراء العالم خلاء ولا ملأ، فلنفرض أن الله عز وجل خلق وراء العالم جدرانًا وخلق لها خلاء تقوم فيه وتكون بحيث يأتلف منها مربع ويبقى جوفه على ما كان عليه، فإن ذاك الجوف يكون مشارًا إليه متقدرًا، ومع أنه بات على ما كان عليه. والعقول الفطرية يمكنها أن تتصور أن يكون الكون له جسمًا واحدًا مثلًا، وأن تتصور عدم الأجسام، وأن يكون الكون كله خلاء، ولا تتصور ارتفاع الأمرين، وهذا يقضي بأن الخلاء أمر عدمي، فإن يعقل ارتفاع العدم بالوجود، ويستحيل ارتفاعهما معًا. وظواهر النصوص الشرعية توافق هذا، فإنها تعرضت لخلق العالم في الخلاء، ولم تتعرض لخلق الخلاء، بل في عدة نصوص ما يقتضي أن الخلاء لم يكن مرتفعًا فقط قبل وجود الملأ، ولا أعلم من سلف المسلمين قائلًا بأن الخلاء أمر وجودي، وأنه لم يكن خلاء

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٩٥).

(٢) هو: عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي العتمي، ولد في سنة (١٣١٣هـ)، وهو فقيه محدث، وسافر إلى جيزان سنة (١٣٢٩هـ)، في إمارة محمد بن علي الإدريسي بعسير، وتولى رئاسة القضاة ولقب بشيخ الإسلام، ثم سافر إلى الهند، وعمل في دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، مصححا كتب الحديث والتاريخ زهاء ربع قرن، وعاد إلى مكة سنة (١٣٧١هـ)، فعين أمينا لمكتبة الحرم المكي، له تصانيف منها: التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، والأنوار الكاشفة، وغيرها، وتوفي سنة (١٣٨٦هـ). ينظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٣٤٢).

ولا ملأ حتى خلق الله تعالى ذلك"[1].

والراجح هو: ما ذهب إليه أهل السنة وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام المعلّمي من أن الخلاء من الكليات التي يثبتها الذهن ولا وجود لها في الخارج، قال أبو البقاء الحنفي: "الخلاء، بالمد: هو أن يكون الجسمان بحيث لا يتماسان وليس بينهما ما يماسهما ليكون ما بينهما بعدا موهوما ممتدا في الجهات، صالحا لأن يشغله جسم ثالث، لكنه الآن خال عن الشواغل واحتج الحكماء على امتناع الخلاء بعلامات حسية والمتكلمون أجابوا عن تلك العلامات بأن شيئا منها لا يفيد القطع بامتناع الخلاء لجواز أن تكون تلك الأمور التي ذكروها بسبب آخر لكن لا معرفة بخصوصه واستدلوا على جواز الخلاء بالصفحة الملساء والخلاف بينهما إنما هو في الخلاء داخل العالم لا في خارج العالم، والنزاع فيما وراء كرة العالم إنما هو في التسمية بالبعد فإنه عند الحكماء عدم محض ونفي صرف يثبته الوهم ويقدره من عند نفسه، ولا عبرة بتقديره الذي لا يطابق الواقع في نفس الأمر، لجواز أن لا يسمى بعدا ولا خلاء وعند المتكلمين هو بعد موهوم كالمفروض فيما بين الأجسام على رأيهم"[2].

(١) القائد إلى تصحيح العقائد (ص: ٢١٣-٢١٤).

(٢) الكليات (ص : ٤٢٥).

١٢- سورة يوسف

المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [سورة يوسف: ٢٦].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ لأنه يدل على أنها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها، أو أنه أسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه، ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ لأنه يدل على أنها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته، والشرطية محكية على إرادة القول أو على أن فعل الشهادة من القول، وتسميتها شهادة لأنها أدت مؤداها، والجمع بين إن وكان على تأويل أن يعلم أنه كان، ونحوه ونظيره قولك: إن أحسنت إلي اليوم فقد أحسنت إليك من قبل، فإن معناه أن تمنن علي بإحسانك أمنن عليك بإحساني لك السابق"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وإلى كون الشرطية الأولى غير مقصودة بالذات ذهب العلامة ابن الكمال، معرضا بغفلة القاضي البيضاوي حيث قال: إن قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ إلخ، من قبيل المسامحة في أحد شقي الكلام لتعين الآخر عند القائل تنزيلا للمحتمل منزلة الظاهر؛ لأن الشق بالجذب في هذا الشق أيضا محتمل، ومن غفل عن هذا

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/١٦١).

قال: لأنه يدل على أنه قصدها فدفعت عن نفسها، إلى آخر عبارة البيضاوي"[1].

الدراسة:

محور تعقب العلامة الألوسي هو أن القاضي البيضاوي ذكر الكلام حول الشرطية الأولى، وكأنها متحققة الوقوع.

بينما يرى العلامة الألوسي أنها ذكرت من باب الاحتمال، والتنزل في الخطاب.

ويمكن أن يجاب عن البيضاوي بما يلي:

أولا: أن ما ذكره هو قول كثير من أهل التفسير، فقد ذهب إليه: مقاتل بن سليمان[2]، والطبري[3]، والزجاج[4]، والماتريدي[5]، والماوردي[6]، والقرطبي[7].

ثانيا: أن ذلك يدرك من بدهيات الفكر، ولا يعقل بإمام في مكانة القاضي البيضاوي أن يخفى عليه هذا الحكم.

والراجح هو: قول جمهور المفسرين من تحقق وقوع الجملة الشرطية الأولى، وهو قد القميص من الأمام.

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٦/٤١٣).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٣٠).

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٥٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٠٣).

(٥) تفسير الماتريدي (٦/ ٢٢٩).

(٦) تفسير الماوردي (٣/ ٢٨).

(٧) تفسير القرطبي (٩/ ١٧٤).

١٣- سورة الرعد

المسألة الأولى: في مناسبة قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ لقوله تعالى قبلها. ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾:

في قوله تعالى: ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة الرعد: ١].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ هو القرآن كله، ومحله الجر بالعطف على ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ عطف العام على الخاص أو إحدى الصفتين على الأخرى، أو الرفع بالابتداء وخبره ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ والجملة كالحجة على الجملة الأولى"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وأما قوله سبحانه وتعالى: "﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ فالظاهر أن الموصول فيه مبتدأ وجملة ﴿أُنزِلَ﴾ من الفعل ومرفوعه صلته و﴿مِن رَّبِّكَ﴾ متعلق بـ﴿أُنزِلَ﴾ و﴿ٱلۡحَقُّ﴾ خبر، والمراد بالموصول عند كثير القرآن كله، والكلام استدراك على وصف السورة فقط بالكمال، ولما أثبت سبحانه لهذه السورة خصوصا الكمال، استدركه بأن كل المنزل كذلك، لا يختص به سورة دون أخرى للدلالة المذكورة، وهو على ما قيل معنى بديع ووجه بليغ، وقيل: إنه لتقرير ما قبله والاستدلال عليه؛ لأنه إذا كان كل المنزل عليه حقا فذلك المنزل أيضا حق؛ ضرورة أنه من كل المنزل فهو كامل لأنه لا أكمل من الحق والصدق، ولخفاء أمر الاستدلال قال العلامة البيضاوي: (أنه كالحجة على ما قبله). ولعل الأول أولى ومع ذا لا يخلو عن خفاء أيضا"(٢).

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٨٠).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ٨٢).

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن الجملة من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ كالحجة والدليل على قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

بينما يرى العلامة الألوسي أنه كالتعقب للجملة السابقة، ووصف رأي القاضي بأنه فيه خفاء.

وهذه المسألة تتعلق بإعراب قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾، وقد ذكر العلماء فيها أوجه كثيرة من الإعراب، وهي:

الأول: أنه في محل رفع على أنه كلام مبتدأ، خبره ﴿ٱلۡحَقُّ﴾[1].

الثاني: أنه في محل رفع عطفا على ﴿ءَايَٰتُ﴾، وقوله ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ مرفوع على إضمار (هو)[2].

الثالث: أنه في محل خفض عطفا على ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾[3]. وهذا الوجه رجحه الطبري[4].

الرابع: أن ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ خبر بعد خبر[5].

الخامس: أن يكون ﴿مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ كلاهما خبر واحد، ذكره السمين الحلبي وقال: "فيه بعد"[6].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٠٧)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٣٥)، تفسير الثعلبي (٥/ ٢٦٧)، الهداية الى بلوغ النهاية (٥/ ٣٦٦١)، التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٣)، غرائب التفسير (١/ ٥٥٨)، تفسير البغوي (٤/ ٢٨٨)، تفسير ابن عطية (٣/ ٢٩٠)، الدر المصون (٧/ ٥).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٣٥) الهداية الى بلوغ النهاية (٥/ ٣٦٦١)، غرائب التفسير (١/ ٥٥٨)، تفسير ابن عطية (٣/ ٢٩٠)، الدر المصون (٧/ ٥).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٣٥)، تفسير الثعلبي (٥/ ٢٦٧)، الهداية الى بلوغ النهاية (٥/ ٣٦٦١)، تفسير البغوي (٤/ ٢٩٢)، تفسير ابن عطية (٣/ ٢٩٠)، الدر المصون (٧/ ٥).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٤٠٧).

(٥) الدر المصون (٧/ ٥).

(٦) الدر المصون (٧/ ٥).

السادس: أن يكون ﴿وَٱلَّذِىٓ﴾ صفة لـ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾، ذكره السمين الحلبي، ثم رده[1].

السابع: أن يكون ﴿وَٱلَّذِىٓ﴾ مرفوعا نسقا على ﴿ءَايَٰتُ﴾، ذكره السمين الحلبي[2].

والراجح هو: أن ما ذهب إليه البيضاوي والألوسي رحمهما الله كلاهما يصلح تعليل العطف بهما، فهذا من اختلاف التنوّع وليس من اختلاف التضاد، وهذا يختلف بحسب المعنى المأخوذ من الوجه الإعرابي، والله أعلم.

(١) الدر المصون (٧/ ٦).

(٢) الدر المصون (٧/ ٧).

المسألة الثانية: تفسير ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾.

في قولـــه تعـــالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [سورة الرعد: ٣٠].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ مرجعي ومرجعكم"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وكأنه أراد أيضا فيرحمني وينتقم منكم، والانتقام من الرحمن أشد كما قيل: أعوذ بالله تعالى من غضب الحليم. وتعقب بأنه إنما يتم لو كان المضاف إليه المحذوف ضمير المتكلم ومعه غيره أي متابنا إذ يكون حينئذ مرجعي ومرجعكم تفصيلا لذلك، ولا يكاد يقول به أحد مع قوله بكسر الباء فإنه يقتضي أن يكون المحذوف الياء على أن ذلك الضمير لا يناسب ما قبله"(٢).

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ والمراد منه، على معنيين:

الأول: أن المتاب هو التوبة(٣).

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٨٨).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ١٤٦).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٣٥٥)، تفسير الماوردي (٣/ ١١١)، تفسير السمعاني (٣/ ٩٣)، تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ١٥٣).

الثاني: أن المتاب هو الرجوع[1].

وهذا في الحقيقة ليس اختلافا حقيقيا، بل هو من اختلاف التنوع، ويمكن الجمع بين المعنيين بأن الرجوع هو التوبة، قال الطبري: "وإليه مرجعي وأوبتي، وهو مصدر من قول القائل: تبت متابا وتوبة"[2].

ومحور تعقب الألوسي يدور حول إعراب جملة ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾، وذلك لأن ﴿مَتَابِ﴾ مبتدأ مؤخّر مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة المقدّرة على ما قبل الياء المحذوفة للتخفيف، و(الياء) المحذوفة ضمير مضاف إليه، أي متابي[3].

وعلى هذا الوجه من الإعراب يتوافق جميع ما قيل في معنى قوله تعالى ﴿مَتَابِ﴾.

ويكون المحذوف من الكلمة على هذا الوجه هو ضمير المتكلم، وهو (الياء).

إلا أن القاضي البيضاوي فسر هذه الكلمة بوجه آخر، وذلك أنه قال فيها: "مرجعي ومرجعكم"[4].

وهذا يقتضي أن يكون المحذوف في الكلمة أكثر من حرف، ويكون تقديره: متابنا، فيكون المحذوف هو ضمير (نا) الفاعلين[5].

---

(١) ينظر: تفسير الماوردي (٣/ ١١١)، تفسير الزمخشري (٢/ ٥٢٩)، تفسير الرازي (١٩/ ٤١)، تفسير القرطبي (٩/ ٣١٨)، تفسير النسفي (٢/ ١٥٥)، البحر المحيط في التفسير (٦/ ٣٨٨)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٠).

(٢) ينظر:تفسير الطبري (١٣/ ٥٣٠). وينظر: تفسير السمرقندي (٢/ ٢٢٧)، الهداية الى بلوغ النهاية (٥/ ٣٧٣٨)، تفسير البغوي (٤/ ٣١٨)، تفسير ابن عطية (٣/ ٣١٣)، تفسير الخازن (٣/ ١٩).

(٣) ينظر: إعراب القرآن الكريم لدعاس (٢/ ١١٩)، الجدول في إعراب القرآن (١٣/ ١٢٩)، المجتبى من مشكل إعراب القرآن (٢/ ٥٣٣).

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٨٨).

(٥) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٥/ ٢٣٨).

ورُد هذا القول بأن الكسرة التي في آخر الكلمة لا توافق هذا الوجه من الإعراب، وهي تقتضي أن يكون المحذوف (ياء)، ولا يناسب أبدا أن يكون المحذوف ضمير (نا) [1].

وهذا ما قصده العلامة الألوسي حين قال: "ولا يكاد يقول به أحد مع قوله بكسر الباء، فإنه يقتضي أن يكون المحذوف الياء على أن ذلك الضمير لا يناسب ما قبله"[2].

والراجح هو: أن ﴿مَتَابِ﴾ مبتدأ مؤخّر مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة المقدّرة على ما قبل الياء المحذوفة للتخفيف، و(الياء) المحذوفة ضمير مضاف إليه، أي متابي.

(١) ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٥/ ٢٣٨)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ١٤٦).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ١٤٦).

المسألة الثالثة: تفسير ﴿وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ﴾.

في قولـه تعـالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ﴾ [سورة الرعد: ٣٦].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ﴾ وإليه مرجعي للجزاء لا إلى غيره"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "قوله سبحانه: ﴿وَإِلَيۡهِ﴾ أي الله تعالى وحده ﴿مَـَٔابِ﴾ أي مرجعي للجزاء، وعلى ذلك اقتصر العلامة البيضاوي، وكان قد زاد (ومرجعكم) فيما تقدم غير بعيد، واعترض بأنه كان عليه أن يزيده هنا أيضا، بل هذا المقام أنسب بالتعميم؛ ليدل على ثبوت الحشر عموما وهو المروي عن قتادة(٢)"(٣).

الدراسة:

هذه المسألة شبيهة بالتي قبلها، وهي تتعلق أيضا بإعراب قوله تعالى﴿مَـَٔابِ﴾، وذلك أنه مبتدأ مؤخّر مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة المقدّرة على ما قبل الياء المحذوفة للتخفيف، و(الياء) المحذوفة ضمير مضاف إليه، أي مئابي(٤).

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٨٩).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٥٥٦).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ١٥٧).

(٤) ينظر: الجدول في إعراب القرآن (١٣/ ١٤٢)، إعراب القرآن الكريم لدعاس (٢/ ١٢١)، المجتبى من مشكل إعراب القرآن (٢/ ٥٣٥).

ومحور التعقب هنا أنه كان ينبغي للقاضي البيضاوي أن يضيف في تفسير هذه الكلمة قوله: "مرجعكم"، كما فعل في المسألة السابقة.

ووجه ذلك: أن فيه إثباتًا للحشر، وأن حشر الواحد يستلزم حشر الجميع، لا سيما وأن من العلماء السابقين من فسر الآية بذلك[1].

والراجح هو: ما سبق بيانه في المسألة السابقة، وهو أن ﴿مَتَابِ﴾ مبتدأ مؤخّر مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة المقدّرة على ما قبل الياء المحذوفة للتخفيف، و(الياء) المحذوفة ضمير مضاف إليه، أي متابي.

(١) ينظر: تفسير الماتريدي (٦/ ٣٧٥).

١٤- سورة إبراهيم

المسألة الأولى: إعراب قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾.

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٦].

القول المعقَّب عليه:

قال البيضاوي: "﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ أحوال من ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، أو من ضمير المخاطبين"(١).

وقال في تفسير قوله تعالى: "﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [سورة البقرة:٤٩]: والجملة حال من الضمير في ﴿نَجَّيْنَٰكُم﴾، أو من ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، أو منهما جميعًا لأن فيها ضمير كل واحد منهما"(٢).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "والجمل أحوال من آل فرعون، أو من ضمير المخاطبين، أو منهما جميعا، لأن فيها ضمير كل منهما، ولا اختلاف في العامل، لأنه وإن كان في ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ من في الظاهر، لكنه لفظ ﴿أَنجَىٰكُم﴾ في الحقيقة، والاقتصار على الاحتمالين الأولين هنا

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٩٣).
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٧٩).

وتجويز الثلاثة في سورة البقرة كما فعل البيضاوي بيض الله تعالى غرة أحواله لا يظهر وجهه"[1].

الدراسة:

في قوله تعالى: "﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ ثلاثة أجوه من الإعراب، وهي:

الأول: أنها أحوال من ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾[2].

الثاني: أنها أحوال من ضمر المخاطبين[3].

الثالث: أنها أحوال منهما جميعا[4].

وموضع التعقب هو في اعراب جملة ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ حيث ذكر البيضاوي في سورة البقرة احتمالات أوجه الإعراب الثلاثة[5].

وأما في سورة ابراهيم فقد ذكر الوجهين الأولين فقط.

فتعقبه الألوسي بأنها تحتمل الوجه الثالث، ولا معنى في الاقتصار على ذكر الوجين الأولين[6].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ١٨٠).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٧٦٤)، إعراب القرآن لزكريا الأنصاري (ص: ٣٥٢)، إعراب القرآن وبيانه (٥/ ١٦٠)، الجدول في إعراب القرآن (١٣/ ١٥٩)، مشكل إعراب القرآن للخراط (ص: ٢٥٦).

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٧٦٤)، إعراب القرآن لزكريا الأنصاري (ص: ٣٥٢)، إعراب القرآن وبيانه (٥/ ١٦٠)، الجدول في إعراب القرآن (١٣/ ١٥٩).

(٤) ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٥/٢٥٢)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ١٨٠).

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٧٩).

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ١٨٠).

وقد سبقه إلى هذا التعقب الشهاب الخفاجي حيث قال: "جوّز في سورة البقرة أن يكون حالا منهما جميعا لوجود ما يربطه بهما، وتركه هنا"[1].

والراجح هو: أن تعقب الألوسي على البيضاوي رحمهما الله صحيح؛ لأن تركيب السورتين واحد، كما ذكر الشهاب.

وبعد ذلك فليس في هذا الخلاف ما يؤثر على معنى الآية، أو يوجب لازمًا باطلًا، أو يفضي إلى مفهوم غير صحيح.

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٥/٢٥٢).

المسألة الثانية: هل (مِن) في قوله تعالى: ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ للتبعيض أم للبيان أم للبدل أم زائدة للتّأكيد؟

في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة إبراهيم: ١٠].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالى، فإن الإسلام يجبه دون المظالم، وقيل: جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين هذا هو مختار الكشاف، ولعل المعنى فيه توجيه كلام الكشاف: أن المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الإيمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فتتناول الخروج عن المظالم"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وذكر البيضاوي في وجه التفرقة بين الخطابين ما حاصله: لعل المعنى في ذلك أنها لما ترتبت المغفرة في خطاب الكفرة على الإيمان لزم فيه (مِنْ) التبعيضية لإخراج المظالم؛ لأنها غير مغفورة، وأما في خطاب المؤمنين فلما ترتبت على الطاعة واجتناب المعاصي التي من جملتها المظالم لم يحتج إلى ﴿مِّن﴾ لإخراجها؛ لأنها خرجت بما رتبت عليه، وهو مبني على خلاف ما صححه المحدثون، وينافيه ما ذكره في تفسير ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ في سورة نوح عليه السلام، ومع ذا أورد عليه قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٩٤/٣).

﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ [سورة نوح:٢- ٤] حيث ذكرت ﴿مِّن﴾ مع ترتيب المغفرة على الطاعة واجتناب المعاصي الذي أفاده (اتقوا)، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ﴾ الآية [سورة الصف:١٠] لعدم ذكر (مِنْ) مع ترتبها على الإيمان.

والجواب: بأنه لا ضير إذ يكفي ترتيب ذلك على الإيمان في بعض المواد فيحمل مثله على أن القصد إلى ترتيبه عليه وحده بقرينة ذلك البعض وما ذكر معه يحمل على الأمر به بعد الإيمان أدنى من أن يقال فيه ليس بشيء، وبالجملة توجيه الزمخشري أوجه مما ذكره البيضاوي فتأمل وتذكر"[(١)].

الدراسة:

اختلف المفسرون في (من) في قوله تعالى: ﴿مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ في سورة إبراهيم على أربعة أقوال:

القول الأول: إنها للتبعيض، وقد ورد ذلك عن إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري رحمه الله في تفسير الآية[(٢)].

وإلى ذلك ذهب الزمخشري في الكشاف[(٣)]، وبه قال إمام النحاة سيبويه[(٤)].

والقائلون بالتبعيض اختلفوا في توجيهه على خمسة أقوال:

١- فمنهم من قال: إن الله يغفر بعض ذنوبكم، ومنهم ابن جرير الطبري[(٥)].

٢- ومنهم من قال: إن الله يغفر لكم ما كان قبل الإسلام؛ لأن الإسلام يجب ما قبله[(٦)].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ١٨٧).

(٢) تفسير الطبري (١٤١/٢٢).

(٣) تفسير الزمخشري (٥١٠/٢ - ٥١١).

(٤) أورده الإمام القرطبي في تفسيره (٣٤٦/٩).

(٥) تفسير الطبري (١٤١/٢٢).

(٦) البحر المحيط (٤١٤/٦).

٣- ومنهم من قال: إن الذنوب المغفورة هي ما بينهم وبين الله، بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم [١].

٤- ومنهم من قال: إنه من باب إطلاق الجزء على الكل، وهو قول سيبويه: "هي للتبعيض؛ ويجوز أن يذكر البعض والمراد منه الجميع"[٢].

٥- ومنهم من قال: إنما جيء بـ(من) للتفريق بين الخطابين، ودليلهم: أن الاستقراء في الكافرين أن يأتي من ذنوبكم، وفي المؤمنين ذنوبكم، وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين، ولئلا يسوّي بين الفريقين[٣].

وردّ على هذا القول أبو عبد الله الرازي، حيث قال: "أما قول صاحب الكشاف: المراد تمييز خطاب المؤمن من خطاب الكافر، فهو من باب الطامات، لأن هذا التبعيض إن حصل فلا حاجة إلى ذكر هذا الجواب، وإن لم يحصل كان هذا الكلام فاسدا"[٤].

القول الثاني: إنها للبيان، وعلى هذا يكون معنى ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: يغفر لكم ذنوبكم، ودخلت (مِنْ) تختص الذنوب من سائر الأشياء، لم تدخل لتَبْعيض الذنُوب، ومثله قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾، معناه اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ليس الرجس هاهنا بعض الأوثان [٥].

القول الثالث: إنها للبدل وليست بزائدة ولا تبعيضية، أي لتكون المغفرة بدلا من الذنوب[٦].

---

(١) البحر المحيط (٦/٤١٤).

(٢) أورده الإمام القرطبي في تفسيره (٩/٣٤٦).

(٣) تفسير الزمخشري (٢/٥١٠ - ٥١١).

(٤) البحر المحيط في التفسير (٦/٤١٤).

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٥/٢٢٨).

(٦) ينظر: تفسير القرطبي (٩/٣٤٧).

القول الرابع: إنها زائدة للتأكيد، وإلى ذلك جنح أبو عبيدة معمر بن المثنى[1] حيث قال: "﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ مجازه: ليغفر لكم ذنوبكم، و(من) من حروف الزوائد"[2].

ووجه ذلك، قوله تعالى في موضع آخر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.

وهذا القول الرابع مثل القول الثالث والثاني من حيث المراد؛ إذ المفاد غفران جميع الذنوب دون التبعيض.

والراجح هو: أن الألوسي قد أصاب في تعقيبه على البيضاوي؛ لأنه قول أكثر المفسرين، وهو الذي يدل عليه نصوص الكتاب والسنة، وحتى الذين قالوا بالتبعيض، بعضهم لا ينفون غفران جميع الذنوب، مثل سيبويه، بل وعليه يدل قول الزمخشري، وكذلك سياق الآية يدل على مغفرة جميع الذنوب، لأن الله دعاهم إلى الإيمان به، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فإن فعلوا ذلك يغفر لهم ذنوبكم جميعا، فإنه إن بقي هناك شيء من الذنوب غير مغفور، لا شك فإنهم سيكونون في حرج وضيق، وأما إذا قيل لهم: إن آمنتم بالله حق الإيمان يغفر لكم ما قد سلف فإن ذلك أدعى لقبولهم. والله أعلم.

---

(١) معمر بن المثنى، أبو عبيدة التيمي البصري، النحوي العلامة، ولد في سنة (١١٠هـ) في الليلة التي مات فيها الحسن البصري، وهو أول من صنف غريب الحديث، وتوفي سنة (٢٠٩هـ). ينظر: تاريخ بغداد (١٥/ ٣٣٨)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص: ٨٤)، معجم الأدباء (٦/ ٢٧٠٤)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (٣/ ٢٧٦).

(٢) مجاز القرآن (١/٣٣٦).

١٥- سورة الحجر

المسألة الأولى: في بناء الفعل ﴿نُنَزِّلُ﴾.

في قوله تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ [سورة الحجر: ٨].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿مَا يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ﴾ بالياء ونصب الملائكة على أن الضمير لله تعالى، وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون[(١)]، وأبو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع ﴿الملائكة﴾[(٢)]. وقرئ ﴿تنَزل﴾ بمعنى تتنزل[(٣)]"[(٤)].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "والبيضاوي بنى تفسيره على أن الفعل ﴿مَا يُنَزِّلُ﴾ بالياء التحتية مبنيا للفاعل وهو ضمير الله تعالى، و﴿الْمَلائِكَةَ﴾ بالنصب على أنه مفعوله، واعترض عليه أنه لم يقرأ بذلك أحد من العشرة، بل لم توجد هذه القراءة في الشواذ، وهو خلاف ما سلكه في تفسيره، ولعله رحمه الله تعالى قد سها"[(٥)].

الدراسة:

محل التعقب أن البيضاوي بنى تفسيره على قراءة لم يقرأ بها أحد من العشرة، بل لم توجد هذه القراءة حتى في الشواذ.

قال الشهاب: "أورد عليه أنّ قراءة الياء لم يقرأ بها أحد من العشرة، ولم توجد في الشواذ

---

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر (٢/٣٠١).

(٢) ينظر: حجة القراءات، لابن زنجلة (١/٣٨١)، كتاب السبعة في القراءات (١/٣٦٦).

(٣) الحجة للقراء السبعة (٥/٤٢)، النشر في القراءات العشر (٢/٣٠١).

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٠٧).

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ٢٦٠).

أيضا والمصنف رحمه الله تعالى بنى تفسيره عليها، وحكى قراءة السبعة بصيغة التمريض"[1].

ولقد اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ على أربع قراءات:

القراءة الأولى: هي أن تقرأ: (ما تنزل الملائكة) بضم التاء وفتح الزاي مع رفع (الملائكة) مبنيا على ما لم يسم فاعله.

قرأ بها عاصم[2] في رواية أبي بكر[3]، ويحيى بن وثاب[4].

ودليلهم في ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ [سورة الفرقان:٢٥][5].

القراءة الثانية: هي أن تقرأ ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ بالنون مع نصب ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ على أنه مفعول به.

---

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٥/ ٢٨٣).

(٢) عاصم بن بهدلة ابن أبي النّجود الأسدي، مولاهم، أبو بكر الكوفي شيخ الإقراء بالكوفة، وأحد القراء السبعة، جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان ثقة ضابطاً صدوقاً، أخذ القراءة عرضاً على أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش وغيرهما وروى عنه القراءة خلق كثير منهم حفص بن سليمان، وأبو بكر شعبة بن عياش، توفي سنة (١٢٩هـ). ينظر: تهذيب الكمال (١٣/ ٤٧٣)، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٣٤٦)، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (١/ ٣٦).

(٣) شعبة بن عياش أبو بكر الأسدي النهشلي الكوفي الإمام العلم راوي عاصم، وقيل: اسمه كنيته، ولد سنة (٩٥هـ)، وعرض القرآن على عاصم ثلاث مرات وعلى عطاء بن السائب وأسلم المنقري. وعرض عليه أبو يوسف يعقوب بن خليفة الأعشى ويحيى بن محمد العليمي وسهل بن شعيب وغيرهم. وكان إماماً كبيراً عالماً عاملاً. ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي (ص: ٨٠)، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٣٢٦)، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (٢/ ٦٥١).

(٤) يحيى بن وثاب الكاهلي الأسدي مولاهم الكوفي: الإمام القدوة، شيخ القراء، كان تابعي ثقة، سُبي أبوه بإقليم قاشان، وكان من أشرافها، ثم أعتقه ابن عباس، تلا على أصحاب عليّ وابن مسعود، حتى صار أقرأ أهل زمانه. وكان من أحسن الناس صوتًا بالتلاوة، وقد حاز الجاه والرئاسة، واستمرّ ذلك في عقبه سنين طويلة. توفي سنة (١٠٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٠)، تهذيب التهذيب (١١/ ٢٩٤)، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٤٤٤).

(٥) ينظر: حجة القراءات، لابن زنجلة (١/٣٨١)، تفسير الطبري (١٧/٦٧)، كتاب السبعة في القراءات (١/٣٦٦).

قرأ بها حمزة[1] والكسائي[2] وحفص[3].

ودليلهم في ذلك، قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [سورة الفرقان:٢١]، فلمّا كانت الملائكة مفعولا به بإجماع رد ما اختلف فيه إلى ما أجمع عليه[4].

القراءة الثالثة: هي أن تقرأ ﴿تنزل الملائكة﴾ بالتاء مفتوحة، مع رفع ﴿الملائكة﴾ على أنه فاعل. وقرأ بها عامَّة قرّاء المدينة والبصرة.

ودليلهم في ذلك: إجماعهم على قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [سورة القدر:٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [سورة مريم:٦٤]، على أن التّنزل مسند إلى الملائكة[5].

القراءة الرابعة: هي أن تقرأ ﴿ما نزل الملائكة﴾، ماضيا، مخففا مبنيا للفاعل، أي على رفع ﴿الملائكة﴾.

---

(١) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل أبو عمارة الكوفي: مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي الزيات. الإمام أحد القراء السبعة. كان من موالي التيم فنسب إليهم. وكان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان ويجلب الجبن والجوز إلى الكوفة. قرأ القرآن عرضًا على الأعمش، وقرأ علية الكسائي وخلق كثير. انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول. ومات بحلوان سنة (١٥٦هـ). ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ١١٢)، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (٢/ ٦٤٠)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (ص: ٦٦).

(٢) علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، أبو الحسن الكوفي، المعروف بالكسائي، مقرئ مجود لغوى نحوي شاعر، وهو أحد القراء السبعة. انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، وهو إمامٌ في النحو، من تصانيفه: معاني القرآن، والمصادر، والحروف، والقراءات، توفي بالرّي سنة (١٨٩هـ). ينظر: تاريخ بغداد (١١/ ٤٠٣)، معرفة القراء الكبار للذهبي (٧٢)، غاية النهاية لابن الجزري (١/ ٥٣٥).

(٣) حفص بن سليمان بن المغيرة، أبو عمر بن أبي داود الأسدي البزار، أخذ القراءة عرضًا وتلقينًا عن عاصم، وكان ربيبه ابن زوجته، ونزل بغداد فأقرأ بها وجاور مكة فأقرأ بها أيضًا، وتوفي سنة (١٨٠هـ). ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي (١/ ٢٨٧)، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٢٥٤)، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (١/ ٣٥).

(٤) ينظر: حجة القراءات، لابن زنجلة (١/٣٨١)، الحجة للقراء السبعة (٥/٤٢)، النشر في القراءات العشر (٢/٣٠١).

(٥) ينظر: حجة القراءات، لابن زنجلة (١/٣٨١)، الحجة للقراء السبعة (٥/٤٢)، النشر في القراءات العشر (٢/٣٠١). (٢/٣٠١).

وقرأ بها زيد بن علي[1][2].

ومعاني هذه القراءات متقاربة، وذلك بالنظر إلى عاقبة الأمر، فإذا أسند الفعل إلى الله سبحانه وتعالى فهو صحيح؛ لأن الملائكة لا ينزلون إلا بأمره، وإذا أسند إلى الملائكة فإنما ينزلون بأمره وإذنه، وبذلك وجه أبو جعفر، حيث قال: " وكلّ هذه القراءات الثلاث متقاربات المعاني، وذلك أن الملائكة إذا نزلها الله على رسول من رسله تنزلت إليه، وإذا تنزلت إليه، فإنما تنزل بإنزال الله إياها إليه، فبأي هذه القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ فمصيب الصواب في ذلك، وإن كنت أحبّ لقارئه أن لا يعدو في قراءته إحدى القراءتين اللتين ذكرت من قراءة أهل المدينة، والأخرى التي عليها جمهور قراء الكوفيين، لأن ذلك هو القراءة المعروفة في العامَّة، والأخرى: أعني قراءة من قرأ ذلك: ﴿مَا تُنزلُ﴾ بضم التاء في تنزل ورفع الملائكة شاذّة قليل من قرأ بها"[3].

والراجح هو: أنه لا شكّ أن تعقب الألوسي على البيضاوي رحمهما الله تعقبٌ صحيح؛ لأنه لا يجوز بناء التفسير على خلاف ما تواتر عليه القرّاء حتى لو كان معناه صحيحا، وبعد بحث تبين لي عدم ورود هذه القراءة التي فسر بها البيضاوي الآية، لا في القراءات المتواترة ولا الشاذة كما ذكره الألوسي في تعقبه على البيضاوي، وربما وهم الإمام البيضاوي رحمه الله في هذا الموضع كما قال الألوسي[4]؛ لأن التفسير لن يتغير عمّا ذكره لو اعتمد القراءة المتواترة، والله تعالى أعلم.

---

(١) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد سنة (٨٠هـ)، روى عن: أبيه، وأخيه أبي جعفر الباقر، وأبان بن عثمان، وعروة بن الزبير وغيرهم وعنه: ابناه حسين وعيسى، وابن أخيه جعفر بن محمد، والزهري، والأعمش، وشعبة وغيرهم، كان ذا علم وصلاح وتقى، ومات سنة (١٢٢هـ). ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (١٩/ ٤٥٠)، تهذيب الكمال (١٠/ ٩٥)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٨٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٦٧/١٧)، معاني القراءات للأزهري (٦٨/٢).

(٣) تفسير الطبري (٦٧/١٧).

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ٢٦٠).

المسألة الثانية: المراد من الباء في قوله: ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾.

في قوله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ﴾ [سورة الحجر: ٨].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ إلا تنزيلًا ملتبسًا بالحق أي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته، ولا حكمة في أن تأتيكم بصور تشاهدونها فإنه لا يزيدكم إلا لبسًا، ولا في معاجلتكم بالعقوبة فإن منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالإيمان. وقيل: الحق الوحي أو العذاب"[(١)].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وقال الزمخشري[(٢)]: المعنى إلا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في أن تأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لأنكم حينئذ مصدقون عن اضطرار، وهو مبني على أن الإنزال بصورهم الحقيقة، ومنه أخذ صاحب القيل المذكور أولا قيله. والبيضاوي جعل المنافي للحكمة إنزالهم بصور البشر حيث قال: لا حكمة في أن تأتيكم بصور تشاهدونها فإنه لا يزيدكم إلا لبسا. وقال بعضهم: أريد أن إنزال الملائكة لا يكون إلا بالحق وحصول الفائدة بإنزالهم وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء الكفرة أنه لو أنزل إليهم الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير إنزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا، وتعقب الأقوال الثلاثة البعض من المحققين بأنه مع إخلال كل من ذلك بفظيعة الآتي لا يلزم من فرض وقوع شيء من ذلك تعجيل العذاب الذي يفيده قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ﴾"[(٣)].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٠٧).

(٢) تفسير الزمخشري (٢/ ٥٧١).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ٢٦١).

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن الباء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ للملابسة.

بينما يرى العلامة الألوسي أنها للسببية.

وقد اختلف المفسرون في هذا الإنزال على قولين:

الأول: أنها للسببية، وهو قول مجاهد[١]، ومقاتل بن سليمان[٢]، وابن جرير الطبري[٣]، والسمرقندي[٤]، والسمعاني[٥]، والبغوي[٦]، وابن عطية[٧]، والرازي[٨]، والقرطبي[٩]، وابن جزي[١٠]، والخازن[١١]، وأبي حيان[١٢]، وابن كثير[١٣]. وتبعهم الألوسي[١٤].

الثاني: أنها للملابسة، وهو قول الزمخشري[١٥]، وتبعه النسفي[١٦]، ثم البيضاوي[١٧].

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٤١٥).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٢٥).

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ١٧).

(٤) تفسير السمرقندي (٢/ ٢٥١).

(٥) تفسير السمعاني (٣/ ١٣٠).

(٦) تفسير البغوي (٤/ ٣٦٩).

(٧) تفسير ابن عطية (٣/ ٣٥١).

(٨) تفسير الرازي (١٩/ ١٢٢).

(٩) تفسير القرطبي (١٠/ ٤).

(١٠) تفسير ابن جزي (١/ ٤١٥).

(١١) تفسير الخازن (٣/ ٤٩).

(١٢) البحر المحيط في التفسير (٦/ ٤٦٧).

(١٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٧).

(١٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ٢٦١).

(١٥) تفسير الزمخشري (٢/ ٥٧١).

(١٦) تفسير النسفي (٢/ ١٨٤).

(١٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٠٧).

والراجح هو: القول الأول، وهو الذي عليه جمهور المفسرين، وهو الموافق لسياق الآيات، وظاهر القرآن، وهذا الموضع من إحدى غفلات القاضي غفر الله له التي تبع فيها الزمخشري، وهي من الأقوال التي تفرد بها الزمخشري. والله تعالى أعلم.

المسألة الثالثة: الخلاف في عائد الضميرين.

في قولـه تعـالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [سورة الحجر: ١٢، ١٣].

القول المعقَّب عليه:

قـال القاضـي البيضـاوي: "﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [سـورة الحجـر:١٢] والضمير للاستهزاء، وفيه دليل على أن الله يوجد الباطل في قلوبهم. وقيل: للذِّكر فإن الضمير الآخر في قوله: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ له، وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبًا غير مؤمن به، أو بيان للجملة المتضمنة له، وهذا الاحتجاج ضعيف إذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع إليه ولا يتعين أن تكون الجملة حالًا من الضمير لجواز أن تكون حالًا من المجرمين، ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الأول بل يقويه"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وذهب البيضاوي إلى كون الضمير الأول للاستهزاء وضمير ﴿بِهِۦ﴾ للذكر، وتفريق الضمائر المتعاقبة على الأشياء المختلفة إذا دل الدليل عليه ليس ببدع في القرآن، وجوز على هذا كون الجملة حالا من ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾، ولا يتعين كونها حالا من الضمير ليتعين رجوعه للذكر، وذكر أن عوده على الاستهزاء لا ينافي كونها مفسرة بل يقويه إذ عدم الإيمان بالذكر أنسب بتمكن الاستهزاء في قلوبهم، وجعل الآية دليلا على أنه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم ففيها رد على المعتزلة في قولهم: إنه قبيح فلا يصدر منه سبحانه، وكأنه رحمه الله تعالى ظن أن ما فعله الزمخشري من جعل الضميرين للذكر كان رعاية لمذهبه ففعل ما فعل، ولا يخفى

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/٢٠٧-٢٠٨).

أنه لم يصب المحزّ وغفل عن قولهم: الدليل إذا طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال"[1].

الدراسة:

اختلف المفسرون في مرجع الضميرين: ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ﴾ و﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [سورة الحجر:١٢، ١٣] على أقوال نوجزها فيما يأتي:

أولا: في مرجع الضمير الأول: ﴿نَسۡلُكُهُۥ﴾ اختلفوا فيه على أربعة أقوال:

القول الأول: إنه يعود على الذكر، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [سورة الحجر:٩].

فيكون الضمير في ﴿نَسۡلُكُهُۥ﴾ عائدا على الذكر المحفوظ المتقدم الذكر وهو القرآن[2].

القول الثاني: إنه يعود على الاستهزاء المفهوم من قوله تعالى: ﴿يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ وهو قول الحسن وقتادة وابن جرير وابن زيد ويكون الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يعود أيضا على ذلك بعينه، وعلى هذا القول فتتعين البيانية[3].

القول الثالث: إنه يعود على الشرك والتكذيب والكفر، فقد روي عن أنس[4] والحسن أن تفسير ضمير ﴿نَسۡلُكُهُۥ﴾ إلى الشرك[5].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ٢٦٥).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/٣٥٠).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/٣٥٠).

(٤) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري النجاري أبو حمزة المدني، صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخادمه، دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (اللهم أكثر ماله وولده، وأطل حياته). وهو آخر من بقي بالبصرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، مات سنة (٩٣هـ). ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ١٠٩)، أسد الغابة (١/ ٢٩٤)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٧).

(٥) الدر المنثور (٤/٩٤). وينظر أيضا: تفسير عبد الرزاق (٢/٢٥٣).

القول الرابع: وقيل: ويحتمل عوده على الحجج والآيات؛ ليكون تكذيبهم وردهم الآيات والحجج، وتكذيبهم تكذيب عناد ومكابرة[1].

ثانيا: في مرجع الضمير الثاني: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ على سبعة أقوال، وأشهرها خمسة، وهي ما يأتي:

القول الأول: إنه يعود على الذكر الوارد في الآية التاسعة، في قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [سورة الحجر:٩]، وبه قال الإمام البيضاوي، وهو أحد قولي أبي حيان الأندلسي في البحر المحيط[2]، والشوكاني في فتح القدير[3]، وغيرهم.

القول الثاني: إنه يعود على الاستهزاء المفهوم من قوله: ﴿يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ في الآية الحادية عشرة: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [سورة الحجر:١١] واعترض على هذا القول؛ لأنه لو عاد إلى الاستهزاء وعدم الإيمان بالاستهزاء حق وصواب لم يتوجه اللوم على الكفار، ولا يلزم من تعاقب الضمائر عودها على شيء واحد وإن كان الأحسن ذلك[4].

القول الثالث: إنه يعود على لفظ الجلالة، أو على الذكر، ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي بالله أو بالذكر، ومن القائلين بهذا القول الإمام النسفي والسمرقندي[5].

القول الرابع: يعود على النبي صلى الله عليه وسلم، أي كما سلكناه في قلوب من تقدم من شيع الأولين كذلك نسلكه في قلوب مشركي قومك حتى لا يؤمنوا بك، كما لم يؤمن من قبلهم برسلهم، وممن قال بهذا القول الحسن وقتادة وغيرهما[6].

---

(١) ينظر: تفسير الماتريدي (٤٢٥/٦).

(٢) البحر المحيط (٤٣٦/٥).

(٣) فتح القدير (١٤٨/٣).

(٤) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢١٢/٢).

(٥) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١٨٥/٢)، وبحر العلوم (٢٥٢/٢).

(٦) ينظر: تفسير البحر المحيط (٤٣٥/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٧/١٠).

القول الخامس: يعود على الجميع ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ لكي لا يؤمنوا بالله سبحانه وتعالى ولا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا بالذكر القرآن ولا بنزول العذاب عليهم(١).

وكذلك اختلفوا في محل جملة ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، على ثلاثة أقوال:

القول الأول: إنها في محل النصب على الحال أي حال من الضمير ﴿بِهِۦ﴾ العائد على الذكر، أي غير مؤمن به(٢).

القول الثاني: إنها استئنافية على جهة البيان والإيضاح لما قبله(٣).

القول الثالث: إنها حال من المجرمين، ويجوز ذلك؛ لأن المضاف جزء من المضاف إليه(٤).

إليه(٤).

وثمرة الخلاف هي هل العباد خالقون لأفعالهم أم لا؟

فلما كان الزمخشري معتزليا أراد الانتصار لمذهبه من خلال هذه المسألة، أن الضميرين عائدان على الذكر؛ ليثبت بذلك أن الله ليس خالقا لأفعال العباد؛ لأن مذهب المعتزلة في أفعال العباد هو أن العبد مستقل بأفعاله يفعلها بإرادة وقدرة مستقلا عن قضاء الله وقدره(٥).

فلما علم منه ذلك الإمام البيضاوي فرد عليه من حيث أراد الانتصار لمذهبه، فإن هذه المسألة ليست دليلا له بل هي دليل عليه وذلك بجعل الضمير الأول﴿نَسْلُكُهُۥ﴾ للاستهزاء المفهوم من ﴿يَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

وهذه المسألة متعلقة بمسألة خلق أفعال العباد.

والراجح هو: مذهب أهل السنة والجماعة وهو أن الله سبحانه وتعالى خالق العباد وأفعالهم، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، سواء في ذلك أفعاله وأفعال الخلق، كما قال

---

(١) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٢١٦/١).

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٤٦٩/٦).

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (٨٦/١٥).

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (٨٦/١٥).

(٥) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ٣٤)، الملل والنحل (١/ ٥٢)، شرح الطحاوية (ص: ٤٣٨).

تعالى في أفعاله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾[سورة السجدة:١٣]. وقال في أفعال الخلق: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾[سورة الأنعام:١١٢]. فنحن نؤمن أن الله خالق كل شيء سواء مما فعله أو فعله عباده؛ ووجه كونه خالقًا لأفعال العباد أن فعل العبد لا يصدر إلا عن إرادة وقدرة، وخالق إرادة العبد وقدرته هو الله. من هذه الناحية الحق مع الإمام البيضاوي في رده على الزمخشري المعتزلي، وأما من الناحية أن الضميرين يجوز عودهما على الذكر، الحق مع الزمخشري؛ لأن أهل اللغة أجازوا ذلك، ووجد من المفسرين أيضا من أجاز ذلك، ومنهم الإمام الحسن وهو أحد قولي أبي حيان الأندلسي في البحر المحيط[١]، والشوكاني في فتح القدير[٢]، وغيرهم[٣].

إذن فالمسألة كما ذكر الإمام الألوسي أن الدليل إذا طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال. فلا يحتاج أن يرد عليه في هذه المسألة اللغوية ما دام فيها وجه لغوي، بل يرد عليه بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح في المسألة.

(١) البحر المحيط (٥/٤٣٦).
(٢) فتح القدير (٣/١٤٨).
(٣) ينظر: النكت والعيون (٣/١٥٠).

المسألة الرابعة: هل استراق السمع يقتضي مناسبة في الجوهر بين الملائكة والشياطين.

في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ﴾ [سورة الحجر: ١٨].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ﴾ بدل من ﴿كُلِّ شَيۡطَٰنٖ﴾، واستراق السمع اختلاسه سرًا، شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر، أو بالاستدلال من أوضاع الكواكب وحركاتها"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وذكر البيضاوي أن استراق السمع خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر، أو بالاستدلال من أوضاع الكواكب وحركاتها، وذكر عند قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾ [سورة الشعراء:٢١٢] أن السمع مشروط بمشاركتهم في صفات الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصورة الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك، ولا يخفى ما فيه، فإنه ظاهر في أن الاستراق يقتضي مناسبة الجوهر، والسمع التام يقتضي المشاركة المذكورة، وهو لا يتمشى على أصول الشرع، وفي أن تلقيهم يكون من الأوضاع الفلكية، وهو مخالف لصريح النظم والأحاديث، مع أنه يقتضي أن يكون قطان السماء بمعنى الكواكب وشمول ﴿مِّن﴾ شياطين الإنس من المنجمين وهو كما ترى"(٢).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٠٨/٣).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢٧٣/٧-٢٧٤).

الدراسة:

هذه المسألة وهي أن هناك مناسبة بين الملائكة والشياطين في الجوهر والذات؛ لذا يتمكنون من استراق السمع من قطان السماوات، مما تفرد بها القاضي البيضاوي، ويبدو أنها من زلاته رحمه الله.

ولم أجد من قالها من العلماء غيره، بل هو مخالف لأصول الشرع واتفاق العلماء.

فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [سورة الكهف: ٥٠].

إلا أن هناك اختلافا بين العلماء في تفسير الآية على ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن إبليس كان من الجن على ما ذكره الله تعالى؛ لأن له ذرية، والملائكة لا ذرية لهم، أن الملائكة رسل الله سبحانه، ولا يجوز عليهم الكفر فهم معصومون، وإبليس قد كفر، وقال الحسن: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس(١).

القول الثاني: إنه من الملائكة، ومن قالوا بهذا اختلفوا في معنى قوله تعالى ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان من أفضل صنف من الملائكة يقال لهم: الجن، وهو مروي عن ابن عباس(٢).

الثاني: أنه كان من الملائكة من خزان الجنة ومدبر أمر السماء الدنيا فلذلك قيل من الجن لخزانة الجنة، كما يقال مكي وبصري، وهو قول ابن عباس(٣).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٥٤٠)، تفسير الماتريدي (١/ ٤٢٤).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٢٨٩).

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٢٨٧).

الثالث: أن الجن سبط من الملائكة وقبيلة منها، وهو قول مقاتل[1]، وقتادة[2]، وابن جريج[3].

القول الثالث: إنه لم يكن من الملائكة ولا من الجن، ولكن كان من الجان[4].

فقد صرحت الآية على أن إبليس من الجن فليس من الملائكة في شيء لا في الجوهر ولا الذات، والنص سيد الأحكام.

فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**))[5].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[6]: "ولأجل ظاهر هذه الآية الكريمة ذهبت جماعة من العلماء إلى أن إبليس ليس من الملائكة في الأصل بل من الجن، وأنه كان يتعبد معهم، فأطلق عليهم اسمهم لأنه تبع لهم، كالحليف في القبيلة يطلق عليه اسمها. والخلاف في إبليس هل هو ملك في الأصل وقد مسخه الله شيطانا، أو ليس في الأصل بملك، وإنما شمله لفظ الملائكة لدخوله فيهم وتعبده معهم مشهور عند أهل العلم"[7].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٨٩)،

(٢) ينظر: تفسير يحيى بن سلام (١/ ١٩١)، تفسير عبد الرزاق (٢/ ٣٣٥)، تفسير الطبري (١٥/ ٢٨٨).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٥٣٧).

(٤) ينظر: تفسير الماوردي (٣/٣١٤).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الرقائق، باب: في خلق الملائكة والجان وآدم، برقم (٧٦٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ولد سنة (١٣٢٥هـ)، من كتبه: أضواء البيان في تفسير القرآن، ودفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، وآداب البحث والمناظرة، وهو مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا)، وتوفي سنة (١٣٩٣هـ). ينظر: مشاهير علماء نجد (ص:٥١٧-٥٢٠)، (ص:٥٤٠-٥٤٣)، الأعلام للزركلي (٦/ ٤٥)، تكملة معجم المؤلفين (ص: ٥٥٠)، المنهل، عدد ذي الحجة: ١٣٩٣، (ص:٩٨٢).

(٧) أضواء البيان (٣/ ٢٩٠).

والراجح هو: أن الملائكة مخلوقون من النور، وأن الشياطين مخلوقون من نار، فشتان بين النور والنار، فبعيد أن تكون هناك مناسبة بين الملائكة والشياطين في الجوهر والذات[1].

فتعقب الألوسي عليه في المسألة في محله. والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: تفسير القرآن الكريم (٧/٤٣).

المسألة الخامسة: هل المستثنى في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾، منقطع من المستثنى منه أم متصل، وهل هو مستثنى من (قوم) أم من الضمير المستكن من قوله تعالى: (مجرمين)، وهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين؟

في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ [سورة الحجر: ٥٩، ٦٠].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ إن كان استثناء من ﴿قَوۡمٍ﴾ كان منقطعا، إذ ال(قوم) مقيد بالإجرام وإن كان استثناء من الضمير في ﴿مُّجۡرِمِينَ﴾ كان متصلا، والقوم والإرسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به، وكأن المعنى: إنا أرسلنا إلى قوم أجرم كلهم إلا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط منهم، ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ أي مما يعذب به القوم، وهو استئناف إذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر (لكن) إذا انقطع، وعلى هذا جاز أن يكون قوله: إلا امرأته استثناء من ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾، أو من ضميرهم، وعلى الأول لا يكون إلا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم إلا أن يجعل ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ﴾ اعتراضا"[1].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وقال القاضي البيضاوي: إنه على الانقطاع يجوز أن يجعل ﴿إِلَّا

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/٢١٣).

﴿ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ مستثنى من ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ أو من ضمير ﴿لَمُنَجُّوهُمۡ﴾ وعلى الاتصال يتعين الثاني لاختلاف الحكمين اللهم إلا إذا جعلت جملة ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ﴾ معترضة. انتهى

ومخالفته لما نقل عن الزمخشري ظاهرة حيث جوز الاستثناء من المستثنى في الانقطاع ومنعه الزمخشري مطلقا، وحيث جعل اختلاف الحكمين في الاتصال وأثبته الزمخشري مطلقا أيضا وبين اختلاف الحكمين بنحو ما بين به في كلام الزمخشري، والذي ينساق إلى الذهن ما ذكره الزمخشري"[1].

الدراسة:

لقد اختلف العلماء في هذه المسألة: هل المستثنى في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [سورة الحجر:٥٩، ٦٠]، منقطع من المستثنى منه أم متصل، وهل هو مستثنى من ﴿قَوۡمٍ﴾ أم من الضمير المستكن من قوله تعالى: ﴿مُّجۡرِمِينَ﴾، وهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين؟ وفيها قولان:

القول الأول[2]: أنه استثناء منقطع من قوله: ﴿قَوۡمٍ﴾، وذلك لأن القوم هنا وصفوا بالإجرام، فاختلفت الجنسان، وهذا القول ذكره الزمخشري[3]، وابن عطية[4]، وأبو حيان[5].

القول الثاني[6]: أنه استثناء متصل من الضمير في قوله: ﴿مُّجۡرِمِينَ﴾، والمعنى: أن كانوا مجرمين إلا آل لوط.

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ٣٠٩-٣١٠).

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه (٥/ ٢٤٨)، التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٧٨٥)، إعراب القرآن الكريم لدعاس (٢/ ١٤٦)، الجدول في إعراب القرآن (١٤/ ٢٥٥).

(٣) تفسير الزمخشري (٢/ ٥٨١).

(٤) تفسير ابن عطية (٣/ ٣٦٧).

(٥) البحر المحيط في التفسير (٦/ ٤٨٦).

(٦) ينظر: إعراب القرآن وبيانه (٥/ ٢٤٨)، الجدول في إعراب القرآن (١٤/ ٢٥٥).

وهذا القول ذكره الزمخشري[1]، وأبو حيان[2].

والفرق بين المسألتين: أنه إذا قيل بأن الاستثناء منقطع، فإن آل لوط لا يشملهم حكم إرسال الملائكة إلى القوم؛ لأن الملائكة أرسلوا إلى قوم مجرمين، وإما إذا قيل بأنه متصل، فإن ذلك يعني أن آل لوط داخلون في حكم إرسال الملائكة إلى القوم، وأن الملائكة أرسلوا بإهلاك القوم المجرمين وعذابهم، وإنجاء آل لوط[3].

واختلف أيضا في الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾، من أي شيء استثني؟ على قولين:

القول الأول: أنه مستثنى من الضمير المجرور من قوله تعالى: ﴿لَمُنَجُّوهُمۡ﴾[4].

وانتصر لهذا القول الزمخشري، وضعف القول الثاني، فقال: "لأنّ الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه، وأن يقال: أهلكناهم إلا آل لوط، إلا امرأته، كما اتحد الحكم في قول المطلق: أنت طالق ثلاثاً، إلا اثنتين، إلا واحدة. وفي قول المقرّ: لفلان عليّ عشرة دراهم، إلا ثلاثة، إلا درهما. فأمّا في الآية فقد اختلف الحكمان، لأنّ ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ متعلق بـ﴿أُرۡسِلۡنَآ﴾، أو بـ﴿مُّجۡرِمِينَ﴾. و﴿ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ قد تعلق بـ(منجوهم)، فأنى يكون استثناء من استثناء"[5].

القول الثاني: أنه مستثنى من الاستثناء الذي سبقه[6]، ورجح هذا القول ابن عطية[7].

---

(١) تفسير الزمخشري (٢/ ٥٨١).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٦/ ٤٨٦).

(٣) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/ ٥٨١)، البحر المحيط في التفسير (٦/ ٤٨٦).

(٤) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/ ٥٨٢)، تفسير ابن عطية (٣/ ٣٦٧)، البحر المحيط في التفسير (٦/ ٤٨٧)، إعراب القرآن وبيانه (٥/ ٢٤٨)، التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٧٨٥).

(٥) تفسير الزمخشري (٢/ ٥٨٢).

(٦) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/ ٥٨٢)، البحر المحيط في التفسير (٦/ ٤٨٧)، إعراب القرآن وبيانه (٥/ ٢٤٨)، التبيان التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٧٨٥)، إعراب القرآن الكريم لدعاس (٢/ ١٤٦)، الجدول في إعراب القرآن (١٤/ ٢٥٥).

(٧) تفسير ابن عطية (٣/ ٣٦٧).

ويمكن أن يوجه هذا القول على أحد وجهين: **أحدهما**: أنه لما كان الضمير في لمنجوهم عائد على ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾، وقد استثنى منه المرأة، صار كأنه مستثنى من آل لوط، لأن المضمر هو الظاهر في المعنى. **والوجه الآخر**: أن قوله: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾، لما حكم عليهم بغير الحكم على ﴿قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ اقتضى ذلك نجاتهم، فجاء قوله: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ تأكيدا لمعنى الاستثناء، إذ المعنى إلا آل لوط، فلم يرسل إليهم بالعذاب، ونجاتهم مترتبة على عدم الإرسال إليهم بالعذاب، فصار نظير قولك: قام القوم إلا زيدا، فإنه لم يقم وإلا زيدا لم يقم. فهذه الجملة تأكيد لما تضمنه الاستثناء من الحكم على ما بعد إلا بضد الحكم السابق على المستثنى منه، فـ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ على هذا التقرير الذي قررناه استثناء من ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾، لأن الاستثناء مما جيء به للتأسيس أولى من الاستثناء مما جيء به للتأكيد[1].

والراجح هو: القول الأول، وهو الذي أيّده الزمخشري وانتصر له، وذهب إليه الألوسي، وذلك لأن الاستثناء من الاستثناء لا بد فيها من اتحاد الحكم، وهنا اختلف الحكم. والله تعالى أعلم.

(١) البحر المحيط في التفسير (٦/ ٤٨٧).

١٦- سورة النحل

المسألة الأولى: سبب اضطراب الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال.

في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة النحل: ١٥].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبالًا رواسي. ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ كراهة أن تميل بكم وتضطرب، وذلك لأن الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع، وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك، أو أن تتحرك بأدنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالأوتاد التي تمنعها عن الحركة. وقيل: لما خلق الله الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة: ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي كراهة أن تميد أو لئلا تميد، والميد اضطراب الشيء العظيم، ووجه كون الإلقاء مانعا عن اضطراب الأرض بأنها كسفينة على وجه الماء والسفينة إذا لم يكن فيها أجرام ثقيلة تضطرب وتميل من جانب إلى جانب بأدنى شيء وإذا وضعت فيها أجرام ثقيلة تستقر فكذا الأرض لو لم يكن عليها هذه الجبال لاضطربت فالجبال بالنسبة إليها كالأجرام الثقيلة الموضوعة في السفينة بالنسبة إليها. وتعقبه الإمام، ثم قال: والذي عندي في هذا الموضع المشكل أن يقال: ثبت بالدلائل اليقينية أن الأرض كرة، وثبت أن هذه الجبال على سطح الكرة جارية مجرى خشونات تحصل على وجه هذه الكرة،

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٢٢).

وحينئذ نقول لو فرضنا أن هذه الخشونات ما كانت حاصلة بل كانت ملساء خالية عنها لصارت بحيث تتحرك على الاستدارة كالأفلاك لبساطتها أو تتحرك بأدنى سبب للتحريك فلما خلقت هذه الجبال، وكانت كالخشونات على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالأوتاد لمنعها إياها عن الحركة المستديرة، وقد تابع الإمام في هذا الحل العلامة البيضاوي، ثم قيل: الصحيح أن يقال خلق الله تعالى الأرض مضطربة لحكمة لا يعلمها إلا هو ثم أرساها بالجبال على جريان عادته في جعل الأشياء منوطة بالأسباب"[1].

الدراسة:

هذه المسألة قريبة من المسائل التي منشؤها يكون خلافا عقديا بين أهل السنة والجماعة وبين المعتزلة؛ حيث إنه إذا أثبت أن اضطراب الأرض وميدها وميلها على الماء قبل أن تخلق فيها الجبال بالطبع، يكون مفاده إثبات تصرف للأرض وإحداثها بنفسها، فينشأ منه مسألة خطيرة جدا، وهي مسألة خلق أفعال العباد، فالمعتزلة زعمت أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق أفعال العباد، بل العباد هم الخالقون لأفعالهم دون إرادة الله ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ وزعموا أن أفعال العباد فيها الحسنات والقبائح والمعاصي والشرور، فكيف يوصف الله بأنه خالق لهذه الأشياء القبيحة، وغفلوا وجهلوا أنهم بقولهم هذا يصفون الله بالعجز، وأن يحدث شيء في ملكه بغير إرادته، وجهلوا كذلك أن الإرادة إرادتان، الإرادة الكونية والإرادة الشرعية.

ومسألة أفعال العباد اختلف فيها على أربعة أقوال مشهورة، وهي:

القول الأول: أن الله تعالى هو خالق أفعال العباد، والعبد مريد لفعله طالب له، أن الله لا يعذب أحدا بذنب لم يعمله، وهو قول أهل السنة والجماعة[2].

القول الثاني: أن الله هو خالق أفعال العباد، والعبد مكتسب لها، وهو قول الأشعرية[3].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ٣٥٧).

(٢) ينظر: العقيدة رواية أبي بكر الخلال (ص: ١١٣)، اعتقاد أئمة الحديث (ص: ٦٠)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ٣٢)، لمع الأدلة (ص: ١٢٠)، شرح الطحاوية (ص: ٤٣٨).

(٣) ينظر: تمهيد الأوائل (ص: ٣٤٧)، قواعد العقائد (ص: ١٤٥)، إيثار الحق على الخلق (ص: ٢٨٩).

القول الثالث: أن الله غير خالق لأفعال العباد، بل العبد هو فاعلها والموجد لها، وهو قول المعتزلة[1].

القول الرابع: أن العبد مجبور على فعله، ولا إرادة له في ذلك، وهو قول الجهم بن صفوان والجبرية[2].

والراجح هو: أن الإمام البيضاوي كاد أن يميل إلى مذهب المعتزلة؛ ولذلك نبه الإمام الألوسي إلى هذا الخطر العظيم، فهو مصيب في تعقبه. والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ٣٤)، التبصير في الدين (ص: ٥٦)، لمع الأدلة (ص: ١٢٠)، الملل والنحل (١/ ٥٢)، شرح الطحاوية (ص: ٤٣٨).

(٢) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ٣٢)، لمع الأدلة (ص: ١٢١)، شرح الطحاوية (ص: ٤٣٨).

المسألة الثانية: هل قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ منسوخة بآية تحريم الخمر التي في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [سورة المائدة: ٩٠] أم لا؟

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿وَرِزۡقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والزبيب والدبس والخل، والآية إن كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها وإلا فجامعة بين العتاب والمنة"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "والبيضاوي بعد أن فسر (السُكْر) بالخمر، تردد في أمر نزولها، فقال: إلا أن الآية إن كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهيتها وإلا فجامعة بين العتاب والمنة(٢).

ووجه دلالتها على الكراهية: بأن الخمر وقعت في مقابلة الحسن، وهو مقتضى لقبحها، والقبيح لا يخلو عن الكراهة وإن خلا عن الحرمة.

واعترض عليه: بأن تردده هنا في سبقها على تحريم الخمر ينافي ما في سورة البقرة(٣)، حيث

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٣٢)

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٣٢)

(٣) قال البيضاوي: روي أنه نزل بمكة قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًا﴾ فأخذ المسلمون يشربونها، ثم إن عمر ومعاذًا ونفرًا من الصحابة قالوا: أفتنا يا رسول الله في الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال، فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون. ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسًا منهم فشربوا وسكروا، فأم أحدهم فقرأ: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ فنزلت: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ فقل من يشربها، ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن أبي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا، فأنشد سعد شعرًا فيه ⇦=

ساق الكلام على القطع أنه جزم في أول هذه السورة بأنها مكية إلا ثلاث آيات من آخرها"[1].

الدراسة:

لقد اختلف العلماء هل هذه الآية: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة النحل:٦٧] منسوخة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[سورة المائدة:٩٠]؟

ووجه الاختلاف في هذه المسألة: أن الخمر محرمة في الشريعة، فكيف يمتن الله تعالى على عباده بشيء قد حرمه عليهم؟[2]

وقد وقع الخلاف فيها على قولين:

= هجاء الأنصار، فضربه أنصاري بلحى بعير فشجه، فشكا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال عمر رضي الله عنه: اللهم بيّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ فقال عمر رضي الله عنه: انتهينا يا رب. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٣٧).

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ٤١٩)

(٢) ينظر: تفسير الخازن (٣/ ٨٥).

القول الأول: إنها منسوخة بآية التحريم في سورة المائدة وهي قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[سورة المائدة:٩٠]؛ وذلك لأن سورة النحل سورة مكية، والمائدة سورة مدنية، والامتنان وقع في السورة المكية حيث لم يشرع في مكة أي شريعة من حلال أو حرام، وإنما نزل أمر الحلال والحرام في المدينة(١).

وهذا القول يروى عن عبد الله بن مسعود(٢)، وابن عمر (٣)، وابن عباس(٤) رضي الله عنهم، وبه قال الضحاك(٥)، والحسن البصري(٦)، وسعيد بن جبير(٧)، وإبراهيم النخعي(٨)(٩)، والشعبي(١٠)(١١)، ومجاهد(١٢)،

---

(١) ينظر: زاد المسير (٢/ ٥٦٨).

(٢) ينظر: زاد المسير (٢/ ٥٦٨).

(٣) ينظر: تفسير الخازن (٣/ ٨٥).

(٤) ينظر: تفسير الخازن (٣/ ٨٥).

(٥) ينظر: جامع البيان (٢٤٤/١٧)، تفسير الخازن (٣/ ٨٥).

(٦) ينظر: جامع البيان (٢٤٤/١٧)، زاد المسير (٢/ ٥٦٨).

(٧) ينظر: جامع البيان (٢٤٤/١٧)، زاد المسير (٢/ ٥٦٨).

(٨) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، الكوفي الفقيه، ولد سنة (٥٠هـ)، أدرك جماعة من أصحاب النبي، ورأى ورأى عائشة، ولكن لم يسمع من أحد منهم، فكان يرسل كثيرًا، لاسيما عن ابن مسعود وأنس وغيرهما، وكان فقيه العراق ومفتي الكوفة. مات وهو مختفٍ مِن الحَجّاج سنة (٩٦هـ). ينظر: تاريخ البخاري الكبير (١/ ٣٣٣)، معرفة الثقات للعجلي (١/ ٢٠٩)، العبر للذهبي (١/ ٨٥).

(٩) ينظر: جامع البيان (٢٤٤/١٧)، تفسير الخازن (٣/ ٨٥).

(١٠) عامر بن شراحيل أبو عمرو الكوفي الشعبي، ولد لست سنين خلت من خلافة عمر، وكان أعلم أهل عصره بالحديث، وكان إماما فقهيا مفسرا، توفي بالكوفة سنة (١٠٤هـ). ينظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (٣١٠/٤)، صفوة الصفوة لابن الجوزي (٧٥/٣)، تهذيب التهذيب (٦٥/٥).

(١١) ينظر: جامع البيان (٢٤٤/١٧).

(١٢) ينظر: جامع البيان (٢٤٤/١٧).

وقتادة[1]، ويحيى بن سلام[2][3]، ومقاتل بن سليمان[4].

وقد اعترض على هذا القول: بأن الآية سيقت مساق الإخبار، والأخبار لا يدخلها النسخ[5].

وناقش هذا القول ابن العربي[6]، فقال: "هذا كلام من لم يتحقق الشريعة، وقد بينا أن الخبر إذا كان عن الوجود الحقيقي أو عن إعطاء ثواب فضلا من الله فهو الذي لا يدخله النسخ، فأما إذا تضمن الخبر حكما شرعيا فالأحكام تتبدل وتنسخ، جاءت بخبر أو أمر، ولا يرجع النسخ إلى نفس اللفظ وإنما يرجع إلى ما تضمنه"[7].

القول الثاني: إنها ليست منسوخة بل محكمة، وإن كانت نزلت قبل نزول آية التحريم، وحكمها ثابت؛ فإن الآية سيقت مساق الإخبار، فهم يفسرون السُكْر بأنه كلّ ما كان حلالا شربه، كالنبيذ الحلال والخلّ والرطَب. والرزق الحسن: التمر والزبيب.

وممن قال به الشعبي أيضا[8]، ومجاهد[9]، واختاره الطبري[10]، والسمعاني[11].

وبعض من قال بهذا القول يستدل بالآية على جواز النبيذ[12].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٤٤/١٧).

(٢) يحيى بن سلام البصري، ولد سنة (١٢٤هـ)، وكان ثقة، ثبتا، عالما بالكتاب والسنة، ومن تصانيفه: تفسير القرآن، وله وله معرفة باللغة والعربية، وتوفي في سنة (٢٠٠هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (٤/ ١٢٥٠)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٩٦)، ميزان الاعتدال (٤/ ٣٨٠)، غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٧٣).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، (٤٧٦/٢).

(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، (٤٧٦/٢).

(٥) ينظر: تفسير الخازن (٣/ ٨٥).

(٦) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي القاضي، ولد سنة سنة (٤٦٨هـ)، من كتبه: أحكام القرآن، والقبس في شرح موطأ مالك بن أنس، فقيه حافظ عالم متقن أصولي محدث مشهور أديب رائق الشعر رئيس وقته، وتوفي سنة (٥٤٣هـ). ينظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص: ٩٢)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٧)، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٩٧).

(٧) ينظر: تفسير القرطبي (١٠/ ١٣٠).

(٨) ينظر: جامع البيان (٢٤٤/١٧).

(٩) ينظر: جامع البيان (٢٤٤/١٧).

(١٠) ينظر: جامع البيان (٢٤٥/١٧).

(١١) ينظر: تفسير السمعاني (٣/ ١٨٤).

(١٢) ينظر: تفسير السمعاني (٣/ ١٨٤)، تفسير الخازن (٣/ ٨٥).

وقد اعترض على هذا القول: بأن السكر في الآية ليس هو السكر من الشراب، وإنما المراد منه: الطعم، يقال: هذا سكر لك، أي طعم لك[1].

ونوقش: بأن هذا القول لا يعرف، وأهل التفسير على خلافه[2].

والراجح هو: أن تعقب الألوسي حق، وأن البيضاوي اضطرب قوله في المسألة بين ما ذكره في تفسير سورة البقرة وبين تردده في تفسير آية سورة النحل؛ وأما أصل المسألة فهي مسألة خلافية. والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: جامع البيان (٢٤٦/١٧)، تفسير الخازن (٣/ ٨٥).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٠/ ١٢٩).

المسألة الثالثة والرابعة: هل تقديم الصلة على الفعل في قوله تعالى: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾، للاهتمام أم لإيهام التخصيص مبالغة، أم للمحافظة على الفواصل؟

في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [سورة النحل: ٧٢].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ حيث أضافوا نعمه إلى الأصنام، أو حرموا ما أحل الله لهم، وتقديم الصلة على الفعل إما للاهتمام، أو لإيهام التخصيص مبالغة، أو للمحافظة على الفواصل"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وما ذكر من أن تقديم الجار في التركيبين للتخصيص مما صرح به غير واحد، والعلامة البيضاوي جوز ذلك لكنه أقحم الإيهام هنا نظير ما فعلناه فيما سلف آنفا. ووجه ذلك بأن المقام ليس بمقام تخصيص حقيقة؛ إذ لا اختصاص لإيمانهم بالباطل ولا لكفرانهم بنعم الله سبحانه، ولم يقحمه في تفسير نظير ذلك في العنكبوت(٢)، فإن وجّه بأنهم إذا آمنوا بالباطل كان إيمانهم بغيره بمنزلة العدم، وإن النعم كلها من الله تعالى إما بالذّات أو بالواسطة، فليس كفرانهم إلا لنعمه سبحانه، كما قيل: لا يشكر الله من لا يشكر الناس، بقي المخالفة. وأجيب بأنه إذا نظر للواقع فلا حصر فيه وإن لوحظ ما ذكر يكون الحصر ادّعائيا

(١) تفسير البيضاوي (٣/ ٢٣٤).
(٢) تفسير البيضاوي (٤/ ٢٠٠).

وهو معنى الإيهام للمبالغة فلا تخالف، وجوز أن يكون التقديم للاهتمام؛ لأن المقصود بالإنكار الذي سيق له الكلام تعلق كفرانهم بنعمة الله تعالى واعتقادهم للباطل لا مطلق الإيمان والكفران، وأن يكون لرعاية الفواصل وهو دون النكتتين"[1].

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن من أسباب تقديم الصلة في قوله تعالى: ﴿هُمْ يَكْفُرُونَ﴾: إيهام التخصيص مبالغة.

وقد تعقبه العلامة الألوسي في أمرين:

الأول: أنه لم يذكر هذا الوجه في نظيرتها في سورة العنكبوت[2].

الثاني: بما أورده من الجواب على هذا القول.

ولقد اختلفت آراء العلماء في قوله تعالى: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾، هل تقديم الجار والمجرور (بنعمة الله) على متعلقه للاهتمام أم لإيهام التخصيص مبالغة، أم للمحافظة على الفواصل؟ على أربعة أقوال:

القول الأول: أنها للاهتمام، وإلى ذلك ذهب ابن عاشور، فقال: "وتقديم المجرور في قوله تعالى: ﴿وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ على عامله للاهتمام"[3].

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ٤٢٩)

(٢) تفسير البيضاوي (٤/ ٢٠٠).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، (١٤/٢٢٠).

القول الثاني: أنها للتخصيص؛ لأن الآية رد على الكافرين الذين يعبدون من دون الله؛ ولذا ناسب التخصيص زيادة في بيان خطئهم، ومنهم الإمام الشوكاني، حيث قال: "وفي تقديم النعمة وتوسيط ضمير الفصل دليل على أن كفرهم مختص بذلك، لا يتجاوزه لقصد المبالغة والتأكيد"[(١)]، وكذلك أبو الطيب محمد صديق خان[(٢)]، ومحمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة[(٣)] في تفسيره[(٤)]، وغيرهم.

القول الثالث: أنها لإيهام التخصيص مبالغة، ذكره البيضاوي في تفسيره.

القول الرابع: أنها للمحافظة على الفواصل، ذكره القاضي البيضاوي أيضًا. والله أعلم.

وتعقب الألوسي على القولين الأخيرين؛ حيث قال: "أقحم الإيهام هنا نظير ما فعلناه فيما سلف آنفا. ووجه ذلك بأن المقام ليس بمقام تخصيص حقيقة إذ لا اختصاص لإيمانهم بالباطل ولا لكفرانهم بنعم الله سبحانه، ولم يقحمه في تفسير نظير ذلك في العنكبوت". وقال: "وأن يكون لرعاية الفواصل وهو دون النكتتين".

والراجح هو: أن البيضاوي لما لم يذكر الإيهام في تفسير نظيره في سورة العنكبوت، أقحمها في هذا الموضع استدراكا لما فاته هناك.

وأما القول برعاية الفواصل فلم أجد من سبق البيضاوي إليه بعد بحثي المتواضع.

---

(١) فتح القدير، (٣/٢١٤).

(٢) ينظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن، (٧/٢٨٢).

(٣) محمد بن أحمد بن مصطفى أبو زهرة، أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره، مولده بمدينة المحلة الكبرى وتربى بالجامع الأحمدي عُيّن أستاذا محاضرا للدراسات العليا في الجامعة وعضوا للمجلس الأعلى للبحوث العلمية، وكان وكيلا لكلية الحقوق بجامعة القاهرة، ووكيلا لمعهد الدراسات الإسلامية وأصدر من تأليفه أكثر من ٤٠ كتابا، وكانت وفاته بالقاهرة سنة (١٣٩٤هـ). ينظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٢٦)، جريدة الأهرام، عدد: ١٣ أبريل ١٩٧٤م، حضارة الإسلام، عدد: حزيران ١٩٧٤ (ص:٣٩-٥١).

(٤) ينظر: زهرة التفاسير، (١/٤٢١٩).

المسألة الخامسة: هل البيوت المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ [سورة النحل: ٨٠]، تتناول البيوت المتخذة من الوبر والصوف والشعر أم لا؟.

في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [سورة النحل: ٨٠].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ هي القباب المتخذة من الأدم، ويجوز أن يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فإنها من حيث إنها نابتة على جلودها يصدق عليها أنها من جلودها"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ أي بيوتا أخر مغايرة لبيوتكم المعهودة وهي القباب المتخذة من الأدم، والظاهر أنه لا يندرج في هذه البيوت البيوت المتخذة من الشعر والصوف والوبر، وقال ابن سلام وغيره: بالاندراج لأنها من حيث إنها ثابتة على جلودها يصدق عليها أنها من جلودها. واعترض بأن ﴿مِّن﴾ على الأول تبعيضية، وعلى إرادة البيوت التي من الشعر ونحوه ابتدائية. فإذا عمم ذلك يلزم استعمال المشترك في معنييه، وأجيب بأن القائل بذلك لعله يرى جواز هذا الاستعمال، وممن قال بذلك البيضاوي وهو شافعي"(٢).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٣٦)

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ٤٤٠)

الدراسة:

لقد اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ [سورة النحل:٨٠]، هل يندرج فيها البيوت المتخذة من الشعر والصوف والوبر أم لا؟

القول الأول: أنها تندرج فيها، وإلى ذلك نحا مقاتل(١)، وابن سلام وجنح إليه ابن جرير الطبري في تفسيره(٢)، وقال القرطبي: "وهو احتمال حسن"(٣).

وبه يقول البيضاوي(٤)، وكذلك الخازن علاء الدين علي بن محمد، فقال: "واعلم أن المساكن على قسمين: أحدهما: ما لم يمكن نقله من مكان إلى مكان آخر، وهي البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوهما، والقسم الثاني: ما يمكن نقله من مكان إلى مكان آخر، وهي الخيام والفساطيط المتخذة من جلود الأنعام، وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ يعني يخف عليكم حملها"(٥).

وعلى هذا الاحتمال تكون ﴿مِّن﴾ ابتدائية، وقال الألوسي: "على هذا القول يلزم استعمال المشترك في معنييه"(٦).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٨٠).

(٢) ينظر: جامع البيان، (٢٦٧/١٧).

(٣) تفسير القرطبي، (١٥٣/١٠).

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٢٣٦/٣).

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل، (٩٢/٣).

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ٤٤٠)

القول الثاني: إنها لا تندرج في البيوت المتخذة من الجلود، وأن الآية مختصة ببيوت الأُدم، ولم يذكر ابن الجوزي غير هذا القول في تفسير هذه الآية[1]، وكذا ابن كثير[2]، وهو اختيار القرطبي[3]، وأبي حيان[4].

وعلى هذا تكون ﴿مِّن﴾ تبعيضية، وإلى ذلك مال الألوسي وتعقب على البيضاوي[5].

والراجح هو: أن الآية في خصوص الامتنان ببيوت الأُدم، وسياقها جارٍ في هذا المجال، وهو قول العلامة الألوسي.

ويقال أيضا: أن الله تعالى لما امتن على عباده بأخف البيوت وأسهلها، فإن الامتنان بغيرها حاصل من باب أولى.

ولعل هذا دليل من عمم الكلام في الآية، كما ذهب إليه جماعة من المفسرين منهم إمام المفسرين ابن جرير الطبري[6].

وأما عن لزوم استعمال المشترك في معنييه على هذا القول، فقد أجاب عليه الألوسي نفسه بأن القائل بذلك لعله يرى جواز هذا الاستعمال[7]. والله أعلم.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥٧٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٩١).

(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ١٥٣).

(٤) البحر المحيط في التفسير (٦/ ٥٧٦).

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ٤٤٠)

(٦) ينظر: جامع البيان، (٢٦٧/١٧).

(٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ٤٤٠)

١٧- سورة الإسراء

المسألة الأولى: هل ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الأرض بمائة ونيف وستين مرة، أم لا؟

في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء: ١].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: " ثم عرج به إلى السموات حتى انتهى إلى سدرة المنتهى، ولذلك تعجب قريش واستحالوه، والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة ونيفًا وستين مرة "[(١)].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وقال العلامة البيضاوي: الاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة ونيفا وستين مرة، ثم إن طرفها الأسفل يصل موضع طرفها الأعلى في أقل من ثانية إلى آخر ما قال، وما ذكرناه هو الصواب في التعبير؛ فإن المقدمتين اللتين ذكرهما ممنوعتان، أما الأولى بأن النسبة التي ذكرها إنما هي نسبة جرم الشمس إلى جرم الأرض كما برهنوا عليه في باب مقادير الأجرام والأبعاد من كتب الهيئة، لكنهم قالوا جرم الشمس مثل جرم الأرض مائة وستة وستين مرة وربع مرة وثمن مرة. والعلامة جعل ذلك نسبة القطر إلى القطر لأنه المتبادر مما بين الطرفين، وإرادة الجرم منه خلاف الظاهر جدا. وكان يكفيه لو أراد ذلك أن يقول: قرص الشمس ضعف كرة الأرض فأي معنى

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٤٧)

لما زاده"[1].

الدراسة:

هذه المسألة كما ذكر الألوسي هي أن النسبة التي ذكرها الإمام البيضاوي إنما هي نسبة جرم الشمس إلى جرم الأرض كما برهنوا عليه في باب مقادير الأجرام والأبعاد من كتب الهيئة لكنهم قالوا جرم الشمس مثل جرم الأرض مائة وستة وستين مرة وربع مرة وثمن مرة.

والبيضاوي هنا فهم من كلام المنجمين أن جرم الشمس أو جرم الأرض يعنون به أبعادهما وليس كذلك حيث قال الفلكي المهندس، محمد بن جابر بن سنان الحَرَّاني ، المعروف بالبتّاني[2] في كتابه الزيج: " فالذي في هذا الحد الذي بين مركز الأرض والأيثر هو كما ذكرنا أن بعده عن الأرض لج لج بالمقدار الذي به يكون نصف قطر الأرض جزءًا واحدًا وذلك أقصى الأرض والهواء والماء والنار وما فوق ذلك فهو طبيعة خامسة لا يقال فيها حقيقة ولا يليها الحس ولا يحيط العقل بكيفيتها ومنه فلك عطارد الذي فوق فلك القمر الذي ظهر من بعده وعظمه على ما أدركوه فإنهم ذكر أنهم قاسوا عظمه في أبعد بعده وأقرب قربه من الأرض فوجدوا اختلاف عظمه كقدر الاثنين والثلث والربع عند الواحد فإذا كان بعد عطارد الأقرب مثل بعد القمر الأبعد الذي قد ظهر أنه سدي فإذا ضرب ذلك في الاثنين والثلث والربع التي هي اختلاف عظم قطره صار بعده الأبعد مائة وستًا وستين مرة مثل نصف قطر الأرض وإذا أخذ نصف ما بين بعده الأبعد وبعده الأقرب كان بعده الأوسط قيه ثم قاسوا عظمه لما صار في وسط بعده إلى الشمس في وسط بعدها فوجدوا قطره جزءًا من خمسة عشر من قطر الشمس فإذا قسمت المائة والخمسة عشر على الخمسة عشر بلغ سبعة أجزاء وثلثا جزء ولما كان قطر الشمس مثل قطر الأرض خمس مرات ونصفًا فإذا جعل قطر الشمس الأوسط اقح

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٨/ ٩-١٠)

(٢) محمد بن جابر بن سنان الحَرَّاني الرقي الصابئ، أبو عبد الله المعروف بالبتاني، ولد قبل سنة (٢٤٤هـ)، ومن كتبه: معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك، اشتغل برصد الكواكب ورحل مع بعض أهل الرقة إلى بغداد، فلما رجع مات في طريقه بقصر الجص، قرب سامراء، سنة (٦٧١هـ)، ينظر: تاريخ الإسلام (٧/ ٣٢٩)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥١٨)، وفيات الأعيان (٢/ ٨٠)، الأعلام للزركلي (٦/ ٦٨)

على نحو ما بينا نحن بالقياس كان قطر الأرض بذلك المقدار مائتين وواحدًا ونصفًا وإذا قيست تلك السبعة الأجزاء وثلثي جزء على المائتين والواحد والنصف وجدت جزءًا من ستة وعشرين وربع منها بالتقريب. ولما كان قطر الأرض يوتر درجة وسبعًا وخمسين دقيقة من دائرة الفلك كان قطر عطارد يوتر أربع دقائق ونصف وسدس دقيقة بالتقريب، وإذا ضرب ذلك في الطول والعرض والغمق صار عظم جرم عطارد جزءًا من سبعة عشر جزءًا من جرم الأرض بالتقريب. ثم نظروا في عظم الزهرة وبعدها فوجدوا اختلاف عظمها فيما بين بعدها الأبعد والأقرب كقدر الاثنين من الثالثة عشر فإذا ضربت المائة والستة والستين التي هي أبعد بعد عطارد وأقرب قرب الزهرة في الستة والنصف التي هي قدر اختلاف عظم الزهرة عند الواحد كان بعد الزهرة الأبعد ألفًا وسبعين وهو أقرب قرب الشمس ويكون وسط بعدها لذلك ستمائة وثمان عشرة وقاسوا قطر الزهرة إلى قطر الشمس لما صارت في بعدها الأوسط فوجدوا جزءًا من عشرة من قطر الشمس فإذا أخذ من الستمائة والثمانية عشر جزءًا عشره كان أحد وستون جزءًا وأربعة أخماس فإذا قسم ذلك على المائتين وواحد ونصف كان ذلك من قطر الأرض الربع ونصف العشر وشيئًا يسيرًا لا ينحصر."[1].

والراجح هو: أن هذه المسألة من المسائل الظنية التي تبنى على الظن والاجتهاد، وليست من العلوم اليقينية؛ حيث قال الشيخ الألباني[2] في مجموع فتاواه: "فالتحديد بالأميال والفراسخ يحتاج إلى معرفة مقدار مساحة الأرض، وهذا أمر لا يعلمه إلا خاصة الناس ومن ذكره فإنما يخبر به عن غيره تقليدًا وليس هو مما يقطع به، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقدر الأرض بمساحة أصلًا، فكيف يقدر الشارع لأمته حدًا لم يجر له ذكر في كلامه، وهو مبعوث إلى جميع الناس... "[3].

---

(١) كتاب الزيج (١/١٢٦).

(٢) محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي بن آدم الألباني، أبو عبد الرحمن، ولد في ألبانيا سنة (١٣٣٢هـ)، من تصانيفه: السلسلة الصحيحة، والضعيفة، وإرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، وغيرها الكثير، وكان سلفي العقيدة، كثير الدعوة إلى منهج السلف الصالح، محاربا للبدع والخرافات والشركيات، ويعتبر من المجددين في علم الحديث في هذا العصر، وتوفي في الأردن سنة (١٤٢٠هـ). ينظر: حياة الألباني للشيباني (١/ ٤٤)، محمد ناصر الدين الألباني محدث العصر لإبراهيم العلي (١١)، صفحات مشرقة من حياة الألباني لإبراهيم الهاشمي (١٢٦).

(٣) ألف فتوى للشيخ الألباني، مجموع فتاوى العلامة الألباني (الجزء الأول والثاني والثالث)، (٤/٦٦).

المسألة الثانية: هل ثبت في الهندسة أن طرف الشمس الأسفل يصل موضع طرفها الأعلى في أقل من ثانية، أم لا؟ وما مقدار هذه الثانية؟

في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء: ١].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "ولذلك تعجب قريش واستحالوه، والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة ونيفا وستين مرة، ثم إن طرفها الأسفل يصل موضع طرفها الأعلى في أقل من ثانية"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وأما (الثانية) فإن أراد بالثانية الثانية من دقيقة الدرجة الفلكية التي هي ستون دقيقة، فمنعها بما حرره العلامة القطب الشيرازي في نهاية الإدراك حيث قال: مقدار الدرجة الواحدة من مقعر الفلك الأطلس بالأميال ٩٣٤٣٥٩٣ ميلا فالفلك الأعلى يقطع فيما مقداره من الزمان جزء واحد من خمسة عشر جزءا من ساعة مستوية وهو ثلث خمسها هذا المقدار من الأميال فإذا تحرك مقدار دقيقة وهي جزء من تسعمائة جزء من ساعة مستوية كان قدر قطعه من المسافة ١٥٥٧١٨ ميلا وسدس ميل وخمس ربع أو ربع خمس ميل، ولأن حين ما يبدو قرن الشمس إلى أن تطلع بالتمام يكون بقدر ما يعد واحد من واحد إلى ثلاثمائة فبمقدار ما يعد ثلاثين يتحرك الفلك ١٥٥٧١٨ ميلا وهو ألف وسبعمائة واثنان وثلاثون فرسخا من مقعره والله تعالى أعلم بما يتحرك محدبه حينئذ فسبحان الله تعالى ما أعظم شأنه اهـ.

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٤٧).

وحاصل ذلك أن الفلك الأعظم يتحرك من ابتداء طلوع جرم الشمس إلى أن يطلع بتمامه سدس درجة وهو عشر دقائق من ستين دقيقة من درجة فلكية ومقدار مساحة هذه الدقائق ٥١٩٦٠٠ أي خمسمائة ألف وتسعة عشر ألفا وستمائة فرسخ وإذا جعلنا هذه الدقائق ثواني كانت ستمائة ثانية فأين الأقل من ثانية.

وإن أراد بـ(الثانية) الثانية من دقيقة الساعة التي هي ربع الدرجة الفلكية فسدس الدرجة هاهنا يكون ثلثي دقيقة، وإذا جعلنا ثلثي الدقيقة ثواني كانا أربعين ثانية وهذه الثواني الستمائة بعينها إلا أن المنجمين لما جعلوا الساعة ستين دقيقة تسهيلا للحساب والساعة عبارة عن خمسة عشر درجة فلكية اقتضى أن تكون الدرجة الفلكية وكل ثانية من ثواني دقيقة الساعة بخمسة عشر ثانية من ثواني دقيقة الدرجة الفلكية فالخلاف بين ثواني دقائق الدرجة الفلكية وثواني دقيقة الساعة اعتبار لفظي.

وأجاب عبد الرحمن الكردي الشهير بالفاضل بأن الثانية جزء من ستين جزءا من دقيقة، والدقيقة قد تطلق على جزء من ستين جزءا من درجة، وقد تطلق على جزء من ستين جزءا من ساعة، وقد تطلق على جزء من ستين جزءا من يوم بليلته.

ومراد العلامة البيضاوي من (الثانية) (الثانية) الثالثة، لا (الثانية) الأولى وهو ظاهر، ولا (الثانية) الثانية، كما ذهب إليه سعدي جلبي وتبعه ابن صدر الدين، وفيه أنه يفهم منه أن الفلكيين قد يقسمون اليوم بليلته إلى ستين دقيقة كما يقسمونها إلى الساعات والدرجات والدقائق قسمة يتميز بها أجزاء الزمان ولم يقل بذلك أحد منهم وإنما ذكر ذلك بعضهم تسهيلا لمعرفة الكسر الزائد على الأيام التامة من السنة لتعرف منه السنة الكبيسة في ثلاث سنين أو أربع سنين وهو بمعزل عما نحن فيه من قطع المسافة البعيدة بالزمان القليل ولو سلمنا ما زعمه كان ناقصا من مدة حركة الفلك الأعظم من ابتداء طلوع قرص الشمس إلى انتهائه وهو ثلثا دقيقة هما أربعون ثانية وذلك جزء من تسعين جزءا من ساعة مستوية كما حرره العلامة الشيرازي، وما ذكره من أن الثانية من دقيقة اليوم بليلته عبارة عن أربعة وعشرين ثانية من ثواني دقيقة الساعة، وهي أقل من ثلثي دقيقة بستة عشر ثانية خطأ على خطأ تلك إذًا قسمة ضيزى، نعم قد أصاب في الرد على الفاضلين وقد أخطأ الفاضل الأول في غير ذلك في هذا

المقام كما لا يخفى على من وقف على كلامه وكان له أدنى اطلاع، على كتب القوم، ولتداول هذا المبحث بين الطلبة وعدم وجدانهم من يبل غليلهم تعرضنا له بما نرجو أن يبل به الغليل، هذا والعلماء درجات والله تعالى الموفق لفهم الدقائق فتأمل مرة وثانية وثالثة فلعل الله سبحانه أن يفتح عليك غير ذلك، وما ذكر من تساوي الأجسام مبني على ما قيل على تركبها من الجواهر الفردة وفيه خلاف النظام والفلاسفة، والبحث في ذلك طويل، ولا يستدل على الاستحالة بلزوم الخرق والالتئام، وقد برهنوا على استحالة ذلك لأنا نقول: إن برهانهم على ذلك أوهن من بيت العنكبوت كما بين في محله"[1].

الدراسة:

قال الشهاب: "قوله: (والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة الخ) دليل عقلي على صحته ورد لاستحالته، والثانية في اصطلاح المنجمين جزء من ستين جزءًا من الدقيقة والدقيقة جزء من ستين جزءًا من الدرجة وهي جزء من خمسة عشر جزءا من الساعة المقدر بها الليل والنهار، قال أستاذ عصرنا الفيلسوف في العلوم الرياضة: المولى عبد الوهاب هذا غير سديد من وجوه:

منها أن علم الهندسة ليس مظنة للبحث عما ذكر ولو قال بالهندسة لهان الأمر لأن براهين الهيئة تعلم من الهندسة كما هو معروف عند من له معرفة بتلك الفنون، ومنها أن ما بين طرفي قرص الشمس وهو قطرها خمسة ونصف بما يكون به قطر الأرض واحدًا على ما بين في مباحث الأبعاد والإجرام من التذكرة وغيرها وأمّا ما كان مائة ونيفا وستين مرة فهو جرم الشمس بالنسبة إلى كرة الأرض إذ بين ثمّ إن نسبة كرة الأرض كنسبة مائة وستة وستين وربع وثمن هو الشمس إلى الواحد بناء على ما أثبتوه ثمة من أنّ نسبة كرة إلى كرة كنسبة مكعب قطر الأولى إلى مكعب قطر الأخرى.

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٨/ ١٠-١١)

ومنها أن قطر الشمس الذي هو كالواقع في مأخذ حركة مركزها بالحركة الأولى يصل طرفه المتأخر إلى موضع طرفه المتقدم وهو المراد بوصول طرفها الأسفل إلى موضع طرفها الأعلى على أن الطرف المتقدم أعلى من الطرف المتأخر، وكذا المتأخر أعلى من الطرف المتقدم في الارتفاعات الشرقية والانحطاطات الشرقية في جميع ما يتعين فيه الشرق والغرب من الآفاق مع أن الطرف المتقدم أعلى من جميع جوانب الشمس والمتأخر أسفل جميع جوانبها عند طلوع مركزها في أفق الاستواء فلا غبار في ذلك الوصول لكن كون زمانه أقل من ثانية ممنوع بناء على ما بين في محله من أن قطر الشمس، وجد في أكثر أحوال بعدها مساويا في النظر لقطر القمر في بعده الأبعد وقد بين أيضا أنّ قطر القمر في بعده الأبعد إحدى وثلاثون دقيقة وثلث دقيقة فكيف يتصوّر أن يقطع مركز الشمس مقدار قطرها في أقل من ثانية فيقع فيه ذلك لوصول سواء كانت الثانية ثانية الدرجة أو الساعة أو اليوم إذ اللازم مما ذكر أن يكون زمان الوصول المذكور إحدى وثلاثين دقيقة من دقائق الدرجة أو دقيقتين من دقائق الساعة أو خمس ثوان من ثواني اليوم بالتقريب والذي يقطعه مركز الشمس في أقل من ثانية هو مقدار قطر الأرض على أن تكون الثانية ثانية اليوم ولو اكتفى بذلك القدر من سرعة حركته ولم يلتزم بيان ما هو أزيد منه لتم إثبات المقصود وهو جواز أن يقطع جسم مسافة بعيدة في زمان قليل أو يحزر تحريرًا تاما فليتأمل هذا مرة بعد أخرى فإن دقائقه لا تصل إلى درجة منها بنظرة أولى ولا ثانية وهذا ملخص ما ذكره فمن أراده فعليه بالنظر فيه وهو مما لا شبهة في وروده إلا أن ما أورده أوّلا أمر سهل وقد أشار هو إلى دفعه فتدبر"[1].

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٦/ ٥)

والراجح هو: أن هذه المسألة من المسائل الظنية التي تبنى على الظن والاجتهاد وليست من العلوم اليقينية؛ حيث قال الشيخ الألباني في مجموع فتاواه: " فالتحديد بالأميال والفراسخ يحتاج إلى معرفة مقدار مساحة الأرض، وهذا أمر لا يعلمه إلا خاصة الناس ومن ذكره فإنما يخبر به عن غيره تقليدًا وليس هو مما يقطع به، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقدر الأرض بمساحة أصلًا، فكيف يقدر الشارع لأمته حدًا لم يجر له ذكر في كلامه، وهو مبعوث إلى جميع الناس..."[1]. والله تعالى أعلم.

(١) ألف فتوى للشيخ الألباني، مجموع فتاوى العلامة الألباني (الجزء الأول والثاني والثالث)، (٦٦/٤).

المسألة الثالثة: ما المراد من دعاء الإنسان بالشر في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾، وما سبب نزول الآية؟

في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [سورة الإسراء: ١١].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ ويدعو الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله، أو يدعوه بما يحسبه خيراً، وهو شر. روي أنه عليه السلام دفع أسيرا إلى سودة بنت زمعة فرحمته لأنينه فأرخت كتافه، فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال عليه السلام: ((**اللهم إنما أنا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له**))، فنزلت[(١)]"[(٢)].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "واستدل بالآية على بعض الاحتمالات على المنع من دعاء الرجل على نفسه، أو على ماله، أو على أهله، وقد جاء النهي عن ذلك صريحا في بعض الأخبار.

(١) لم أقف على من أخرجه، وإنما ذكره هكذا الزمخشري في الكشاف (٢/ ٦٥١).
وقال الزيلعي: "غريب من حديث سودة". تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٢٦٠).
وقال الولي العراقي: "لم أقف عليه". الفتح السماوي (٢/ ٧٦٧).
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٤٩).

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ((**لا تدعوا على أنفسكم، لا تدعوا على أولادكم، على أموالكم، لئلا توافقوا من الله تعالى ساعة فيها إجابة فيستجيب لكم**))[1]. وبه يرد على ما قيل من أن الدعاء بذلك لا يستجاب فضلا من الله تعالى وكرما.

واستشكل بأن النبي صلّى الله عليه وسلّم دعا على أهله.

وأجيب عن ذلك بأنه كان للزجر وإن كان وقت الغضب، وقد اشترط صلّى الله عليه وسلّم على ربه سبحانه في مثل ذلك أن يكون رحمة. فقد صح أنه عليه الصلاة والسلام قال: ((**إني اشترطت على ربي فقلت إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن تجعلها له طهورا وزكاة وقربة**))[2].

وقيل: إن ما وقع منه عليه الصلاة والسلام من الدعاء ونحوه ليس بمقصود، بل هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية: كتربت يمينك، وعقرى حلقى، لكن خاف صلّى الله عليه وسلّم أن يصادف شيء من ذلك إجابة، فسأل ربه سبحانه وتعالى، ورغب إليه في أن يجعل ذلك زكاة وقربة، نعم، في ذكر حديث الواقدي[3]، ونحوه كالحديث الذي ذكره البيضاوي في المقام الذي ذكر فيه، لا يخلو عن شيء، فتأمل[4].

الدراسة:

وجه تعقب العلامة الألوسي على القاضي البيضاوي أنه ذكر حديثا ليس له أصل في

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب النهي عن أن يدعو الإنسان على أهله وماله، (٢/ ٨٨)، رقم (١٥٣٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥/ ٢٦٠).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٤/ ٤٤٤)، رقم (٦٥١٤). وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٩/ ٢٤٠).

(٣) قال ابن حجر في (الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف) (ص٩٨-٩٧): أخرجه الواقدي في المغازي من رواية عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها بأسير، وقال لها: احتفظي به. قالت: فلهوت مع امرأة فخرج ولم أشعر. فدخل يسأل عنه. فقلت: والله ما أدري. فقال: قطع الله يدك. فذكر نحو ما تقدم.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٨/٢٤-٢٥).

كتب السنة، وإنما استدل بحديث ذكره الزمخشري في الكشاف، قال عنه الزيلعي: غريب[1].

وقد اختلف العلماء في المراد من دعاء الإنسان بالشر على ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن المراد منه جنس الإنسان؛ وذلك أنه في وقت الغضب والضجر قد يلعن نفسه وأهله وولده وماله، ولو استجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير لهلك، وهو قول: ابن عباس[2]، ومجاهد[3]، وقتادة[4]، ويحيى بن سلام[5]، والطبري ولم يذكر غيره من الأقوال[6]، وابن أبي زمنين[7][8]، ومكي بن أبي طالب[9]، والواحدي[10].

وقال الزجاج: "الإنسان ههنا في معنى الناس"[11].

القول الثاني: إن المراد منه آدم عليه السلام. وهذا القول ذكره الماوردي ونسبه إلى إبراهيم النخعي والضحاك بن مزاحم[12].

---

(١) ينظر: الكشاف (٢/٦٥١)، تخريج أحاديث الكشاف (٢/٢٦٠)

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٥١٢).

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٥١٣).

(٤) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٩٣).

(٥) تفسير يحيى بن سلام (١/ ١١٩).

(٦) تفسير الطبري (١٤/ ٥١٢).

(٧) محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، أبو عبد الله الألبيري المعروف بابن أبي زمنين، نزيل قرطبة، ولد في سنة (٣٢٤هـ)، ومن تصانيفه: المقرب في اختصار المدونة، وكتاب منتخب الأحكام، وكتاب أصول السنة، و كان من الراسخين في العلم، متفننا في الأدب والشعر، مقتفيا لآثار السلف، وتوفي سنة (٣٩٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٨٨)، الوافي بالوفيات (٣/ ٢٦٠)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ١٠٤).

(٨) تفسير القرآن العزيز (٣/ ١٤).

(٩) الهداية الى بلوغ النهاية (٦/ ٤١٥٢).

(١٠) التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٩٨).

(١١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٢٩).

(١٢) تفسير الماوردي (٣/ ٢٣٢).

وروي عن سلمان الفارسي[1] قال: "أول ما خلق الله من آدم رأسه فجعل ينظر إلى جسده كيف يخلق قال فبقيت رجلاه فقال يا رب عجل فذلك قوله وكان الإنسان عجولا"[2].

عجولا"[2].

القول الثالث: إن المراد من الإنسان في الآية هو النضر بن الحارث[3]، بحيث قال: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الأنفال:٣٢] قاله مقاتل[4].

والراجح هو: القول الأول، وذلك لأنه قول كثير من أهل العلم من المفسرين، ولكونه موافقا لعموم الآية.

وأما القولان الآخران فلا شك أنهما داخلان ضمن القول الأول، خصوصا أنه لم يقل به أحد من أهل العلم السابقين، سوى مقاتل بقوله الذي تفرد به.

قال أبو السعود: "والمرادُ بالإنسان الجنسُ، أسند إليه حالُ بعضِ أفراده، أو حُكي عنه حالُه في بعض أحيانه"[5].

(١) سلمان ابن الإسلام الفارسي، أبو عبد الله، أسلم مقدم النبي المدينة، وشهد الخندق، توفي في خلافة عثمان، سنة (٣٦هـ)، عن ثلاثمائة وخمسين سنة. ينظر: أسد الغابة (٢/ ٤١٧)، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال (١/ ٤٠١)، وتهذيب التهذيب (١/ ٣١٥).

(٢) ينظر: تفسير السمعاني (٣/ ٢٢٣)، زاد المسير في علم التفسير، (١٣/٥).

(٣) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف من بني عبد الدار من قريش، من شجعان قريش ووجهائها وشياطينها، وصاحب لواء المشركين في غزوة بدر، أسر في بدر ثم قتل. ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥/ ٢٦٩٦)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٢٦)، الإصابة (٦/ ٤٨٧).

(٤) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، (١٤/٥).

(٥) تفسير أبي السعود (٥/ ١٥٨).

المسألة الرابعة: غواية الشيطان لا يكون إلا بإذن الله.

في قولـــه تعـــالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [سورة الإسراء: ٦٥].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: ﴿ إِنَّ عِبَادِى ﴾ يعني المخلصين، وتعظيم الإضافة والتقييد في قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [سورة الحجر: ٤٠]. يخصصهم ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ أي على إغوائهم قدرة. ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ يتوكلون عليه في الاستعاذة منك على الحقيقة"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "في الكشاف(٢): أنه سبحانه نبه بقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ إلخ على أن الذنوب هي الأسباب المهلكة لا غير، وبيانه كما في الكشف: أنه جل شأنه لما عقب إهلاكهم بعلمه بالذنوب علما أتم، دل على أنه تعالى جازاهم بها وإلا لم ينتظم الكلام، وأما الحصر فلأن غيرها لو كان له مدخل كان الظاهر ذكره في معرض الوعيد، ثم لا يكون السبب تاما ويكون الكلام ناقصا عن أداء المقصود فلزم الحصر وهو المطلوب، ولا أرى كلامه خاليا عن دسيسة اعتزال تظهر بالتأمل ولعله لذلك لم يتعرض له العلامة البيضاوي"(٣).

الدراسة:

وجه تعقب العلامة الألوسي على البيضاوي: أن البيضاوي رحمه الله تعالى لم يتعقب الزمخشري في تفسير هذه الآية، والتي فسرها وفق معتقده الفاسد.

---

(١) تفسير البيضاوي (٣/ ٢٦١).

(٢) تفسير الزمخشري (٢/ ٦٧٨).

(٣) تفسير الألوسي (٨/ ٤٤).

وقد ذكر العلامة الألوسي رحمه الله أن الزمخشري بنى كلامه في تفسير هذه الآية على معتقده الاعتزالي، وهو أن المعتزلة يرون أن العبد له القدرة الكاملة، والاختيار التام في جميع تصرفاته وأعماله، وأنه هو المتحكم لها، والتصرف فيها بدون قدرة الله تعالى[1].

وأما أهل السنة والجماعة والأشاعرة: فيقولون إن الله هو خالق كل شيء، وخالق العباد وأفعالهم، وأنه هو الذي يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله[2].

ولا شك أن الراجح هو: قول أهل السنة والجماعة، وهو الذي تدل عليه نصوص الكتاب والسنة.

(١) ينظر: التبصير في الدين (ص: ١٠٧)، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١/ ١٦٥)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٢٩٧).

(٢) ينظر: أصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ١٩٧)، الاعتقاد لابن أبي يعلى (ص: ٣١)، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/ ٤٥٨)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٢٢٥)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٦٣).

١٨- سورة الكهف

المسألة الأولى: هل كلمة (وراء) من الأضداد، وهل لإطلاقها على (قدام) أصل في اللغة أم لا ؟

في قوله تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [سورة الكهف: ٧٩]

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة البقرة:٩١]: "و(وراء) في الأصل جعل ظرفا، ويضاف إلى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه، وإلى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه، ولذلك عد من الأضداد"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وقال البيضاوي ما حاصله: إنه في الأصل مصدر (ورى، يرئي) ك(قضى، يقضي) وإذا أضيف إلى الفاعل يراد به المفعول أعني المستور وهو ما كان خلفا، وإذا أضيف إلى المفعول يراد به الفاعل أعني الساتر وهو ما كان قداما.

ورد عليه بقوله تعالى: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾ [سورة الحديد:١٣] فإن وراء أضيفت فيه إلى المفعول والمراد بها الخلف"(٢).

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٩٤).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٨/ ٣٣٢).

الدراسة:

قد اختلف أهل العربية في استعمال كلمة (وراء) بمعنى أمام على ثلاثة أقوال:

القول الأول: إنه يجوز استعمالها بكل حال وفي كل مكان وهو من الأضداد.

واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾[سورة الجاثية: ١٠] أي من أمامهم وقدامهم جهنم.

وكذلك بقول الشاعر[(١)]:

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا[(٢)]

يعني: أمامي.

القول الثاني: أن (وراء) يجوز فيها أن تستعمل في موضع أمام في المواقيت والأزمان؛ لأن الإنسان قد يجوزها فتصير وراءه، ولا يجوز في غيرها[(٣)].

القول الثالث: إنه يجوز في الأجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر، ولا يجوز في غيره، وهذا القول قاله المفسرين[(٤)].

ومن هذا المنطلق اختلفوا في تفسير آية ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾، وما المراد من ﴿وَرَآءَهُم﴾ على قولين:

القول الأول: أن المراد منه وكان أمامهم ملك يأخذ، هكذا قاله الفراء وتفسيره قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [سورة الجاثية:١٠] أي أمامهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [سورة الإنسان:٢٧] وتحقيقه أن كل ما غاب عنك فقد توارى عنك وأنت متوار عنه، فكل ما غاب عنك فهو وراءك، وأمام الشيء وقدامه إذا كان غائبا عنه متواريا عنه

---

(١) هو: سوّار بن المضرّب، قاله لما هرب من الحجاج الثقفي في قصيدة مطلعها:

أقاتلي الحجّاج إن لم أزر له دراب وأترك عند هند فؤاديا

(٢) تفسير الماوردي (٣/٣٣٣).

(٣) تفسير الماوردي (٣/٣٣٣).

(٤) تفسير الماوردي (٣/٣٣٣).

فلم يبعد إطلاق لفظ وراء عليه[1].

القول الثاني: يحتمل أن يكون الملك كان من وراء الموضع الذي يركب منه صاحبه وكان مرجع السفينة عليه[2].

والراجح هو: أن قول القاضي البيضاوي بأن كلمة (وراء): "مصدر إذا أضيف إلى الفاعل يراد به المفعول أعني المستور وهو ما كان خلفا، وإذا أضيف إلى المفعول يراد به الفاعل أعني الساتر وهو ما كان قداما". لم أقف على مستند لهذا التعليل، وما رد به الألوسي على البيضاوي حجة قوية وهو قوله تعالى: ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾ [سورة الحديد:١٣] فإن وراء أضيفت فيه إلى المفعول والمراد بها الخلف. والله تعالى أعلم.

(١) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، (٢١/٤٩١).

(٢) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، (٢١/٤٩١).

المسألة الثانية: القول بأن السدين في قصة ذي القرنين هما جبلا أرمينية وأذربيجان.

في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا﴾ [سورة الكهف: ٩٣].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ﴾ بين الجبلين المبني بينهما سدّه، وهما جبلا أرمينية وأذربيجان. وقيل: جبلان منيفان في أواخر الشمال في منقطع أرض الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: وقيل: هما جبلا أرمينية وأذربيجان، ونسب ذلك إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وإليه يميل صنيع البيضاوي. وتعقب بأنه توهم، ولعل النسبة إلى الحبر غير صحيحة"(٢).

الدراسة:

وجه تعقب العلامة الألوسي على القاضي البيضاوي أنه نسب قولا إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وهو غير صحيح النسبة إليه.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٩٢).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٨/ ٣٥٩)

والراجح هو: أن نسبته إلى ابن عباس رضي الله عنهما صحيحة، فقد أخرجه الطبري في تفسيره بسند صحيح عنه[١].

وقد اختلف العلماء في تحديد موضع الجبلين الذين فسروا بهما (السدين) وأنهما جبلان سدا مسالك تلك الناحية من الأرض، وبين طرفي الجبلين فتح، هو موضع الردم، على أقوال:

القول الأول: هما جبلا أرمينية وأذربيجان. وقد روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما[٢]. واختاره البيضاوي[٣].

القول الثاني: أنهما جبلان، من غير تحديد موضعه وجهته، وذهب إليه قتادة[٤]، والضحاك[٥]، ومقاتل[٦].

القول الثالث: إنهما في منقطع الترك مما يلي المشرق، ذكره المهدوي[٧][٨].

وقال الخازن: "هما هنا جبلان في ناحية الشمال في منقطع أرض الترك حكي أن الواثق بعث بعض من يثق به من أتباعه إليه ليعاينوه، فخرجوا من باب من الأبواب حتى وصلوا إليه وشاهدوه فوصفوا أنه بناء من لبن حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل"[٩].

القول الرابع: أنه إلى ناحية الشمال، وأما تعيين موضع فيضعف. قاله ابن عطية[١٠].

---

(١) أخرجه الطبري في (١٥/ ٣٨٦)، من طريق ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس به. وسنده صحيح.

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٥/ ٣٨٦)، المحرر الوجيز (٣/٥٤١).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٩٢).

(٤) ينظر: تفسير عبد الرزاق (٢/ ٣٤٦)، تفسير الطبري (١٥/ ٣٨٧).

(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٣٨٧).

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٠١).

(٧) أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي الأندلسي، أبو العباس، من شيوخه: أبو الحسن القابسي، ومن تلامذته: أبو محمد غانم المالقي، ومن تصانيفه: التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، وكان مقدمًا في القراءات والعربية، وتوفي في حدود سنة (٤٣٠هـ). ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ٣٩٩)، إنباه الرواة (١/ ٩١)، طبقات القراء، لابن الجزري (١/ ٩٢)، طبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٠).

(٨) ينظر: تفسير الماوردي (٣/٣٤١).

(٩) تفسير الخازن (٣/ ١٧٧).

(١٠) ينظر: تفسير ابن عطية (٣/ ٥٤١).

والراجح هو: أن للإمام القاضي البيضاوي سلفا فيما ذهب إليه، وهو مرويّ عن حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما كما عند الإمام الطبري، والحق ماقاله الإمام البيضاوي.

٢١- سورة الأنبياء

المسألة الأولى: هل يقدر الله على اتخاذ اللهو أم لا؟

في قوله تعالى: ﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: ١٧].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا ﴾ ما يتلهى به ويلعب. ﴿لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾ من جهة قدرتنا، أو من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الأجسام المرفوعة والأجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها، وقيل: اللهو الولد بلغة اليمن، وقيل: الزوجة، والمراد به الرد على النصارى"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وقال الزمخشري(٢): ﴿مِن لَّدُنَّآ ﴾ أي من جهة قدرتنا. وجعل حاصل المعنى أنا لو أردنا ذلك لاتخذنا فإنا قادرون على كل شيء إلا أنا لم نرده لأن الحكمة صارفة عنه، وذكر صاحب الكشف أن تفسيره ذلك بالقدرة غير بين، وقد فسره به أيضا البيضاوي وغيره. وظاهره أن اتخاذ اللهو داخل تحت القدرة، وقد قيل: إنه ممتنع عليه تعالى امتناعا ذاتيا، والممتنع لا يصلح متعلقا للقدرة، وأجيب: بأن صدق الشرطية لا يقتضي صدق الطرفين فهو تعليق على امتناع الإرادة، أو يقال الحكمة غير منافية لاتخاذ ما من شأنه أن يتلهى به، وإنما تنافى أن يفعل فعلا يكون هو سبحانه بنفسه لاهيا به، فلا امتناع في الاتخاذ بل في وصفه. انتهى.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٤٨-٤٧).

(٢) تفسير الزمخشري (٣/ ١٠٧).

والحق عندي أن العبث لكونه نقصا مستحيل في حقه تعالى، فتركه واجب عنه سبحانه وتعالى، ونحن وإن لم نقل بالوجوب عليه تعالى لكنا قائلون بالوجوب عنه عز وجل، ومن أنكر أن كون العبث نقصا كالكذب فقد كابر عقله، وأبلغ من هذا أنه يفهم من كلام بعض المحققين القول بوجوب رعاية مطلق الحكمة عليه سبحانه لئلا يلزم أحد المحالات المشهورة، وأن المراد من نفي الأصحاب الوجوب عليه تعالى نفي الوجوب في الخصوصيات على ما يقوله المعتزلة، ولعله حينئذ يراد بالوجوب لزوم صدور الفعل عنه تعالى بحيث لا يتمكن من تركه بناء على استلزامه محالا بعد صدور موجبه اختيارا لا مطلقا ولا بشرط تمام الاستعداد لئلا يلزم رفض قاعدة الاختيار كما لا يلزم رفضها في اختيار الإمام الرازي ما اختاره كثير من الأشاعرة من لزوم العلم للنظر عقلا، ومع هذا ينبغي التحاشي عن إطلاق الوجوب عليه تعالى فتدبره فإنه مهم"[(١)].

الدراسة:

موضع الاعتراض في المسألة هو في وجوب رعاية الأصلح على الله عز وجل، وامتناع القبيح منه، وهي من المسائل العقدية الكبيرة، والتي وقع فيها الخلاف بين الطوائف المختلفة.

القول الأول: أن الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وهو قول أهل السنة والجماعة.

قال الطحاوي[(٢)]: "يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً" [(٣)].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/ ١٩)

(٢) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك أبو جعفر الأزدي الحجري الطحاوي المصري، ولد سنة (٢٢٩هـ)، ومن تصانيفه: كتاب شرح الآثار، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، وكان شافعي المذهب يقرأ على المزني، فقال له يوماً: والله لا جاء منك شيء، فغضب أبو جعفر من ذلك، وانتقل إلى أبي جعفر ابن أبي عمران الحنفي، واشتغل عليه، وتوفي سنة (٣١١هـ). ينظر: التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد (ص: ١٧٤)، وفيات الأعيان (١/ ٧١)، تاريخ الإسلام (٧/ ٤٣٩)، تذكرة الحفاظ (٣/ ٢١).

(٣) الطحاوية (ص: ٨٦).

وقال ابن القيم: "وقد اتفقت كل رسل الله من أولهم إلى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم على أنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والضلال بيده لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال أو المهتدي، فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه..."[1].

ووافقهم الأشاعرة في هذا القول[2].

القول الثاني: أنه يجب على الله تعالى فعل الأصلح للعبد، وأن الله لا يضل الكافرين، لأن الكفر قبح والله لا يفعل القبيح، ولذلك يجب عليه فعل الأصلح لعباده، وهو قول المعتزلة[3].

وقد وقع الخلاف بين المعتزلة في مسائل تتعلق بهذا الأصل، ومن ذلك ما ذكره السفاريني في قوله: "معتزلة البصرة قالوا بوجوب الأصلح في الدين، وقالوا: تركه بخل وسفه يجب تنزيه الباري عنه، ومنهم الجبائي، وذهب معتزلة بغداد إلى وجوب الأصلح في الدين والدنيا معا، لكن بمعنى الأوفق في الحكمة والتدبير"[4].

وهذا القول مشتمل على نقائص شنيعة ينزه عنها الباري جل وعلا، قال الكلاباذي[5]: "والقول بالأصلح يوجب نهاية القدرة وتنفيذ ما في الخزائن وتعجيز الله تعالى عن ذلك لأنه إذا فعل بهم غاية الصلاح فليس وراء الغاية شيء فلو أراد أن يزيدهم على ذلك الصلاح صلاحا آخر لم يقدر عليه ولم يجد بعد الذي أعطاهم ما يعطيهم مما يصلح لهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا"[6].

---

(١) ينظر شفاء العليل (ص ١٤٢)

(٢) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص: ٨٩)، قواعد العقائد (ص: ١٤٦)،

(٣) ينظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (١٣٢-١٣٤)، مقالات الإسلاميين (١/٣٢٥)، رسالة إلى أهل الثغر (ص: ١٣٦)، الملل والنحل (١/٥٠).

(٤) لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٢٩).

(٥) أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن بن علي أبو نصر المعروف بالكلاباذي، وله مصنف مشهور في أسماء رجال صحيح البخاري وتراجمهم، كان ثقة حافظا، وتوفي في سنة (٣٩٨هـ). ينظر: تاريخ بغداد (٦/ ١٢١)، تاريخ الإسلام (٨/ ٧٨٥)، تذكرة الحفاظ (٣/ ١٥٤) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٩٤).

(٦) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ٥٠).

والقول في هذه المسألة راجع إلى الكلام في مسألة التحسين والتقبيح.

وأول من اشتهر عنه بحث هذا الموضوع الجهم بن صفوان، ووافقه المعتزلة والكرامية[1].

وقد وقع الخلاف فيها على ثلاثة أقوال:

١- أن الحاكم بالحسن والقبح هو العقل، والفعل حسن أو قبيح إما لذاته، وإما لصفة من صفاته لازمة له وإما لوجوه واعتبارات أخرى، وهذا هو مذهب المعتزلة والكرامية ومن قال بقولهم من الرافضة والزيدية وغيرهم[2].

٢- أنه لا يجب على الله شيء من قبل العقل، فالعقل لا يدل على حسن شيء، ولا على قبحه، وإنما يتلقى التحسين والتقبيح من موجب السمع. وهذا قول الأشاعرة ومن وافقهم[3].

٣- التفصيل، لأن إطلاق التحسين والتقبيح على كل فعل من جهة العقل وحده دون الشرع، أو نفي أي دور للعقل في تحسين الأفعال أو تقبيحها، غير صحيح، ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية مذهب أهل الحق في هذا توضيحًا كاملًا، فيقسم الأفعال إلى ثلاثة أنواع:

"أحدها: أن يكون الفعل مشتملا على مصلحة أو مفسدة، ولو لم يرد الشرع بذلك، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم، والظلم يشتمل على فسادهم، فهذا النوع هو حسن أو قبيح، وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك، لا أنه ثبت للفعل صفة لم تكن، لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقبا في الآخرة إذا لم يرد شرع بذلك، وهذا ما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتقبيح، فإنهم قالوا: إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة، ولو لم يبعث الله إليهم رسولا، وهذا خلاف النص، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء:١٥].

---

(١) ينظر: الملل والنحل (٨٨/١)، نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٣٤٦/١)، التجسيم عند المسلمين لسهير مختار (ص: ٣٦٣).

(٢) ينظر: المغني لعبد الجبار (٢٦/٦-٣٤، ٥٩-٦٠)، والمعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري (٣٦٣/١)، والبحر الزخار لابن المرتضى (٥٩/١)، والعقل عند المعتزلة (ص: ٩٨-١٠٠)، والمعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية (ص: ١٣٧).

(٣) ينظر: الإرشاد (ص: ٢٥٨)، والمحصل للرازي (ص: ٢٠٢)، وشرح المواقف (١٨١/٨-١٨٢).

النوع الثاني: أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسنا، وإذا نهى عن شيء صار قبيحًا، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع.

النوع الثالث: أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد، هل يطيعه أم يعصيه، ولا يكون المراد فعل المأمور به، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [سورة الصافات:١٠٣] حصل المقصود، ففداه بالذبح وكذلك حديث أبرص وأقرع وأعمى، فلما أجاب الأعمى قال الملك: أمسك عليك مالك، فإنما ابتليتم، فرضى عنك وسخط على صاحبيك"[(١)]. فالحكمة منشؤها من نفس الأمر لا من نفس الأمور به.

وهذا النوع والذي قبله لم يفهمه المعتزلة، وزعمت أن الحسن والقبح لا يكون إلا لما هو متصف بذلك بدون أمر الشارع.

والأشعرية ادعوا أن جميع الشريعة من قسم الامتحان، وأن الأفعال ليست صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع.

وأما الحكماء والجمهور فأثبتوا الأقسام الثلاثة، وهو الصواب"[(٢)].

وشيخ الإسلام يزيد الأمر تحقيقًا فيبين أن الفعل إذا كان ملائما للفاعل نافعا له أو كان ضارا له منافرا فهذا قد اتفق الجميع على أنه قد يعلم بالعقل[(٣)].

والراجح هو: ما فصله شيخ الإسلام ابن تيمية وهو الموافق لمذهب السلف، وهو الذي دلت عليه النصوص.

---

(١) متفق عليه: البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع، رقم (٣٤٦٤)، ومسلم كتاب الزهد، رقم (٢٩٦٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٤٣٤-٤٣٦).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٨/٩٠، ٣٠٩-٣٠١)، ومنهاج السنة النبوية (١/٣٦٤).

٢٢- سورة الحج

المسألة الأولى: ما الغرض من صيغة المبالغة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾؟

في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة الحج: ١٠].

القول المعقَّب عليه:

قال البيضاوي: "﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ المبالغة لكثرة العبيد"(١).

التعقّب:

قال الألوسي: "وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بإبراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم، وقيل: هي لرعاية جمعية العبيد فتكون للمبالغة كمّا لا كيفا. واعترض بأن نفي المبالغة كيفما كانت توهم المحال، وقيل: ويجوز أن تعتبر المبالغة بعد النفي فيكون ذلك مبالغة في النفي لا نفيا للمبالغة، واعترض بأن ذلك ليس مثل القيد المنفصل الذي يجوز اعتبار تأخره وتقدمه كما قالوه في القيود الواقعة مع النفي، وجعله قيدا في التقدير لأنه بمعنى ليس بذي ظلم عظيم أو كثير تكلف لا نظير له، وقيل: إن ظلاما للنسبية أي ليس بذي ظلم ولا يختص ذلك بصيغة فاعل وقيل غير ذلك"(٢).

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن صيغة المبالغة في قوله تعالى ﴿بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ لكثرة العبيد.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٦٦)

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/ ١١٨-١١٩).

بينما يرى العلامة الألوسي أنها للتأكيد.

وقد اختلف المفسرون في توجيه صيغة المبالغة في قوله تعالى: ﴿بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾:

القول الأول: أن صيغة المبالغة جاءت لاقترانها بلفظ الكثرة في (العبيد)، وهو قول البيضاوي، وتبعه على هذا الرأي: النسفي[١]، وأبي حيان الأندلسي[٢].

القول الثاني: أن صيغة المبالغة لا يراد بها دائما الكثرة، وإنما النفي المطلق، وهذا القول ذكره أبو حيان[٣]، والسمين الحلبي[٤].

القول الثالث: أن نفي الظلم الكثير يتضمن نفي الظلم القليل، وعلل ذلك: بأن الذي يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم، فإذا ترك الظلم الكثير مع زيادة نفعه في حق من يجوز عليه النفع والضر كان للظلم القليل المنفعة أترك، وهذا القول ذكره أبو حيان[٥]، والسمين الحلبي[٦].

القول الرابع: أن هذه الصيغة جاءت على النسبة، مثل: بزار وعطار، ومعناه: ليس بذي ظلم البتة، وهذا القول ذكره السمين الحلبي[٧].

القول الخامس: أن العذاب الذي توعد بأن يفعله بهم لو كان ظلما لكان عظيما، فنفاه على حد عظمه لو كان ثابتا، وهذا القول ذكره الرازي[٨].

القول السادس: أنها للتأكيد وهو قول الإمام الألوسي – رحمه الله –[٩].

والراجح هو: أن ما ذهب إليه البيضاوي في صيغة المبالغة صحيح، وهو أحد أوجه تفسير الآية، وقد أجاب الألوسي عن الاعتراضات عليه، وذكر أوجه التفسير الأخرى، فيكون ذلك من اختلاف التنوع لا التضاد، والله تعالى أعلم.

---

(١) تفسير النسفي (٢/ ٤٣٠).
(٢) البحر المحيط في التفسير (٣/ ٤٥٦).
(٣) البحر المحيط في التفسير (٣/ ٤٥٧).
(٤) الدر المصون (٣/ ٥١٥).
(٥) البحر المحيط في التفسير (٣/ ٤٥٧).
(٦) الدر المصون (٣/ ٥١٥).
(٧) الدر المصون (٣/ ٥١٥).
(٨) تفسير الرازي (٩/ ٤٤٨).
(٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/ ١١٨-١١٩).

المسألة الثانية: هل ﴿أَوۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ للتخيير أو للتنويع أو للتقسيم؟

في قوله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [سورة الحج: ٣١].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ بعيد فإن الشيطان قد طوح به في الضلالة، و﴿أَوۡ﴾ للتخيير كما في قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، أو للتنويع فإن المشركين من لا خلاص له أصلًا، ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد، ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى: ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكًا يشبه أحد الهلاكين"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "﴿أَوۡ﴾ للتقسيم على معنى أن مهلكه إما هوى يتفرق به في شعب الخسار، أو شيطان يطوح به في مهمه البوار، وفي تفسير القاضي أنها للتخيير على معنى أنت مخير بين أن تشبه المشرك بمن خرّ من السماء فتخطفه الطير، وبين من خرّ من السماء فتهوي به الريح من مكان سحيق، أو للتنويع على معنى أن المشبه به نوعان، والمشبه بالنوع الأول الذي توزع لحمه في بطون جوارح الطير المشرك الذي لا خلاص له من الشرك ولا نجاة أصلا، والمشبه بالنوع الثاني الذي رمته الريح في المهاوي المشرك الذي يرجى خلاصه على بعد، ولا

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٧١).

يخفى أن ما ذكرناه أوفق بالظاهر"[1].

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن ﴿أَوۡ﴾ إما للتخيير، أو للتنويع.

بينما يرى العلامة الألوسي أنها للتقسيم.

وقد اختلف المفسرون في معنى ﴿أَوۡ﴾ هنا إلى ثلاثة أقوال، وهي:

١- أنها للتخيير، ذكره القاضي البيضاوي. وقال ابن عاشور: "قوله: ﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ تخيير في نتيجة التشبيه، كقوله: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة البقرة:١٩]. أشارت الآية إلى أن الكافرين قسمان: قسم شركه ذبذبة وشك، فهذا مشبه بمن اختطفته الطير فلا يستولي طائر على مزعة منه إلا انتهبها منه آخر، فكذلك المذبذب متى لاح له خيال اتبعه وترك ما كان عليه. وقسم مصمم على الكفر مستقر فيه، فهو مشبه بمن ألقته الريح في واد سحيق، وهو إيماء إلى أن من المشركين من شركه لا يرجى منه خلاص كالذي تخطفته الطير، ومنهم من شركه قد يخلص منه بالتوبة إلا أن توبته أمر بعيد عسير الحصول"[2].

٢- أنها للتنويع، ذكره القاضي البيضاوي أيضًا. وقال الإيجي[3]: "﴿أَوۡ﴾ للتخيير أو للتنويع فإن من المشركين من لا خلاص له أصلًا، ومنهم من يمكن خلاصه بالإيمان لكن على بعد"[4].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/ ١٤٣).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/٢٥٥)

(٣) محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله السيد معين الدين الإيجي الشافعي، ولد سنة (٨٣٢هـ)، ومن تصانيفه: جامع البيان في تفسير القرآن، ولازم والده في الفقه والعربية والصرف والأصلين وغيرها، ثم قطن مكة أكثر من عشر سنين متوالية على طريقة جميلة إقراء وتصنيفا وتقللا من الخوض فيما لا يفيد، وتوفي بعد سنة (٩٠٠هـ). ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٨/ ٣٧)، ديوان الإسلام (١/ ١٦١)، الأعلام للزركلي (٦/ ١٩٥).

(٤) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (٣/ ٥٥)

٣- أنها للتقسيم، واختاره العلامة الألوسي، وقال: "﴿أَوۡ﴾ للتقسيم على معنى أن مهلكه إما هوى يتفرق به في شعب الخسار، أو شيطان يطوح به في مهمه البوار. ثم قال: ما ذكرناه أوفق بالظاهر"(١).

والراجح هو: أن ﴿أَوۡ﴾ في الآية تصلح أن تكون للتخيير أو للتنويع أو للتقسيم، وهذا من اختلاف التنوع وليس من اختلاف التضاد، فليس هناك تعارض بين ما اختاره البيضاوي وما رجحه الألوسي معترضا به على البيضاوي. والله تعالى أعلم.

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٤٣/٩)

المسألة الثالثة: تقدير المحذوف في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾

من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [سورة الحج: ٣٢].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ فإن تعظيمها منه من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات، والعائد إلى ﴿مَن﴾، وذكر القلوب لأنها منشأ التقوى والفجور أو الآمرة بهما"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "و﴿مَن﴾ إما شرطية أو موصولة، وعلى التقديرين لا بد في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ من ضمير يعود إليها أو ما يقوم مقامه، فقيل: إن التقدير: فإن تعظيمها إلخ، والتعظيم مصدر مضاف إلى مفعوله ولا بد له من فاعل وهو ليس إلا ضميرا يعود إلى ﴿مَن﴾ فكأنه قيل فإن تعظيمه إياها، و﴿مَن﴾ تحتمل أن تكون للتعليل، أي: فإن تعظيمها لأجل تقوى القلوب، وأن تكون لابتداء الغاية، أي: فإن تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب، وتقدير هذا المضاف واجب على ما قيل من حيث إن الشعائر نفسها لا يصح الإخبار عنها بأنها من التقوى بأي معنى كانت ﴿مَن﴾، وتقدير (منه) كما فعل البيضاوي ليس بالوجه"(٢).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٧١).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/ ١٤٤).

الدراسة:

اختلف في تقدير المحذوف في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ فقال البيضاوي: "فإن تعظيمها منه من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات، والعائد إلى ﴿مَن﴾"(١).

والبيضاوي في ذلك متابع للزمخشري، كما قال الشهاب الخفاجي: "قوله: (فحذفت هذه المضافات) وهي تعظيم وأفعال وذوي جمع ذي بمعنى صاحب تبع فيه الزمخشري إذ قال لا يستقيم المعنى بدون هذا إلا أنه لم يقدر منه مع قوله لا بد من عائد من الجزاء لمن"(٢).

والزمخشري قال في كشافه: "﴿ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ أي فإن تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات، ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها، لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى ﴿مَن﴾ ليرتبط به، وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت، ظهر أثرها في سائر الأعضاء"(٣).

وقد اعترض أبو حيان على الزمخشري في ذكر الرابط الذي قال إنه لا بد من عائد إلى الجزاء لـ﴿مَن﴾، فقال: "قال الزمخشري: فإن تعظيمها ﴿مِن﴾ أفعال ذوي ﴿تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ فحذفت هذه المضافات، ولا يستقيم المعنى إلاّ بتقديرها لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى ﴿مَن﴾ ليتربط به، وإنما ذكرت ﴿ٱلْقُلُوبِ﴾ لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء انتهى. وما قدره عار من راجع إلى الجزاء إلى ﴿مَن﴾ ألا ترى أن قوله فإن تعظيمها من أفعال القلوب ليس في شيء منه ضمير يعود إلى ﴿مَن﴾ يربط جملة الجزاء بجملة الشرط الذي أداته ﴿مَن﴾ وإصلاح ما قاله أن يكون التقدير فأي تعظيمها منه،

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٧١).
(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٦/ ٢٩٥).
(٣) (٣/ ١٥٦-١٥٧).

فيكون الضمير في منه عائدًا على من فيرتبط الجزاء بالشرط"[1].

وقال ابن عاشور: "ضمير ﴿فَإِنَّهَا﴾ عائد إلى شعائر الله المعظمة فيكون المعنى: فإن تعظيمها من تقوى القلوب. وقوله: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ جواب الشرط والرابط بين الشرط وجوابه هو العموم في قوله ﴿ٱلْقُلُوبِ﴾ فإن من جملة القلوب قلوب الذين يعظمون شعائر الله. فالتقدير: فقد حلت التقوى قلبه بتعظيم الشعائر لأنها من تقوى القلوب. أي لأن تعظيمها من تقوى القلوب"[2].

فظهر من ذلك أن العلامة ابن عاشور موافق للعلامة الألوسي.

والراجح هو: أن هذه من المسائل اللغوية التي لا تأثير لها على فهم الآية، والبيضاوي مسبوق في اختياره الذي اختاره من أئمة في اللغة وفي التفسير.

(١) تفسير البحر المحيط (٦/٢٦٧-٢٦٨).

(٢) تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ٧٠).

المسألة الرابعة: هل إثبات قصة الغرانيق يخل بالوثوق بالقرآن أم لا؟

في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [سورة الحج: ٥٢].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: " ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون إليه والإرشاد إلى ما يزيحه. ﴿ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ ثم يثبت آياته الداعية إلى الاستغراق في أمر الآخرة. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال الناس. ﴿حَكِيمٞ﴾ فيما يفعله بهم. قيل: حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت. وقيل: تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم إليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ فأخذ يقرؤها فلما بلغ ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ وسوس إليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوًا إلى أن قال: (تلك الغرانيق العلى * وإن شفاعتهن لترتجى)، ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها، بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك إلا سجد، ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم لذلك فعزاه الله بهذه الآية. وهو مردود عند المحققين، وإن صحّ فابتلاء يتميز به الثابت على الإيمان عن المتزلزل فيه، وقيل: (تمنى) قرأ كقوله:

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ ... تَمَنِّي دَاوُدَ الزَّبُورَ عَلَى رِسْلِ

وأمنيته قراءته، وإلقاء الشيطان فيها أن تكلم بذلك رافعًا صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلّم. وقد رُد أيضًا بأنه يخل بالوثوق على القرآن، ولا يندفع بقوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ لأنه أيضًا يحتمله"[1].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: فقول البيضاوي: (إن ذلك لا يندفع بقوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ﴾ إلخ لأنه أيضا يحتمله)، ليس بشيء، وبيانه أنه إن أراد أنه يحتمله عند الفرق الأربع المذكورة في الآيات وهم الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم والذين أوتوا العلم والذين آمنوا فهو ممنوع؛ لدلالة قوله تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ﴾ إلخ على انتفاء الاحتمال عند فريقين من الفرق الأربع بعد النسخ والإحكام، وإن أراد أنه يحتمله في الجملة أي عند بعض دون بعض فهو مسلم وغير مضر لعدم إخلاله بالوثوق بالقرآن عند الذين أوتوا العلم والذين آمنوا، وأما إخلاله بالنسبة إلى الفريقين الآخرين فهو مراد الله عز وجل"[2].

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن الآية يمكن حملها على الفرق الأربعة وهم: الذين في قلوبهم مرض، والقاسية قلوبهم، والذين أوتوا العلم، والذين آمنوا.

بينما يرى العلامة الألوسي أن ذلك ممنوع، وإنما تحمل فقط على المشركين والمنافقين.

وقد اتفق المفسرون على أن الفتنة المقصودة في هذه الآية أنها واقعة على المشركين والمنافقين. وممن ذكر ذلك: قتادة بن دعامة[3]، ويحيى بن سلام[4]، وابن جريج[5]، ومحمد بن

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٧٥).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/ ١٧١).

(٣) ينظر: تفسير يحيى بن سلام (١/ ٣٨٤)، تفسير عبد الرزاق (٢/ ٤١٠)، تفسير الطبري (١٦/ ٦١٢).

(٤) تفسير يحيى بن سلام (١/ ٣٨٤).

(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٦١٢).

جرير الطبري[١]، والماتريدي[٢]، ومكي بن أبي طالب[٣]، والقشيري[٤]، والواحدي[٥]، والسمعاني[٦]، والزمخشري[٧]، وابن عطية[٨]، وابن الجوزي[٩]، والقرطبي[١٠]، والنسفي[١١]، وابن وابن كثير[١٢].

وزاد البيضاوي أن الآية تحمل على الفرق الأربعة وهم: (الذين في قلوبهم مرض، والقاسية قلوبهم، والذين أوتوا العلم، والذين آمنوا).

والراجح هو: قول الجمهور من المفسرين، وهو قول الألوسي.

ويمكن أن يحمل كلام البيضاوي على معنى صحيح، وهو ما ذكره العلامة الألوسي بقوله: "إن أراد أنه يحتمله في الجملة أي عند بعض دون بعض فهو مسلم وغير مضر لعدم إخلاله بالوثوق بالقرآن عند الذين أوتوا العلم والذين آمنوا، وأما إخلاله بالنسبة إلى الفريقين الآخرين فهو مراد الله عز وجل"[١٣].

وعلى هذا الاحتمال فلا إشكال على كلام البيضاوي.

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٦١٢).

(٢) تفسير الماتريدي (٧/ ٤٣٣).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (٧/ ٤٩١٨).

(٤) لطائف الإشارات (٢/ ٥٥٤).

(٥) التفسير الوسيط (٣/ ٢٧٧).

(٦) تفسير السمعاني (٣/ ٤٤٩).

(٧) تفسير الزمخشري (٣/ ١٦٦).

(٨) تفسير ابن عطية (٤/ ١٢٩).

(٩) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢٤٦).

(١٠) تفسير القرطبي (١٢/ ٨٦).

(١١) تفسير النسفي (٢/ ٤٤٩).

(١٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٤٦).

(١٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/ ١٧١).

المسألة الخامسة: إعراب قوله تعالى ﴿أَن تَقَعَ﴾.

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحج: ٦٥].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي في تفسير قوله تعالى: "﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ من أن تقع، أو كراهة أن تقع بأن خلقها على صورة متداعية إلى الاستمساك"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ أي عن أن تقع عليها، فالكلام على حذف حرف الجر، وجعل بعضهم ذلك في موضع المفعول لأجله بتقدير كراهة أن تقع عند البصريين، والكوفيون يقدرون لئلا تقع. وقال أبو حيان: الظاهر ﴿أَن تَقَعَ﴾ في موضع نصب بدل اشتمال من السماء، أي ويمنع وقوع السماء على الأرض، وردّ بأن الإمساك بمعنى اللزوم يتعدى بالباء، وبمعنى الكف بعن، وكذا بمعنى الحفظ والبخل، وأما بمعنى المنع فهو غير مشهور"(٢).

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن نصب ﴿أَن تَقَعَ﴾ على أنها مفعول لأجله.

---

(١) تفسير البيضاوي (٤/ ٧٨).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/ ١٨٤).

بينما يرى العلامة الألوسي أنها في محل نصب أو جر لأنها على حذف حرف الجر تقديره: من أن تقع.

وقد اختلف المفسرون في إعراب هذه الجملة:

القول الأول: أنها مفعول لأجله بمعنى: لئلا تقع، وقد ذهب إلى ذلك مقاتل[١]، والطبري[٢]، والسمرقندي[٣]، والثعلبي[٤]، ومكي بن أبي طالب[٥]، والواحدي[٦].

القول الثاني: أنها مفعول لأجله بمعنى: كراهة أن تقع، وقد ذهب إلى ذلك الزجاج[٧]، والزمخشري[٨].

القول الثالث: أنها في موضع نصب بدل اشتمال، وقد ذهب إلى ذلك أبو حيان[٩].

القول الرابع: أنها في محل نصب أو جر لأنها على حذف حرف الجر تقديره: من أن تقع. وهذا ذكره السمين[١٠]، واختاره الألوسي.

والراجح هو: القول الأول، لأنه قول أكثر المفسرين، وبه قال البيضاوي، وإن كان المسألة تعد من اختلاف التنوع الذي لا يؤثر في تفسير الآية.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٣٦).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٦٢٤).

(٣) تفسير السمرقندي (٢/ ٤٦٨).

(٤) تفسير الثعلبي (٧/ ٣٣).

(٥) الهداية الى بلوغ النهاية (٧/ ٤٩٢٨).

(٦) التفسير البسيط (١٥/ ٤٨٨).

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٣٧).

(٨) تفسير الزمخشري (٣/ ١٦٩).

(٩) البحر المحيط في التفسير (٧/ ٥٣٣).

(١٠) الدر المصون (٨/ ٣٠٢).

٢٣- سورة المؤمنون

المسألة الأولى: حقيقة تعاقب الأطوار في خلق الجنين.

في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [سورة المؤمنون: ١٤].

القولُ المعقَّبُ عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ بأن أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء، ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ فصيرناها قطعة لحم، ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا ﴾ بأن صلبناها، ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴾ مما بقي من المضغة أو مما أنبتنا عليها مما يصل إليها، واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات، والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة"[(١)].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ أي دما جامدا وذلك بإفاضة أعراض الدم عليها فتصيرها دما بحسب الوصف، وهذا من باب الحركة في الكيف ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ أي قطعة لحم بقدر ما يمضغ لا استبانة ولا تمايز فيها، وهذا التصيير على ما قيل بحسب الذات كتصيير الماء حجرا وبالعكس، وحقيقته إزالة الصورة الأولى عن المادة وإفاضة صورة أخرى عليها وهو من باب الكون والفساد ولا يخلو ذلك من الحركة في الكيفية الاستعدادية فإن استعداد الماء مثلا للصورة الأولى الفاسدة يأخذ في الانتقاص واستعداده

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٨٣)

للصورة الثانية الكائنة يأخذ في الاشتداد ولا يزال الأول ينقص والثاني يشتد إلى أن تنتهي المادة إلى حيث تزول عنها الصورة الأولى فتحدث فيها الثانية دفعة فتتوارد هذه الاستعدادات التي هي من مقولة الكيف على موضوع واحد ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ﴾ غالبها ومعظمها أو كلها ﴿عِظَٰمًا﴾ صغارا وعظاما حسبما تقتضيه الحكمة وذلك التصيير بالتصليب لما يراد جعله عظاما من المضغة وهذا أيضا تصيير بحسب الوصف فيكون من الباب الأول.

وفي كلام العلامة البيضاوي إشارة ما إلى مجموع ما ذكرنا وهو يستلزم القول بأن النطفة والعلقة متحدان في الحقيقة وإنما الاختلاف بالأعراض كالحمرة والبياض مثلا وكذا المضغة والعظام متحدان في الحقيقة وإنما الاختلاف بنحو الرخاوة والصلابة وأن العلقة والمضغة مختلفان في الحقيقة كما أنهما مختلفان بالأعراض، والظاهر أنه تتعاقب في جميع هذه الأطوار على مادة واحدة صور حسب تعاقب الاستعدادات إلى أن تنتهي إلى الصورة الإنسانية، ونحن نقول به إلى أن يقوم الدليل على خلافه فتدبر"[(١)].

الدراسة:

ذكر العلامة الألوسي أن كلام القاضي يستلزم القول بأن النطفة والعلقة متحدان في الحقيقة وإنما الاختلاف بالأعراض كالحمرة والبياض مثلا وكذا المضغة والعظام متحدان في الحقيقة وإنما الاختلاف بنحو الرخاوة والصلابة وأن العلقة والمضغة مختلفان في الحقيقة كما أنهما مختلفان بالأعراض[(٢)].

والناظر في كلام القاضي البيضاوي يجد أنه يخالف صراحة هذا الذي ذكره الألوسي، ونسبه إلى البيضاوي.

فقد قال البيضاوي: "واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات، والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة"[(٣)].

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/ ٢١٦-٢١٧)

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/ ٢١٦-٢١٧)

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٨٣)

وقوله: "لاختلافها في الهيئة والصلابة" نص واضح لا إشكال فيه، وأنه يخالف ما ذكره الألوسي.

ولعل الألوسي استفاد هذا الموضع من كلام الشهاب الخفاجي، فقد ذكر نحوا من هذا المأخذ على البيضاوي، فقال: "قوله: (واختلاف العواطف الخ) يعني عطف بعضها بـ﴿ثُمَّ﴾ الدالة على التراخي وبعضها بالفاء التعقيبية مع أنّ الوارد في الحديث من أن مدة كل استحالة أربعين يوما يقتضي أن يعطف الجميع بـ﴿ثُمَّ﴾ إن نظر لتمام المدة أو لأولها. أو بالفاء إن نظر لآخرها كما قال النحاة إنّ إفادة الفاء الترتيب بلا مهلة لا ينافي كون الثاني المترتب يحصل بتمامه في زمان طويل إذا كان أوّل أجزائه متعقبا لآخر ما قبله وهذا يصحح عطف بعضها على بعض بـ﴿ثُمَّ﴾ وبعضها بالفاء لكنه لا يتمّ به الجواب كما توهم إذ لا بدّ من المرجح للتخصيص واليه أشار المصنف بقوله لتفاوت الاستحالات يعني أنّ بعضها مستبعد حصوله مما قبله وهو المعطوف بـ﴿ثُمَّ﴾ فجعل الاستبعاد عقلًا أو رتبة بمنزلة التراخي والبعد الحسيّ لأنّ حصول النطفة من أجزاء ترابية غريب جدا. وكذا جعل تلك النطفة البيضاء دمًا أحمر بخلاف جعل الدم لحمًا مشابها له في اللون والصورة وكذا تثبيتها وتصليبها حتى تصير عظمًا لأنه قد يحصل ذلك بالمكث فيما يشاهد وكذا مد لحم المضغة عليه ليستره وهذا ما عناه المصنف فافهم"[1].

والراجح هو: قول البيضاوي، وهو ما يشهد له الواقع وعلم التشريح.

وأما ما فهمه الألوسي وبنى تعقّبه عليه محل نظر وتدبّر، والله تعالى أعلم.

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٦/ ٣٢٢)

٢٦- سورة الشعراء

المسألة الأولى: الحكمة في جمع الشافعين وإفراد الصديق.

في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [سورة الشعراء: ١٠٠- ١٠١].

القولُ المعقَّبُ عليه:

قال القاضي البيضاوي: "وجمع الشافع ووحّد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلّة الصديق، أو لأن الصديق الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء، أو لإطلاق الصديق على الجمع كالعدو؛ لأنه في الأصل مصدر كالحنين والصهيل"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وذكر البيضاوي في توحيد الصديق وجها آخر أيضا، وهو أن الصديق الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء، وحاصله أن الواحد في معنى الجمع بحسب العادة فلذا اكتفي به لما فيه من المطابقة المعنوية، وقال بعض الكلمة: إن إيراد الشافعين بصيغة الجمع لمجرد مصلحة الفاصلة، وأما إيراد الصديق مفردا فلأن المقام مقام المفرد ومصلحة الفاصلة حصلت قبله وهو كما ترى، والذي أميل إليه أن الإفراد على الأصل والجمع وإن أدى مؤداه على سنن ما كانوا يقولونه ويزعمونه في الدنيا من تعدد الشفعاء ولا يضر في ذلك كون المنفي هنا أعم من المثبت هناك من حيث شموله للأصنام والكبراء والملائكة والأنبياء عليهم السلام كما هو المتبادر إلى الفهم"(٢).

الدراسة:

اختلف المفسرون في الشافع والصديق هل هم من بني آدم أو من غيرهم:

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٤٣).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٠/ ١٠٣).

القول الأول: أن الشافعين هم الملائكة، والصديق هو النسيب، وهو قول ابن جريج[١].

القول الثاني: أن الشافع والصديق من بني آدم[٢].

والقائلين بهذا القول وقع بينهم الخلاف في الحكمة من جمع الشافعين وإفراد الصديق على أقوال:

القول الأول: المراد بالصديق، جمع الأصدقاء، وهو واحد يعبر به عن الجميع، وهو قول الماوردي[٣].

القول الثاني: أنه جمع الشافع لكثرة الشفعاء، ووحد الصديق لقلته، وهو قول الزمخشري، فقال: "ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده رحمة له وحسبة إن لم تسبق له بأكثرهم معرفة وأما الصديق الصادق في ودادك الذي يهمه ما يهمك فهو أعز من بيض الأنوق"[٤].

القول الثالث: أن الصديق الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء، ذكره البيضاوي[٥].

القول الرابع: أن إيراد الشافعين بصيغة الجمع لمجرد مصلحة الفاصلة، وأما إيراد الصديق مفردا فلأن المقام مقام المفرد ومصلحة الفاصلة حصلت قبله. ذكره الألوسي عن بعض المتكلمة[٦].

القول الخامس: أن جمع الشافعين وإفراد الصديق إشارة إلى أنه لا فرق بين الاستغراقين، قاله سعد أفندي[٧].

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٦٠٠). وينظر: تفسير الثعلبي (٧/ ١٧٢)، تفسير الماوردي (٤/ ١٧٨)، التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٣٥٧).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٦٠٠).

(٣) تفسير الماوردي (٤/ ١٢٤). وينظر: تفسير الرازي (٢٤/ ٥١٩)، البحر المحيط في التفسير (٨/ ١٧٠).

(٤) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/ ٣٢٣). وينظر: تفسير الرازي (٢٤/ ٥١٩)، البحر المحيط في التفسير (٨/ ١٧٠).

(٥) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٤٣)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٠/١٠٣)

(٦) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٠/ ١٠٣)

(٧) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٠/ ١٠٣)

القول السادس: أن الإفراد على الأصل والجمع على سنن ما كانوا يقولونه ويزعمونه في الدنيا من تعدد الشفعاء، ذكره الألوسي ومال إليه[1].

والراجح هو: أنه لا مانع من أن يراد بالشفعاء الملائكة، وغيرهم من بني آدم، ويؤيد ذلك ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا: ((**وإذا رأوا أنهم قد نجوا، في إخوانهم، يقولون: ربنا إخواننا، كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرم الله صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه، وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا، فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون**))[2].

وأما لفظة (الصديق) فهو وإن كان في صورة المفرد إلا أنه مما يطلق ويراد به الجمع، وسياق الآية في الجمع، فقد جمع الشفعاء، ولا مانع من أن يراد بالصديق جمع الأصدقاء، لا سيما وأن الإنسان في وقت الهول والفزع يستنجد بكل صديق، ويلتمس للخلاص كل طريق، فلا فزع أشد من فزع يوم القيامة، ولا هول أقسى منها.

---

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٠/ ١٠٣)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، (٩/ ١٢٧)، رقم (٧٤٣٩).

٢٨- سورة القصص

المسألة الأولى: الغرض من النفي في قول فرعون ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾.

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة القصص: ٣٨].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ نفي علمه بإله غيره دون وجوده إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه، ولذلك أمر ببناء الصرح ليصعد إليه ويتطلع على الحال بقوله: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ كأنه توهم أنه لو كان لكان جسمًا في السماء يمكن الترقي إليه، ثم قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أو أراد أن يبني له رصدًا يترصد منه أوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدّل دولة، وقيل: المراد بنفي العلم نفي المعلوم، كقوله تعالى: ﴿أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ فإن معناه بما ليس فيهن، وهذا من خواص العلوم الفعلية فإنها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها، ولا كذلك العلوم الانفعالية"(١).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٧٨).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "اعترض القول[1] بأنه أراد بنفي علمه بإله غيره نفي وجوده فقال في التحقيق وذكره غيره أيضا: إنه غير سديد، فإن عدم العلم بالشيء لا يدل على عدمه لا سيما عدم علم شخص واحد. وقال القاضي البيضاوي: هذا في العلوم الفعلية صحيح لأنها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها، ولا كذلك العلوم الانفعالية. ورد بأن غرض قائل ذلك أن عدم الوجود سبب لعدم العلم بالوجود في الجملة ولا شك أنه كذلك فأطلق المسبب وأريد السبب لا أن بينهما ملازمة كلية على أنه لما كان من أقوى أسباب عدم العلم لأنه المطرد جاز أن يطلق ويراد به الوجود إذ لا يشترط في فن البلاغة اللزوم العقلي بل العادي والعرفي كاف أيضا وقد يقول أحد منا: لا أعلم ذلك أي لو كان موجودا لعلمته إذا قامت قرينة وهذا الاستعمال شائع في عرفي العرب والعجم عند العامة والخاصة ومنه قول المزكي: إذا سئل عن عدالة الشهود: لا أعلم. كيف وكان المخذول يدعي الإلهية، ثم الظاهر أن الكلام على تقدير إرادة نفي الوجود كناية لا مجاز، وبالجملة ما ذكر وجه وجيه وتعيين الأوجه مفوض إلى ذهنك والله تعالى الموفق"[2].

الدراسة:

اختلف أهل العلم في الاستدلال بأن عدم الوجود سبب لعدم العلم بالوجود.

فذهب القاضي البيضاوي إلى أن ذلك صحيح في العلوم الفعلية، ولا كذلك في العلوم الانفعالية.

وخالفه الإمام الألوسي حيث ذهب إلى أن ذلك دليل في الجميع في الجملة إذا قامت قرينة على ذلك.

وقد اختلف أهل العلم في مسألة عدم الوجود سبب لعدم العلم بالوجود، ويبحثها أهل

---

(١) أي قول الزمخشري في كشافه (٢/٤١٣).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٠/ ٢٩٠).

الأصول في مسألة: (الاستدلال على انتفاء الحكم بانتفاء دليله).

قال أبو الحسين البصري[1]: "وأما النفي فبأن يفقد الناظر بعد الفحص الشديد دليلا على ذلك الحكم مع أنه لو كان ثابتا لكان عليه دليل وهذه الطريقة لا بد من البينة عليها غير أنه لا يمكن النافي للحكم أو يوقف المناظر له على دليل من أدلة العقل أو الشرع ويعرفه أنه لا دليل فيه على ذلك الحكم"[2].

قال في تشنيف المسامع بجمع الجوامع[3]: "ومن أنواعه الاستدلال على انتفاء الحكم بانتفاء دليله، وتقريره: أن الحكم الشرعي لا بد له من دليل لأنه لو ثبت من غير دليل، فإما أن نكون مكلفين به أولا، والثاني باطل لأنه لا معنى للحكم الشرعي إلا خطاب يتعلق بعقل المكلف والأول باطل أيضاً، لأن التكليف بالشيء من غير الشعور به، ومن غير طريق يفضي إلى الشعور به تكليف ما لا يطاق فثبت أنه لو كان ثابتاً لكان عليه دليل، والدليل إما النص أو الإجماع أو القياس، وهو هنا منتف بالسبر أو بأن يقول شيء من هذه الملازمة غير موجود، إذ الأصل عدمه، والأصل بقاء ما كان على ما كان، وهذا ما اختاره البيضاوي، وجعله من جملة الأدلة وهو بناء على أن النفي حكم شرعي سواء استفدناه من دليل ناف أو انتفاء دليل مثبت وقد يتعين دليلاً في بعض المسائل لإعواز سائر المسالك والاعتراض عليه بأن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود"[4].

وقد وقع الخلاف بين العلماء في معنى قول فرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ هل هو نفي لعلمه هو، أم نفي للوجود.

وأول من أثار الكلام حول ذلك هو الزمخشري، إذ حمل قول فرعون على معنى نفي وجود

---

(١) محمد بن علي بن الطيب أبو الحسين البصري، المعتزلي، الأصولي المتكلم، كانت له حلقة كبيرة في بغداد يقرئ فيها الاعتزال، له كتب كثيرة، منها: المعتمد في أصول الفقه، وتصفح الأدلة، وكتاب في الإمامة وأصول الدين، وتوفي ببغداد سنة (٤٣٦هـ). ينظر: تاريخ بغداد، (٣/ ١٠٠)، وشذرات الذهب، (٣/ ٢٥٩)، وطبقات المعتزلة (١/ ٣٨٧).

(٢) المعتمد (٢/ ٣٢٣). وينظر: تيسير التحرير (١/ ١٠٨).

(٣) (٣/ ٤١٤).

(٤) ينظر: الغيث الهامع شرح جمع الجوامع (ص: ٦٣٨).

إله غيره، فقال: "قصد بنفي علمه بإله غيره: نفي وجوده، معناه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ كما قال الله تعالى ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة يونس:١٨] معناه بما ليس فيهن، وذلك لأنّ العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به إلا على ما هو عليه، فإذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجود، فمن ثمة كان انتفاء العلم بوجوده لا انتفاء وجوده، وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده"(١).

وتعقبه ابن المنير(٢) في ذلك، فقال: "لشدة ما بلغ منه الوهم، لم يتأمل كيف سقوط السهم، وإنما أتى من حيث أن الله تعالى عبر كثيرا عن نفى المعلوم بنفي العلم في مثل قوله: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة يونس:١٨]، ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾[سورة الرعد:٣٣]، فلما اطرد ذلك عنده توهم أن هذا التعبير عن نفى المعلوم بنفي العلم يشمل كل علم، ولو لم يتعلق بالمعلوم على ما هو به، وليس هو كذلك، بل هذا التعبير لا يسوغ إلا في علم الله تعالى لأمر يخص العلم القديم وهو عموم تعلقه حتى لا يعزب عنه أمر، فما لم يتعلق العلم بوجوده يلزم أن لا يكون موجودا، إذ لو كان موجودا لتعلق به بخلاف علم الخلق، فلا تلازم بين نفى الشيء ونفى العلم الحادث بوجوده، ولا كذلك العلم القديم، فان بين نفى معلومه ونفى تعلقه بوجوده تلازما سوغ التعبير المذكور، ولكن المعلوم أن فرعون كان يدعى الالهية ويعامل علمه معاملة علم الله تعالى في أنه لا يعزب عنه شيء، فمن ثم طغى وتكبر. وعبر بنفي علمه عن نفى المعلوم، تدليسا على ملئه، وتلبيسا على عقولهم السخيفة"(٣).

وتعقبه أيضا البيضاوي، فقال: "هذا من خواص العلوم الفعلية فإنها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها، ولا كذلك العلوم الانفعالية"(٤).

---

(١) تفسير الزمخشري (٣/ ٤١٣).

(٢) أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار بن أبي بكر الجذامي، المعروف بابن المنير ناصر الدين، أبو العباس، ولد سنة (٦٢٠هـ)، ومن تصانيفه: الانتصاف من صاحب الكشاف، وهو عالم مشارك في بعض العلوم كالنحو، والعربية، والادب، والفقه، والأصول، والتفسير، والبلاغة وتوفي في سنة (٦٨٣هـ)، ينظر: تاريخ الإسلام (١٥/ ٤٩١)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/ ٣١٦)، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٨٩).

(٣) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير (٣/ ٤١٣).

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٧٨).

وحمل نفي فرعون على نفي علمه بإلهٍ غيره دون وجوده.

وقال الشهاب الخفاجي: قوله (وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم إلخ) هو رد على الزمخشريّ، والمراد بالعلم الفعلي: ما كان سببا لوقوع معلومه، والانفعال خلافه، وعلى كل حال فكلام المصنف لا يخلو عن ضعف والذي غرّه فيه كلام صاحب الانتصاف"[1].

والراجح هو: أن القاضي البيضاوي مسبوق في هذا القول، والأمر فيه سعة، ولا تعارض بين القولين، وإنما الاختلاف في تعيين الأوجه في الآية ولذلك ترك الألوسي ذلك التعيين للقارئ نفسه حيث قال: "وبالجملة ما ذكر وجه وجيه وتعيين الأوجه مفوض إلى الناظر. والله تعالى الموفق"[2].

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٧/ ٧٤).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٠/ ٢٩٠).

٣٦- سورة يس

المسألة الأولى: الأعناب هل هي الكروم أم الثمار؟

في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾ [سورة يس: ٣٤].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ ﴾ من أنواع النخل والعنب، ولذلك جمعهما دون الحب، فإن الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الأنواع، وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والأعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع[(١)].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وكلام البيضاوي عليه الرحمة ظاهر في أن المراد بالأعناب الثمار المعروفة لا الكروم، وعلل ذكر النخيل دون ثمارها -مع أنه الأوفق بما قبل وما بعد- باختصاصها بمزيد النفع وآثار الصنع، وتفسير الأعناب بالثمار دون الكروم بعيد عندي لمكان العطف مع أن الجار والمجرور في موضع الصفة لـ﴿جَنَّٰتٍ﴾، والمعروف كونها من أشجار لا من ثمار"[(٢)].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٢٦٧).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٢/ ٨)

الدراسة:

ذكر عامة المفسرين أن المراد بالأعناب الكروم، ومنهم: الطبري[١]، والماتريدي[٢]، والسمرقندي[٣]، ومكي بن أبي طالب[٤]، والسمعاني[٥]، والبغوي[٦]، والقرطبي[٧].

وتفرد القاضي البيضاوي بالقول بأن المراد بالأعناب هنا الثمار، لا الكروم[٨].وقال الطاهر الطاهر ابن عاشور: "الأعناب جمع عنب، وهو يطلق على شجرة الكرم وعلى ثمرها"[٩].

والراجح هو: رجحان قول العلامة الألوسي وصحّة تعقبه على القاضي البيضاوي.

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٤٣٢).

(٢) تفسير الماتريدي (٨/ ٥١٥).

(٣) تفسير السمرقندي (٣/ ١٢٢).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (٩/ ٦٠٣١).

(٥) تفسير السمعاني (٤/ ٣٧٦).

(٦) تفسير البغوي (٤/ ١٣).

(٧) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٥).

(٨) ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٧/ ٢٣٩).

(٩) التنوير والتحرير (٢٦/ ٤٧).

٣٧- سورة الصافات

المسألة الثانية: خلق أفعال العباد.

في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

القولُ المعقَّبُ عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: وما تعملونه فإن جوهرها بخلقه وشكلها وإن كان بفعلهم، ولذلك جعل من أعمالهم فبإقداره إياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد، أو عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون، أو إنه بمعنى الحدث فإن فعلهم إذا كان بخلق الله تعالى فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك، وبهذا المعنى تمسك أصحابنا على خلق الأعمال ولهم أن يرجحوه على الأولين لما فيهما من حذف أو مجاز"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "واحتج بالآية على المعتزلة وتعقب بأنه لا يصح لأن الاستدلال بذلك على أن العابد والمعبود جميعا خلق الله تعالى فكيف يعبد المخلوق مخلوقا ولو قيل: إن العابد وعمله من خلق الله تعالى لفات الملاءمة والاحتجاج، ولأن ما في الأول موصولة فهي في الثاني كذلك لئلا ينفك النظم، وما قاله القاضي البيضاوي من أنه لا يفوت الاحتجاج بل إنه أبلغ فيه لأن فعلهم إذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك، وأيد بأن الأسلوب يصير من باب الكناية وهو أبلغ من التصريح ولا فائدة في العدول عن الظاهر إلا هذا فيجب صونا لكلام الله تعالى عن العبث تعقبه في الكشف بأنه لا يتم لأن الملازمة ممنوعة عند القوم ألا ترى أنهم معترفون بأن العبد وقدرته وإرادته من خلق الله تعالى ثم المتوقف عليهما

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ١٤)

وهو الفعل يجعلونه خلق العبد، والتحقيق أنه يفيد التوقف عليه تعالى وهم لا ينكرونه إنما الكلام في الإيجاد والأحداث"[1].

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن (ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ مصدرية.

بينما يرى العلامة الألوسي أنها موصولة.

وهذه الآية من الآيات العقدية التي وقع فيها خلاف بين الطوائف والفرق، وهي من أدلة أهل السنة والجماعة.

وتتصل بمسألة خلق أفعال العباد.

وخلاصة الكلام في الآية تتمحور حول إعراب (ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، وذلك على وجهين:

الوجه الأول: أن (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر منصوب بالعطف على ضمير الخطاب، وهو (الكاف) في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ﴾، وتقدير الكلام: والله خلقكم وأعمالكم[2].

ونسبه السهيلي إلى أهل السنة[3].

وقال عنه ابن كثير: "هو الأظهر"[4].

الوجه الثاني: أن (ما) موصولة وهي بمعنى (الذي)، في موضع نصب بالعطف على ضمير النصب في ﴿خَلَقَكُمْ﴾، ويكون معنى الكلام: والله خلقكم وخلق الذي تعملونه من

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٢/ ١١٩)

(٢) ينظر: نتائج الفكر في النحو (ص: ١٤٧)، الانتصاف لابن المنير (٣/ ٣٠٥)، تفسير القرطبي (١٥/ ٨٦)، تفسير النسفي (٤/ ٣٩).

(٣) نتائج الفكر في النحو (ص: ١٤٧). وينظر: بدائع الفوائد (١/ ١٤٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٦).

الأصنام[١].

ونسب هذا القول إلى المعتزلة[٢].

قال الزمخشري: "﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الأصنام"[٣].

وقال ابن جزي: "وهذا أليق بسياق الكلام، وأقوى في قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام"[٤].

فيكون المعنى على هذا القول: أن الله هو الذي خلقكم، وخلق الأصنام التي تعبدونها، لا أعمالكم[٥].

والحقيقة أن هذا القول لم ينفرد به المعتزلة، بل قال به أيضا بعض أهل السنة مثل: ابن أبي زمنين[٦]، وابن تيمية[٧]، وابن القيم[٨]، وابن أبي العز الحنفي[٩].

والراجح: في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ أي والأصنام التي تعملونها بأيديكم، و(ما) موصولة وليست مصدرية، وهو قول الألوسي.

قال ابن تيمية: "(ما) بمعنى الذي ومن جعلها مصدرية فقد غلط"[١٠].

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/ ٥١).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٢/ ١١٩).

(٣) ينظر:تفسير الزمخشري (٤/ ٥١-٥٢)

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (ص: ١٧٤٢).

(٥) بدائع الفوائد (١/ ١٤٨).

(٦) تفسير القرآن العزيز (٤/ ٦٥).

(٧) مجموع الفتاوى (٨/ ١٦، ٧٩، ١٢١).

(٨) ينظر: بدائع الفوائد (١/ ١٤٨)، شفاء العليل (٢٠٦).

(٩) شرح الطحاوية (ص: ٤٤٢).

(١٠) مجموع الفتاوى (٨/ ٧٩).

وقال أيضًا: "لكن قد يستدل بالآية على أن الله خلق أفعال العباد من وجه آخر فيقال: إذا كان خالقا لما يعملونه من المنحوتات لزم أن يكون هو الخالق للتأليف الذي أحدثوه فيها فإنها إنما صارت أوثانا بذلك التأليف وإلا فهي بدون ذلك ليست معمولة لهم وإذا كان خالقا للتأليف كان خالقا لأفعالهم"[1].

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٢١/٨)، مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (١٤٤/٥)، منهاج السنة النبوية (٣/ ٣٣٦-٣٣٦-٣٣٨).

٤٠- سورة غافر

المسألة الأولى: الفرق بين الرسول والنبي.

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [سورة غافر: ٧٨].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ إذ قيل عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، والمذكور قصصهم أشخاص معدودة"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا﴾ أوردنا أخبارهم وآثارهم ﴿عَلَيْكَ﴾ كنوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام. ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ وهم أكثر الرسل عليهم الصلاة والسلام، أخرج الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قلت يا رسول الله كم عدة الأنبياء؟ قال: ((**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا**)). والظاهر أن المراد بالرسول في الآية ما هو أخص من النبي، وربما يوهم صنيع القاضي أن المراد به ما هو مساو للنبي"(٢).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٦٤).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٢/ ٣٤٠).

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى عدم التفرقة بين الرسول والنبي.

بينما يرى العلامة الألوسي أن الرسول أخص من النبي.

اختلف العلماء في الرسول والنبي، هل بينهما فرق، أم لا؟

القول الأول: أنه لا فرق بين الرسول والنبي، وممن قال به: مكي بن أبي طالب[١].

ونسب هذا القول إلى المعتزلة[٢].

القول الثاني: أن الرسول غير النبي، وقد اختلف القائلون بذلك في الفرق بينهما على رأيين:

الرأي الأول: قال الإسفراييني[٣]: "الفرق بين الرسول والنبي أن كل من نزل عليه الوحي من الله تعالى على لسان ملك من الملائكة، وكان مؤيدا بنوع من الكرامات الناقضة للعادات، فهو نبي، ومن حصلت له هذه الصفة وخص أيضا بشرع جديد أو بنسخ بعض أحكام شريعة كانت قبله، فهو رسول"[٤].

وقال النسفي: "الرسول من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله"[٥].

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية (٧/ ٤٩١٣).

(٢) تفسير الرازي (٢٣/ ٢٣٦).

(٣) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، الفقيه، الأصولي، المتكلم، وكان مضطلعا بتأييد مذهب الشافعي، توفي سنة (٤١٨هـ). ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية (١/ ٣١٢)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٥٣)، الوافي بالوفيات (٦/ ٧٠).

(٤) الفرق بين الفرق (ص: ٣٣٢).

(٥) تفسير النسفي (٢/ ٤٤٧).

الرأي الثاني: أن النبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول هو من أمر بالتبليغ[1].

قال القرطبي: "كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا، لأن الرسول والنبي قد اشتركا في أمر عام وهو النبأ، وافترقا في أمر وهي الرسالة"[2].

ونسب هذا القول إلى الكلبي والفراء[3].

والراجح هو: أن جمهور أهل العلم على التفرقة بين النبي والرسول، وأن بينهما عموما وخصوصا مطلق، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسول، وهو قول الألوسي.

قال ابن تيمية: "النبوة داخلة في الرسالة والرسالة أعمّ من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها؛ فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا؛ فالأنبياء أعم والنبوة نفسها جزء من الرسالة فالرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف النبوة؛ فإنها لا تتناول الرسالة"[4].

وقال السفاريني: "بين النبي والرسول عموم وخصوص مطلق، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا. والرسول أفضل من النبي إجماعا لتميزه بالرسالة التي هي أفضل من النبوة على الأصح، ووجه تفضيل الرسالة لأنها تثمر هداية الأمة، والنبوة قاصرة على النبي، فنسبتها إلى النبوة كنسبة العالم إلى العابد"[5].

---

(١) ينظر: التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: ٢١)، شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (١/ ٥٢٧)، تبسيط العقائد الإسلامية (ص: ١١٤).
وينظر: تفسير الخازن (٣/ ٢٦١)، التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٢٧٦)، تفسير السمعاني (٣/ ٤٤٧)، تفسير البغوي (٣/ ٣٤٧)، تفسير ابن عطية (٤/ ١٢٩)، تفسير الرازي (٢٣/ ٢٣٦)، تفسير ابن جزي (٢/ ٤٣)، تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٨).

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ٢٩٨).

(٣) تفسير الرازي (٢٣/ ٢٣٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ١٠).

(٥) لوامع الأنوار البهية (١/ ٤٩-٥٠).

٤٢- سورة الشورى

المسألة الأولى: مراتب تكليم الأنبياء.

في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [سورة الشورى: ٥١].

القولُ المعقَّبُ عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ وما صحّ له. ﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ كلامًا خفيًا يدرك بسرعة، لأنه تمثيل ليس في ذاته مركبًا من حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة، وهو ما يعم المشافه به، وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور، ولكن عطف قوله: ﴿أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ عليه يخصه بالأول، فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها"[(١)].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "يلزم القاضي أن لا يكون ما وقع من وراء حجاب وحيا لا أنه يخصصه لأنه نظير قولك: ما كان لك أن تنعم إلا على المساكين وزيد، نعم يحتمل أن يكون زيد داخلا فيهم على نحو: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ﴾ [سورة البقرة:٩٨]، وهذا يضر القاضي لاقتضائه أن يكون هذا القسم أعني ما وقع من وراء حجاب أعلى المراتب فلا يكون الثاني هو المشافهة، وتقديره إلا وحيا من غير حجاب أو من وراء حجاب خلاف الظاهر وفيه فك للنظم؛ لقوله سبحانه: ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ وهو عطف على قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ مع كونه خلاف الظاهر. وعلى هذا يفسد ما بني عليه من حيث التنزّل من القسم الأعلى إلى ما

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٥/٨٥).

دونه"[1].

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن ما كان وحيا هو وحي بكلام من غير مشافهة.

بينما يرى العلامة الألوسي أنه يكون كلاما بمشافهة.

وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا وَحْيًا**﴾: هل يكون مشافهة، أم لا؟ على قولين:

القول الأول: أن ما كان وحيا لا يكون مشافهة، وهو إما أن يكون إلهاما، أو مناما، وهو قول السدي[2]، وابن جرير الطبري[3]، والزجاج[4]، والماتريدي[5]، والسمرقندي[6]، والثعلبي[7]، ومكي بن أبي طالب[8]، والماوردي[9]، والواحدي[10]، والسمعاني[11]، والبغوي[12]، والزمخشري[13]، وابن عطية[14]، والعز بن عبد السلام[15]، والنسفي[16]، والخازن[17]، وأبي

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٣/ ٥٤).
(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٤٠).
(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٤٠).
(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٠٣).
(٥) تفسير الماتريدي (٩/ ١٤١).
(٦) تفسير السمرقندي (٣/ ٢٥٠).
(٧) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٦).
(٨) الهداية الى بلوغ النهاية (١٠/ ٦٦١٧).
(٩) تفسير الماوردي (٥/ ٢١٢).
(١٠) التفسير الوسيط (٤/ ٦٠).
(١١) تفسير السمعاني (٥/ ٨٦).
(١٢) تفسير البغوي (٧/ ٢٠٠).
(١٣) تفسير الزمخشري (٤/ ٢٣٣).
(١٤) تفسير ابن عطية (٥/ ٤٤).
(١٥) تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ١٤٧).
(١٦) تفسير النسفي (٣/ ٢٦٢).
(١٧) تفسير الخازن (٤/ ١٠٤).

حيان[1]، وابن كثير[2].

القول الثاني: أنه يكون كلاما، وهذا القول ذكره الزمخشري، فقال: "ويجوز أن يكون: ﴿وَحْيًا﴾، موضوعا موضع: كلاما، لأنّ الوحي كلام خفي في سرعة، كما تقول: لا أكلمه إلا جهرا وإلا خفاتا، لأنّ الجهر والخفات ضربان من الكلام"[3].

ثم تبعه على ذلك البيضاوي[4].

والراجح هو: القول الأول، وهو الذي عليه عامة المفسرين، ومنهم العلامة الألوسي.

وأما القول الثاني فقد ذكره الزمخشري احتمالا، ولم يقطع به، ثم جاء من بعده القاضي البيضاوي فجزم به.

(١) البحر المحيط في التفسير (٩/ ٣٥٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٢١٧).

(٣) تفسير الزمخشري (٤/ ٢٣٣).

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٥/٨٥).

٤٣- سورة الزخرف

المسألة الأولى: معنى (أم) في قوله تعالى حكاية عن فرعون.

في قوله تعالى: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [سورة الزخرف: ٥٢].

القولُ المعقَّبُ عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴾ مع هذه المملكة والبسطة. ﴿ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ﴾ ضعيف حقير لا يستعد للرئاسة، من المهانة وهي القلة. ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة، و(أم) إما منقطعة والهمزة فيها للتقرير إذ قدم من أسباب فضله، أو متصلة على إقامة المسبب مقام السبب. والمعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون فتعلمون أني خير منه"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: و﴿ أَمْ ﴾ على ما نقل عن سيبويه(٢) والخليل(٣) متصلة، وقد نزل السبب بعدها منزلة المسبب على ما ذهب إليه الزمخشري(٤)، والمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون إلا أنه وضع ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴾ موضع أم تبصرون.

وإيضاح ذلك أن فرعون عليه اللعنة لما قدم أسباب البسطة والرياسة بقوله ﴿ أَلَيْسَ لِي ﴾ إلخ وعقبه بقوله ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ استقصارا لهم وتنبيها على أنه من الوضوح بمكان لا يخفى على ذي عينين، قال في مقابله: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴾ بمعنى أم تبصرون أني أنا المقدم المتبوع، وفي

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٩٣).
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤١٥).
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤١٥).
(٤) تفسير الزمخشري (٤/ ٢٥٨).

العدول تنبيه على أن هذا الشق هو المسلم لا محالة عندكم فكأنه يحكيه عن لسانهم بعد ما أبصروا وهو أسلوب عجيب وفن غريب، وجعله الزمخشري من إنزال السبب مكان المسبب لأن كونه خيرا في نفسه أن محصلا له أسباب التقدم والملك سبب لأن يقال فيه أنت خير منه وقولهم: أنت خير سبب لكونهم بصراء وسبب السبب قد يقال له: سبب. فلا يرد ما يقال: إن السبب قولهم: أنت خير لا قوله: أنا خير، وقال القاضي البيضاوي: إنه من إنزال المسبب منزلة السبب لأن علمهم بأنه خير مستفاد من الإبصار. وفيه أن المذكور أنا خير لا أم تعلمون أني خير، وله أن يقول: ذلك يغني غناه لأنه جعله مسلما معلوما ما عندهم فقال: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴾ لا أم تعلمون كما سلف، ولا يخفى أن ما ذكره الزمخشري أظهر"[1].

الدراسة:

ذكر القاضي البيضاوي إلى أن (أم) يصح أن تكون منقطعة، أو متصلة، وأنه من إنزال المسبب منزلة السبب.

بينما يرى العلامة الألوسي (تبعا للزمخشري في ذلك): أنه إنزال السبب مكان المسبب.

وقد اختلف المفسرون في (أم) في هذه الآية: هل هي متصلة أم منقطعة على أقوال، وهي:

القول الأول: أنها منقطعة، وهو قول السدي[2]، وأبي عبيدة معمر بن المثنى[3]، وابن أبي زمنين[4]، والثعلبي[5]، والبغوي[6]، والنسفي[7]، وأبي حيان الأندلسي[8]، ونحاة أهل البصرة[9].

البصرة[9].

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٣/٩٠).
(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٦١١).
(٣) زاد المسير (٤/ ٨٠).
(٤) تفسير القرآن العزيز (٤/ ١٨٨).
(٥) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٣٩).
(٦) تفسير البغوي (٤/ ١٦٤).
(٧) تفسير النسفي (٣/ ٢٧٦).
(٨) البحر المحيط في التفسير (٩/ ٣٨١).
(٩) تفسير الطبري (٢٠/ ٦١١).

ويكون التقدير على وجهين[١]:

١- أن تقدر بـ(بل) التي لإضراب الانتقال، وبالهمزة التي للإنكار.

٢- أنها تقدر (بل) فقط.

القول الثاني: أنها متصلة، وهو قول الطبري[٢].

فيكون معنى الكلام: أأنا خير من هذا الذي هو مهين؟ أم هو؟

وتعقبه السمين الحلبي، فقال: "هذا لا يجوز إلا إذا كانت (لا) بعد (أم) نحو: أتقوم أم لا؟ أي: أم لا تقوم. وأزيد عندك أم لا؟ أي: أم لا هو عندك. أما حذفه دون (لا) فلا يجوز، وقد جاء حذف (أم) مع المعادل وهو قليل جدا"[٣].

القول الثالث: أنها هي المعادلة، وهو قول سيبويه والخليل[٤].

والمعنى: أم أنتم لا تبصرون، فوضع موضع قوله: أم تبصرون الأمر الذي هو حقيق أن يبصر عنده، وهو أنه خير من موسى[٥].

قال الزمخشري: "(أم) هذه متصلة، لأنّ المعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون، إلا أنه وضع قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾ موضع: تبصرون، لأنهم إذا قالوا له: أنت خير، فهم عنده بصراء، وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب"[٦].

وتعقبه أبو حيان، فقال: "هذا القول متكلف جدا"[٧].

---

(١) الدر المصون (٩/ ٥٩٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٦١٢).

(٣) الدر المصون (٩/ ٥٩٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤١٥).

(٥) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥٩)، تفسير القرطبي (١٦/ ٩٩).

(٦) تفسير الزمخشري (٤/ ٢٥٨).

(٧) البحر المحيط في التفسير (٩/ ٣٨٢).

القول الرابع: أنها منقطعة لفظا، متصلة معنى، وهو قول أبي البقاء.

قال أبو البقاء: "(أم) هنا منقطعة في اللفظ لوقوع الجملة بعدها في اللفظ، وهي في المعنى متصلة معادلة؛ إذ المعنى: أنا خير منه أم لا، وأينا خير"[(١)].

وتعقبه السمين الحلبي، فقال: "هذه عبارة غريبة: (أن تكون منقطعة لفظا، متصلة معنى)، وذلك أنهما معنيان مختلفان؛ فإن الانقطاع يقتضي إضرابا: إما إبطالا، وإما انتقالا"[(٢)].

القول الخامس: أنها زائدة على لغة أهل اليمن، وذلك أن أهل اليمن يزيدون (أم) في جميع الكلام[(٣)].

ورد هذا القول بأنه غير معروف عنهم[(٤)].

والراجح هو: القول الأول، وهو الذي عليه جمهور المفسرين، وهو أحد الاحتمالين عند البيضاوي، ثم يليه في القوة القول الثاني، وهو الذي مال إليه الإمام الطبري، وتبعه العلامة الألوسي.

وأما بقية الأقوال فهي ضعيفة، وقد تعقب عليها العلماء كما سبق النقل عنهم.

---

(١) الدر المصون (٩/ ٥٩٧).

(٢) الدر المصون (٩/ ٥٩٧).

(٣) ينظر: معاني القرآن للأخفش (١/ ٣٢)، تفسير القرطبي (١٦/ ٩٩).

(٤) معاني القرآن للأخفش (١/ ٣٢).

٥٣- سورة النجم

المسألة الأولى: اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم.

في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [سورة النجم: ٣- ٤].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى. ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما القرآن أو الذي ينطق به. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ أي إلا وحي يوحيه الله إليه، واحتج به من لم ير الاجتهاد له. وأجيب عنه بأنه إذا أوحي إليه بأن يجتهد كان اجتهاده وما يستند إليه وحيا، وفيه نظر؛ لأن ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "والظاهر أن الآية واردة في أمر التنزيل بخصوصه، وإن كان مثله الأحاديث القدسية، والاستدلال بها على أنه عليه الصلاة والسلام غير متعبد بالوحي محوج لارتكاب خلاف الظاهر وتكلف في دفع نظر البيضاوي عليه الرحمة كما لا يخفى على المنصف، ولا يبعد عندي أن يحمل قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ على العموم؛ فإن من يرى الاجتهاد له عليه الصلاة والسلام لا يقول بأن ما ينطق به صلى الله عليه وسلم مما أدى إليه اجتهاده صادر عن هوى النفس وشهوتها، حاشا حضرة الرسالة عن ذلك، وإنما يقول هو واسطة بين ذلك وبين الوحي ويجعل الضمير في قوله سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ للقرآن، على أن الكلام جواب سؤال مقدر كأنه قيل: إذا كان شأنه عليه الصلاة والسلام أنه ما ينطق عن الهوى، فما هذا القرآن الذي جاء به وخالف فيه ما عليه قومه استمال به قلوب كثير من الناس وكثرت فيه الأقاويل؟ فقيل: ما هو إلا وحي يوحيه الله عز وجل إليه صلى الله تعالى عليه

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ١٥٧).

وسلم فتأمل"[1].

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن جميع الأفعال الصادرة من النبي صلى الله عليه وسلم هي بحكم الوحي، محتجا بظاهر هذه الآية.

بينما يرى العلامة الألوسي أن هذه الآية خاصة في أمور التنزيل وليست عامة، كما ذهب إليه القاضي البيضاوي.

اختلف العلماء في المراد من قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ هل هو خاص بالقرآن، أم هو عام في كل ما يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

القول الأول: أن المراد به القرآن، وهو قول قتادة[2]، والإمام أحمد[3]، والطبري[4]، وابن أبي زمنين[5]، ومكي بن أبي طالب[6]، والقشيري[7]، والواحدي[8]، والنسفي[9]، والخازن[10]. ونسبه ابن عطية إلى الإجماع، فقال: "يراد به القرآن بإجماع"[11].

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٤/ ٤٧).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٨).
(٣) الرد على الجهمية والزنادقة (ص: ١١٢).
(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٨).
(٥) تفسير القرآن العزيز (٤/ ٣٠٥).
(٦) الهداية الى بلوغ النهاية (١١/ ٧١٤١).
(٧) لطائف الإشارات (٣/ ٤٨١).
(٨) التفسير الوسيط (٤/ ١٩٣).
(٩) تفسير النسفي (٣/ ٣٨٩).
(١٠) تفسير الخازن (٤/ ٢٠٣).
(١١) تفسير ابن عطية (٥/ ١٩٦).

القول الثاني: أن المراد به عموم أمور الدين، فيدخل فيه أحاديثه وأخباره وسننه، وهو قول البغوي[١]، والقرطبي[٢]، وأبي حيان[٣]، وابن القيم[٤]، وابن كثير[٥]، والثعالبي[٦]، والشوكاني[٧].
والشوكاني[٧].

والراجح هو: القول الأول، وهو الذي عليه أئمة التفسير من المتقدمين، وحكى ابن عطية عليه الإجماع، وهو قول العلامة الألوسي.

يضاف إلى ذلك أن السياق في معرض ذكر القرآن، والرد على المشركين المشككين فيه.

ولا يعني هذا الترجيح أن السنة ليست وحيا، بل قد تواترت الآيات في وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، والانقياد لأوامره، والاهتداء بسنته.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[سورة آل عمران:١٣٢].

وجه الاستشهاد: أنه ربط الرحمة باتباع الله واتباع رسوله، فمن اتبع ذلك فقد استحق الرحمة، ومن جانبه فقد خسر وهلك[٨].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[سورة النساء:٥٩].

وجه الاستشهاد: أن الله تعالى قرن بين طاعته وطاعة رسوله، وعلق الإيمان بالله واليوم الآخر على ذلك[٩].

---

(١) تفسير البغوي (٧/ ٤٠٠).
(٢) تفسير القرطبي (١٧/ ٨٥).
(٣) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ١٠).
(٤) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٢٤٧).
(٥) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٤٣).
(٦) تفسير الثعالبي (٥/ ٣٢٢).
(٧) فتح القدير (٥/ ١٢٦).
(٨) الصلاة وأحكام تاركها لابن القيم (ص: ٤٦).
(٩) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٤/ ١٦٠).

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[سورة النساء:٦٥].

وجه الاستشهاد: أن الآية علقت الإيمان على وجوب الانقياد لحكم الرسول صلى الله عليه وسلم، وعدم الحرج من ذلك(١).

ولهذه الآية سبب نزول، وهو ما رواه عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير(٢) عند النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة، التي يسقون بها النخل، النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبى عليه؟ فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير: ((**اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك**))، فغضب الأنصاري، فقال: أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: ((**اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر**))، فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة النساء:٦٥](٣).

فإذا كان هذا في أمر دنيوي، فكيف في الأمور الدينية(٤).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[سورة الأحزاب:٣٦].

---

(١) جماع العلم، للشافعي (ص: ٤٨).

(٢) الزبير بن العوام الأسدي: حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمّته صفية، وابن أخي خديجة، وأول من سَلَّ سَلَّ سيفًا في سبيل الله. أسلم الزبير، رضى الله عنه، قديمًا فى أوائل الإسلام بعد إسلام أبى بكر، رضى الله عنه، بقليل، قيل: كان رابعًا أو خامسًا، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، الخلافة فى أحدهم، له من الأبناء عبد الله وعروة ونافع. استشهد يوم الجمل في جمادى الأولى سنة (٣٦هـ). ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ١٠٤)، حلية الأولياء (١/ ٨٩)، معجم الصحابة لابن قانع (١/ ٢٢٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المساقاة، باب سكر الأنهار، (٣/ ١١١)، رقم (٢٣٥٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم، (٤/ ١٨٢٩)، رقم (٢٣٥٧).

(٤) معالم السنن (٤/ ١٨٢).

وجه الاستشهاد: أنه سبحانه أخبر أنه ليس لمؤمن أن يختار بعد قضائه وقضاء رسوله، ومن تخير بعد ذلك فقد ضل ضلالا مبينا[1].

وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[سورة التغابن:١٢].

وجه الاستشهاد: أن الرسول عليه البلاغ، والبلاغ يكون بإيصال القرآن لفظا ومعنى، فلفظا هو القرآن الكريم، ومعنى هو سنته عليه الصلاة والسلام[2].

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٤٠).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢).

٥٨- سورة المجادلة

المسألة الأولى: هل سورة المجادلة مكية أم مدنية؟

قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[سورة المجادلة: ١].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "سورة المجادلة مدنية، وقيل العشر الأول مكي والباقي مدني، وآيها اثنتان وعشرون آية"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وعن عطاء: العشر الأول منها مدني وباقيها مكي، وقد انعكس ذلك على البيضاوي"(٢).

الدراسة:

اختلف في سورة المجادلة، هل هي مكية، أم مدنية.

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ١٩٢)

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٤/ ١٩٧)

القول الأول: إنها مدنية، وهو قول جمهور المفسرين[1]، وحكي إجماعا[2].

القول الثاني: إنها مدنيّة سوى قوله عزّ وجلّ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾. وهو قول محمد بن السائب الكلبي[3]، والنقاش[4].

القول الثالث: إن العشر الأول منها مدنيّ، والباقي مكّيّ، وهو قول عطاء[5].

القول الرابع: إنها مكية، وممن قال به السمرقندي[6].

القول الخامس: إنها مدنية سوى العشر الأول، وهو قول الإيجي[7]. ويبدو أنه قلد فيه البيضاوي.

والراجح هو: أن تعقب العلامة الألوسي صحيح، وكأن القاضي البيضاوي قد انعكس عليه كلام عطاء كما قال الألوسي؛ فبدلا من أن يقول: (العشر الأول مدني والباقي مكي)، قال: (العشر الأول مكي والباقي مدني).[8]

---

(١) ينظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٩٠)، تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤٦)، تفسير الماتريدي (٩/ ٥٤٤)، تفسير الثعلبي (٩/ ٢٥٢)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/ ٧٣٤٥)، التفسير الوسيط (٤/ ٢٥٨)، تفسير البغوي (٥/ ٣٨)، تفسير الزمخشري (٤/ ٤٨٤)، تفسير ابن عطية (٥/ ٢٧٢)، زاد المسير (٤/ ٢٤١)، تفسير الرازي (٢٩/ ٤٧٧)، تفسير القرطبي (١٧/ ٢٦٩)، تفسير ابن جزي (٢/ ٣٥١)، البحر المحيط في التفسير (١٠/ ١٢٠)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤).

(٢) تفسير ابن عطية (٥/ ٢٧٢).

(٣) زاد المسير (٤/ ٢٤١).

(٤) تفسير ابن عطية (٥/ ٢٧٢).

(٥) زاد المسير (٤/ ٢٤١).

(٦) تفسير السمرقندي (٣/ ٤١٢).

(٧) تفسير الإيجي (٤/ ٢٧٣).

(٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ١٩٢)

المسألة الثانية: ما هي التحية المقصودة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة المجادلة: ٨].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ فيقولون السَّام عليك، أو أنعم صباحا، والله تعالى يقول: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وجعل البيضاوي من التحية التي لم يحيه بها الله تعالى تحيتهم له عليه الصلاة والسلام بـ(أنعم صباحا) وهي تحية الجاهلية كـ(عم صباحا) ولم نقف على أثر في ذلك"(٢).

الدراسة:

ذكر عامة المفسرين على أن المراد من التحية المذكورة في هذه الآية هي قول: (السَّام عليكم)، ومن الذين ذكروا هذا القول:

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ١٩٤).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٤/ ٢٢١).

ابن عباس[(١)]، ومجاهد[(٢)]، ومسروق[(٣)(٤)]، ومقاتل[(٥)]، وقتادة[(٦)]، وعطاء الخراساني[(٧)(٨)]، وابن جرير الطبري[(٩)]، والزجاج[(١٠)]، والماتريدي[(١١)]، والسمرقندي[(١٢)]، وابن أبي زمنين[(١٣)]، والثعلبي[(١٤)]، ومكي بن أبي طالب[(١٥)]، والماوردي[(١٦)]، والواحدي[(١٧)]، والسمعاني[(١٨)]، والبغوي[(١٩)]، والزمخشري[(٢٠)]، وابن عطية[(٢١)]، والعز بن عبد السلام[(٢٢)]،

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٧٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٧٢).

(٣) مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مر بن سلامان بن معمر بن الحارث بن سعد بن عبد الله بن وادعة الهمداني الوداعي الكوفي العابد، أبو عائشة الفقيه، تابعي ثقة، روى عن: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعائشة، وروى عنه: ابن أخيه محمد بن المنتشر بن الأجدع، والشعبي. مات سنة (٦٢هـ). ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٧/ ٣٩٦)، تاريخ الإسلام (٢/ ٧١٢)، تهذيب الكمال (٢٧/ ٤٥١).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٧١).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٢٦٠).

(٦) ينظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٩٢)، تفسير الطبري (٢٢/ ٤٧٢).

(٧) عطاء بن أبي مسلم الخراساني، ولد سنة (٥٠هـ)، وكان جوالة، وهو من التابعين العباد، متفق على توثيقه، وتوفي سنة (١٣٥هـ). ينظر: طبقات الفقهاء (٩٣)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٣٤)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٠/ ١٠٦)، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٤٠).

(٨) جزء فيه تفسير القرآن برواية أبي جعفر الترمذي (ص: ١١٩).

(٩) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٧٠).

(١٠) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٣٧).

(١١) تفسير الماتريدي (٩/ ٥٦٨).

(١٢) تفسير السمرقندي (٣/ ٤١٦).

(١٣) تفسير القرآن العزيز (٤/ ٣٥٩).

(١٤) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٥٧).

(١٥) الهداية الى بلوغ النهاية (١١/ ٧٣٦١).

(١٦) تفسير الماوردي (٥/ ٤٩١).

(١٧) التفسير الوسيط (٤/ ٢٦٤).

(١٨) تفسير السمعاني (٥/ ٣٨٦).

(١٩) تفسير البغوي (٨/ ٥٥).

(٢٠) تفسير الزمخشري (٤/ ٤٩١).

(٢١) تفسير ابن عطية (٥/ ٢٧٧).

(٢٢) تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٢٩٣).

والقرطبي[1]، والنسفي[2]، وابن جزي[3]، والخازن[4]، وأبو حيان[5]، وابن كثير[6].

وانفرد البيضاوي رحمه الله بأن المراد من التحية في الآية هي قول: (السَّام عليكم، وأنعم صباحا). فزاد فيها: (أنعم صباحا).

وتبعه على ذلك أبو السعود[7]، وإسماعيل حقي[8][9]، وابن عاشور[10].

وهذا القول غير مراد من الآية بتاتا، وذلك لكون السلف من أئمة التفسير على خلافه.

ولأنه لم يصح في ذلك شيء من أنهم كانوا يحيون الرسول عليه الصلاة والسلام بقولهم: أنعم صباحا. كما ذكر ذلك العلامة الألوسي.

ويؤيد ما ذهب إليه الجمهور ما ذكر من سبب نزول الآية: فعن عائشة[11]، رضي الله عنها: أن يهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: السَّام عليكم، فقالت عائشة: عليكم، ولعنكم الله، وغضب الله عليكم. قال: ((**مهلا يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش**)). قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: ((**أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم،**

---

(١) تفسير القرطبي (١٧/ ٢٩٢).

(٢) تفسير النسفي (٣/ ٤٤٨).

(٣) تفسير ابن جزي (٢/ ٣٥٣).

(٤) تفسير الخازن (٤/ ٢٦٠).

(٥) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ١٢٦).

(٦) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣).

(٧) تفسير أبي السعود (٨/ ٢١٩).

(٨) إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، متصوف مفسر، تركي مستعرب، ولد في آيدوس وسكن القسطنطينية وانتقل إلى بروسة، وكان من أتباع الطريقة (الخلوتية) فنفي إلى تكفور طاغ واوذي، وعاد إلى بروسة فمات فيها، له كتب عربية وتركية، فمن العربية: روح البيان في تفسير القرآن، توفي عام (١١٢٧ هـ). ينظر: نيل الوطر (١/ ٢٧٠)، الأعلام للزركلي (١/ ٣١٣)، معجم المؤلفين (٢/ ٢٦٦).

(٩) روح البيان (٩/ ٤٠٠).

(١٠) التحرير والتنوير (٢٨/ ٣١).

(١١) عائشة بنت أبي بكر الصديق الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بسنتين، وهي بكر، وبنى بها وهي بنت تسع سنين بالمدينة، وما تزوج بكراً سواها، وقبض صلى الله عليه وسلم وهي بنت ثماني عشرة سنة، وماتت في خلافة معاوية سنة (٥٨هـ)، ولها سبع وستون سنة، ودفنت بالبقيع. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٨١)، أسد الغابة (٧/ ١٨٦)، الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٢٣١).

فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في))[1].

وزاد مسلم[2]: فأنزل الله عز وجل ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾، إلى آخر الآية.

والراجح هو: قول الجمهور، وهو المراد من التحية المذكورة في هذه الآية هي قول: (السَّام عليكم)، وهو قول الألوسي.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا، (٨/ ١٢)، رقم (٦٠٣٠)، ومسلم في كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، (٤/ ١٧٠٥)، رقم (٢١٦٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، (٤/ ١٧٠٧)، رقم (٢١٦٥).

٧١- سورة نوح

المسألة الأولى: إعراب قوله تعالى: ﴿نَبَاتًا﴾.

القولُ المعقَّبُ عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾[سورة نوح:١٧] أنشأكم منها فاستعير الإنبات للإنشاء لأنه أدل على الحدوث والتكون من الأرض، وأصله: أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ إنباتاً فنبتم نباتاً، فاختصره اكتفاء بالدلالة الالتزامية"(١).

التعقيب:

قال الإمام الآلوسي: "قال القاضي: اختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية. وفيه على ما قال الخفاجي الأشعار المذكورة، فتأمل"(٢).

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن ﴿نَبَاتًا﴾ منصوب على المصدرية، لأنه وقع فيها اختصار اكتفاءا بالدلالة الالتزامية.

بينما يرى العلامة الألوسي أنه منصوب بإضمار فعل.

وقد اختلف العلماء في إعراب ﴿نَبَاتًا﴾ على قولين:

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٤٩).

(٢) روح المعاني (١٥/ ٨٤).

القـول الأول: أنـه منصـوب علـى المصـدرية، وهـو قـول الأخفـش[١]، والزجـاج[٢]، والزمخشري[٣]، وابن عطية[٤]، والقرطبي[٥]، وذكره أبو حيان[٦]، والسمين الحلبي[٧].

القـول الثـاني: أنـه منصـوب بإضـمار فعـل، وهـو قـول الخليـل بـن أحمـد[٨]، وذكـره أبـو حيان[٩]، والسمين الحلبي[١٠].

والـراجح هـو: القـول الأول، وهـو الـذي عليـه عامـة أئمـة اللغـة المتقـدمين، وهـو قـول البيضاوي.

---

(١) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٥٠).
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٣٠).
(٣) تفسير الزمخشري (٤/ ٦١٨).
(٤) تفسير ابن عطية (٥/ ٣٧٥).
(٥) تفسير القرطبي (١٨/ ٣٠٥).
(٦) البحر المحيط (١٠/ ٢٨٤).
(٧) الدر المصون (١٠/ ٤٧٢).
(٨) تفسير الثعلبي (١٠/ ٤٥).
(٩) البحر المحيط (١٠/ ٢٨٤).
(١٠) الدر المصون (١٠/ ٤٧٢).

٧٢- سورة الجن

المسألة الأولى: في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للجن.

في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [سورة الجن: ١].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "وفيه دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبر الله به رسوله"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وقول العلامة البيضاوي بعد تعريف الجن في سورتهم بما عرف. وفيه دليل على أنه صلّى الله عليه وسلّم ما رآهم ولم يقرأ عليهم وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبر الله تعالى بذلك ناشئ من عدم الاطلاع على الأحاديث الصحيحة الكثيرة المصرحة برؤيته صلّى الله عليه وسلّم لهم وقراءته عليهم وسؤالهم منه"(٢).

الدراسة:

يرى الإمام الألوسي –رحمه الله– أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى الجن، وهذا خلاف قول البيضاوي رحمه الله تعالى.

وقد اختلف المفسرون في قصة سماع الجن القرآن من النبي صلى الله وعليه وسلم، هل كان النبي صلى الله وعليه وسلم يعلم بوجودهم معه، أم لم يشعر بمكانهم ولا عرف بحالهم؟ على أقوال:

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/٢٥١).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٤/٣٤٥).

القول الأول: أن النبي صلى الله عليه وسلم ما عرف بوجودهم، وهو مروي عن الزبير[١] وابن عباس[٢]، وهو قول الحسن البصري[٣]، وسعيد بن جبير[٤]، والسمعاني[٥]، وابن عطية[٦].

ودليل هذا القول:

عن ابن عباس قال: "ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن وما رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء. وأرسلت عليهم الشهب. فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم. قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث. فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها. فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها. فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة – وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر – فلما سمعوا القرآن استمعوا له. وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم. فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا". فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾[سورة الجن:١][٧].

وعن جابر قال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال: لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم، كنت كلما أتيت على قوله ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: لا بشيء من

---

(١) تفسير السمرقندي (٣/ ٢٩٣).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٦٤).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ١٦٦).

(٤) تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٩٩).

(٥) تفسير السمعاني (٥/ ١٦٢).

(٦) تفسير ابن عطية (٥/ ١٠٤).

(٧) أخرجه مسلم صحيحه في كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، (١/ ٣٣١)، رقم (٤٤٩).

نعمك ربنا نكذب فلك الحمد"[1].

القول الثاني: أن النبي علم بحضورهم، بل كانوا هم الذين قصدهم النبي صلى الله عليه وسلم بسماع القرآن، وهو قول قتادة[2]، وابن كثير[3].

ودليل هذا القول:

عن عامر الشعبي، قال: سألت علقمة[4] هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة، أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن؟ قال: لا ولكنا كنا مع رسول الله ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب. فقلنا: استطير أو اغتيل. قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء. قال: فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم. فقال: ((**أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن**)). قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال: ((**لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم**)). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم**))[5].

القول الثالث: أن النبي صلى الله رآهم إما على خلقتهم، أو أنهم تمثلوا له على صورة

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الرحمن، (٥/ ٢٥٢)، رقم (٣٢٩١). والحديث ضعفه الترمذي، وحسنه الألباني في الصحيحة (٥/ ١٨٤).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٦٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٩٦).

(٤) علقمة بن قيس بن عبد الله فقيه العراق الإمام أبو شبل النخعي الكوفي، خال إبراهيم النخعي وعم الأسود ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولحق الجاهلية وسمع من عمر وعثمان وابن مسعود وعلي وأبي الدرداء وجود القرآن على ابن مسعود وتفقه به وكان من أنبل أصحابه، وكان فقيها إماما بارعا طيب الصوت بالقرآن ثبتا فيما ينقل صاحب خير وورع كان يشبه بن مسعود في هديه ودله وسمته وفضله وكان أعرج أخذ عنه إبراهيم النخعي، والشعبي، وطائفة. مات سنة (٦٢هـ). ينظر: الطبقات لابن سعد (٦/ ٨٦)، تاريخ دمشق (٤١/ ١٥٤)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، (١/ ٣٣١)، رقم (٤٥٠).

الإنس، وهذا القول ذكره الماتريدي وجوز وقوعه[1].

القول الرابع: أن قصة سماع الجن من النبي صلى الله عليه وسلم، وقعت مرتين، الأولى حين انصرف راجعا من الطائف، فاستمعوا لقراءته في صلاة الفجر من دون أن يعلم بهم النبي صلى الله عليه وسلم، والثانية: أنه صلى الله عليه وسلم قصدهم بالنذارة وأن يسمعهم القرآن، ويرجعوا منذرين ومبلغين إلى أقوامهم، وهذا قول أبي حيان، وقال: "والذي يجمع اختلاف الروايات، أن قصة الجن كانت مرتين... "[2].

والراجح هو: أن ظاهر النقل من الألوسي عن البيضاوي –رحمهما الله– أنه يرى عدم رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للجن.

لكن هذا النص غير كاف في الحكم على مذهب الإمام البيضاوي –رحمه الله– فإنه محتمل لأن يكون قد تكلم على إمكان الرؤية في سياق تلك القصة فحسب. والله تعالى أعلم.

لكن لا شكّ أنّ الراجح أنّ النبي صلى الله عليه وسلم رأى الجن في سياق تلك القصة، ودلّت على ذلك الأحاديث الصحيحة عن ابن مسعود وأبي هريرة وغيرهما رضي الله عنهم.

وأما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في نفي ذلك فقد أجاب عنه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "وابن عباس قد علم ما دل عليه القرآن من ذلك ولم يعلم ما علمه ابن مسعود وأبو هريرة وغيرهما من إتيان الجن إليه ومخاطبته إياهم"[3].

(١) تفسير الماتريدي (١٠/ ٢٤٠).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٩/ ٤٤٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٨).

٧٦- سورة الإنسان

المسألة الأولى: ما هو لون الإستبرق في الجنة؟

في قوله تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾ [سورة الإنسان: ٢١].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾ يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ"(١).

التعقّب:

قال الألوسي: "ولم يذكر لون هذا الإستبرق، وأشار ناصر الدين إلى أنه الخضرة، فـ﴿خُضۡرٞ﴾ وإن توسط بين المعطوف والمعطوف عليه فهو لهما"(٢).

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن الخضرة لون لكلا النوعين: السندس والاستبرق.

بينما يرى العلامة الألوسي أنه لون للسندس فقط.

وقد اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾ من هذه الآية الشريفة، ويمكن من خلال الوقوف على مذاهب القراء والقراءات حولها؛ معرفة الراجح من هذه المسألة.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٧٢).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٥/١٧٩).

ويظهر من خلال ما ذكره المفسرون في القراءات الواردة فيها أن فيها أربعة أوجه من القراءات[1]:

١- فقد قرأ أبو جعفر القارئ[2] وأبو عمرو[3] برفع: (خُضْرٌ) على أنها نعت للثياب، وخفض (إستَبْرَقٍ) عطفا به على السندس، بمعنى: وثياب إستبرق[4].

فعلى هذه القراءة لا تكون الخضرة وصفا للإستبرق.

٢- وقرأ عاصم وابن كثير (خُضْرٍ) خفضا (وإسْتَبْرَقٌ) رفعا، عطفا بالإستبرق على الثياب، بمعنى: عاليهم إستبرق، وتصييرا للخضر نعتا للسندس[5].

وعلى هذه القراءة أيضا لا تكون الخضرة وصفا للإستبرق.

٣- وقرأ نافع[6]: ﴿خُضْرٌ﴾ رفعا على أنها نعت للثياب، ﴿وإسْتَبْرَقٌ﴾ رفعا عطفا به على

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١١٣)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٦٢)، تفسير السمرقندي (٣/ ٥٢٩)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٧٩٣٧)، التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٠٥)، تفسير السمعاني (٦/ ١٢١)، تفسير البغوي (٨/ ٢٩٧)، تفسير ابن عطية (٥/ ٤١٤)، زاد المسير (٤/ ٣٨٠)، تفسير الرازي (٣٠/ ٧٥٤)، تفسير القرطبي (١٩/ ١٤٦)، البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٣٦٧).

(٢) يزيد بن القعقاع الإمام أبو جعفر المخزومي المدني القارئ، أحد القرّاء العشرة تابعي مشهور كبير القدر، ويقال: اسمه جندب بن فيروز وقيل: فيروز، عرض القرآن على مولاه عبد الله بن عياش بن أبي وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وروى عنهم، وصلى بابن عمر وأقرأ الناس قبل الحرة، روى القراءة عنه نافع بن أبي نعيم وغيره. ينظر: التاريخ الكبير للبخاري (٨/ ٣٥٣)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٥٨)، غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٨٢)،

(٣) أبو عمرو بن العلاء بن عَمَّار بن العُرْيَان التَّمِيمِي ثم المازني البصري شيخ القراء والعربية، اختلف في اسمه على أقوال، أصحها: زبان، قرأ القرآن على سعيد بن جبير ومجاهد بن جبر وعكرمة وغيرهم، قرأ عليه خلق كثير منهم: عبد الله بن المبارك ويحيى بن المبارك والأصمعي وطائفة وكان مع علمه باللغة وفقهه في العربية متمسكا بالآثار لا يكاد يخالف في اختياره ما جاء عن الأئمة قبله، متواضعا في علمه، وكان حسن الاختيار، سهل القراءة غير متكلف. توفي سنة (١٥٤هـ). ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (ص: ٥٨)، غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٢٨٨)، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (٢/ ٦٤٤)

(٤) ينظر: السبعة في القراءات (ص: ٦٦٤)، حجة القراءات (ص: ٧٤٠).

(٥) ينظر: حجة القراءات (ص: ٧٤٠)، الكنز في القراءات العشر (١/ ٦٢).

(٦) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم القارئ المدني: مولى بني ليث، أصله من أصبهان. كنيته أبو رويم، وقيل أبو عبد الرحمن. روى عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن وزيد بن أسلم. وروى عنه أبو عمرو عثمان بن سعيد المقرئ المعروف ⇦=

الثياب[1].

وعلى هذه القراءة أيضا لا تكون الخضرة وصفا للإستبرق.

٤- وقرأ عامة قرّاء الكوفة: ﴿خُضْرٍ وإِسْتَبْرَقٍ﴾ خفضا كلاهما، وعلى هذه القراءة تكون الخضرة وصفا للإستبرق[2].

فظهر مما سبق أن وصف الخضرة للإستبرق وصف صحيح على مقتضى قراءة الكوفيين.

قال ابن القيم:"من رفع (خضرا) أجراه صفة للثياب، وهو الأقيس من وجوه:

أحدها: المطابقة بينهما في الجمع.

الثاني: موافقته لقوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾[سورة الكهف:٣١].

الثالث: تخلصه من وصف المفرد بالجمع"[3].

وقد ورد في القرآن نصًّا وصفه بالخضرة في قوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [سورة الكهف:٣١].

قال ابن عرفة: "أخذ منه أن الخضرة أحسن الألوان لأنها وسط بين السواد والبياض، والسواد مجمع للبصر مع أنه يحدث انقباضا في النفس، والبياض مفرق للبصر مع أنه يؤثر انبساطا وسرورا في النفس، وأجيب بأن الخضرة أحسن الألوان المغيرة بالصباغ، وأما البياض فهو أحسن الألوان"[4].

= بورش، وعيسى بن ميناء المقرئ المعروف بقالون. توفي سنة (١٦٩هـ). ينظر: تهذيب الكمال للمزي (٢٩/ ٢٨٢)، معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ١٠٧)، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (٢/ ٧٣٣).

(١) ينظر: حجة القراءات (ص: ٧٤٠)، الكنز في القراءات العشر (١/ ٦٢).

(٢) ينظر: السبعة في القراءات (ص: ٦٦٤)، حجة القراءات (ص: ٧٤٠).

(٣) حادي الأرواح (ص: ١٩٩).

(٤) تفسير ابن عرفة (٣/ ٨٧).

٧٨- سورة النبأ

المسألة الأولى: المقصود بالخطاب في قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾.

في قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [سورة النبأ: ٣٧].

القولُ المعقَّبُ عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ والواو لأهل السموات والأرض أي لا يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب أو عقاب، لأنهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضاً وذلك لا ينافي الشفاعة بإذنه"(١).

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "ظاهر كلام البيضاوي حمل الخطاب على خطاب الاعتراض عليه سبحانه في ثواب أو عقاب، وظاهر كلام البيضاوي حمل الخطاب على خطاب الاعتراض عليه سبحانه في ثواب أو عقاب ومنه على ما سمعت منا، أولا: لا يملكون خطابه تعالى والاعتراض عليه سبحانه في ثواب أو عقاب لأنهم مملوكون له عز وجل على الإطلاق فلا يستحقون عليه سبحانه اعتراضا أصلا. وأيّا ما كان فالآية لا تصلح دليلا على نفي الشفاعة بإذنه عز وجل"(٢).

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن المراد بالخطاب هنا خطاب الاعتراض.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٨١).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٥/ ٢٢٠).

بينما يرى العلامة الألوسي أنه ليس خطاب اعتراض.

وهذه المسألة مبينة على المراد بالمخاطبين في هذه الآية، وقد اختلف المفسرون في المراد من الخطاب في هذه الآية.

القول الأول: أن المراد بالخطاب هنا هو مطلق الكلام لجميع الناس، وهو قول الحسن البصري[١]، ومجاهد[٢]، وقتادة[٣]، وابن زيد[٤]، ومقاتل[٥]، والطبري[٦]، والواحدي[٧]، والسمعاني[٨]، والبغوي[٩]، والرازي[١٠]، والخازن[١١].

القول الثاني: أن المراد منه الشفاعة، وهو قول الكلبي[١٢]، والكسائي[١٣]، والسمرقندي[١٤].

القول الثالث: أن المراد منه هو كلام الكفار في زيادة ثوابهم وأجرهم، ونقص عقابهم، وتخفيف عذابهم، وهو قول الزمخشري[١٥]، وابن عطية[١٦]، وأبي حيان[١٧]، وابن عاشور[١٨].

---

(١) تفسير القرآن العزيز (٥/ ٨٦).

(٢) ينظر: تفسير مجاهد (ص: ٦٩٦)، تفسير الطبري (٢٤/ ٤٦).

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٦).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٦).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٥٦٥).

(٦) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٦).

(٧) الوجيز (ص: ١١٦٧).

(٨) تفسير السمعاني (٦/ ١٤٢).

(٩) تفسير البغوي (٨/ ٣١٧).

(١٠) تفسير الرازي (٣١/ ٢٤).

(١١) تفسير الخازن (٤/ ٣٨٩).

(١٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ١١٩).

(١٣) تفسير القرطبي (١٩/ ١٨٦).

(١٤) تفسير السمرقندي (٣/ ٥٣٩).

(١٥) تفسير الزمخشري (٤/ ٦٩١).

(١٦) تفسير ابن عطية (٥/ ٤٢٨).

(١٧) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٣٩٠).

(١٨) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٠).

والراجح هو: القول الأول، وهو الذي عليه جمهور العلماء من المفسرين، وهو الذي قال به العلامة الألوسي.

ومع ذلك فلا يمنع أن يحمل على نفي الشفاعة في الآخرة، إلا لمن أذن الله تعالى فيها، وهو ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني.

أما ما ذهب إليه أصحاب القول الثالث من أن المراد منه كلام الكفار في زيادة الثواب، وتخفيف العقاب، فهو قول غير صحيح، لأن هذه الآية سيقت في ذكر المؤمنين، لا في ذكر الكفار[1].

(١) تفسير الرازي (٣١/ ٢٤).

المسألة الثانية: التفضيل بين الملائكة والبشر.

في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ [سورة النبأ: ٣٨- ٣٩].

القول المعقَّب عليه:

قال البيضاوي: "﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ تقرير وتوكيد لقوله ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾، فإن هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله إذا لم يقدروا أن يتكلموا بما يكون صوابًا كالشفاعة لمن ارتضى إلا بإذنه، فكيف يملكه غيرهم"(١).

التعقّب:

قال الألوسي: "وجوز أن يكون ضمير ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ إلى ﴿الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ والكلام مقرر لمضمون قوله تعالى ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ إلخ أيضا لكن على معنى أن الروح والملائكة مع كونهم أفضل الخلائق وأقربهم من الله تعالى إذا لم يقدروا أن يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى إلا بإذنه فكيف يملكه غيرهم وذكره بعض أهل السنة، فتعقب بأنه مبني على مذهب الاعتزال من كون الملائكة عليهم السلام أفضل من البشر مطلقا، ونسب إلى القاضي البيضاوي وكلامه في التفسير هنا لا يخلو عن إغلاق، وتصدي من تصدى لتوجيهه وأطالوا في ذلك على أن الخلاف في أفضليتهم بمعنى كثرة الثواب وما يترتب عليها من كونهم أكرم على الله تعالى وأحبهم إليه سبحانه لا بمعنى قرب المنزلة ودخول حظائر القدس ورفع ستارة الملكوت بالاطلاع على ما غاب عنا والمناسبة في النزاهة وقلة الوسائط ونحو ذلك فإنهم

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٨١).

بهذا الاعتبار أفضل بلا خلاف وكلام ذلك البعض يحتمل أن يكون مبنيا عليه وهذا كما نشاهده من حال خدام الملك وخاصة حرمه فإنهم أقرب إليه من وزرائه والخارجين من أقربائه وليسوا عنده بمرتبة واحدة وإن زادا في التبسط والدلال عليه"[1].

الدراسة:

يرى العلامة الألوسي أن هذه المسألة متعلقة بمسألة التفضيل بين الملائكة وبين البشر، وهذه المسألة من المسائل المشهورة والمعروفة عند أهل العلم، وقد تكلم العلماء فيها كثيرا، وأطالوا بحثها.

وخلاصة هذه الأقوال تدور على ثلاثة أقوال، هي:

القول الأول: أن الملائكة أفضل من البشر[2].

القول الثاني: أن مؤمني البشر أفضل من الملائكة[3].

القول الثالث: التوقف في المسألة[4].

والراجح هو: ما ذهب إليه العلامة الألوسي فإنه قال: "المسألة سمعية، وتفصيل الأدلة والمذاهب فيها حشو الكتب الكلامية، والقطع فيها منوط بالنص الذي لا يحتمل تأويلا ووجوده عسر"[5].

---

(١) تفسير الألوسي (١٥/ ٢٢١).

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ٦٩)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ١٧)، أبكار الأفكار في أصول الدين (٤/ ٢٢٥)، شرح الطحاوية (٢/ ٤١٠)، تفسير الماتريدي (١/ ٤٣٥)، (٣/ ٤٢٧)، تفسير القرطبي (١/ ٢٨٩)، تفسير النسفي (١/ ٤٢٠)، تفسير الخازن (٢/ ٤٨٢)، تفسير ابن كثير (٢/ ٤٨٠)، فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٨٦)، عمدة القاري (٢٥/ ١٠١).

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٤١٠)، العقائد الإسلامية (ص: ١١٣)، أبكار الأفكار في أصول الدين (٤/ ٢٢٥)، تفسير البغوي (٣/ ١٤٥)، تفسير القرطبي (١/ ٢٨٩)، تفسير النسفي (١/ ٤٢٠)، تفسير الخازن (٢/ ٤٨٢)، تفسير ابن كثير (٢/ ٤٨٠)، فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٨٦)، عمدة القاري (٢٥/ ١٠١).

(٤) الحبائك في أخبار الملائك (ص: ٢٠٣).

(٥) روح المعاني (٣/ ٢١٤).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: "أصل البحث في هذا لا داعي له؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم وهم أحرص الناس على العلم والإيمان لم يبحثوا هذا البحث، ولم يقولوا البشر أفضل أم الملائكة. وشيء سكت عنه الصحابة رضي الله عنهم مما يتصل بالدين، فالأجدر بنا أن نسكت عنه"[1].

(١) شرح العقيدة السفارينية (١/ ٦٥٣).

٨٠- سورة عبس

المسألة الأولى: الترتيب في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [سورة عبس: ٣٤ - ٣٦].

القول المعقَّب عليه:

قال القاضي البيضاوي: "﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ لاشتغاله بشأنه، وعلمه بأنهم لا ينفعونه، أو للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم، وتأخير الأحب فالأحب للمبالغة؛ كأنه قيل: يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه"[(١)].

التعقّب:

قال الإمام الألوسي: "وفيه نظر وجعل القاضي ذكر المتعاطفات على هذا النمط من باب الترقي على اعتبار الأب على الأم سابقا على عطفهما على الأخ فيكون المجموع معطوفا عليه وكذا في ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ فقال: تأخير الأحب فالأحب للمبالغة كأنه قيل: يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه، ولا يخفى تكلفه، مع اختلاف الناس والطباع في أمر الحب ولعل عدم مراعاة ترق أو تنزل لهذا الاختلاف، مع الرمز إلى أن الأمر يومئذ أبعد من أن يخطر بالبال فيه ذلك"[(٢)].

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٨٨).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٥/ ٢٥١).

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن الآية اعتبرت الترقي في ذكر أقارب المرء.

بينما يرى العلامة الألوسي أن الترتيب في الآية غير مقصود.

ومحور التعقب في هذه المسألة أن الآية الكريمة ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ هل رتبت الفرار على تأخير الأحب فالأحب؟

وهذا الاستنباط سبق إليه الزمخشري، فقال: "وبدأ بالأخ، ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه، ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب، كأنه قال: يفرّ من أخيه، بل من أبويه، بل من صاحبته وبنيه"(١). ثم تبعه الرازي(٢)، ثم البيضاوي(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الابتداء يكون في كل مقام بما يناسبه فتارة يقتضي الابتداء بالأعلى وتارة بالأدنى، وهنا المناسبة تقتضي الابتداء بالأدنى؛ لأن المقصود بيان فراره عن أقاربه مفصلا شيئا بعد شيء، فلو ذكر الأقرب أولا لم يكن في ذكر الأبعد فائدة طائلة، فإنه يعلم أنه إذا فر من الأقرب فر من الأبعد، ولما حصل للمستمع استشعار الشدة مفصلة فابتدئ بنفي الأبعد منتقلا منه إلى الأقرب"(٤).

وقد تُعقب على القاضي البيضاوي في ذلك.

قال الشهاب الخفاجي: "قوله: (وتأخير الأحب الخ) فهو للترقي لا للتنزل، والظاهر أنه لم يقصد ذلك لأنّ فيما ذكره نظرا لا يخفى مع اختلاف الناس، والطباع فيه وذكر المرء تغليبا أو لأنه يعلم منه المرأة بطريق المقايسة، وقوله: (من أبويه) قيل: لأنه جعل الأب معطوفا على الأمّ ثم عطف المجموع على الأخ لعدم ظهور كون الأب أحب إليه من الأمّ وفيه نظر ظاهر أيضا، وكذا قوله: (بل من صاحبته وبنيه) اعتبر العطف للمجموع ولا يخفى تكلفه"(٥).

---

(١) تفسير الزمخشري (٤/ ٧٠٥).

(٢) تفسير الرازي (٣١/ ٦١).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٨٨).

(٤) مجموع الفتاوى (١٦/ ٧٤).

(٥) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٨/ ٣٢٤)

وتابعه الإمام الألوسي على ذلك[1].

والراجح هو: أن القاضي البيضاوي مسبوق بهذا القول، وهو مما تختلف فيه أذواق المفسرين وليس له تأثير على تفسير الآيات، فهو من باب اختلاف التنوع لا التضاد، والله تعالى أعلم.

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٥/ ٢٥١).

٨١- سورة التكوير

المسألة الأولى: الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. [سورة التكوير: ٢٩].

القول المعقَّب عليه:

قال البيضاوي: "﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الاستقامة يا من يشاؤها. ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم"(١).

التعقّب:

قال الألوسي: "و(أن) وما معها هنا على ما ذكرنا في موضع خفض بإضمار باء السببية، وجوز أن تكون للمصاحبة، وذهب غير واحد إلى أن الاستثناء مفرغ من أعم الأوقات، أي وما تشاءون الاستقامة في وقت من الأوقات إلّا وقت أن يشاء الله تعالى شأنه استقامتكم، وفي الباب الثامن من المغني(٢)، أن (أَنْ) وصلتها لا يعطيان حكم المصدر في النيابة عن ظرف الزمان تقول: جئتك صلاة العصر ولا يجوز جئتك أن تصلي العصر. فالأولى ما ذكرنا أولا وإليه ذهب مكي(٣) وذهب القاضي إلى الثاني. وقد اعترض عليه أيضا بأن ما لنفي الحال وأَنْ خاصة للاستقبال فيلزم أن يكون وقت مشيئته تعالى المستقبل ظرفا لمشيئة العبد الحالية وأجيب بأنا لا نسلم أن ما مختصة بنفي الحال ومن ادعى اختصاصها بذلك اشترط انتفاء القرينة على خلافه ولم تنتف هاهنا لمكان (أَنْ) في حيزها أو بأن كون (أَنْ) للاستقبال مشروط بانتفاء قرينة خلافه وهاهنا قد وجدت لمكان ما قبلها فهي لمجرد المصدرية. وقيل: يندفع الاعتراض بجعل الاستثناء منقطعا فليجعل كذلك وإن كان الأصل فيه الاتصال وليس بشيء وقد أورد على

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٩١).

(٢) أي مغني اللبيب لابن هشام، وينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص: ٨٩٠)

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٧٩٤٨).

وجه السببية الذي ذكرناه نحو ذلك وهو أنه يلزم من كون ما لنفي الحال وللاستقبال سببية المتأخر للمتقدم ومما ذكر يعلم الجواب كما لا يخفى فتأمل جميع ذلك والله تعالى الهادي لأوضح المسالك"[1].

الدراسة:

ذهب القاضي البيضاوي إلى أن الاستثناء متصل.

بينما يرى العلامة الألوسي أن الاستثناء منقطع.

وهذه المسألة مبنية على معرفة المعنى المترتب من الموقف الإعرابي للجملة، وقد اختلف المفسرون في إعراب (أن) وما معها في قوله تعالى ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ على قولين[2]:

القول الأول: أن تكون في موضع خفض بإضمار باء السببية، والمعنى: إلا بأن يشاء الله[3]، وهو اختيار مكي[4]، ووافقه الألوسي[5].

القول الثاني: أن تكون في موضع نصب نيابة عن الظرف، والمعنى: إلا وقت أن يشاء الله[6]، وهو قول الزمخشري[7]، والقاضي البيضاوي[8].

والراجح هو: أن الاختلاف في هذه المسألة راجع للإعراب، والبيضاوي والألوسي كلاهما مسبوق إلى ما ذهب إليه بأئمة في اللغة والتفسير، وكلا القولين لا يؤثران في معنى الآية.

---

(١) تفسير الألوسي (١٥/ ٢٦٦).

(٢) الدر المصون (١٠/ ٧٠٨).

(٣) ينظر: الدر المصون (١٠/ ٧٠٨)، الجدول في إعراب القرآن (٣٠/ ٢٥٩).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٧٩٤٨)، مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٨٠٣).

(٥) تفسير الألوسي (١٥/ ٢٦٦).

(٦) ينظر: إعراب القرآن العظيم لزكريا الأنصاري (ص: ٥٥٠)، إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٣٩٧)، إعراب القرآن للدعاس (٣/ ٤٢٤).

(٧) تفسير الزمخشري (٤/ ٦٧٦).

(٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٩١).

الخاتمة

وتشمل أهم النتائج

والتوصيات

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فإنه بعد هذه الدراسة لتعقبات العلامة الألوسي على القاضي البيضاوي تبيَّن لي بعض النتائج العلمية والتوصيات المهمة.

أولا: أهم النتائج:

- أن العلامة الألوسي – رحمه الله – عالم متفنن، ذو اطلاع واسع، فهو بالإضافة إلى رسوخه في التفسير وأصوله، عالم بالقراءات والحديث وعلوم القرآن، بارع في الفقه وأصوله، وله اليد الطُّولى في علوم اللغة العربية. ويظهر هذا جليّاً لمن طالع هذا السفر العظيم.

-أن الألوسي رحمه الله غير منضبط في إطلاق وصف (القاضي)، فهو يطلقه تارة على الباقلاني، وتارة على الرازي، وتارة على البيضاوي وأكثر أحيانه على البيضاوي.

- أن تعقبات العلامة الألوسي جاءت متنوعة في شتى العلوم، والتي لا تنفك عن التفسير.

- أن العلامة الألوسي لا يكتفي بمجرد النقل؛ بل يُمحِّص الأقوال ويدقِّق فيها، بُغية الوصول إلى المعنى الصحيح، ولذلك كثرت تعقباته على المفسرين قبله.

- أن العلامة الألوسي كان مصيباً في أكثر تعقباته، وقد أخطأ في بعضها، وهو في ذلك شأنه شأن غيره من المفسرين.

-ظهر لي من خلال البحث أن القاضي البيضاوي أصاب في (١٠) مسائل، بينما أصاب العلامة الألوسي في (٤٤) مسألة، وأما في (٤) مسائل فقد ظهر لي أن الراجح فيها خلاف قولهما.

- أن العلامة الألوسي لا يوافق البيضاوي في كل تعقباته على الزمخشري دائما بل قد يوافق الزمخشري معترضا به على البيضاوي كما في مسألة سورة الزخرف.

ثانيا: التوصيات:

وبعد: فأوصي طلاب الدراسات العليا بدراسة تعقبات المفسرين وترجيحاتهم واستنباطاتهم، لما تشتمل عليها هذه التعقبات من فوائد علمية متينة، وقواعد أصيلة تتصل بعلوم القرآن ومباحثه، ويتمكن الباحث من خلال دراستها الوقوف على مناهج المفسرين في التفسير، وطرق الترجيح بين الأقوال، وإعمال القواعد التفسيرية، والاطِّلاع على جُلِّ التفاسير، وجمع الأقوال في الآية وتمحيصها ومناقشتها، وهذا كله من شأنه أن يُكسب الدارس ملكة تفسيرية، تمكنه من الوصول إلى القول الراجح في معنى الآية.

ومن خلال تتبع تفسير الألوسي يظهر أن هناك بعض الجوانب التي تحتاج إلى مزيد بحث ودراسة حول هذا التفسير العظيم.

ومن جملة المقترحات:

١-الاعتناء باختيارات الألوسي التفسيرية.

٢-تعقبات الألوسي على القاضي الباقلاني والرازي.

٣-علوم القرآن عند الألوسي من خلال تفسيره روح المعاني.

٤-التفسير الإشاري عند الألوسي.

٥-آيات الأحكام في تفسير الألوسي، دراسة فقهية تفسيرية مقارنة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

وتشمل الآتي:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥- فهرس الأماكن والبلدان.

٦- فهرس الأبيات الشعرية.

٧- فهرس المصادر والمراجع.

٨- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾	البقرة	٣	١٧٠
﴿أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾	البقرة	١٧	١٩٠، ١٩٣، ١٩٦، ٢٧١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	البقرة	٢٠	١٩٩
﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	البقرة	٢٢	٢٦، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٨
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾	البقرة	٢٩	١١١، ٢١٥، ٢٧٤
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	البقرة	٩١	٣٥٨
﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ﴾	البقرة	٩٨	٨٥، ٨٨، ٤٠٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	البقرة	١٤٣	٢٢٠، ٢٢١

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾	البقرة	٢٢٨	٨٦
﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	البقرة	٢٣٦	٦١
﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾	البقرة	٢٤١	٦١
﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾	البقرة	٢٥٦	٢٢٧
﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾	البقرة	٢٨٢	٢٠٠
﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ﴾	البقرة	٢٨٤	٢٣٠
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾	آل عمران	٦٤	١٧٦
﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	آل عمران	١٣٢	٤١١
﴿قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾	آل عمران	١٦٧	٢٣٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾	النساء	٥٩	٤١١

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾	النساء	٦٥	٤١٢
﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾	النساء	١٣٠	٨١، ٢٣٨
﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾	النساء	١٦٥	٢٦٧
﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾	المائدة	١٢	٥٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	المائدة	٩٠	٣٣٤، ٣٣٥
﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾	الأنعام	٣	١٦٢
﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ﴾	الأنعام	١٩	١٩٩
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾	الأنعام	٨٢	٢٧٨
﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾	الأنعام	١٠٣	٢٨٤، ٢٨٦

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾	الأنعام	١١٢	٣٢١
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾	الأعراف	٣٢	١٧٤
﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ﴾	الأعراف	١٣٨	١٦٣
﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾	الأعراف	١٤٣	٢٨٤، ٢٨٧
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَنُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾	الأعراف	١٧٢- ١٧٣	٢٦٥
﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	الأعراف	١٧٤	٢٦٧
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾	الأعراف	١٧٩	٢٤٠
﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾	الأعراف	١٩٣	١٧٧
﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾	الأنفال	٢٤	١٥٢
﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا	الأنفال	٣٢	٣٥٥

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾			
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾	الأنفال	٦٠	٥٥، ٥٦
﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾	التوبة	٨٠	٢٧٦
﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	التوبة	١١٧	٢٢١
﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	التوبة	١٢٨	٢٢١
﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	يونس	١٨	٣٩١
﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾	يونس	٢٦	٢٨٣
﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا ﴾	يونس	٥٩	١٧٠
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾	هود	٦	١٧٠، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾	هود	٧	٢٩٠

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾	هود	٣٨	٥٤
﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾	هود	٤٤	٢٥٩
﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾	يوسف	٧٠	١٨١
﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	الرعد	٣٣	٣٩١
﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾	الرعد	٤١	٧٤
﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾	الرعد	٤٢	٧٢
﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	إبراهيم	١٠	٢٦٧
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	الحجر	٩	٣١٨
﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾	الحجر	١١	٣١٩
﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾	الحجر	١٢	٣١٧
﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	الحجر	٥٩، ٦٠	٣٢٧
﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	النحل	٧	٢٢٢
﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	النحل	٤٠	٢٠٠
﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	النحل	٤٧	٢٢٢

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	النحل	٦٧	٣٣٤
﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾	النحل	٨٠	٣٤٢
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾	الإسراء	١٥	٣٦٧
﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾	الكهف	٢٣-٢٤	٢٠٠
﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾	الكهف	٣١	٤٢٨
﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾	الكهف	٤٤	٧٢
﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾	مريم	٩	٢٠٠، ٢٠١
﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾	مريم	٦٤	٣١٢
﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾	مريم	٦٥	١٦٣
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾	طه	٥	٢٦٠
﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾	طه	٨٨	١٦٣
﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾	الأنبياء	٣٠	٥٦
﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾	الحج	١	٢٠٢
﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ	الحج	٢	٢٠٢

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ ﴾			
﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	الحج	٦٥	٢٢٢
﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾	المؤمنون	٢٨	٢٥٩
﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾	النور	٢	٢٢٠
﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	النور	٢٠	٢٢٢
﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾	النور	٦٣	٢٧٢
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾	الفرقان	٢	٢٠١
﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾	الفرقان	٢١	٣١٢
﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴾	الفرقان	٢٥	٣١١
﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾	الشعراء	٢١٢	٣٢٢
﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾	النمل	١٠	٧٤
﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾	الروم	١٧	١٣٥
﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ	الروم	٤٠	١٧٢

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يُحْيِيكُمْ﴾			
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾	لقمان	٢٥	٢٦٧
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	السجدة	٤	٢٥٨
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾	السجدة	١٣	٣٢٠
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾	الأحزاب	٣٦	٤١٢
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾	سبأ	١	٢٥٠
﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	يس	٢٢	١٤٩
﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	الصافات	٩٦	١٥٧
﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾	الصافات	١٠٣	٣٦٨
﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾﴾	ص	٤٩-٥٤	١٧٤

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾			
﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾	الزمر	٦٢	١٥٦، ١٩٩
﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾	غافر	٧	١١٠
﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾	الزخرف	١٣	٢٥٩
﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾	الدخان	٢٥	٨٦، ٢٠٧
﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾	الجاثية	١٠	٣٥٩
﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾	محمد	١٩	٥
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾	ق	٣٩	٢٨٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾	الذاريات	٥٨	١٧٢
﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾	القمر	٤٩	٢٠١
﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	الحديد	٩	٢٢٢
﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾	الحديد	١٣	٣٥٨، ٣٦٠
﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾	الحديد	٢٧	٢٢١

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	الحشر	١٠	٢٢٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ﴾	الصف	١٠	٣٠٧
﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾	المنافقون	٦	٢٧٣
﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾	التغابن	١٢	٤١٣
﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقٗا﴾	الطلاق	١١	١٧٣
﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾	الملك	١	١٥٢
﴿وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾	الملك	١٥	١٧٢
﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾	الحاقة	٤٠	٢٥٨
﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾	نوح	٢- ٤	٣٠٧
﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾	نوح	١٧	٤٢٠
﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾	الجن	١	٤٢٣
﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾	القيامة	٢٢- ٢٣	٢٨٥
﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا	الإنسان	١	٢٠١

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿مَّذْكُورًا﴾			
﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾	الإنسان	٢٧	٣٥٩
﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾	الإنسان	٣٠	١٥٦
﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾	النبأ	١٩	٥٥
﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾	عبس	٣٦	٨٣
﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾	التكوير	٢٨	١٥٦
﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾	الانفطار	١	٥٥
﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾	الانشقاق	١	٥٥
﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾	القدر	٤	٣١٢
﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾	الكوثر	١	١٥٣
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	الإخلاص	١	١١٠

فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	الصفحة
١.	((أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن))	٤٢٤
٢.	((إذا قرأتم فاتحة الكتاب فاقرؤوا..))	١٥٣
٣.	((اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر))	٤١٢
٤.	((أسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك))	٤١٢
٥.	((ألا أعلمك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟))	١٥٢
٦.	((ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن..))	٥٦
٧.	((إن سورة من القرآن شفعت لرجل حتى غفر له وهي..))	١٥٢
٨.	((أنزل علي آنفا سورة بسم الله الرحمن الرحيم..))	١٥٣
٩.	((أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب..))	٤١٨
١٠.	((الحرب خدعة))	١٧٩
١١.	((الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن..))	١٥٢
١٢.	((عد الثلاثة أشهر الحج))	٥٩
١٣.	((فالثلث، والثلث كثير))	١٦٨
١٤.	((فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم))	٤٢٤
١٥.	((قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين..))	١٥١
١٦.	((قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها..))	١٥٤
١٧.	((لا تدعوا على أنفسكم، لا تدعوا على أولادكم،..))	٣٥٣

م	طرف الحديث	الصفحة
١٨.	((لقد رزقك الله طيبًا فاخترت ما حرم الله عليك من..))	١٧٠
١٩.	((لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم..))	٤٢٤
٢٠.	((لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام، قط إلا..))	١٨١
٢١.	((اللهم إنما أنا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي..))	٣٥٢
٢٢.	((لي خمسة أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، والماحي يمحو..))	٧٣
٢٣.	((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيرا،..))	١٨٠
٢٤.	((ما أبقيت لأهلك؟))	١٦٧
٢٥.	((مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك..))	٣٩٩
٢٦.	((مهلا يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك..))	٤١٨
٢٧.	((وإذا رأوا أنهم قد نجوا، في إخوانهم، يقولون ربنا إخواننا..))	٣٨٧
٢٨.	((يرحم الله ابن عفراء))	١٦٨

فهرس الآثار

م	طرف الأثر	الصفحة
٠١	((اتق الله يا عبد الله ولا تنافق، فإن المنافقين شر..))	١٨٦
٠٢	((أن السموات والأرض كانتا شيئا واحدا ملتزقتين..))	٥٦
٠٣	((خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه..))	٤٢٣
٠٤	((قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاتحة..))	١٥٩
٠٥	((قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الفاتحة وعدّ..))	١٥٩
٠٦	((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقرأ..))	١٦٠
٠٧	((ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن..))	٤٢٣
٠٨	((والله، إني لأرى الشيطان فيما يسرق من السمع..))	١٦٧
٠٩	((ينما الناس في صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آت..))	٢٢٤

فهرس الأعلام المترجم لهم

م	العلم	الصفحة
١.	إبراهيم النخعي	٣٣٠
٢.	ابن أبي العز	٢٤١
٣.	ابن أبي زمنين	٣٥٤
٤.	ابن أبي مليكة	٩٠
٥.	ابن الأنباري	٢٢٧
٦.	ابن الجوزي	١٨١
٧.	ابن الحاجب	٧٨
٨.	ابن الزبير	٥٨
٩.	ابن السراج	٢٢٧
١٠.	ابن السميفع	٢٠٨
١١.	ابن الصلاح	١٠٣
١٢.	ابن العربي	٣٣٦
١٣.	ابن الفارض	٢٥
١٤.	ابن القيم	٥٤
١٥.	ابن المنذر	٦٠
١٦.	ابن المنير	٣٩١
١٧.	ابن النجار	١٠٤
١٨.	ابن تيمية	١٠٤
١٩.	ابن جريج	١٦٠

م	العلم	الصفحة
٢٠.	ابن جزي	٢٦٣
٢١.	ابن جني	١٩٢
٢٢.	ابن حجر العسقلاني	١٦٨
٢٣.	ابن حجر الهيتمي	٥٤
٢٤.	ابن حزم	٢٠١
٢٥.	ابن دريد	١٨٨
٢٦.	ابن شاس	٧٨
٢٧.	ابن عاشور	٢٣٨
٢٨.	ابن عباس	٥١
٢٩.	ابن عثيمين	٢٤٢
٣٠.	ابن عربي الحاتمي	٢٥
٣١.	ابن عرفة	٧٧
٣٢.	ابن عصفور	١٦٤
٣٣.	ابن عطية	٦٢
٣٤.	ابن عمر	٥٨
٣٥.	ابن عمرو	٢٦٢
٣٦.	ابن عيينة	١٨٠
٣٧.	ابن فارس	٧٣
٣٨.	ابن قاضي شهبة	١٢٥
٣٩.	ابن قتيبة	١٧٩
٤٠.	ابن قدامة	١٥٤
٤١.	ابن كثير	٥٤

م	العلم	الصفحة
٤٢.	ابن كيسان	٥٧
٤٣.	ابن مسعود	٥٨
٤٤.	ابن مضاء	٢٢٨
٤٥.	ابن منظور	١٨٨
٤٦.	ابن هشام	٢٢٨
٤٧.	أبو البقاء الكفوي	١٩٢
٤٨.	أبو الحسين البصري	٣٩٠
٤٩.	أبو السعود	٦٢
٥٠.	أبو العالية	١٨٤
٥١.	أبو المعالي	٣١
٥٢.	أبو بكر الصديق	١٦٧
٥٣.	أبو جعفر القارئ	٤٢٧
٥٤.	أبو حنيفة	٣٠
٥٥.	أبو حيان	٦٢
٥٦.	أبو زهرة	٣٤٠
٥٧.	أبو سعيد الخدري	٢٨٥
٥٨.	أبو سعيد بن المعلى	١٥٢
٥٩.	أبو عبيد	٧٣
٦٠.	أبو عمرو بن العلاء	٤٢٧
٦١.	أبو موسى الأشعري	٢٨٢
٦٢.	أبو هريرة	١٥١
٦٣.	أبو هلال العسكري	١٩٤

م	العلم	الصفحة
٦٤.	أبي بن كعب	٢٦٢
٦٥.	أحمد بن حنبل	٢١٦
٦٦.	أحمد بن نعمان	٤٢
٦٧.	الأخفش	١٩٤
٦٨.	الأدنه وي	١٢٥
٦٩.	الأرموي	١٢٣
٧٠.	الأزهري	١٣٧
٧١.	الإسفراييني	٤٠٠
٧٢.	إسماعيل حقي	٤١٨
٧٣.	الإسنوي	١٢٠
٧٤.	الأصبهاني	١٢٣
٧٥.	الألباني	٣٤٦
٧٦.	أم سلمة	٩٠
٧٧.	أم كلثوم بنت عقبة	١٨٠
٧٨.	أنس بن مالك	٣١٨
٧٩.	الأوزاعي	١٦٨
٨٠.	الإيجي	٣٧٢
٨١.	الباقولي	١٩٤
٨٢.	البتاني	٣٤٥
٨٣.	البراذعي	٧٧
٨٤.	البغوي	١٢٣
٨٥.	بيان الحق النيسابوري	٢١٩

م	العلم	الصفحة
٨٦.	بيبرس	١٠٠
٨٧.	تاج الدين السبكي	١٠٧
٨٨.	تقي الدين السبكي	٢٦٩
٨٩.	الثعالبي	٢٦٣
٩٠.	ثعلب	١٣٦
٩١.	الثعلبي	١٩٥
٩٢.	الثوري	٢١٨
٩٣.	جابر بن عبد الله	٥١
٩٤.	الجبائي	٢٠٣
٩٥.	الجرجاني	٦٦
٩٦.	جرير البجلي	٢٨٥
٩٧.	الجهم بن صفوان	٢٥٦
٩٨.	الجوهري	٧٤
٩٩.	حاج خليفة	١٢٧
١٠٠.	حذيفة بن اليمان	١١٦
١٠١.	الحسن البصري	٥٠
١٠٢.	حسين بن علي العشاري	٢٢
١٠٣.	حفص بن المغيرة	٣١٢
١٠٤.	حمزة الزيات	٣١٢
١٠٥.	الخازن	٢٥٢
١٠٦.	الخطيب	٥٩
١٠٧.	الخفاجي	٦٧

م	العلم	الصفحة
١٠٨.	الخليل بن أحمد الفراهيدي	٧٢
١٠٩.	الخوانساري	١١٣
١١٠.	داود الظاهري	٢١٦
١١١.	الداوودي	١٢٥
١١٢.	ذكوان أبو صالح	٥١
١١٣.	الرازي	٢٨
١١٤.	الراغب	١٢٣
١١٥.	الرافعي	١٠٥
١١٦.	الربيع بن أنس	١٨٤
١١٧.	ربيعة الرأي	٢٦٠
١١٨.	الرسعني	٢٧٢
١١٩.	الزبير بن العوام	٤١٢
١٢٠.	الزجاج	٥٧
١٢١.	الزركشي	٢٢١
١٢٢.	الزركلي	٤٣
١٢٣.	زكريا الأنصاري	٢٤٥
١٢٤.	الزمخشري	٦٦
١٢٥.	زيد بن ثابت	٢٣٥
١٢٦.	زيد بن علي	٣١٣
١٢٧.	السدي	١٨٤
١٢٨.	سعد بن أبي وقاص	١٨٦
١٢٩.	سعدي جلبي	٨٥

م	العلم	الصفحة
١٣٠.	سعيد بن جبير	٥٦
١٣١.	سعيد بن منصور	٦٠
١٣٢.	السفاريني	٢٤١
١٣٣.	السكاكي	٦٦
١٣٤.	سلمان الفارسي	٣٥٥
١٣٥.	السمرقندي	١٨٤
١٣٦.	السمعاني	١٨٥
١٣٧.	السمين	١٩١
١٣٨.	سهل التستري	٢٦٣
١٣٩.	السهيلي	٢٢٨
١٤٠.	سيبويه	١٣٦
١٤١.	سيد سابق	٢٨٩
١٤٢.	السيوطي	٨٩
١٤٣.	الشافعي	٦٠
١٤٤.	الشحام	٢٠٣
١٤٥.	الشرواني	٢٤٨
١٤٦.	شعبة بن عياش	٣١١
١٤٧.	الشعبي	٣٣٥
١٤٨.	الشلوبين	١٠٥
١٤٩.	الشنقيطي	٣٢٤
١٥٠.	الشوكاني	٢١٨
١٥١.	شيخ زاده	١٢٦

م	العلم	الصفحة
١٥٢	الشيرازي	١٢٢
١٥٣	صديق حسن خان	٤٣
١٥٤	الصفدي	١٢٧
١٥٥	الضحاك بن مزاحم	٢٦٢
١٥٦	ضياء الدين المقدسي	١٠٤
١٥٧	الطبراني	٥٩
١٥٨	الطبري	١٤٥
١٥٩	الطحاوي	٣٦٥
١٦٠	عاصم بن بهدلة	٣١١
١٦١	عامر بن سعد	٢٨٢
١٦٢	عائشة أم المؤمنين	٤١٨
١٦٣	العبادي	٢٤٩
١٦٤	عبد الحق	٧٧
١٦٥	عبد الرحمن بن أبي ليلى	٢٨٢
١٦٦	عبد الرحمن بن زيد	٢٣٥
١٦٧	عبد القاهر البغدادي	٢٣١
١٦٨	عبد الله بن أبي	٢٧٥
١٦٩	عبد الله بن كثير	٥٧
١٧٠	العبري الفرغاني	١٢٠
١٧١	عثمان بن عفان	١٨٥
١٧٢	عروة بن الزبير	٥٩
١٧٣	العز بن عبد السلام	١٠٤

م	العلم	الصفحة
١٧٤.	عطاء بن أبي رباح	٥٠
١٧٥.	عطاء بن أبي مسلم	٤١٧
١٧٦.	عقبة بن عامر	٥٦
١٧٧.	العكبري	١٩٥
١٧٨.	عكرمة	٥٠
١٧٩.	علقمة بن قيس	٤٢٤
١٨٠.	علم الدين السخاوي	١٠٥
١٨١.	علي بن أبي طالب	١٨٥
١٨٢.	علي رضا باشا	٤٧
١٨٣.	علي علاء الدين	٤٢
١٨٤.	عمر بن الخطاب	٦٠
١٨٥.	الغزالي	٧٨
١٨٦.	غيلان بن سلمة	١٦٨
١٨٧.	الفرَّاء	٧٤
١٨٨.	القاضي عياض	٧٧
١٨٩.	قتادة	٥١
١٩٠.	القرطبي	١٨٥
١٩١.	القشيري	١٨٤
١٩٢.	قوام السنة	١٩٤
١٩٣.	الكاساني	٣١٢
١٩٤.	الكرماني	٢٥٢
١٩٥.	كريب مولى ابن عباس	٥١

م	العلم	الصفحة
١٩٦.	الكسائي	٣١٢
١٩٧.	الكلاباذي	٣٦٦
١٩٨.	الكلبي	٢٦٢
١٩٩.	الماتريدي	٢١٩
٢٠٠.	مالك بن أنس	٥٩
٢٠١.	الماوردي	٢٥٢
٢٠٢.	المبرد	١٣٧
٢٠٣.	مجاهد	١٨٤
٢٠٤.	مجد الدين ابن الأثير	٢١١
٢٠٥.	محمد بن الحسن	١٨٢
٢٠٦.	محمد بن عزير	١٩٤
٢٠٧.	محمد بهجة الأثري	٤٣
٢٠٨.	محمد حسين الذهبي	٤٤
٢٠٩.	محمود خان	٤٧
٢١٠.	مسروق	٤١٧
٢١١.	مسلم بن الحجاج	١٨٠
٢١٢.	مسلم بن يسار	٢٦٣
٢١٣.	معروف الكرخي	٤٥
٢١٤.	المعلمي	٢٩١
٢١٥.	معمر بن المثنى	٣٠٩
٢١٦.	مقاتل	٢١٨
٢١٧.	مكحول	١٦٨

م	العلم	الصفحة
٢١٨.	مكي بن أبي طالب	١٤٦
٢١٩.	الملك الصالح أيوب	١٠٣
٢٢٠.	المناوي	٢٢٥
٢٢١.	المهدوي	٣٦٢
٢٢٢.	المهلب	١٧٩
٢٢٣.	نافع القارئ	٤٢٧
٢٢٤.	نجم الدين النيسابوري	٢١٩
٢٢٥.	النحاس	٢٠٥
٢٢٦.	النسفي	١٨٥
٢٢٧.	النضر بن الحارث	٣٥٥
٢٢٨.	النقاش	٢٥٣
٢٢٩.	النووي	١٠٥
٢٣٠.	الواحدي	١٩٥
٢٣١.	اليافعي	١١٧
٢٣٢.	يحيى بن سلام	٣٣٦
٢٣٣.	يحيى بن وثاب	٣١١
٢٣٤.	يحيى بن يحيى	٢٦٠

فهرس الأماكن والبلدان

م	المكان أو البلد	الصفحة
١.	أذربيجان	٨٤
٢.	إرمينية	٨٤
٣.	بغداد	١١٢
٤.	تبريز	١١٤
٥.	خراسان	١١٢
٦.	شيراز	١٠٨
٧.	عين جالوت	١٠٠
٨.	كرخ	٢١
٩.	المدينة البيضاء	١٠٧

فهرس الأبيات الشعرية

م	البيت	البحر	رقم الصفحة
١	أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى=فصادفَ قلبًا خاليًا فتمكَّنا	الطويل	٣٠
٢	أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي=وقومي تميم والفلاة ورائيا	الطويل	٣٥٩
٣	حتى تهجر في الرواح وهاجه=طلب المعقب حقه المظلوم	الكامل	٧٣
٤	سَهَرِي لِتَنْقِيحِ العُلُومِ أَلَذُّ لِي=مِنْ وَصْلِ غَانِيةٍ وَطيبِ عِنَاقِ	الكامل	٣٨
٥	محا حبّها حبّ الأولى كنّ قبلها=وحلّت مكانا لم يكن حلّ من قبل	الطويل	٣٠

فهرس المصادر والمراجع

(١)**الإبانة عن أصول الديانة**: المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، المحقق: د فوقية حسين محمود، الناشر: دار الأنصار-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧.

(٢)**أبكار الأفكار في أصول الدين**: المؤلف: علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي، تحقيق: أ د أحمد محمد المهدي، عدد الأجزاء: ٥، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية-القاهرة، الطبعة: الثانية / ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٤م.

(٣)**ابن عثيمين الإمام الزاهد**: المؤلف: الدكتور ناصر بن مسفر الزهراني، دار النشر: ابن الجوزي، سنة النشر: الأولى-١٤٢٢هـ.

(٤)**الإبهاج في شرح المنهاج**: المؤلف: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، عام النشر: ١٤١٦هـ.

(٥)**اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**: المؤلف: أ د فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية برقم ٩٥١/ ٥ وتاريخ ١٤٠٦/٨/٥، الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ٣.

(٦)**الاتجاهات الفكرية عند العرب**: المؤلف: علي المحافظة، الدار الأهلية للنشر والتوزيع-لبنان.

(٧)**الإتقان في علوم القرآن**: المؤلف: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، دار النشر: مجمع الملك فهد، البلد: السعودية، الطبعة: الأولى.

(٨)**إتمام الأعلام**: المؤلف: نزار أباظة، محمد رياض المالح، الناشر: دار صادر، لبنان بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(٩)**اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية**: المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، الناشر: مطابع الفرزدق التجارية-الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ٢.

(١٠)**الإحاطة في أخبار غرناطة**: المؤلف: محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ، عدد الأجزاء: ٤.

(١١)**إحكام القنطرة في أحكام البسملة**: المؤلف: الإمام محمد عبد الحي اللكنوي، المحقق: الدكتور صلاح محمد أبو الحاج، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البشير، عمان، الأردن، الطبعة: الأولى ٢٠٠٠م.

(١٢)**الاختيار لتعليل المختار**: المؤلف: عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي، عليها تعليقات: الشيخ محمود أبو دقيقة، الناشر: مطبعة الحلبي – القاهرة، تاريخ النشر: ١٣٥٦ هـ-١٩٣٧ م، عدد الأجزاء: ٥.

(١٣)**إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول**: المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، المحقق:أحمد عزو عناية، دمشق، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(١٤)**الإرشاد في معرفة علماء الحديث**: المؤلف: أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني، المحقق: د محمد سعيد عمر إدريس، الناشر: مكتبة الرشد-الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩، عدد الأجزاء: ٣.

(١٥)**إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني،الناشر: المكتب الإسلامي-بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ.

(١٦)**الأزمنة والأمكنة**: المؤلف: أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧.

(١٧)**أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**: المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقري التلمساني، المحقق: مصطفى السقا-إبراهيم الإبياري-عبد العظيم شلبي، الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر-القاهرة، عام النشر: ١٣٥٨ هـ-١٩٣٩ م، عدد الأجزاء: ٥.

(١٨)**أسباب نزول القرآن**: المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح-الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م.

(١٩)**الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار**: المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: دار قتيبة، دمشق-دار الوعي، حلب، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٢٧.

(٢٠)**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ٤.

(٢١)**أسد الغابة في معرفة الصحابة**: المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، المحقق: علي محمد معوض-عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ-١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٨.

(٢٢)**الأسماء والصفات**: المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة-المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٢.

(٢٣)**الإصابة في تمييز الصحابة**: المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الأولى-١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٨.

(٢٤)**الأصمعيات**: المؤلف: الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع، المحقق: احمد محمد شاكر-عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف-مصر، الطبعة: السابعة، ١٩٩٣م.

(٢٥)**أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة**: المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: دار الصميعي، المملكة العربية السعودية.

(٢٦)**أصول السنة**: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن

حسين البخاري، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية-المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

(٢٧)**الأصول في النحو**: المؤلف: أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج، المحقق: عبد الحسين الفتلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان-بيروت، عدد الأجزاء: ٣.

(٢٨)**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ.

(٢٩)**الاعتقاد القادري**: المؤلف: أبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن خداداد الكرجي، الباقلاني، البغدادي، كتبه وجمع الناس عليه: الخليفة القادر بالله، دراسة وتحقيق: عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، الناشر: مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ١٨، ع ٣٩، ذو الحجة ١٤٢٧ هـ.

(٣٠)**اعتقاد أئمة الحديث**: المؤلف: أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس بن مرداس الإسماعيلي الجرجاني، المحقق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: دار العاصمة-الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

(٣١)**الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث**: المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، المحقق: أحمد عصام الكاتب، الناشر: دار الآفاق الجديدة-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١.

(٣٢)**الاعتقاد**: المؤلف: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، المحقق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: دار أطلس الخضراء، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢.

(٣٣)**إعراب القرآن العظيم**: المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، حققه وعلق عليه: د موسى على موسى مسعود (رسالة ماجستير)، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠١ م.

(٣٤)**إعراب القرآن الكريم**: المؤلف: قاسم حميدان دعاس، الناشر: دار المنير . دار الفارابى، مكان الطبع: دمشق، سنة الطبع: ١٤٢٥ هـ.

(٣٥)**إعراب القرآن وبيانه**: المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية-حمص – سورية، الطبعة الرابعة، ١٤١٥ هـ.

(٣٦)**إعراب القرآن**: المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

(٣٧)**إعراب القرآن**: المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة، قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م.

(٣٨)**إعراب القرآن**: المؤلف: علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن نور الدين جامع العلوم الأَصْفهاني الباقولي، تحقيق ودراسة: إبراهيم الإبياري، الناشر: دار الكتاب المصري-القاهرة ودارالكتب اللبنانية-بيروت-القاهرة / بيروت، الطبعة: الرابعة-١٤٢٠ هـ.

(٣٩)**إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث**: المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين، المحقق: حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه د عبد الحميد هنداوي، الناشر: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع-مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٤٠)**إعلام الموقعين عن رب العالمين**: المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

(٤١)**الأعلام**: المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر.

(٤٢)**أعيان العصر وأعوان النصر**: المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، المحقق: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد، قدم له: مازن عبد القادر المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت–لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ–١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٥.

(٤٣)**الاقتصاد في الاعتقاد**: المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ.

(٤٤)**إكفار الملحدين في ضروريات الدين**: المؤلف: محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي، الناشر: المجلس العلمي–باكستان، الطبعة: الثالثة–١٤٢٤ هـ–٢٠٠٤م.

(٤٥)**إكمال المعلم**: المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ–١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٨.

(٤٦)**الإلزامات والتتبع**: المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، دراسة وتحقيق: الشيخ أبو عبد الرحمن مقبل بن

هادي الوداعي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م.

(٤٧)**ألفية ابن مالك**: المؤلف: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، الناشر: دار التعاون.

(٤٨)**أمثال العرب**: المؤلف: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

(٤٩)**الأمثال**: المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، المحقق: الدكتور عبد المجيد قطامش، الناشر: دار المأمون للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ-١٩٨٠م.

(٥٠)**إنباه الرواة على أنباه النحاة**: المؤلف: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.

(٥١)**الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**: المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٣.

(٥٢)**الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية**: المؤلف: سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين، المحقق: سالم بن محمد القرني، الناشر: مكتبة العبيكان-الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ، عدد الأجزاء: ٢.

(٥٣)**الانتصاف فيما تضمنه الكشاف**: ابن المنير الإسكندراني، مطبوع مع تفسير الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة: الثالثة-١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء:٤.

(٥٤)**الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم**: المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.

(٥٥)**الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف**: المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ١٢.

(٥٦)**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**: المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة: الأولى-١٤١٨ هـ.

(٥٧)**أنوار الهلالين في التعقبات على الجلالين**: المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الخميّس، الناشر: دار الصميعي، الطبعة: الأولى ١٤١٤ هـ.

(٥٨)**أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**: المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: ٤.

(٥٩)**إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد**: المؤلف: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م.

(٦٠)**إيجاز البيان عن معاني القرآن**: المؤلف: محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة: الأولى-١٤١٥ هـ.

(٦١)**إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**: المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، المحقق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر-مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٦٢)**إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**: المؤلف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسى، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

(٦٣)**الإيمان**: المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٦٤)**باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن**: المؤلف: محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوريّ الغزنوي، أبو القاسم، الشهير بـ (بيان الحق)، المحقق (رسالة علمية): سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، الناشر: جامعة أم القرى، عام النشر: ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م.

(٦٥)**البحر الرائق شرح كنز الدقائق**: المؤلف: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء:٨.

(٦٦)**بحر العلوم**: المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، دار النشر: دار الفكر-بيروت، تحقيق: د محمود مطرجي، عدد الأجزاء: ٣.

(٦٧)**البحر المحيط في أصول الفقه**: المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، الناشر: دار الكتبي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(٦٨)**البحر المحيط في التفسير**: المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

(٦٩)**البداية والنهاية**: المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ-١٩٨٨ م.

(٧٠)**بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**: المؤلف: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.

(٧١)**بدائع الفوائد**: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، المحقق: علي بن محمد العمران، دار النشر: دار عالم الفوائد، عدد الأجزاء: ٥.

(٧٢)**البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**: المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

(٧٣)**البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير**: المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع- الرياض-السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ٩.

(٧٤)**البرصان والعرجان والعميان والحولان**: المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.

(٧٥)**البرهان في أصول الفقه**: المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ-١٩٩٧ م، عدد الأجزاء:٢.

(٧٦)**بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**: المؤلف: عبد المتعال الصعيدي، الناشر: مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ٤.

(٧٧)**بغية الطلب في تاريخ حلب**: المؤلف: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم، المحقق: د سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، عدد الأجزاء: ١٢.

(٧٨)**بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**: المؤلف: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي، الناشر: دار الكاتب العربي-القاهرة، عام النشر: ١٩٦٧ م.

(٧٩)**بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية-لبنان / صيدا.

(٨٠)**البلاغة العربية**: المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ-١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ٢.

(٨١)**البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**: المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، الناشر: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٨٢)**البناية شرح الهداية**: المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١٣.

(٨٣)**بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب**: المؤلف: محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني، المحقق: محمد مظهر بقا، الناشر: دار المدني، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ٣.

(٨٤)**بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**: المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ، عدد الأجزاء: ١٠.

(٨٥)**البيان في مذهب الإمام الشافعي**: المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، المحقق: قاسم محمد النوري، الناشر: دار المنهاج – جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١٣.

(٨٦)**البيان والتبيين**: المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ، عدد الأجزاء: ٣.

(٨٧)**البيضاوي وآراؤه الاعتقادية**: إعداد: شريفة أحمد المالكي، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة من جامعة أم القرى مكة المكرمة ١٤٢٩ هـ، إشراف الدكتورة ابتسام جمال.

(٨٨)**البيضاوي ومنهجه في التفسير**: إعداد: يوسف أحمد علي، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الكتاب والسنة من جامعة أم القرى مكة المكرمة، إشراف الدكتور محمد شوقي خضر السيد.

(٨٩)**البيهقي وموقفه من الإلهيات**: المؤلف: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٠)**تاج التراجم**: المؤلف: أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا الحنفي، المحقق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.

(٩١)**تاج العروس من جواهر القاموس**: المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من الباحثين، الناشر: دار الهداية.

(٩٢)**تاريخ أصبهان**: المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، المحقق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٢.

(٩٣)**تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين**: المؤلف: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو، الناشر: دار المشرق-بيروت، الطبعة: الثالثة.

(٩٤)**تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.

(٩٥)**تاريخ التمدن الإسلامي**: المؤلف: جرجي زيدان، مطبعة الهلال-مصر سنة ١٩٠٢.

(٩٦)**تاريخ الثقات**: المؤلف: أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفى، الناشر: دار الباز، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

(٩٧)**تاريخ الدولة العلية العثمانية**: المؤلف: محمد فريد (بك) ابن أحمد فريد (باشا)، المحامي، المحقق: إحسان حقي، الناشر: دار النفائس، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠١-١٩٨١، الناشر: دار النفائس-بيروت.

(٩٨)**تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم**: المؤلف: أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة: الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٩٩)**التاريخ الكبير**: المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد-الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

(١٠٠)**تاريخ بغداد**: المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١٠١)**تاريخ دمشق**: المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٨٠.

(١٠٢)**تأويل مختلف الحديث**: المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الناشر: المكتب الاسلامي-مؤسسة الإشراق، الطبعة: الطبعة الثانية-مزيده ومنقحة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

(١٠٣)**تأويل مشكل القرآن**: المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

(١٠٤)**تبسيط العقائد الإسلامية**: المؤلف: حسن محمد أيوب، الناشر: دار الندوة الجديدة، بيروت-لبنان، الطبعة: الخامسة، ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م.

(١٠٥)**التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**: المؤلف: طاهر بن محمد الأسفراييني، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتب-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(١٠٦)**التبيان في إعراب القرآن**: المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، عدد الأجزاء: ٢.

(١٠٧)**تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبِي**: المؤلف: عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية-بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣١٣ هـ.

(١٠٨)**التتمة الجلية لطبقات الحنفية**: المؤلف: الدكتور صلاح محمد أبو الحاج، الناشر: مركز العلماء العالمي للدراسات وتقنية المعلومات، الطبعة:الأولى.

(١٠٩)**تثبيت دلائل النبوة**: المؤلف: القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي، الناشر: دار المصطفى-شبرا-القاهرة، عدد الأجزاء: ٢.

(١١٠)**التحرير والتنوير**: المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

(١١١)**التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**: المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، الناشر: الكتب العلميه، بيروت-لبنان، الطبعة: الاولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٢.

(١١٢)**تحفة المحتاج في شرح المنهاج**: المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، روجعت وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، عام النشر: ١٣٥٧هـ-١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١٠.

(١١٣)**تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**: المؤلف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة-الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: ٤.

(١١٤)**التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع**: المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: د محمد بن عودة السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان-الرياض، الطبعة: السادسة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

(١١٥)**تذكرة الأريب في تفسير الغريب**: المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: طارق فتحي السيد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤ م.

(١١٦)**تذكرة الحفاظ**: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٤.

(١١٧)**ترتيب المدارك وتقريب المسالك**: المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، المحقق: جزء ١: ابن تاويت الطنجي، ١٩٦٥ م، جزء ٢، ٣، ٤: عبد القادر الصحراوي، ١٩٦٦-١٩٧٠ م، جزء ٥: محمد بن شريفة، جزء ٦، ٧، ٨: سعيد أحمد

أعراب ١٩٨١-١٩٨٣م، الناشر: مطبعة فضالة-المحمدية، المغرب، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ٨.

(١١٨)**تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**: المؤلف: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، المحقق: محمد كامل بركات، الناشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، سنة النشر: ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

(١١٩)**التسهيل لعلوم التنزيل**: المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم-بيروت، الطبعة: الأولى-١٤١٦ هـ.

(١٢٠)**تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية**: المؤلف: محمد بن سعد الشويعر، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩ هـ.

(١٢١)**التعرف لمذهب أهل التصوف**: المؤلف: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.

(١٢٢)**تعقبات الإمام ابن كثير على من سبقه من المفسرين من خلال كتابه**: تفسير القرآن العظيم: المؤلف: أحمد بن عمر السيد، رسالة دكتوراه-جامعة أم القرى-كلية الدعوة وأصول الدين-١٤٣١/٢٠١٠م.

(١٢٣)**تفسير ابن أبي حاتم**: المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز-المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة-١٤١٩ هـ.

(١٢٤)**تفسير ابن عرفة**: المؤلف: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله، المحقق: د حسن المناعي، الناشر: مركز البحوث بالكلية الزيتونية-تونس، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ٢.

(١٢٥)**تفسير أبي السعود**= إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت.

(١٢٦)**تفسير أسماء الله الحسنى**: المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار الثقافة العربية.

(١٢٧)**تفسير الإيجي**: المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ، دار النشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٤.

(١٢٨)**التفسير البسيط**: المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ، عدد الأجزاء: ٢٥.

(١٢٩)**تفسير التستري**: المؤلف: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الأولى-١٤٢٣ هـ.

(١٣٠)**تفسير الثعالبي**: المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة: الأولى-١٤١٨ هـ.

(١٣١)**تفسير الخازن**= لباب التأويل في معاني التنزيل: المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الأولى-١٤١٥ هـ.

(١٣٢)**تفسير العز بن عبد السلام**: المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٣.

(١٣٣)**تفسير القرآن العزيز**: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة- محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة-مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٥.

(١٣٤)**تفسير القرآن العظيم**: المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.

(١٣٥)**تفسير القرآن**: المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(١٣٦)**تفسير القشيري**: المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب-مصر، الطبعة: الثالثة.

(١٣٧)**تفسير الماتريدي**: المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، المحقق: د مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١٠.

(١٣٨)**تفسير الماوردي = النكت والعيون**: المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت / لبنان.

(١٣٩)**تفسير النسفي** (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

(١٤٠)**تفسير عبد الرزاق**: المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

(١٤١)**تفسير مجاهد**: المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ-١٩٨٩ م.

(١٤٢)**تفسير مقاتل بن سليمان**: المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى-١٤٢٣ هـ.

(١٤٣)**التفسير والمفسرون**: المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، عدد الأجزاء: ٣.

(١٤٤)**تفسير يحيى بن سلام**: المؤلف: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٢.

(١٤٥)**تقريب التهذيب**: المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد-سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦-١٩٨٦.

(١٤٦)**التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد**: المؤلف: محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م.

(١٤٧)**تكملة معجم المؤلفين**: المؤلف: محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(١٤٨)**تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**: المؤلف: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي، المحقق: عماد الدين أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(١٤٩)**التمهيد في تخريج الفروع على الأصول**: المؤلف: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين، المحقق: د محمد حسن هيتو، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠.

(١٥٠)**التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**: المؤلف: محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المُلَطي العسقلاني، المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث-مصر.

(١٥١)**تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**: جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، الناشر: دار الكتب العلمية-لبنان.

(١٥٢)**تهذيب الأسماء واللغات**: المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عنيت بنشره: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان.

(١٥٣)**تهذيب التهذيب**: المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

(١٥٤)**تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، المحقق: د بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ.

(١٥٥)**تهذيب اللغة**: المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

(١٥٦)**التوحيد**: المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، المحقق: د فتح الله خليف، الناشر: دار الجامعات المصرية-الإسكندرية.

(١٥٧)**توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**: المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م، عدد الأجزاء: ٣.

(١٥٨)**التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**: المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(١٥٩)**تيسير التحرير**: المؤلف: محمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي، الناشر: دار الفكر – بيروت.

(١٦٠)**جامع البيان في تأويل القرآن**: المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م.

(١٦١)**جامع الرسائل**: المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: د محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء-الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٢.

(١٦٢)**الجامع الكبير**: المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي-بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

(١٦٣)**جامع المسانيد والسنن**: المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: د عبد الملك بن عبد الله الدهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان، طبع على نفقة المحقق ويطلب من مكتبة النهضة الحديثة-مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ١٠.

(١٦٤)**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**: المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١٦٥)**الجامع لأحكام القرآن**: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

(١٦٦)**الجدول في إعراب القرآن**: المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي، الناشر: دار الرشيد، دمشق-مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ، عدد الأجزاء: ٣١.

(١٦٧)**جزء فيه تفسير القرآن**: المؤلف: أبو جعفر الترمذي محمد بن أحمد بن نصر الشافعي الترمذي الرملي الفقيه، المحقق: حكمت بشير ياسين، الناشر: مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م.

(١٦٨)**جلاء العينين في محاكمة الأحمدين**: المؤلف: نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي، قدم له: علي السيد صبح المدني رحمه الله، الناشر: مطبعة المدني، عام النشر: ١٤٠١ هـ-١٩٨١ م.

(١٦٩)**جماع العلم**: المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، الناشر: دار الأثار، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(١٧٠)**جمهرة الأمثال**: المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، الناشر: دار الفكر-بيروت، عدد الأجزاء: ٢.

(١٧١)**جمهرة اللغة**: المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

(١٧٢)**جهود أبي الثناء الألوسي في الرد على الرافضة**: المؤلف: عبد الله البخاري، الناشر: دار ابن عفان، سنة النشر: ١٤٢٠-١٩٩٩.

(١٧٣)**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**: المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: علي بن حسن-عبد العزيز بن إبراهيم-حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٦.

(١٧٤)**جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**: المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

(١٧٥)**الجواهر المضية في طبقات الحنفية**: المؤلف: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي الحنفي، الناشر: مير محمد كتب خانه-كراتشي.

(١٧٦)**الجوهر النقي على سنن البيهقي**: المؤلف: علاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني، أبو الحسن، الشهير بابن التركماني، الناشر: دار الفكر.

(١٧٧)**حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**: المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة.

(١٧٨)**حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي**= عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي: المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، دار النشر: دار صادر-بيروت، عدد الأجزاء: ٨.

(١٧٩)**حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك**: المؤلف: أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٣.

(١٨٠)**الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي**: المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المحقق: الشيخ علي محمد معوض-الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١٩.

(١٨١)**الحبائك في أخبار الملائك**: المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: خادم السنة المطهرة أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥ م.

(١٨٢)**حجة القراءات**: المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة.

(١٨٣)**الحجة للقراء السبعة**: المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي، المحقق: بدر الدين قهوجي-بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح-أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث-دمشق-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٧.

(١٨٤)**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**: المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، الطبعة: الأولى ١٣٨٧ هـ.

(١٨٥)**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، الناشر: السعادة-بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ، تصوير: دار الكتاب العربي – بيروت.

(١٨٦)**حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**: المؤلف: عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار-من أعضاء مجمع اللغة العربية، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ.

(١٨٧)**حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه**: المؤلف: محمد بن إبراهيم الشيباني، الناشر: مكتبة السداوي، سنة النشر: ١٤٠٧-١٩٨٧.

(١٨٨)**الخصائص**: المؤلف: أبي الفتح عثمان بن جني، الناشر: عالم الكتب-بيروت، تحقيق: محمد علي النجار، عدد الأجزاء: ٣.

(١٨٩)**خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**: المؤلف: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي، الناشر: دار صادر – بيروت.

(١٩٠)**خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: المؤلف: أحمد بن عبد الله بن أبي الخير بن عبد العليم الخزرجي الأنصاري الساعدي اليمني، صفي الدين، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية/دار البشائر-حلب / بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦ هـ.

(١٩١)**الدارس في تاريخ المدارس**: المؤلف: عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(١٩٢)**الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**: المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(١٩٣)**درء تعارض العقل والنقل**: المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: دار الكنوز الأدبية-الرياض، ١٣٩١.

(١٩٤)**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: المؤلف: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق:محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية-حيدر آباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

(١٩٥)**دلائل الإعجاز**: المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة-دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

(١٩٦)**الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**: المؤلف: عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠١م.

(١٩٧)**الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**: المؤلف: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

(١٩٨)**ديوان لبيد بن ربيعة العامري**: المؤلف: لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة، اعتنى به: حمدو طمّاس، الناشر: دار المعرفة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤ م.

(١٩٩)**الذخيرة**: المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، المحقق: جزء ١، ٨، ١٣: محمد حجي، جزء ٢، ٦: سعيد أعراب، جزء ٣-٥، ٧، ٩-١٢: محمد بو خبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ١٤.

(٢٠٠)**ذكرى أبي الثناء الألوسي عصره ومجتمعه وحياته العلمية والأدبية والتاريخية والسياسية ومؤلفاته**: المؤلف: عباس العزاوي، سنة الطبع: ١٩٥٨، الأردن.

(٢٠١)**ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد**: المؤلف: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٢.

(٢٠٢)**ذيل طبقات الحفاظ**: المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية.

(٢٠٣)**ذيل طبقات الحنابلة**: المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان-الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ٥.

(٢٠٤)**ذيل مرآة الزمان**: المؤلف: قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني، بعناية: وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ-١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ٤.

(٢٠٥)**الرد على الجهمية والزنادقة**: المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: صبري بن سلامة شاهين، الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى.

(٢٠٦)**الرد على النحاة**: المؤلف: أحمد بن عبد الرحمن بن محمد، ابن مَضَاء، ابن عمير اللخمي القرطبي، أبو العباس، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد إبراهيم البنا، الناشر: دار الاعتصام، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩ م.

(٢٠٧)**رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت**: المؤلف: عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزيّ الوائلي البكري، أبو نصر، المحقق: محمد باكريم با عبد الله، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٢٠٨)**رسالة إلى أهل الثغر**: المؤلف: علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال، تحقيق: عبدالله شاكر محمد الجنيدي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم-دمشق، الطبعة: الأولى، ١٩٨٨-والثانية ، ٢٠٠٢م.

(٢٠٩)**رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز**، المؤلف: عبد الرّازق بن رزق الله الرّسْعَني، دراسة وتحقيق: أ د عبد الملك بن عبدالله بن دهيش، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، عدد الأجزاء: ٩ أجزاء.

(٢١٠)**روح البيان**: المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء، الناشر: دار الفكر-بيروت.

(٢١١)**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

(٢١٢)**الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم**: المؤلف: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، اعتنى به: علي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: ٢.

(٢١٣)**زاد المسير في علم التفسير**: المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

(٢١٤)**زهرة التفاسير**: المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار النشر: دار الفكر العربي، عدد الأجزاء: ١٠.

(٢١٥)**السبعة في القراءات**: المؤلف: أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، الناشر: دار المعارف -القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠، تحقيق: دشوقي ضيف.

(٢١٦)**سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**: المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ٦، عام النشر: جـ ١-٤: ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م، جـ ٦: ١٤١٦ هـ-١٩٩٦ م، جـ ٧: ١٤٢٢ هـ-٢٠٠٢ م.

(٢١٧)**سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**: المؤلف: محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، أبو الفضل، الناشر: دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ٤.

(٢١٨)**السنة**: المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي، المحقق: د محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، الناشر: دار ابن القيم-الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ٢.

(٢١٩)**سنن ابن ماجه**: المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية-فيصل عيسى البابي الحلبي.

(٢٢٠)**سنن أبي داود**: المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا-بيروت.

(٢٢١)**السنن الكبرى**: المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م.

(٢٢٢)**السنن**: المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٥.

(٢٢٣)**سير أعلام النبلاء**: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ.

(٢٢٤)**سير السلف الصالحين**: المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة، تحقيق: د كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

(٢٢٥)**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ.

(٢٢٦)**شذور الذهب**: المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

(٢٢٧)**شرح أبي داود**: المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، المحقق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الناشر: مكتبة الرشد-الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٧.

(٢٢٨)**شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة**: المؤلف: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، الناشر: دار طيبة-الرياض، تحقيق: د أحمد سعد حمدان، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

(٢٢٩)**شرح السنة**: المؤلف: إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني، المحقق: جمال عزون، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية-السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٢٣٠)**شرح العقيدة السفارينية**: المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ.

(٢٣١)**شرح العقيدة الطحاوية**: المؤلف: ابن أبي العز الحنفي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١.

(٢٣٢)**الشرح الكبير على متن المقنع**: المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين، الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار.

(٢٣٣)**شرح المقاصد في علم الكلام**: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، تحقيق: الناشر دار المعارف النعمانية، سنة النشر ١٤٠١هـ-١٩٨١م، مكان النشر باكستان، عدد الأجزاء: ٢.

(٢٣٤)**شرح المواقف**: المؤلف: السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، الناشر: مطبعة السعادة-مصر، الطبعة: الأولى، سنة ١٣٢٥ هـ-١٩٠٧ م.

(٢٣٥)**شرح النووي على مسلم**: المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، عدد الأجزاء: ١٨.

(٢٣٦)**شرح حدود ابن عرفة**: المؤلف: محمد بن قاسم الأنصاري، أبو عبد الله، الرصاع التونسي المالكي، الناشر: المكتبة العلمية، الطبعة: الأولى، ١٣٥٠هـ.

(٢٣٧)**شرح صحيح البخاري**: المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد-السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١٠.

(٢٣٨)**شرح مختصر الروضة**: المؤلف: سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ.

(٢٣٩)**الشريعة**: المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن-الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ.

(٢٤٠)**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**: المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، الناشر: دار الفيحاء-عمان، الطبعة: الثانية-١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء: ٢.

(٢٤١)**شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**: المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٢٤٢)**الصارم المسلول على شاتم الرسول**: المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

(٢٤٣)**الصحاح**: المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م.

(٢٤٤)**صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**: المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤-١٩٩٣، عدد الأجزاء: ١٨.

(٢٤٥)**صحيح أبي داود – الكتاب الأم**: المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ٧ أجزاء.

(٢٤٦)**صحيح الجامع الصغير وزياداته**: المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.

(٢٤٧)**صفة الصفوة**: المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢.

(٢٤٨)**الصفدية**: المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ، عدد الأجزاء: ٢.

(٢٤٩)**الصلاة وأحكام تاركها**: المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة.

(٢٥٠)**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**: المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

(٢٥١)**طبقات الحنابلة**: المؤلف: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة-بيروت، عدد الأجزاء: ٢.

(٢٥٢)**طبقات الشافعية الكبرى**: المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، المحقق: د محمود محمد الطناحي د عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ١٠.

(٢٥٣)**طبقات الشافعية**: المؤلف: أبو بكر بن هداية الله الحسيني، المحقق: عادل نويهض، الناشر: دار الآفاق الجديدة-بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

(٢٥٤)**طبقات الفقهاء الشافعية**: المؤلف: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، المحقق: محيي الدين علي نجيب، الناشر: دار البشائر الإسلامية-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ٢.

(٢٥٥)**طبقات الفقهاء**: المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٧٠.

(٢٥٦)**الطبقات الكبير**: المؤلف: محمد بن سعد بن منيع الزهري، المحقق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة: الأولى.

(٢٥٧)**طبقات المفسرين**: المؤلف: أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم-السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٢٥٨)**طبقات المفسرين**: المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦.

(٢٥٩)**طبقات المفسرين**: المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.

(٢٦٠)**العبر في خبر من غبر**: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

(٢٦١)**العجاب في بيان الأسباب**: المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس، الناشر: دار ابن الجوزي، عدد الأجزاء: ٢.

(٢٦٢)**العرش**: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٢.

(٢٦٣)**العقائد الإسلامية**: المؤلف: سيد سابق، الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت.

(٢٦٤)**العقد الفريد**: المؤلف: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ، عدد الأجزاء: ٨.

(٢٦٥)**العقيدة**: المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: عبد العزيز عز الدين السيروان، الناشر: دار قتيبة-دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨.

(٢٦٦)**عمدة القاري شرح صحيح البخاري**: المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، عدد الأجزاء: ٢٥.

(٢٦٧)**العناية شرح الهداية**: المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي، الناشر: دار الفكر، عدد الأجزاء: ١٠.

(٢٦٨)**عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**: المؤلف: أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو العباس الغِبْرِيني، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، الناشر: منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٩ م.

(٢٦٩)**عوامل انهيار الدولة العثمانية**: المؤلف: د علي حسون، الناشر: المكتب الإسلامي، مكان النشر: دمشق.

(٢٧٠)**العين**: المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء:٨.

(٢٧١)**غاية المرام في علم الكلام**: المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-القاهرة.

(٢٧٢)**غاية النهاية في طبقات القراء**: المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج برجستراسر.

(٢٧٣)**غرائب التفسير وعجائب التأويل**: المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية-جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.

(٢٧٤)**غرائب القرآن ورغائب الفرقان**: المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه-بيروت، الطبعة: الأولى-١٤١٦ هـ.

(٢٧٥)**غريب الحديث**: المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، المحقق: د محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد-الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ-١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٤.

(٢٧٦)**غريب القرآن**: المؤلف: محمد بن عُزير السجستاني، أبو بكر العُزيري، المحقق: محمد أديب عبد الواحد جمران، الناشر: دار قتيبة-سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ-١٩٩٥م.

(٢٧٧)**الغيث الهامع شرح جمع الجوامع**: المؤلف: ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي، المحقق: محمد تامر حجازي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٢٧٨)**الفائق في غريب الحديث والأثر**: المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، المحقق: علي محمد البجاوي-محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة-لبنان، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ٤.

(٢٧٩)**فتح الباري شرح صحيح البخاري**: المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة-بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(٢٨٠)**فتح الباري شرح صحيح البخاري**: المؤلف: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الطبعة الثانية، دار النشر: دار ابن الجوزي-السعودية / الدمام-١٤٢٢هـ.

(٢٨١)**فتحُ البيان في مقاصد القرآن**: المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م.

(٢٨٢)**الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي**: المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، المحقق: أحمد مجتبى، الناشر: دار العاصمة-الرياض، عدد الأجزاء: ٣.

(٢٨٣)**فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**: المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب-دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى-١٤١٤هـ.

(٢٨٤)**الفرق بين الفرق**: المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور، الناشر: دار الآفاق الجديدة-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧.

(٢٨٥)**الفصل في الملل والأهواء والنحل**: المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الناشر: مكتبة الخانجي-القاهرة، عدد الأجزاء: ٥.

(٢٨٦)**فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**: المؤلف: محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.

(٢٨٧)**فوات الوفيات**: المؤلف: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.

(٢٨٨)**القاضي البيضاوي المفسر الأصولي المتكلم الفقيه المؤرخ الأديب صاحب التصانيف المشهورة**: المؤلف: محمد الزحيلي، الناشر: دار القلم-دمشق، سنة النشر: ١٤٠٨-١٩٨٨.

(٢٨٩)**القاضي ناصر الدين البيضاوي وأثره في أصول الفقه**: المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن، الناشر: دار الكتاب الجامعي، الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ.

(٢٩٠)**القاموس المحيط**: المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥ م.

(٢٩١)**القائد إلى تصحيح العقائد**: المؤلف: عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي العتمي اليماني، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

(٢٩٢)**القدر**: المؤلف: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المسْتَفاض الفِرْيابِي، المحقق: عبد الله بن حمد المنصور، الناشر: أضواء السلف، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ-١٩٩٧م.

(٢٩٣)**قواعد الترجيح عند المفسرين**: المؤلف: حسين الحربي، الناشر: دار القاسم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مجلدين.

(٢٩٤)**قواعد العقائد**: المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المحقق: موسى محمد علي، الناشر: عالم الكتب-لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(٢٩٥)**القوانين الفقهية**: المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي.

(٢٩٦)**القول المختصر المبين في مناهج المفسرين**: المؤلف: محمد الحمود النجدي، دار النشر: مكتبة دار الإمام الذهبي، سنة الطبع: الطبعة الأولى (١٤١٢هـ).

(٢٩٧)**الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**: المؤلف: الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الذهبي الدمشقي، قابلهما بأصل مؤلفيهما وقدم لهما وعلق عليهما وخرج نصوصهما: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن جدة.

(٢٩٨)**الكافي في فقه الإمام أحمد**: المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ-١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٤.

(٢٩٩)**الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**: المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن العريفي وناصر بن يحيى الجنيني وعبدالله بن عبدالرحمن الهذيل وفهد بن علي المساعد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع-مكة، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ، عدد الأجزاء: ٤.

(٣٠٠)**الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها**: المؤلف: يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده الهُذَلي اليشكري المغربي، المحقق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، الناشر: مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧ م.

(٣٠١)**الكتاب**: المؤلف: أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار النشر: دار الجيل ـ بيروت.

(٣٠٢)**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**: المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة-١٤٠٧ هـ.

(٣٠٣)**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: المؤلف: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، الناشر: مكتبة المثنى – بغداد، تصوير: دار إحياء التراث العربي، تاريخ النشر: ١٩٤١م.

(٣٠٤)**كشف المشكل من حديث الصحيحين**: المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن-الرياض، عدد الأجزاء: ٤.

(٣٠٥)**الكشف والبيان عن تفسير القرآن**: المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

(٣٠٦)**كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار**: المؤلف: أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني، تقي الدين الشافعي، المحقق: علي عبد الحميد بلطجي ومحمد وهبي سليمان، الناشر: دار الخير-دمشق، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤.

(٣٠٧)**الكليات**: المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش-محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت.

(٣٠٨)**الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**: المؤلف: نجم الدين محمد بن محمد الغزي، المحقق: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

(٣٠٩)**لباب التأويل في معاني التنزيل**: المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

(٣١٠)**اللباب في تهذيب الأنساب**: المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، الناشر: دار صادر-بيروت.

(٣١١)**اللباب في علوم الكتاب**: المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢٠.

(٣١٢)**لسان العرب**: المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة-١٤١٤ هـ.

(٣١٣)**لسان الميزان**: المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م.

(٣١٤)**لطائف الإشارات لفنون القراءات**: المؤلف: الإمام شهاب الدين القسطلاني، تحقيق: عامر السيد عثمان ود عبد الصبور شاهين، دار النشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.

(٣١٥)**لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة**: المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين، المحقق: فوقية حسين محمود، الناشر: عالم الكتب-لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٣١٦)**اللمع في العربية**: المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، المحقق: فائز فارس، الناشر: دار الكتب الثقافية-الكويت.

(٣١٧)**لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**: المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها — دمشق، الطبعة: الثانية-١٤٠٢ هـ-١٩٨٢م.

(٣١٨)**مجاز القرآن**: المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري، المحقق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى-القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ.

(٣١٩)**المجتبى من مشكل إعراب القرآن**: المؤلف: أ د أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، عام النشر: ١٤٢٦ هـ، عدد الأجزاء: ٤.

(٣٢٠)**مجمع الأمثال**: المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة-بيروت، لبنان، عدد الأجزاء:٢.

(٣٢١)**مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر**: المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن سليمان المدعو بشيخي زاده، يعرف بداماد أفندي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، عدد الأجزاء: ٢.

(٣٢٢)**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ.

(٣٢٣)**مجموع الفتاوى**: المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٣٢٤)**المجموع شرح المهذب**: المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار الفكر.

(٣٢٥)**مجموعة الرسائل والمسائل**: المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: السيد محمد رشيد رضا-محمد الأنور أحمد البلتاجي، الناشر: مكتبة وهبة-القاهرة، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ٥.

(٣٢٦)**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية،بيروت، الطبعة الأولى-١٤٢٢ هـ.

(٣٢٧)**المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**: المؤلف: عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد، ابن تيمية الحراني، أبو البركات، مجد الدين، الناشر: مكتبة المعارف-الرياض، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، عدد الأجزاء: ٢.

(٣٢٨)**المحصول**: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧ م.

(٣٢٩)**المحكم والمحيط الأعظم**: المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م.

(٣٣٠)**مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**: المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي، المحقق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة-مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

(٣٣١)**مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**: المؤلف: أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، وضع حواشيه: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م.

(٣٣٢)**المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف في ضوء ما ورد في الانتصاف لابن المنير**: المؤلف: صالح غرم الله الغامدي، الناشر: دار الأندلس، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

(٣٣٣)**المستدرك على الصحيحين**: المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

(٣٣٤)**المستصفى**: المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(٣٣٥)**مسند الإمام أحمد بن حنبل**: المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠١ م.

(٣٣٦)**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**: المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت.

(٣٣٧)**المسودة في أصول الفقه**: المؤلف: آل تيمية: مجد الدين عبد السلام بن تيمية، وعبد الحليم بن تيمية، وأحمد بن تيمية، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتاب العربي.

(٣٣٨)**مشاهير علماء نجد وغيرهم**: المؤلف: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، الناشر: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الطبعة: الأولى: ١٣٩٢هـ.

(٣٣٩)**مشكل إعراب القرآن**: المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، المحقق: د حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥، عدد الأجزاء: ٢.

(٣٤٠)**مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**: المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي، المحقق: محمد المنتقى الكشناوي، الناشر: دار العربية-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ، عدد الأجزاء: ٤.

(٣٤١)**المصنف**: المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي-الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣، عدد الأجزاء: ١١.

(٣٤٢)**معالم أصول الدين**: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الكتاب العربي-لبنان.

(٣٤٣)**معالم التنزيل في تفسير القرآن**: المؤلف: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٣٤٤)**معالم السنن**: المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، الناشر: المطبعة العلمية-حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ-١٩٣٢ م.

(٣٤٥)**معاني القراءات**: المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب-جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ-١٩٩١ م، عدد الأجزاء: ٢.

(٣٤٦)**معاني القرآن وإعرابه**: المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م.

(٣٤٧)**معاني القرآن**: المؤلف: أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ-١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٢.

(٣٤٨)**معاني القرآن**: المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، المحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة الأولى.

(٣٤٩)**المعتمد في أصول الفقه**: المؤلف: محمد بن علي الطيب أبو الحسين البَصْري المعتزلي، المحقق: خليل الميس، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

(٣٥٠)**معجم أعلام المورد**: المؤلف: منير البعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين.

(٣٥١)**معجم أعلام شعراء المدح النبوي**: المؤلف: محمد أحمد درنيقة، تقديم: ياسين الأيوبي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، الطبعة: الأولى.

(٣٥٢)**معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**: المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ-١٩٩٣م.

(٣٥٣)**المعجم الأوسط**: المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين-القاهرة.

(٣٥٤)**معجم البلدان**: المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٧.

(٣٥٥)**معجم الصحابة**: المؤلف: أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي، المحقق: صلاح بن سالم المصراتي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية-المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨، عدد الأجزاء: ٣.

(٣٥٦)**معجم الصحابة**: المؤلف: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي، المحقق: محمد الأمين بن محمد الجكني، الناشر: مكتبة دار

البيان-الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠ م، طبع على نفقة: سعد بن عبد العزيز بن عبد المحسن الراشد أبو باسل، عدد الأجزاء:.٥

(٣٥٧)**المعجم الصغير**: المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار-بيروت، عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥-١٩٨٥م.

(٣٥٨)**المعجم المختص بالمحدثين**: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: د محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م.

(٣٥٩)**معجم المطبوعات العربية والمعربة**: المؤلف: يوسف بن إليان بن موسى سركيس، الناشر: مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦ هـ-١٩٢٨م، عدد الأجزاء:٢.

(٣٦٠)**معجم المؤلفين**: المؤلف: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(٣٦١)**المعجم الوسيط**: المؤلف: إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٣٦٢)**معرفة الصحابة**: المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: عدد الأجزاء: ٧.

(٣٦٣)**معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م.

(٣٦٤)**معنى لا إله إلا الله**: المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي، المحقق: علي محيي الدين علي القرة داغي، الناشر: دار الاعتصام- القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٣٦٥)**مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، المحقق: د مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.

(٣٦٦)**المغني في الضعفاء**: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: الدكتور نور الدين عتر.

(٣٦٧)**المغني**: المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، الناشر: مكتبة القاهرة، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

(٣٦٨)**مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة-١٤٢٠ هـ.

(٣٦٩)**المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات**: المؤلف: محمد بن عبد الرحمن المغراوي، الناشر: مؤسسة الرسالة-دار القرآن، سنة النشر: ١٤٢٠-٢٠٠٠، عدد المجلدات: ٤، رقم الطبعة: ١.

(٣٧٠)**المفصل في صنعة الإعراب**: المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، المحقق: د علي بو ملحم، الناشر: مكتبة الهلال-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣.

(٣٧١)**مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**: المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، عني بتصحيحه: هلموت ريتر، الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

(٣٧٢)**مقاييس اللغة**: المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٣٧٣)**المقتضب**: المؤلف: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، الناشر: عالم الكتب-بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

(٣٧٤)**المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**: المؤلف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة الرشد-الرياض-السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٣.

(٣٧٥)**الملل والنحل**: المؤلف: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الناشر: دار المعرفة-بيروت، ١٤٠٤هـ، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

(٣٧٦)**مناهل العرفان في علوم القرآن**: المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.

(٣٧٧)**المنجد في اللغة**: المؤلف: علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بكراع النمل، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٨٨ م.

(٣٧٨)**المنصف للسارق والمسروق منه**: المؤلف: الحسن بن علي الضبي التنيسي أبو محمد، المعروف بابن وكيع، حققه وقدم له: عمر خليفة بن إدريس، الناشر: جامعة قات يونس، بنغازي، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤ م.

(٣٧٩)**منهاج السنة النبوية**: المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦ م، عدد المجلدات: ٩.

(٣٨٠)**منهاج الوصول إلى علم الأصول**: المؤلف: عبد الله بن عمر البيضاوي، تجهيز ومراجعة: تيسير إبراهيم، كلية الشريعة والقانون-الجامعة الإسلامية-غزة، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م.

(٣٨١)**منهج أبي الثناء الألوسي في أصول الإيمان عرض وتقويم**: إعداد: عبد الله بن عبد العزيز بن إبراهيم الخضير، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إشراف الدكتور: عبد الله بن عبدالرحمن الغديان، سنة: ١٤١٣هـ.

(٣٨٢)**منهج الألوسي في تفسيره منهج الألوسي في القراءات وأثرها في تفسيره روح المعاني**: إعداد بلال عيسى العسلي، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، غزة.

(٣٨٣)**المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**: المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، عدد الأجزاء: ٧.

(٣٨٤)**المهذب في فقه الإمام الشافعي**: المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، الناشر: دار الكتب العلمية، عدد الأجزاء: ٣.

(٣٨٥)**مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٣٨٦)**الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**: المؤلف: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة للنشر.

(٣٨٧)**موطأ الإمام مالك برواية محمد بن الحسن**: المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: المكتبة العلمية.

(٣٨٨)**موقف ابن تيمية من الأشاعرة**: المؤلف: عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، الناشر: مكتبة الرشد-الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

(٣٨٩)**ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ.

(٣٩٠)**نتائج الفكر في النَّحو**: المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، تحقيق: د محمد إبراهيم البنا، الناشر: دار الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ.

(٣٩١)**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**: المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

(٣٩٢)**نزهة الألباء في طبقات الأدباء**: المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، المحقق: إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء-الأردن، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥ م.

(٣٩٣)**النشر في القراءات العشر**: المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، المحقق: علي محمد الضباع، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى، عدد الأجزاء: ٢.

(٣٩٤)**نصب الراية لأحاديث الهداية**: المؤلف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، المحقق: محمد عوامة، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر-بيروت-لبنان/ دار القبلة للثقافة الإسلامية-جدة-السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٤.

(٣٩٥)**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**: المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر-بيروت-لبنان ص ب ١٠، الطبعة: الجزء: ١-الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٢-الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٣-الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٤-الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٥-الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٦، الطبعة الأولى ١٩٦٨، طبعة جديدة ١٩٩٧، الجزء: ٧-الطبعة: ٠، ١٩٠٠، عدد الأجزاء: ٨.

(٣٩٦)**نكث الهميان في نكت العميان**: المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧ م.

(٣٩٧)**نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**: المؤلف: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: ط أخيرة-١٤٠٤هـ.

(٣٩٨)**نهاية المطلب في دراية المذهب**: المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين، حققه وصنع فهارسه: أ د/ عبد العظيم محمود الدّيب، الناشر: دار المنهاج، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(٣٩٩)**النهاية في غريب الحديث والأثر**: المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، الناشر: المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى-محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.

(٤٠٠)**نواهد الأبكار وشوارد الأفكار**: المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: جامعة أم القرى-كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ٣.

(٤٠١)**النور السافر عن أخبار القرن العاشر**: المؤلف: محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥.

(٤٠٢)**هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**: المؤلف: عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري الشافعي، الناشر: مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ٢.

(٤٠٣)**الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**: المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي-جامعة الشارقة، بإشراف أ د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية-جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ١٣.

(٤٠٤)**هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**: المؤلف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البابانى البغدادي، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

(٤٠٥)**همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**: المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة التوفيقية – مصر، عدد الأجزاء: ٣.

(٤٠٦)**الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع**: المؤلف: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م.

(٤٠٧)**الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية-دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

(٤٠٨)**الوسيط في تفسير القرآن المجيد**: المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ-١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٤.

(٤٠٩)**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت.

(٤١٠)**الوفيات**: المؤلف: أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني، المحقق: عادل نويهض، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
ملخص الرسالة	٣
المقدمة	٥
الفصل الأول: التعريف بالإمام الألوسي وبكتابه (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)	١٣
التمهيد	١٤
المطلب الأول: الحالة السياسية	١٤
المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية	١٧
المطلب الثالث: الحالة العلمية والدينية	١٩
المبحث الأول: التعريف بالإمام الألوسي	٢٠
المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته	٢١
المطلب الثاني: طلبه للعلم، ورحلاته العلمية	٣٢
المطلب الثالث: شيوخه، وتلاميذه	٣٣
المطلب الرابع: آثاره العلمية، وأقوال العلماء فيه وثناؤهم عليه	٣٨
المطلب الخامس: وفاته	٤٥
المبحث الثاني: نبذة عن كتاب (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)	٤٦
المطلب الأول: مكانته، وأهميته	٤٧
المطلب الثاني: منهجه بإيجاز	٤٩
المطلب الثالث: مصادره	٦٢
المطلب الرابع: أهم مميزاته والمآخذ عليه	٦٥
الفصل الثاني: معنى التعقبات، وصِيَغُها عند الألوسي	٧٠
المبحث الأول: معنى التعقبات	٧١
المطلب الأول: معنى التعقبات في اللغة	٧٢

الموضوع	رقم الصفحة
المطلب الثاني: معنى التعقبات في الاصطلاح	٧٦
المبحث الثاني: صيغ التعقبات عند الإمام الألوسي، ومنهجه فيها	٨٠
المطلب الأول: صيغ التعقبات عند الألوسي	٨١
المطلب الثاني: منهج الإمام الألوسي في التعقبات	٨٧
الفصل الثالث: التعريف بالإمام البيضاوي وبكتابه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)	٩٨
التميهد	٩٩
المطلب الأول: الحالة السياسية	٩٩
المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية	١٠١
المطلب الثالث: الحالة العلمية والدينية	١٠٢
المبحث الأول: التعريف بالإمام البيضاوي	١٠٦
المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته	١٠٧
المطلب الثاني: طلبه للعلم، ورحلاته العلمية	١١٣
المطلب الثالث: شيوخه، وتلاميذه	١١٦
المطلب الرابع: آثاره العلمية، وأقوال العلماء فيه وثناؤهم عليه	١٢٠
المطلب الخامس: وفاته	١٢٧
المبحث الثاني: نبذة عن كتاب (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)	١٢٩
المطلب الأول: مكانته، وأهميته	١٣٠
المطلب الثاني: منهجه بإيجاز	١٣٢
المطلب الثالث: مصادره	١٣٥
المطلب الرابع: أهم مميزاته والمآخذ عليه	١٣٨
المطلب الخامس: عناية العلماء به	١٤١
القسم الثاني: الدراسة التطبيقية	١٤٣
١-سورة الفاتحة	١٤٤
المسألة الأولى: مقاصد المعاني التي تشتمل عليها الفاتحة	١٤٤
المسألة الثانية: شكر المنعم واجب شرعا وعقلا	١٤٨
المسألة الثالثة: هل البسملة آية مستقلة أم أنها آية من كل سورة	١٥٠

الموضوع	رقم الصفحة
المسألة الرابعة: معنى الاستعانة في تفسير الباء في البسملة	١٥٥
المسألة الخامسة: هل نص أبو حنيفة في مسألة البسملة بشيء	١٥٧
المسألة السادسة: لفظ حديث أم سلمة في مسألة البسملة، ودرجته	١٥٩
المسألة السابعة: في أصل لفظ الجلالة (الله) ومعناه	١٦١
٢-سورة البقرة	١٦٦
المسألة الأولى: كون (من) في قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ للتبعيض أو لا	١٦٦
المسألة الثانية: هل يسمى الحرام رزقا؟ وما معنى الرزق عند المعتزلة	١٧٠
المسألة الثالثة: إطلاق الفعل وإرادة مطلق الحدث	١٧٦
المسألة الرابعة: هل الكذب حرام كله	١٧٨
المسألة الخامسة: سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾	١٨٣
المسألة السادسة: معنى: (يَمُدُّهُمْ) في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	١٨٧
المسألة السابعة: معنى ﴿ٱلَّذِى﴾ في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾	١٩٠
المسألة الثامنة: معنى: ﴿ٱسْتَوْقَدَ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾	١٩٣
المسألة التاسعة: في تحديد فاعل ﴿أَضَآءَتْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾	١٩٦
المسألة العاشرة: هل المعدوم شيء	١٩٩
المسألة الحادية عشر: إعراب ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ	٢٠٤

الموضوع	رقم الصفحة
﴿ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	
المسألة الثانية عشر: الحكمة من الإتيان بجمع القلة ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٢٠٧
المسألة الثالثة عشر: معنى ﴿دُونِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	٢٠٩
المسألة الرابعة عشر: الكلام على صفة الإرادة	٢١٢
المسألة الخامسة عشر: دلالة مفهوم العدد	٢١٥
المسألة السادسة عشر: المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	٢١٧
المسألة السابعة عشر: الحكمة من تقديم (الرءوف) على (الرحيم) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	٢٢٠
المسألة الثامنة عشر: حكم حديث تحويل القبلة الذي ذكره البيضاوي	٢٢٣
المسألة التاسعة عشر: حذف المضاف مع إبقاء المضاف إليه بحاله على إنجراره	٢٢٦
المسألة العشرون: هل المعتزلة والروافض ممن ينكرون الحساب يوم القيامة أم لا	٢٣٠

الموضوع	رقم الصفحة
٤-سورة النساء	٢٣٣
المسألة الأولى: هل مجرد الكف يوجب نفي التعرض أم لا	٢٣٣
المسألة الثانية: تعلق قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ بما قبله	٢٣٧
المسألة الثالثة: التفضيل بين الملائكة وبني آدم	٢٣٩
٥-سورة المائدة	٢٤٣
المسألة الأولى: وجه النصب في قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾	٢٤٣
المسألة الثانية: في عدم سقوط وجوب القصاص بالتوبة	٢٤٧
٦-سورة الأنعام	٢٥٠
المسألة الأولى: في إفادة قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحصر	٢٥٠
المسألة الثانية: في نفع الإيمان المجرد عن العمل صاحبه	٢٥٤
٧-سورة الأعراف	٢٥٨
المسألة الأولى: تفسير الاستواء	٢٥٨
المسألة الثانية: أخذ الميثاق	٢٦١
٩-سورة التوبة	٢٦٩
المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾	٢٦٩
المسألة الثانية: دلالة مفهوم العدد	٢٧٣
١٠-سورة يونس	٢٧٧
المسألة الأولى: دخول العمل في مسمى الإيمان	٢٧٧
المسألة الثانية: ما هي الزيادة في الجنة	٢٨١
١١- سورة هود	٢٨٨
المسألة الأولى: في إمكان الخلاء بين العرش والماء	٢٨٨
١٢- سورة يوسف	٢٩٣
المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾	٢٩٣

الموضوع	رقم الصفحة
١٣- سورة الرعد	٢٩٥
المسألة الأولى: في مناسبة قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ لقوله تعالى قبلها: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾	٢٩٥
المسألة الثانية: تفسير ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾	٢٩٨
المسألة الثالثة: تفسير ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾	٣٠١
١٤- سورة إبراهيم	٣٠٣
المسألة الأولى: إعراب قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾	٣٠٣
المسألة الثانية: هل (مِن) في قوله تعالى: ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ للتبعيض أم للبيان أم للبدل أم زائدة للتّأكيد	٣٠٦
١٥- سورة الحجر	٣١٠
المسألة الأولى: في بناء الفعل ﴿نُنَزِّلُ﴾	٣١٠
المسألة الثانية: المراد من الباء في قوله: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾	٣١٤
المسألة الثالثة: الخلاف في عائد الضميرين	٣١٧
المسألة الرابعة: هل استراق السمع يقتضي مناسبة في الجوهر بين الملائكة والشياطين	٣٢٢
المسألة الخامسة: هل المستثنى في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾، منقطع من المستثنى منه أم متصل، وهل هو مستثنى من (قوم) أم من الضمير المستكن من قوله تعالى: (مجرمين)، وهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين	٣٢٦
١٦- سورة النحل	٣٣٠
المسألة الأولى: سبب اضطراب الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال	٣٣٠
المسألة الثانية: هل هذه الآية: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ	٣٣٣

الموضوع	رقم الصفحة
سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ **منسوخة بآية تحريم الخمر التي في سورة المائدة:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أم لا	
المسألة الثالثة والرابعة: هل تقديم الصلة على الفعل في قوله تعالى: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾، للاهتمام أم لإيهام التخصيص مبالغة، أم للمحافظة على الفواصل	٣٣٨
المسألة الخامسة: هل البيوت المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا ﴾، تتناول البيوت المتخذة من الوبر والصوف والشعر أم لا	٣٤١
١٧- سورة الإسراء	٣٤٤
المسألة الأولى: هل ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الأرض بمائة ونيف وستين مرة، أم لا	٣٤٤
المسألة الثانية: هل ثبت في الهندسة أن طرف الشمس الأسفل يصل موضع طرفها الأعلى في أقل من ثانية، أم لا؟ وما مقدار هذه الثانية	٣٤٧
المسألة الثالثة: ما المراد من دعاء الإنسان بالشر في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾، وما سبب نزول الآية	٣٥٢
المسألة الرابعة: غواية الشيطان لا يكون إلا بإذن الله	٣٥٦
١٨- سورة الكهف	٣٥٨
المسألة الأولى: هل كلمة (وراء) من الأضداد، وهل لإطلاقها على (قدام) أصل في اللغة أم لا	٣٥٨
المسألة الثانية: القول بأن السدين في قصة ذي القرنين هما جبلا أرمينية وأذربيجان	٣٦١
٢١- سورة الأنبياء	٣٦٤
المسألة الأولى: هل يقدر الله على اتخاذ اللهو أم لا	٣٦٤
٢٢- سورة الحج	٣٦٩

الموضوع	رقم الصفحة

المسألة الأولى: ما الغرض من صيغة المبالغة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ٣٦٩

المسألة الثانية: هل ﴿أَوَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ للتخيير أو للتنويع أو للتقسيم ٣٧١

المسألة الثالثة: تقدير المحذوف في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ ٣٧٤

المسألة الرابعة: هل إثبات قصة الغرانيق يخل بالوثوق على القرآن أم لا ٣٧٧

المسألة الخامسة: إعراب قوله تعالى ﴿أَن تَقَعَ﴾ ٣٨٠

٢٣- سورة المؤمنون ٣٨٢

المسألة الأولى: حقيقة تعاقب الأطوار في خلق الجنين ٣٨٢

٢٦- سورة الشعراء ٣٨٥

المسألة الأولى: الحكمة في جمع الشافعين وإفراد الصديق ٣٨٥

٢٨- سورة القصص ٣٨٨

المسألة الأولى: الغرض من النفي في قول فرعون ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ ٣٨٨

٣٦- سورة يس ٣٩٣

المسألة الأولى: الأعناب هي الكروم أم الثمار ٣٩٣

٣٧- سورة الصافات ٣٩٥

المسألة الأولى: خلق أفعال العباد ٣٩٥

٤٠- سورة غافر ٣٩٩

المسألة الأولى: الفرق بين الرسول والنبي ٣٩٩

٤٢- سورة الشورى ٤٠٢

المسألة الأولى: مراتب تكليم الأنبياء ٤٠٢

الموضوع	رقم الصفحة
٤٣- سورة الزخرف	٤٠٥
المسألة الأولى: معنى (أم) في قوله تعالى حكاية عن فرعون	٤٠٥
٥٣- سورة النجم	٤٠٩
المسألة الأولى: اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم	٤٠٩
٥٨- سورة المجادلة	٤١٤
المسألة الأولى: هل سورة المجادلة مكية أم مدنية	٤١٤
المسألة الثانية: ما هي التحية المقصودة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾	٤١٦
٧١- سورة نوح	٤٢٠
المسألة الأولى: إعراب قوله تعالى: ﴿نَبَاتًا﴾	٤٢٠
٧٢- سورة الجن	٤٢٢
المسألة الأولى: في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للجن	٤٢٢
٧٦- سورة الإنسان	٤٢٦
المسألة الأولى: ما هو لون الإستبرق في الجنة	٤٢٦
٧٨- سورة النبأ	٤٢٩
المسألة الأولى: المقصود بالخطاب في ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾	٤٢٩
المسألة الثانية: التفضيل بين الملائكة والبشر	٤٣٢
٨٠- سورة عبس	٤٣٥
المسألة الأولى: الترتيب في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾	٤٣٥
٨١- سورة التكوير	٤٣٨
المسألة الأولى: الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٤٣٨

الموضوع	رقم الصفحة
الخاتمة	٤٤٠
الفهارس	٤٤٣
فهرس الآيات القرآنية	٤٤٤
فهرس الأحاديث النبوية	٤٥٦
فهرس الآثار	٤٥٨
فهرس الأعلام المترجم لهم	٤٥٩
فهرس الأماكن والبلدان	٤٧٠
فهرس الأبيات الشعرية	٤٧١
فهرس المصادر والمراجع	٤٧٢
فهرس الموضوعات	٥٣١